نام کتاب: الشفاء بتعریف حقوق المصطفی

مؤلف: القاضی الشهید ابوالفضل عیاض

شماره کتاب: ۹۳۵۸

اندازه: ۲۷×۱۹

تاریخ فیلمبرداری: خرداد ۱۲۸۹

عن غوامض ودقايق من علم الحقايق مما يجب للنبي صلى الله عليه وسلم او يضاف
اليه او يمتنع او يجوز عليه ومعرفة النبي والرسول والرسالة والنبوة والمحبة
والخلة وخصايص هذه الدرجة العلية وها هنا مهامه فيح تحار فيها القطا
وتقصر بها الخطا ومجاهل تضل فيها الاحلام ان لم تهتد بعلم علم ونظر سديد
ومداحض تزل بها الاقدام ان لم تعتمد على توفيق من الله وتاييد لكني لما رجوته
لي ولك في هذا السوال والجواب من نوال وثواب بتعريف قدره الجسيم وخلقه
العظيم وبيان خصايصه التي لم تجتمع قبل في مخلوق وما يدان الله تعالى به من حقه
الذي هو ارفع الحقوق ليستيقن الذين اوتوا الكتاب ويزداد الذين امنوا ايمانا
ولما اخذ الله تعالى على الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه ولما
حدثنا به ابو الوليد هشام بن احمد الفقيه رحمه الله بقراتي عليه قال ثنا الحسين
بن محمد ثنا ابو عمر النمري ثنا ابو محمد بن عبد المومن ثنا ابو بكر محمد بن بكر ثنا سليمان بن الاشعث
ثنا موسى بن اسمعيل ثنا حماد اخبرنا علي بن الحكم عن عطا عن ابي هريرة قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من سئل عن علم فكتمه الجمه الله بلجام من نار يوم القيمة
فبادرت الى نكت سافرة عن وجه الغرض مؤديا من ذلك الحق المفترض اختلستها
على استعجال لما المرء بصدده من شغل البدن والبال بما طوقه من مقاليد المحنة
التي ابتلي بها فكادت تشغل عن كل فرض ونفل وترد بعد حسن التقويم الى اسفل
سفل ولو اراد الله بالانسان خيرا لجعل شغله وهمه كله فيما يحمد غدا او
يذم محله فليس ثم سوى نضرة النعيم او عذاب الجحيم ولكان عليه بخويصته واستنقاذ
مهجته وعمل صالح يستزيده وعلم نافع يفيده او يستفيده جبر الله صدع قلوبنا
وغفر عظيم ذنوبنا وجعل جميع استعدادنا لمعادنا وتوفر دواعينا فيما ينجينا
ويقربنا اليه تعالى زلفى ويحظينا بمنه ورحمته ولما نويت تقريبه ودرجت تبويبه
ومهدت تاصيله وخلصت تفصيله وانتحيت حصره وتحصيله ترجمته بالشفا بتعريف
حقوق المصطفى وحصرت الكلام فيه في اقسام اربعة القسم الاول

وخدش

قلوبنا

فيما ينجينا

في تعظيم العلي الأعلى لقدر هذا النبي قولاً وفعلاً. وتوجه الكلام فيه في أربعة
أبواب. **الباب الأول** في ثنائه تعالى عليه وإظهاره عظيم قدره لديه. وفيه عشرة
فصول. **الباب الثاني** في تكميله تعالى له المحاسن خَلقاً وخُلقاً. وقرانه
جميع الفضائل الدينية والدنيوية فيه نسقاً. وفيه سبعة وعشرون فصلاً
الباب الثالث فيما ورد من صحيح الأخبار ومشهورها بعظيم قدره عند ربه
ومنزلته وما خصه به في الدارين من كرامته. وفيه اثنا عشر فصلاً
الباب الرابع فيما أظهره تعالى على يديه من الآيات والمعجزات. وشرفه به من
الخصائص والكرامات. وفيه ثلاثون فصلاً **القسم الثاني** فيما يجب على الأنام
من حقوقه عليه السلام. ويترتب القول فيه في أربعة أبواب. **الباب الأول**
في فرض الإيمان به. ووجوب طاعته واتباع سنته. وفيه خمسة فصول.
الباب الثاني في لزوم محبته ومناصحته. وفيه ستة فصول. **الباب الثالث**
في تعظيم أمره ولزوم توقيره وبره. وفيه سبعة فصول. **الباب الرابع** في حكم
الصلاة عليه والتسليم وفرض ذلك وفضيلته. وفيه عشرة فصول
القسم الثالث فيما يستحيل في حقه وما يجوز عليه وما يمتنع ويصح من الأمور
البشرية أن يضاف إليه. وهذا القسم أكرمك الله هو سر الكتاب ولباب
ثمرة هذه وما قبله له كالقواعد والتمهيدات والدلائل على ما نورده فيه من
النكت البينات. وهو الحاكم على ما بعده والمنجز من غرض هذا التأليف وعده. وعند التقصي
لموعده والتفصي عن عهدته يشرق صدر العدو اللعين. ويشرق قلب
المؤمن باليقين. وتملأ أنواره جوانح صدره ويقدر العاقل النبي حق قدره
الكلام فيه في بابين. **الباب الأول** فيما يختص بالأمور الدينية. ويتشبث به القول
بالعصمة. وفيه ستة عشر فصلاً **الباب الثاني** في أحواله الدنيوية وما يجوز
طروه عليه من الأعراض البشرية. وفيه تسعة فصول. **القسم الرابع** في تصرف
وجوه الأحكام على من تنقصه أو سبه عليه السلام. وينقسم الكلام فيه في بابين.

الباب الأول في بيان ما هو في حقه سب أو نقص. من تعريض أو نص. وفيه
عشرة فصول. **الباب الثاني** في حكم شانئه ومؤذيه ومتنقصه وعقوبته
وذكر استتابته والصلاة عليه ووراثته. وفيه عشرة فصول. وختمناه بباب
ثالث جعلناه تكملة لهذه المسألة ووصلة للبابين اللذين قبله في حكم من سب
الله تعالى ورسله وملائكته وكتبه وآل النبي صلى الله عليه وسلم وصحبه. واختصر
الكلام فيه في خمسة فصول. وبتمامها ينجز الكتاب. وتتم الأقسام والأبواب
ويلوح في غرة الإيمان لمعة منيرة. وفي تاج التراجم درة خطيرة. يزيح كل لبس
ويوضح كل تخمين. ويشفي صدور قوم مؤمنين. ويصدع بالحق ويعرض عن الجاهلين
وبالله تعالى لا إله سواه أستعين. **القسم الأول** في تعظيم العلي الأعلى
لقدر النبي المصطفى قولاً وفعلاً. قال القاضي الإمام أبو الفضل رضي الله عنه لا خفاء
على من مارس شيئاً من العلم أو خص بأدنى لمحة من فهم بتعظيم الله تعالى قدر نبينا
صلى الله عليه وسلم. وخصوصه إياه بفضائل ومحاسن ومناقب لا تنضبط بزمام
وتنويهه من عظيم قدره بما تكل عنه الألسنة والأقلام. **فمنها** ما صرح به
تعالى في كتابه. ونبه به على جليل نصابه. وأثنى به عليه من أخلاقه وآدابه. وحض
العباد على التزامه وتقلد إيجابه. فكان جل جلاله هو الذي تفضل وأولى ثم طهر
وزكى ثم مدح بذلك وأثنى ثم أثاب عليه الجزاء الأوفى. فله الفضل بدءاً وعوداً
والحمد أولى وأخرى. **ومنها** ما أبرزه للعيان من خلقه على أتم وجوه الكمال
والجلال. وتخصيصه بالمحاسن الجميلة والأخلاق الحميدة. والمذاهب الكريمة والفضائل
العديدة. وتأييده بالمعجزات الباهرة والبراهين الواضحة والكرامات البينة
التي شاهدها من عاصره ورآها من أدركه وعلمها علم يقين من جاء بعده حتى انتهى
علم حقيقة ذلك إلينا وفاضت أنواره علينا صلى الله عليه وسلم كثيراً. حدثنا
القاضي الشهيد أبو علي الحسين بن محمد الحافظ رحمه الله قراءة مني عليه. قال ثنا أبو الحسين

المبارك بن عبد الجبار ثنا أبو الفضل أحمد بن خيرون والآخر أبو يعلى البغدادي ثنا
أبو علي السنجي ثنا محمد بن أحمد بن محبوب ثنا أبو عيسى بن سورة الحافظ ثنا إسحق بن
منصور ثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن قتادة عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم
أتي بالبراق ليلة أسري به ملجما مسرجا فاستصعب عليه فقال له جبريل أبمحمد
تفعل هذا فما ركبك أحد أكرم على الله منه قال فارفض عرقا

الباب الأول

في ثناء الله تعالى عليه وإظهاره عظيم قدره لديه. اعلم أن في كتاب الله العزيز آيات
كثيرة مفصحة بجميل ذكر المصطفى صلى الله عليه وسلم وعد محاسنه وتعظيم
أمره وتنويه قدره اعتمدنا منها على ما ظهر معناه وبان فحواه وجمعنا ذلك
في عشرة فصول

الفصل الأول

فيما جاء من ذلك مجيء المدح والثناء وتعداد
المحاسن كقوله تعالى لقد جاءكم رسول من أنفسكم الآية قال السمرقندي وقرأ
بعضهم من أنفَسكم بفتح الفاء وقراءة الجمهور بالضم قال القاضي أبو الفضل رضي الله
عنه أعلم الله تعالى المؤمنين أو العرب أو أهل مكة أو جميع الناس على اختلاف المفسرين
من المواجه بهذا الخطاب أنه بعث فيهم رسولا من أنفسهم يعرفونه ويتحققون
مكانه ويعلمون صدقه وأمانته فلا يتهمونه بالكذب وترك النصيحة لهم لكونه
منهم وأنه لم تكن في العرب قبيلة إلا ولها على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولادة
أو قرابة وكونه من أشرفهم وأرفعهم وأفضلهم على قراءة الفتح وهذه نهاية المدح
ثم وصفه بعد بأوصاف حميدة وأثنى عليه بمحامد كثيرة من حرصه على هدايتهم
ورشدهم وإسلامهم وشدة ما يعنتهم ويضر بهم في دنياهم وأخراهم وعزته
عليه ورأفته ورحمته بمؤمنيهم قال بعضهم أعطاه اسمين من أسمائه رؤوف رحيم
ومثله في الآية الأخرى قوله لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم
الآية وفي الآية الأخرى هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم الآية وقوله
كما أرسلنا فيكم رسولا منكم وروي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه عنه عليه

السلام في قوله تعالى من أنفسكم قال نسبا وصهرا وحسبا ليس في آبائي من لدن
آدم سفاح كلنا نكاح وقال جعفر بن محمد علم الله تعالى عجز خلقه عن طاعته
فعرفهم ذلك لكي يعلموا أنهم لا ينالون الصفو من خدمته فأقام بينهم وبينه
مخلوقا من جنسهم في الصورة ألبسه من نعته الرأفة والرحمة وأخرجه إلى
الخلق سفيرا صادقا وجعل طاعته طاعته وموافقته موافقته فقال من يطع
الرسول فقد أطاع الله وقال الله تعالى وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين قال
أبو بكر بن طاهر زين الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم بزينة الرحمة فكان كونه
رحمة وجميع شمائله وصفاته رحمة على الخلق فمن أصابه شيء من رحمته فهو الناجي
في الدارين من كل مكروه والواصل فيهما إلى كل محبوب ألا ترى أن الله تعالى يقول
وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين فكانت حياته رحمة ومماته رحمة كما قال صلى الله عليه
وسلم حياتي خير لكم وموتي خير لكم وكما قال صلى الله عليه وسلم إذا أراد الله رحمة
بأمة قبض نبيها قبلها فجعله لها سلفا وفرطا قال السمرقندي رحمة للعالمين
يعني للجن والإنس وقيل لجميع الخلق للمؤمن رحمة بالهداية ورحمة للمنافق بالأمان
من القتل ورحمة للكافر بتأخير العذاب قال ابن عباس هو رحمة للمؤمنين والكافرين
إذ عوفوا مما أصاب غيرهم من الأمم المكذبة وحكي أن النبي صلى الله عليه وسلم
قال لجبريل عليه السلام هل أصابك من هذه الرحمة شيء قال نعم كنت أخشى العاقبة
فأمنت لثناء الله عز وجل علي بقوله ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم أمين
وروي عن جعفر بن محمد الصادق رضي الله عنه في قوله تعالى فسلام لك من أصحاب
اليمين أي بك إنما وقعت سلامتهم من أجل كرامة محمد صلى الله عليه وسلم وقال
الله تعالى الله نور السموات والأرض الآية قال كعب وابن جبير المراد بالنور الثاني
هنا محمد صلى الله عليه وسلم وقوله مثل نوره أي نور محمد وقال سهل بن عبد الله
المعنى الله هادي أهل السموات ثم قال مثل نور محمد إذ كان مستودعا في الأصلاب
كمشكاة صفتها كذا وأراد بالمصباح قلبه والزجاجة صدره أي كأنه كوكب

دري لما فيه من الايمان والحكمة توقد من شجرة مباركة اي من نور ابرهيم عليه
السلام وضرب المثل بالشجرة المباركه وقوله يكاد زيتها يضي اي تكاد نبوة محمد
صلى الله عليه وسلم تبين للناس قبل كلامه كهذا الزيت وقد قيل في هذه الاية
غير هذا والله اعلم وقد سماه الله تعالى في القرآن في غير هذا الموضع نورا
وسراجا منيرا فقال تعالى قد جاكم من الله نور وكتاب مبين وقال تعالى انا ارسلناك
شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا ومن هذا قوله تعالى
الم نشرح لك صدرك الى اخر السورة شرح وسع والمراد بالصدر هنا القلب
قال ابن عباس شرحه بالإسلام وقال سهل بنور الرسالة وقال الحسن ملاه حكما
وعلما وقيل معناه الم نطهر قلبك حتى لا يوذيك الوسواس ووضعنا عنك وزرك
الذي انقض ظهرك قيل ما سلف من ذنبك يعني قبل النبوة وقيل اراد ثقل ايام
الجاهلية وقيل اراد ما اثقل ظهره من الرسالة حتى بلغها حكاه الماوردي والسلمي
وقيل عصمناك ولولا ذلك لاثقلت الذنوب ظهرك حكاه السمرقندي ورفعنا
لك ذكرك قال يحيى بن ادم بالنبوة وقيل اذا ذكرت ذكرت معي في قول
لا اله الا الله محمد رسول الله وقيل في الاذان قال القاضي ابو الفضل رضي الله عنه
هذا تقرير من الله جل اسمه لنبيه صلى الله عليه وسلم على عظيم نعمه لديه وشريف
منزلته عنده وكرامته عليه بان شرح قلبه للايمان والهداية ووسعه
لوعي العلم وحمل الحكمة ورفع عنه ثقل امور الجاهلية عليه وبغضه
بسيرها وما كانت عليه بظهور دينه على الدين كله وحط عنه اعباء
الرسالة والنبوة لتبليغه للناس ما نزل اليهم وتنويهه بعظيم مكانه وجليل
رتبته ورفعه ذكره وقرانه مع اسمه اسمه قال قتادة رفع الله ذكره
في الدنيا والاخرة فليس خطيب ولا متشهد ولا صاحب صلاة الا يقول
اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله روى ابو سعيد الخدري ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال اتاني جبريل فقال ان ربي وربك يقول تدري كيف رفعت ذكرك

فقلت

فقلت الله ورسوله اعلم قال اذا ذكرت ذكرت معي قال ابن عطا جعلت تمام
الايمان بذكري معك وقال ايضا جعلتك ذكرا من ذكري فمن ذكرك ذكرني
وقال جعفر بن محمد الصادق لا يذكرك احد بالرسالة الا ذكرني بالربوبية واشار
بعضهم في ذلك الى الشفاعة ومن ذكره معه تعالى ان قرن طاعته بطاعته
واسمه باسمه فقال تعالى واطيعوا الله والرسول وامنوا بالله ورسوله فجمع بينهما
بواو العطف المشركة ولا يجوز جمع هذا الكلام في حق غيره عليه السلام حدثنا
الشيخ ابو علي الحسين بن محمد الجياني الحافظ فيما اجازنيه وقراته على الثقة عنه
قال حدثنا ابو عمر النمري حدثنا ابو محمد بن عبد المومن حدثنا ابو بكر بن داسه حدثنا ابو داود
السجزي حدثنا ابو الوليد الطيالسي حدثنا شعبة عن منصور عن عبد الله بن يسار عن حذيفة
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يقولن احدكم ما شا الله وشا فلان ولكن ما شا
الله ثم شا فلان قال الخطابي ارشدهم صلى الله عليه وسلم الى الادب في تقديم مشية
الله تعالى على مشية من سواه واختارها بثم التي هي للنسق والتراخي بخلاف الواو التي
هي للاشتراك ومثله الحديث الاخر ان خطيبا خطب عند النبي صلى الله عليه وسلم
فقال من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فقال له النبي صلى الله عليه
وسلم بيس خطيب القوم انت قم او قال اذهب قال ابو سليمن كره منه الجمع بين
الاسمين بحرف الكناية لما فيه من التسوية وذهب غيره الى انه انما كره له الوقوف
على يعصهما وقول ابي سليمن اصح لما روي في الحديث الصحيح انه قال ومن يعصهما
فقد غوى فلم يذكر الوقوف على يعصهما وقد اختلف المفسرون واصحاب المعاني
في قوله تعالى ان الله وملايكته يصلون على النبي هل يصلون راجعة على الله تعالى
والملايكة ام لا فاجازه بعضهم ومنعه اخرون لعلة التشريك وخصوا الضمير
بالملايكة وقدروا الاية ان الله يصلي وملايكته يصلون وقد روي عن عمر رضي الله
عنه انه قال من فضيلتك عند الله ان جعل طاعتك طاعته فقال من يطع الرسول
فقد اطاع الله وقد قال تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله الاية روي

انه لما نزلت هذه الاية قالوا ان محمدا يريد ان نتخذه حنانا كما اتخذت النصارى
عيسى فانزل الله تعالى قل اطيعوا الله والرسول فقرن طاعته بطاعته رغما لهم
وقد اختلف المفسرون في معنى قوله تعالى في ام الكتاب اهدنا الصراط المستقيم
صراط الذين انعمت عليهم فقال ابو العالية والحسن البصري الصراط المستقيم هو
رسول الله صلى الله عليه وسلم وخيار اهل بيته واصحابه حكاه عنهما ابو الحسن
الماوردي وحكى مكي عنهما نحوه وقال هو رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحباه ابو بكر
وعمر رضي الله عنهما وحكى ابو الليث السمرقندي مثله عن ابي العالية في قوله
تعالى صراط الذين انعمت عليهم قال فبلغ ذلك الحسن فقال صدق والله ونصح
وحكى الماوردي ذلك في تفسير صراط الذين انعمت عليهم عن عبد الرحمن بن زيد
وحكى ابو عبد الرحمن السلمي عن بعضهم في تفسير قوله تعالى فقد استمسك بالعروة
الوثقى انه محمد صلى الله عليه وسلم وقيل الاسلام وقيل شهادة التوحيد وقال
سهل في قوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها قال نعمته بمحمد صلى الله عليه
وسلم وقال تعالى والذي جاء بالصدق وصدق به اولئك هم المتقون الاية اكثر
المفسرين على ان الذي جاء بالصدق هو محمد صلى الله عليه وسلم قال بعضهم وهو
الذي صدق به وقرئ صدق بالتخفيف وقال غيرهم الذي صدق به المومنون وقيل
ابو بكر وقيل علي وقيل غير هذا من الاقوال وعن مجاهد في قوله تعالى الا بذكر الله
تطمئن القلوب قال بمحمد صلى الله عليه وسلم واصحابه الفصل الثاني في وصفه
تعالى له بالشهادة وما تعلق بها من الثنا والكرامة قال الله تعالى يا ايها النبي
انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا الاية جمع الله تعالى له في هذه الاية ضروبا
من رتب الاثرة وجملة اوصاف من المدحة فجعله شاهدا على امته لنفسه بابلاغهم
الرسالة وهي من خصائصه صلى الله عليه وسلم ومبشرا لاهل طاعته ونذيرا لاهل
معصيته وداعيا الى توحيده وعبادته وسراجا منيرا يهتدى به للحق حدثنا
الشيخ ابو محمد بن عتاب رحمه الله ثنا ابو القسم حاتم بن محمد ثنا ابو الحسن القابسي ثنا ابو زيد

المروزي

المروزي ثنا ابو عبد الله محمد بن يوسف ثنا البخاري ثنا محمد بن سنان ثنا فليح حدثنا
هلال عن عطا بن يسار قال لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص قلت اخبرني عن صفة
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اجل والله انه لموصوف في التوراة ببعض صفته
في القران يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وحرزا للاميين
انت عبدي ورسولي سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب في الاسواق
ولا يدفع بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويغفر ولن يقبضه الله حتى يقيم به
الملة العوجا بان يقولوا لا اله الا الله ويفتح به اعينا عميا واذانا صما وقلوبا
غلفا وذكر مثله عن عبد الله بن سلام وكعب الاحبار وفي بعض طرقه عن ابن
اسحق ولا صخب في الاسواق ولا متزين بالفحش ولا قوال للخنا اسدده لكل جميل
واهب له كل خلق كريم واجعل السكينة لباسه والبر شعاره والتقوى ضميره
والحكمة معقوله والصدق والوفا طبيعته والعفو والمعروف خلقه والعدل
سيرته والحق شريعته والهدى امامه والاسلام ملته واحمد اسمه اهدي به بعد
الضلالة واعلم به بعد الجهالة وارفع به بعد الخمالة واسمي به بعد النكرة واكثر
به بعد القلة واغني به بعد العيلة واجمع به بعد الفرقة واولف به بين
قلوب مختلفة واهوا متشتتة وامم متفرقة واجعل امته خير امة اخرجت
للناس وفي حديث اخر اخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صفته في
التوراة عبدي احمد المختار مولده بمكة ومهاجره بالمدينة او قال طيبة امته
الحمادون لله على كل حال وقال تعالى الذين يتبعون الرسول النبي الامي الايتين
وقال تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم الاية قال السمرقندي ذكرهم الله منته
انه جعل رسوله رحيما بالمومنين روفا لين الجانب ولو كان فظا خشنا
في القول لتفرقوا من حوله لكن جعله الله تعالى سمحا سهلا طلقا برا لطيفا هكذا
قاله الضحاك وقال تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهدا على الناس ويكون
الرسول عليكم شهيدا قال ابو الحسن القابسي ابان الله تعالى فضل نبينا صلى الله

والسخب والصخب بمعنى الصياح

عليه وسلم وفضل أمته بهذه الآية وفي قوله في الآية الأخرى وفي هذا ليكون
الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس وكذلك قوله فكيف إذا جئنا من
كل أمة بشهيد الآية وقوله وسطا أي عدلا خيارا ومعنى هذه الآية وكما هديناكم
فكذلك خصصناكم وفضلناكم بأن جعلناكم أمة خيارا عدولا لتشهدوا للأنبياء
على أممهم ويشهد لكم الرسول بالصدق وقيل إن الله جل جلاله إذا سأل الأنبياء
عليهم السلام هل بلغتم فيقولون نعم فتقول أممهم ما جاءنا من بشير ولا نذير فتشهد أمة
محمد صلى الله عليه وسلم للأنبياء عليهم السلام ويزكيهم النبي صلى الله عليه وسلم وقيل
معنى الآية إنكم حجة على من خالفكم والرسول حجة عليكم حكاه السمرقندي وقال تعالى وبشر
الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم قال قتادة والحسن وزيد بن أسلم قدم صدق هو
محمد صلى الله عليه وسلم يشفع لهم وعن الحسن أيضا هي مصيبتهم بنبيهم وعن أبي سعيد
الخدري هي شفاعة نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم هو شفيع صدق عند ربهم وقال سهل
ابن عبد الله التستري هي سابقة رحمة أودعها في محمد صلى الله عليه وسلم وقال محمد بن علي
الترمذي هو إمام الصادقين والصديقين الشفيع المطاع والسائل المجاب محمد صلى الله عليه
وسلم حكاه عنه السلمي

الفصل الثالث

فيما ورد في خطابه إياه مورد الملاطفة
والمبرة من ذلك قوله تعالى عفا الله عنك لم أذنت لهم قال أبو محمد مكي قيل هذا افتتاح
كلام بمنزلة أصلحك الله وأعزك الله وقال عون بن عبد الله أخبره بالعفو قبل أن يخبره بالذنب
حكى السمرقندي عن بعضهم أن معناه عافاك الله يا سليم القلب لم أذنت لهم قال ولو بدأ
النبي صلى الله عليه وسلم بلم أذنت لهم لخيف عليه أن ينشق قلبه من هيبة هذا الكلام لكن
الله تعالى برحمته أخبره بالعفو حتى سكن قلبه ثم قال له لم أذنت لهم بالتخلف حتى يتبين
لك الصادق في عذره من الكاذب وفي هذا من عظيم منزلته عند الله ما لا يخفى على
ذي لب ومن إكرامه إياه وبره به ما ينقطع دون معرفة غايته نياط القلب قال
[illegible] ذهب ناس إلى أن النبي صلى الله عليه وسلم معاتب بهذه الآية وحاشاه من ذلك
بل كان مخيرا فلما أذن لهم أعلمه الله تعالى أنه لو لم يأذن لهم لقعدوا لنفاقهم وأنه لا حرج

عليه في الإذن لهم قال القاضي أبو الفضل رضي الله عنه يجب على المسلم المجاهد
نفسه الرائض بزمام الشريعة خلقه أن يتأدب بأدب القرآن في قوله وفعله
ومعاطاته ومحاوراته فهو عنصر المعارف الحقيقية وروضة الآداب الدينية
والدنيوية وليتأمل هذه الملاطفة العجيبة في السؤال من رب الأرباب المنعم
على الكل المستغني عن الجميع وليستثر ما فيها من الفوائد وكيف ابتدأ بالإكرام
قبل العتب وآنس بالعفو قبل ذكر الذنب إن كان ثم ذنب وقال تعالى ولولا أن ثبتناك
لقد كدت تركن إليهم شيئا قليلا قال بعض المتكلمين عاتب الله تعالى الأنبياء عليهم
السلام بعد الزلات وعاتب نبينا صلى الله عليه وسلم قبل وقوعه ليكون بذلك أشد
انتهاء ومحافظة لشرائط المحبة وهذه غاية العناية ثم انظر كيف بدأ بتثبيته وسلامته
قبل ذكر ما عتبه عليه وخيف أن يركن إليه ففي أثناء عتبه براءته وفي طي تخويفه
تأمينه وكرامته ومثله قوله تعالى قد نعلم إنه ليحزنك الذي يقولون فإنهم لا يكذبونك
الآية قال علي رضي الله عنه قال أبو جهل للنبي صلى الله عليه وسلم إنا لا نكذبك ولكن
نكذب بما جئت به فأنزل الله تعالى فإنهم لا يكذبونك الآية وروي أن النبي
صلى الله عليه وسلم لما كذبه قومه حزن فجاءه جبريل عليه السلام فقال ما يحزنك
قال كذبني قومي فقال إنهم يعلمون أنك صادق فأنزل الله تعالى الآية ففي هذه الآية
منزع لطيف المأخذ من تسليته تعالى له عليه السلام وإلطافه في القول بأن قرر
عنده أنه صادق عندهم وأنهم غير مكذبين له معترفون بصدقه قولا واعتقادا وقد
كانوا يسمونه قبل النبوة الأمين فدفع بهذا التقرير ارتماض نفسه بسمة الكذب
ثم جعل الذم لهم بتسميتهم جاحدين ظالمين فقال تعالى ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون
فحاشاه من الوصم وطوقهم بالمعاندة بتكذيب الآيات حقيقة الظلم إذ الجحد
إنما يكون ممن علم الشيء ثم أنكره كقوله تعالى وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا
ثم عزاه وآنسه بما ذكره عمن قبله ووعده النصر بقوله ولقد كذبت رسل من قبلك
الآية فمن قرأ لا يكذبونك بالتخفيف فمعناه لا يجدونك كاذبا وقال الفراء والكسائي

لا يقولون انك كاذب وقيل لا يحتجون على كذبك ولا يثبتونه ومن قراها بالتشديد
فمعناه لا ينسبونك الى الكذب وقيل لا يعتقدون كذبك ومما ذكر من خصايصه
وبر الله تعالى به ان الله تعالى خاطب جميع الانبيا عليهم السلام باسمايهم فقال تعالى
يا ادم يا نوح يا ابرهيم يا داود يا عيسى يا زكريا يا يحيى ولم يخاطب هو الا يا ايها الرسول
يا ايها النبي يا ايها المزمل يا ايها المدثر

الفصل الرابع في قسمه تعالى بعظيم قدره

قال الله تعالى لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون اتفق اهل التفسير في هذا انه قسم
من الله جل جلاله بمدة حياة محمد صلى الله عليه وسلم واصله ضم العين من العمر ولكنها
فتحت لكثرة الاستعمال ومعناه وبقايك يا محمد وقيل وعيشك وقيل وحياتك
وهذه نهاية التعظيم وغاية البر والتشريف قال ابن عباس ما خلق الله وما ذرا
وما برا نفسا اكرم عليه من محمد صلى الله عليه وسلم وما سمعت الله تعالى اقسم بحياة
احد غيره صلى الله عليه وسلم قال ابو الجوزا ما اقسم الله بحياة احد غير محمد صلى الله
عليه وسلم لانه اكرم البرية عنده وقال تعالى يس والقران الحكيم الايات
اختلف المفسرون في معنى يس على اقوال فحكى ابو محمد مكي انه روي عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال لي عند ربي عشرة اسما ذكر ان منها طه ويس اسمان له وحكى ابو محمد
السلمي عن جعفر الصادق انه اراد يا سيد مخاطبة لنبيه صلى الله عليه وسلم وعن ابن
عباس يس يا انسان اراد محمدا صلى الله عليه وسلم وقال هو قسم وهو من اسما الله تعالى
قال الزجاج قيل معناه يا محمد وقيل يا رجل وقيل يا انسان وعن ابن الحنفية يس يا محمد
وعن كعب يس قسم اقسم الله تعالى به قبل ان يخلق السما والارض بالفي عام يا محمد انك
لمن المرسلين ثم قال والقران الحكيم انك لمن المرسلين فان قدر انه من اسمايه صلى الله
عليه وسلم وصح فيه انه قسم كان فيه من التعظيم ما تقدم ويوكد فيه القسم عطف
القسم الاخر عليه وان كان بمعنى النداء فقد جا قسم اخر بعده لتحقيق رسالته والشهادة
بهدايته اقسم تعالى باسمه وكتابه انه لمن المرسلين بوحيه الى عباده وعلى صراط
مستقيم من ايمانه اي طريق لا اعوجاج فيه ولا عدول عن الحق قال النقاش لم
يقسم

الله تعالى لاحد من انبيايه بالرسالة في كتابه الا له وفيه من تعظيمه
وتمجيده على تاويل من قال انه يا سيد ما فيه وقد قال صلى الله عليه وسلم انا
سيد ولد ادم وقال تعالى لا اقسم بهذا البلد وانت حل بهذا البلد قيل لا اقسم
به اذا لم تكن فيه بعد خروجك حكاه مكي وقيل لا زايدة اي اقسم به وانت
به يا محمد حلال او حل لك ما فعلت فيه على التفسيرين والمراد بالبلد عند هولاء
مكة وقال الواسطي اي نحلف لك بهذا البلد الذي شرفته بمكانك فيه
حيا وببركتك ميتا يعني المدينة والاول اصح لان السورة مكية وما بعده
يصححه قوله وانت حل بهذا البلد ونحوه قول ابن عطا في تفسير قوله تعالى وهذا البلد
الامين قال امنها الله بمقامه فيها وكونه بها فان كونه امان حيث كان ثم قال
ووالد وما ولد قال من قال اراد ادم فهو عام ومن قال هو ابرهيم وما ولد فهي ان شا الله
اشارة الى محمد صلى الله عليه وسلم فتتضمن السورة القسم به في موضعين وقال
تعالى الم ذلك الكتاب قال ابن عباس هذه الحروف اقسام اقسم الله تعالى بها وعنه
وعن غيره غير ذلك وقال سهل بن عبد الله التستري رحمه الله الالف هو الله
واللام جبريل والميم محمد عليهما السلام وحكى هذا القول السمرقندي ولم ينسبه الى سهل
وجعل معناه الله انزل جبريل على محمد بهذا القران لا ريب فيه وعلى الوجه الاول
يحتمل القسم ان هذا الكتاب حق لا ريب فيه ثم فيه من فضيلة قران اسمه باسمه نحو
ما تقدم قال ابن عطا في قوله تعالى ق والقران المجيد اقسم بقوة قلب حبيبه محمد
صلى الله عليه وسلم حيث حمل الخطاب والمشاهدة ولم يوثر ذلك فيه لعلو حاله
وقيل هو اسم للقران وقيل هو اسم لله عز وجل وقيل جبل محيط بالارض وقيل غير
هذا وقال جعفر بن محمد في تفسير والنجم اذا هوى انه محمد صلى الله عليه و
وقال النجم قلب محمد صلى الله عليه وسلم هوى انشرح من الانوار وقال انقطع
عن غير الله تعالى وقال ابن عطا في قوله تعالى والفجر وليال عشر الفجر محمد صلى الله

عليه وسلم لان منه تفجر الايمان. الفصل الخامس في قسمه تعالى جده له
لتحقيق مكانته عنده. قال جل اسمه والضحى والليل اذا سجى السورة. اختلف في
سبب نزول هذه السورة فقيل كان ترك النبي صلى الله عليه وسلم قيام الليل لعذر
نزل به فتكلمت امرأة في ذلك بكلام. وقيل بل تكلم به المشركون عند فترة الوحي فنزلت
السورة. قال القاضي الامام ابو الفضل رضي الله عنه تضمنت هذه السورة من
كرامة الله تعالى له وتنويهه به وتعظيمه اياه ستة وجوه. الاول القسم له عما
اخبره به من حاله بقوله والضحى والليل اذا سجى اي ورب الضحى وهذا من اعظم درجات
المبرة. الثاني بيان مكانته عنده وحظوته لديه بقوله ما ودعك ربك وما قلى
اي ما تركك وما ابغضك وقيل ما اهملك بعد ان اصطفاك. الثالث قوله وللآخرة
خير لك من الاولى قال ابن اسحاق اي ما لك في مرجعك عند الله اعظم مما اعطاك من كرامة
الدنيا. وقال سهل اي ما ذخرت لك من الشفاعة والمقام المحمود خير لك مما اعطيتك
في الدنيا. الرابع قوله تعالى ولسوف يعطيك ربك فترضى وهذه آية جامعة لوجوه
الكرامة وانواع السعادة وشتات الانعام في الدارين والزيادة. قال ابن اسحاق يرضيه
بالفلج اي الظفر في الدنيا والثواب في الآخرة. وقيل يعطيه الحوض والشفاعة
وروي عن بعض آل النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ليس آية في القرآن ارجى منها ولا يرضى
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يدخل احد من امته النار. الخامس ما عدده تعالى عليه
من نعمه وقرره من آلائه قبله في بقية السورة من هدايته الى ما هداه له او هدايته
الناس به على اختلاف التفاسير ولا مال له فاغناه بما آتاه او بما جعله في قلبه من
القناعة والغنى ويتيما فحدب عليه عمه وآواه اليه وقيل آواه الى الله وقيل يتيما
لا مثال لك فآواك اليه وقيل المعنى الم يجدك فهدى بك ضالا واغنى بك عائلا
وآوى بك يتيما ذكّره بهذه المنن وانه على المعلوم من التفسير لم يهمله في حال صغره
وعيلته ويتمه وقبل معرفته به ولا ودعه ولا قلاه فكيف بعد اختصاصه

واصطفائه. السادس امره باظهار نعمته عليه وشكر ما شرفه به بنشره واشادة
ذكره بقوله واما بنعمة ربك فحدث فان من شكر النعمة الحديث بها وهذا خاص له
عام لامته. وقال تعالى والنجم اذا هوى الى قوله لقد رأى من آيات ربه الكبرى
اختلف المفسرون في قوله والنجم باقاويل معروفة منها النجم على ظاهره ومنها القرآن
وعن جعفر بن محمد انه محمد صلى الله عليه وسلم وقال هو قلب محمد صلى الله عليه وسلم وقد
قيل في قوله تعالى والسماء والطارق وما ادراك ما الطارق النجم الثاقب ان النجم هنا ايضا
محمد صلى الله عليه وسلم حكاه السلمي. تضمنت هذه الآيات من فضله وشرفه العِدّ
ما يقف دونه العد واقسم جل اسمه على هداية المصطفى وتنزيهه عن الهوى
وصدقه فيما تلى وانه وحي يوحى اوصله اليه عن الله جبريل عليه السلام وهو الشديد
القوى ثم اخبر تعالى عن فضيلته بقصة الاسراء وانتهائه الى سدرة المنتهى وتصديق بصره
فيما رأى وانه رأى من آيات ربه الكبرى وقد نبه على مثل هذا سبحانه وتعالى في اول سورة
الاسراء ولما كان ما كاشفه عليه السلام من ذلك الجبروت وشاهده من عجائب
الملكوت لا تحيط به العبارات ولا تستقل بحمل سماع ادناه العقول رمز عنه تعالى
بالايماء والكناية الدالة على التعظيم فقال فأوحى الى عبده ما اوحى وهذا النوع من الكلام
يسميه اهل النقد والبلاغة بالوحي والاشارة وهو عندهم ابلغ ابواب الايجاز وقال
تعالى لقد رأى من آيات ربه الكبرى انحسرت الافهام عن تفصيل ما اوحى وتاهت
الاحلام في تعيين تلك الآيات الكبرى. قال القاضي ابو الفضل رضي الله عنه
واشتملت هذه الآيات على اعلام الله بتزكية جملته صلى الله عليه وسلم وعصمتها
من الآفات في هذا المسرى فزكى فؤاده ولسانه وجوارحه وقلبه بقوله ما كذب الفؤاد
ما رأى ولسانه بقوله وما ينطق عن الهوى وبصره بقوله ما زاغ البصر وما طغى
وقال تعالى فلا اقسم بالخنس الجوار الكنس الى قوله وما هو بقول شيطان رجيم. لا اقسم
انه لقول رسول كريم اي كريم عنده ذي قوة على تبليغ الوحي مكين
اي متمكن المنزلة من ربه رفيع المحل عنده مطاع ثم اي في السماء امين

قال علي بن عيسى وغيره الرسول الكريم هنا محمد صلى الله عليه وسلم فجميع الاوصاف بعد
على هذا له وقال غيره هو جبريل عليه السلام فترجع الاوصاف اليه ولقد راه
يعني محمدا صلى الله عليه وسلم قيل راى ربه وقيل راى جبريل عليه السلام في صورته
وما هو على الغيب بظنين اي بمتهم ومن قراه بالضاد فمعناه ما هو ببخيل بالدعا به
والتذكير بحكمه وبعلمه وهذه لمحمد صلى الله عليه وسلم باتفاق وقال تعالى ن
والقلم وما يسطرون الايات اقسم تعالى بما اقسم به من عظيم قسمه على تنزيه المصطفى
صلى الله عليه وسلم مما غمصته الكفرة به وتكذيبهم له وانسه وبسط امله بقوله
محسنا خطابه ما انت بنعمة ربك بمجنون وهذه نهاية المبرة في المخاطبة واعلى
درجات الاداب في المحاورة ثم اعلمه بما له عنده من نعيم دايم وثواب غير منقطع لا
ياخذه عد ولا يمتن به عليه فقال وان لك لاجرا غير ممنون ثم اثنى عليه تعالى بما
منحه من هباته وهداه اليه واكد ذلك تتميما للتمجيد بحرفي التاكيد وانك لعلى
خلق عظيم قيل القران وقيل الاسلام وقيل الطبع الكريم وقيل ليس لك همة الا الله
تعالى قال الواسطي اثنى عليه بحسن قبوله لما اسداه اليه من نعمه وفضله بذلك
غيره لانه جبله على ذلك الخلق فسبحان اللطيف الكريم المحسن الجواد الحميد الذي يسر
للخير وهدى اليه ثم اثنى على فاعله وجازاه عليه سبحانه ما اغمر نواله واوسع افضاله
ثم سلاه عن قولهم بعد هذا بما وعده به من عقابهم وتوعدهم بقوله فستبصر
ويبصرون الثلاث الايات ثم عطف بعد مدحه على ذم عدوه وذكر سوء خلقه
وعد معايبه متوليا ذلك بفضله ومنتصرا لنبيه صلى الله عليه وسلم فذكر بضع
عشرة خصلة من خصال الذم فيه بقوله فلا تطع المكذبين الى قوله اساطير
الاولين ثم ختم ذلك بالوعيد الصادق بتمام شقايه وخاتمة بواره بقوله سنسمه على الخرطوم
فكانت نصرة الله تعالى له اتم من نصرته لنفسه ورده تعالى على عدوه ابلغ من رده
واثبت في ديوان مجده

الفصل السادس فيما ورد من قوله تعالى في جهته عليه السلام مورد الشفقة والاكرام

قال الله تعالى طه ما انزلنا عليك القران لتشقى

ثم

فقيل طه اسم من اسمائه صلى الله عليه وسلم وقيل هو اسم لله تعالى وقيل معناه يا رجل
وقيل يا انسان وقيل هي حروف مقطعة لمعان قال الواسطي اراد يا طاهر يا هادي
وقيل هو امر من الوطء والها كناية عن الارض اي اعتمد على الارض بقدميك ولا تتعب
نفسك بالاعتماد على قدم واحدة وهو قوله ما انزلنا عليك القران لتشقى نزلت الاية فيما
كان النبي صلى الله عليه وسلم يتكلفه من السهر والتعب وقيام الليل اخبرنا القاضي
ابو عبد الله محمد بن عبد الرحمن وغير واحد عن القاضي ابي الوليد الباجي اجازة ومن اصله
نقلت قال حدثنا ابو ذر الحافظ ثنا ابو محمد الحموي ثنا ابرهيم الشاشي ثنا عبد بن حميد ثنا
هاشم بن القسم عن ابي جعفر عن الربيع بن انس قال كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا صلى قام على
رجل ورفع الاخرى فانزل الله تعالى طه يعني طإ الارض يا محمد ما انزلنا عليك القران لتشقى
ولا خفا بما في هذا كله من الاكرام وحسن المعاملة وان جعلنا طه من اسمايه صلى الله
عليه وسلم كما قيل او جعلت قسما لحق الفصل بما قبله ومثل هذا من نمط الشفقة والمبرة
قوله تعالى فلعلك باخع نفسك على اثارهم ان لم يومنوا بهذا الحديث اسفا اي قاتل نفسك
لذلك غضبا او غيظا او جزعا ومثله قوله تعالى ايضا لعلك باخع نفسك الا يكونوا
مومنين ثم قال ان نشا ننزل عليهم من السما اية فظلت اعناقهم لها خاضعين ومن هذا
الباب قوله تعالى فاصدع بما تومر واعرض عن المشركين الى قوله ولقد نعلم انك يضيق
صدرك بما يقولون الى اخر السورة وقوله تعالى ولقد استهزئ برسل من قبلك الاية
قال مكي سلاه الله تعالى بما ذكر وهون عليه ما يلقى من المشركين واعلمه ان من تمادى
على ذلك يحل به ما حل بمن قبله ومثل هذه التسلية قوله تعالى وان يكذبوك فقد كذبت
رسل من قبلك ومن هذا قوله تعالى كذلك ما اتى الذين من قبلهم من رسول الا
قالوا ساحر او مجنون عزاه الله تعالى بما اخبر به عن الامم السالفة ومقالها لانبيايهم
قبله ومحنتهم بهم وسلاه بذلك عن محنته بمثله من كفار مكة وانه ليس اول
من لقي ذلك ثم طيب نفسه وابان عذره بقوله تعالى فتول عنهم اي اعرض عنهم فما انت
بملوم اي في ادا ما بلغت وابلاغ ما حملت ومثله قوله تعالى واصبر لحكم ربك فانك باعيننا اي ... ربك

واصبر

اصبر على اذاهم فانك بحيث نراك ونحفظك سلاه الله تعالى بهذا في اي كثيرة من هذا
المعنى ●

الفصل السابع فيما اخبر الله به في كتابه العزيز من عظيم قدره وشريف منزلته
على الانبيا عليهم السلام وحظوة رتبته ● قوله تعالى واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما
اتيتكم من كتاب وحكمة الى قوله من الشاهدين قال ابو الحسن القابسي استخص الله تعالى
محمدا صلى الله عليه وسلم بفضل لم يوته غيره ابانه به وهو ما ذكره في هذه الاية
قال المفسرون اخذ الله الميثاق بالوحي فلم يبعث نبيا الا ذكر له محمدا صلى الله عليه وسلم
ونعته واخذ عليه ميثاقه ان ادركه ليومنن به ● وقيل ان يبينه لقومه وياخذ
ميثاقهم ان يبينوه لمن بعدهم ● وقوله ثم جاكم الخطاب لاهل الكتاب المعاصرين
لمحمد صلى الله عليه وسلم ● قال علي بن ابي طالب رضي الله عنه لم يبعث الله تعالى نبيا من
ادم فمن بعده الا اخذ عليه العهد في محمد صلى الله عليه وسلم لين بعث وهو حي ليومنن
به ولينصرنه وياخذ العهد بذلك على قومه ● ونحوه عن السدي وقتادة في اي
تضمنت فضله من غير وجه واحد ● قال الله تعالى واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم
ومنك ومن نوح الاية ● وقال تعالى انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح الى قوله
وكيلا ● وروي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه قال في كلام بكى به النبي
صلى الله عليه وسلم فقال بابي انت وامي يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عند الله تعالى
ان بعثك اخر الانبيا وذكرك في اولهم فقال واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك
ومن نوح الاية بابي انت وامي يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده ان
اهل النار يودون ان يكونوا اطاعوك وهم بين اطباقها يعذبون يقولون يا ليتنا اطعنا
الله واطعنا الرسولا ● قال قتادة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال كنت اول الانبيا
في الخلق واخرهم في البعث فلذلك وقع ذكره مقدما هنا قبل نوح وغيره عليهم
الصلاة والسلام ● قال السمرقندي في هذا تفضيل نبينا صلى الله عليه وسلم لتخصيصه
بالذكر قبلهم وهو اخرهم ● المعنى اخذ الله عليهم الميثاق اذ اخرجهم من ظهر ادم كالذر
وقال تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض الاية ● قال اهل التفسير اراد بقوله ورفع

ورفع بعضهم درجات محمدا صلى الله عليه وسلم لانه بعث الى الاحمر والاسود
واحلت له الغنايم وظهرت على يديه المعجزات وليس احد من الانبيا عليهم السلام
اعطي فضيلة او كرامة الا وقد اعطي محمد صلى الله عليه وسلم مثلها ● قال بعضهم
ومن فضله ان الله تعالى خاطب الانبيا عليهم الصلاة والسلام باسمايهم وخاطبه
بالنبوة والرسالة في كتابه فقال تعالى يا ايها النبي ويا ايها الرسول ● وحكى السمرقندي
عن الكلبي في قوله تعالى وان من شيعته لابرهيم ان الهاء عايدة على محمد صلى الله عليه
وسلم اي ان من شيعة محمد لابرهيم عليهما الصلاة والسلام اي على دينه ومنهاجه
واجازه الفرا وحكاه عنه مكي ● وقيل المراد نوح عليه السلام ●

الفصل الثامن
في اعلام الله تعالى خلقه بصلاته عليه وولايته له ورفعه العذاب بسببه ورفعه
قال الله تعالى وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم اي ما كنت بمكة ● فلما خرج النبي
صلى الله عليه وسلم من مكة وبقي فيها من بقي من المومنين نزل وما كان الله
معذبهم وهم يستغفرون ● وهذا مثل قوله لو تزيلوا الاية ● وقوله ولولا رجال
مومنون الاية ● فلما هاجر المومنون نزلت وما لهم الا يعذبهم الله ● وهذا من
ابين ما يظهر مكانته صلى الله عليه وسلم ودرايه العذاب عن اهل مكة بسبب
كونه ثم كون اصحابه بعده بين اظهرهم ● فلما خلت مكة منهم عذبهم بتسليط المومنين
عليهم وغلبتهم اياهم وحكمهم فيهم سيوفهم واورثهم ارضهم وديارهم واموالهم ●
وفي الاية ايضا تاويل اخر ● حدثنا القاضي الشهيد ابو علي رحمه الله بقراتي عليه
ثنا ابو الفضل بن خيرون وابو الحسين الصيرفي قالا ثنا ابو يعلى بن زوج الحرة ثنا ابو علي
السنجي ثنا محمد بن محبوب المروزي ثنا ابو عيسى الحافظ ثنا سفين بن وكيع ثنا
ابن نمير عن اسمعيل بن ابرهيم بن مهاجر عن عباد بن يوسف عن ابي بردة
بن ابي موسى عن ابيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انزل الله
تعالى علي امانين لامتي وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وما كان الله معذبهم
وهم يستغفرون فاذا مضيت تركت فيهم الاستغفار ونحوه منه قوله تعالى

سنته

وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين قال عليه السلام أنا أمان لأصحابي قيل من البدع
وقيل من الاختلاف والفتن قال بعضهم الرسول صلى الله عليه وسلم هو الأمان الأعظم
ما عاش وما دامت سنته باقية فهو باق فإذا أميتت فانتظر البلاء والفتن وقال
الله تعالى إن الله وملائكته يصلون على النبي الآية أبان الله تعالى فضل نبيه محمد صلى الله
عليه وسلم بصلاته عليه ثم بصلاة ملائكته وأمر عباده بالصلاة والتسليم عليه
والصلاة من الملائكة ومنا له دعاء ومن الله رحمة وقيل يصلون يباركون وقد
فرق النبي صلى الله عليه وسلم حين علم الصلاة عليه بين لفظ الصلاة والبركة وسنذكر
حكم الصلاة عليه وذكر بعض المتكلمين في تفسير حروف كهيعص أن الكاف من كاف أي
كفاية الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم قال تعالى أليس الله بكاف عبده والهاء هدايته له قال
الله تعالى ويهديك صراطا مستقيما والياء تأييده قال الله تعالى أيدك بنصره والعين
عصمته قال الله تعالى والله يعصمك من الناس والصاد صلاته عليه قال الله تعالى إن الله
وملائكته يصلون على النبي وقال الله تعالى وإن تظاهرا عليه فإن الله هو مولاه
الآية مولاه أي وليه وصالح المؤمنين قيل الأنبياء وقيل الملائكة وقيل أبو بكر
وعمر وقيل علي وقيل المؤمنون على ظاهره

الفصل التاسع فيما تضمنته سورة

الفتح من كراماته صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى إنا فتحنا لك فتحا مبينا إلى قوله
يد الله فوق أيديهم تضمنت هذه الآيات من فضله والثناء عليه وكريم منزلته عند الله
تعالى ونعمته لديه ما يقصر الوصف عن الانتهاء إليه فابتدأ جل جلاله بإعلامه بما قضاه
له من القضاء البين بظهوره وغلبته على عدوه وعلو كلمته وشريعته وأنه مغفور له
غير مؤاخذ بما كان وما يكون قال بعضهم أراد غفران ما وقع وما لم يقع أي أنك
مغفور لك وقال مكي جعل الله عز وجل المنة سببا للمغفرة وكل من عنده لا إله
غيره منة بعد منة وفضلا بعد فضل ثم قال ويتم نعمته عليك قيل بخضوع من تكبر
لك وقيل بفتح مكة والطائف وقيل يرفع ذكرك في الدنيا وينصرك ويغفر لك فأعلمه
تمام نعمته عليه بخضوع متكبري عدوه له وفتح أهم البلاد عليه وأحبها له ورفع

ذكره وهدايته الصراط المستقيم المبلغ الجنة والسعادة ونصره النصر العزيز ومنته
على أمته المؤمنين بالسكينة والطمأنينة التي جعلها في قلوبهم وبشارتهم بما لهم بعد
وفوزهم العظيم والعفو عنهم والستر لذنوبهم وهلاك عدوه في الدنيا والآخرة ولعنهم
وبعدهم من رحمته وسوء منقلبهم ثم قال تعالى إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا
الآية فعدد محاسنه وخصائصه من شهادته على أمته لنفسه بتبليغه الرسالة لهم
وقيل شاهدا لهم بالتوحيد ومبشرا لأمته بالثواب وقيل بالمغفرة ومنذرا عدوه
بالعذاب وقيل محذرا من الضلالات ليؤمن بالله ثم به من سبقت له من الله الحسنى
ويعزروه أي يجلونه وقيل ينصرونه وقيل يبالغون في تعظيمه ويوقروه أي يعظمونه
وقرأ بعضهم تعززوه بزايين من العز والأكثر والأظهر أن هذا في حق محمد صلى الله عليه
وسلم ثم قال وتسبحوه فهذا راجع إلى الله تعالى قال ابن عطاء جمع للنبي صلى الله عليه وسلم
في هذه السورة نعم مختلفة من الفتح المبين وهو من أعلام الإجابة والمغفرة وهي من أعلام
المحبة وتمام النعمة وهي من أعلام الاختصاص والهداية وهي من أعلام الولاية فالمغفرة
تبرئة من العيوب وتمام النعمة إبلاغ الدرجة الكاملة والهداية وهي الدعوة إلى
المشاهدة وقال جعفر بن محمد من تمام نعمته عليه أن جعله حبيبه وأقسم بحياته ونسخ
به شرائع غيره وعرج به إلى المحل الأعلى وحفظه في المعراج حتى ما زاغ البصر وما طغى
وبعثه إلى الأسود والأحمر وأحل له ولأمته الغنائم وجعله شفيعا مشفعا وسيد ولد
آدم وقرن ذكره بذكره ورضاه برضاه وجعله أحد ركني التوحيد ثم قال إن الذين
يبايعونك إنما يبايعون الله يعني بيعة الرضوان أي إنما يبايعون الله ببيعتهم إياك
يد الله فوق أيديهم يريد عند البيعة قيل قوة الله وقيل ثوابه وقيل منته وقيل
عقده وهذه استعارة وتجنيس في الكلام وتأكيد لعقد بيعتهم إياه وعظم شأن
المبايع صلى الله عليه وسلم وقد يكون من هذا قوله تعالى فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم
وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى وإن كان الأول في باب المجاز وهذا في باب
الحقيقة لأن القاتل والرامي بالحقيقة هو الله تعالى وهو خالق فعله ورميه وقدرته

نعززوه

عليه ومسببه ولانه ليس في قدرة البشر توصيل تلك الرمية حيث وصلت
حتى لم يبق منهم من لم تملا عينيه وكذلك قتل الملايكة لهم حقيقة وقد قيل في هذه
الاية الاخرى انها على المجاز العربي ومقابلة اللفظ ومناسبته اي ما قتلتموهم وما
رميتهم انت اذ رميت وجوههم بالحصباء والتراب ولكن الله رمى قلوبهم بالجزع
اي ان منفعة الرمي كانت من فعل الله تعالى فهو القاتل والرامي بالمعنى وانت بالاسم

الفصل العاشر فيما اظهره الله تعالى في كتابه العزيز من كرامته عليه ومكانته
عنده وما خصه تعالى به من ذلك سوى ما انتظم فيما ذكرناه قبل من ذلك ما نصه
تعالى من قصة الاسراء في سورة سبحان والنجم وما انطوت عليه القصة من عظيم منزلته
وقربه ومشاهدته ما شاهد من العجايب ومن ذلك عصمته من الناس بقوله تعالى والله
يعصمك من الناس وقوله واذ يمكر بك الذين كفروا الاية وقوله تعالى الا تنصروه فقد
نصره الله وما دفع الله به عنه في هذه القصة من اذاهم بعد تحزبهم لهلكه
وخلوصهم نجيا في امره والاخذ على ابصارهم عند خروجه عليهم وذهولهم عن
طلبه في الغار وما ظهر في ذلك من الايات ونزول السكينة عليه وقصة سراقة
ابن مالك حسب ما ذكره اهل الحديث والسير في قصة الغار وحديث الهجرة ومنه
قوله تعالى انا اعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر ان شانئك هو الابتر اعلمه الله تعالى
بما اعطاه والكوثر حوضه وقيل نهر في الجنة وقيل الخير الكثير وقيل الشفاعة
وقيل المعجزات الكثيرة وقيل النبوة وقيل المعرفة ثم اجاب عنه عدوه ورد عليه
قوله تعالى ان شانئك هو الابتر اي عدوك ومبغضك والابتر الحقير الذليل او
المفرد الوحيد او الذي لا خير فيه وقال تعالى ولقد اتيناك سبعا من المثاني والقران
العظيم قيل السبع المثاني السور الطوال الاول والقران العظيم ام القران
وقيل السبع المثاني ام القران والقران العظيم سايره وقيل السبع المثاني ما في
القران من امر ونهي وبشرى وانذار وضرب مثل واعداد نعم واتيناك نبا القران
وقيل سميت ام القران مثاني لانها تثنى في كل ركعة وقيل ان الله تعالى

استثناها

استثناها لمحمد صلى الله عليه وسلم وذخرها له دون الانبياء وسمى القران مثاني
لان القصص تثنى فيه وقيل السبع المثاني اكرمناك بسبع كرامات الهدى والنبوة
والرحمة والشفاعة والولاية والتعظيم والسكينة وقال تعالى وانزلنا اليك الذكر
الاية وقال تعالى وما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا وقال تعالى
قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعا الاية قال فهذه من خصايصه صلى الله عليه
وسلم وقال تعالى وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم فخصهم بقومهم
وبعث محمدا صلى الله عليه وسلم الى الخلق كافة كما قال صلى الله عليه وسلم بعثت الى
الاحمر والاسود وقال تعالى النبي اولى بالمومنين من انفسهم وازواجه امهاتهم قال
اهل التفسير اولى بالمومنين من انفسهم اي ما انفذه فيهم من امر فهو ماض عليهم كما
يمضي حكم السيد على عبده وقيل اتباع امره اولى من اتباع راي النفس وازواجه
امهاتهم اي هن في الحرمة كالامهات حرم نكاحهن عليهم بعده تكرمة له وخصوصية
ولانهن له ازواج في الاخرة وقد قرى وهو اب لهم ولا يقرا به الان لمخالفته المصحف
وقال الله تعالى وانزل الله عليك الكتاب والحكمة الاية قيل فضله العظيم بالنبوة
وقيل بما سبق له في الازل واشار الواسطي الى انها اشارة الى احتمال الروية التي لم
يحتملها موسى صلى الله عليه وسلم ⁂ **الباب الثاني** في تكميل — بلغ مقابلة
الله تعالى له المحاسن خلقا وخلقا وقرانه جميع الفضايل الدينية والدنيوية فيه
نسقا اعلم ايها المحب لهذا النبي الكريم الباحث عن تفاصيل قدره العظيم ان — جمل
خصال الجلال والكمال في البشر نوعان ضروري دنيوي اقتضته الجبلة وضرورة
الحياة الدنيا ومكتسب ديني اقتضته ما يحمد فاعله ويقرب الى الله زلفى ثم هي — وهو
على فنين ايضا منها ما يتخلص لاحد الوصفين ومنها ما يتمازج ويتداخل فاما
الضروري المحض فما ليس للمرء فيه اختيار ولا اكتساب مثل ما كان في جبلته
صلى الله عليه وسلم من كمال خلقته وجمال صورته وقوة عقله وصحة فهمه وفصاحة لسانه
وقوة حواسه واعضايه واعتدال حركاته وشرف نسبه وعزة قومه وكرم ارضه

وتلحق بما تدعوه ضرورة حياته اليه من غذايه ونومه وملبسه ومسكنه ومنكحه
وماله وجاهه وقد تلحق هذه الخصال الاخرة بالاخروية اذا قصد بها التقوى
ومعونة البدن على سلوك طريقها وكانت حدود الضرورة وقوانين الشريعة واما
المكتسبة الاخروية فساير الاخلاق العلية والاداب الشرعية من الدين والعلم
والحلم والصبر والشكر والعدل والزهد والتواضع والعفو والعفة والجود والشجاعة
والحيا والمروة والصمت والتودد والوقار والرحمة وحسن الادب والمعاشرة واخوا
تها وهي التي جماعها حسن الخلق وقد يكون من هذه الاخلاق ما هو في الغريزة واصل
الجبلة لبعض الناس وبعضهم لا تكون فيه فيكتسبها ولكنه لا بد ان يكون فيه من اصولها
في اصل الجبلة شعبة كما سنبينه ان شا الله تعالى وتكون هذه الاخلاق دنيوية اذا
لم يرد بها وجه الله تعالى والدار الاخرة ولكنها كلها محاسن وفضايل باتفاق
اصحاب العقول السليمة وان اختلفوا في موجب حسنها وتفضيلها **فصل** واذا
كانت خصال الكمال والجلال ما ذكرناه ووجدنا الواحد منا يتشرف بواحدة منها او اثنتين
ان اتفقت له في كل عصر اما من نسب او جمال او قوة او علم او حلم او شجاعة حتى يعظم
قدره ويضرب باسمه الامثال ويتقرر له بالوصف بذلك في القلوب اثرة وعظمة
وهو منذ عصور خوال رمم بوال فما ظنك بعظيم قدر من اجتمعت فيه كل هذه
الخصال الى ما لا ياخذه عد ولا يعبر عنه مقال ولا ينال بكسب ولا حيلة الا بتخصيص
الكبير المتعال من فضيلة النبوة والرسالة والخلة والمحبة والاصطفا والاسرا والروية
والقرب والدنو والوحي والشفاعة والوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة والمقام
المحمود والبراق والمعراج والبعث الى الاحمر والاسود والصلاة بالانبيا عليهم السلام
والشهادة بين الانبيا والامم وسيادة ولد ادم ولوا الحمد والبشارة والنذارة
والمكانة عند ذي العرش والطاعة ثم والامانة والهداية ورحمة العالمين واعطا
الرضى والسول والكوثر وسماع القول واتمام النعمة والعفو عما تقدم وتاخر وشرح
الصدر ووضع الوزر ورفع الذكر وعزة النصر ونزول السكينة والتاييد بالملايكة

او سماحة

وايتا الكتاب والحكمة والسبع المثاني والقران العظيم وتزكية الامة والدعا
الى الله وصلاة الله والملايكة والحكم بين الناس بما اراه الله ووضع الاصر
والاغلال عنهم والقسم باسمه واجابة دعوته وتكليم الجماد والعجم واحيا
الموتى واسماع الصم ونبع الما من بين اصابعه وتكثير القليل وانشقاق القمر
ورد الشمس وقلب الاعيان والنصر بالرعب والاطلاع على الغيب وظل الغمام
وتسبيح الحصى وابرا الالام والعصمة من الناس الى ما لا يحويه محتفل ولا يحيط
بعلمه الا مانحه ذلك ومفضله به لا اله غيره الى ما اعده له في الدار الاخرة من
منازل الكرامة ودرجات القدس ومراتب السعادة والحسنى والزيادة التي تقف
دونها العقول ويحار دون ادراكها الوهم **فصل** ان قلت اكرمك الله
لا خفا على القطع بالجملة انه صلى الله عليه وسلم اعلى الناس قدرا واعظمهم محلا
واكملهم محاسن وفضلا وقد ذهبت في تفاصيل خصال الكمال مذهبا جميلا الى
ان اقف عليها من اوصافه صلى الله عليه وسلم تفصيلا فاعلم نور الله قلبي وقلبك
وضاعف في هذا النبي الكريم حبي وحبك انك اذا نظرت الى خصال الكمال
التي هي غير مكتسبة وفي جبلة الخلقة وجدته حايزا لجميعها محيطا بشتات
محاسنها دون خلاف بين نقلة الاخبار لذلك بل قد بلغ بعضها مبلغ القطع اما
الصورة وجمالها وتناسب اعضايه في حسنها فقد جات الاثار الصحيحة
والمشهورة الكثيرة بذلك من حديث علي وانس ابن مالك وابي هريرة والبرا
ابن عازب وعايشة ام المومنين وابن ابي هالة وابي جحيفة وجابر بن سمرة وام
معبد وابن عباس ومعرض بن معيقيب وابي الطفيل والعدا بن خالد وخريم
ابن فاتك وحكيم بن حزام وغيرهم من انه صلى الله عليه وسلم كان ازهر اللون
ادعج انجل اشكل اهدب الاشفار ابلج ازج اقنى افلج مدور الوجه واسع
الجبين كث اللحية تملا صدره سوا البطن والصدر واسع الصدر عظيم المنكبين
ضخم العظام عبل العضدين والذراعين والاسافل رحب الكفين والقدمين سايل

شوقني

الأطراف أنور المتجرد دقيق المسربة ربعة القد ليس بالطويل البائن ولا
القصير المتردد ومع ذلك فلم يكن يماشيه أحد ينسب إلى الطول إلا طاله
صلى الله عليه وسلم رجل الشعر إذا افتر ضاحكا افتر عن مثل سنا البرق
وعن مثل حب الغمام إذا تكلم رئي كالنور يخرج من ثناياه أحسن الناس عنقا ليس
بمطهم ولا مكلثم متماسك البدن ضرب اللحم قال البراء ما رأيت من ذي لمة في
حلة حمراء أحسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أبو هريرة ما رأيت شيئا
أحسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم كأن الشمس تجري في وجهه وإذا ضحك
يتلألأ في الجدر وقال جابر بن سمرة وقال له رجل كان وجهه صلى الله عليه
وسلم مثل السيف فقال لا بل مثل الشمس والقمر وكان مستديرا وقالت أم معبد
في بعض ما وصفته به أجمل الناس من بعيد وأحلاه وأحسنه من قريب وفي حديث
ابن أبي هالة يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر وقال علي رضي الله عنه في آخر وصفه
له من رآه بديهة هابه ومن خالطه معرفة أحبه يقول ناعته لم أر قبله ولا
بعده مثله والأحاديث في بسط صفته صلى الله عليه وسلم مشهورة كثيرة
فلا نطول بسردها وقد اختصرنا في وصفه نكت ما جاء فيها وجملة مما فيه الكفاية
في القصد إلى المطلوب وختمنا هذه الفصول بحديث جامع لذلك تقف عليه
هنالك إن شاء الله تعالى.

مطهم

إن شاء الله تعالى

فصل

وأما نظافة جسمه وطيب ريحه وعرقه
ونزاهته عن الأقذار وعورات الجسد فكان قد خصه الله في ذلك بخصائص
لم توجد في غيره ثم تممها بنظافة الشرع وخصال الفطرة العشر وقال بني الدين
على النظافة حدثنا سفين بن العاصي وغير واحد قالوا نا أحمد بن عمر نا
أبو العباس الرازي نا أبو أحمد الجلودي نا ابن سفين نا مسلم نا قتيبة نا جعفر
ابن سليمن عن ثابت عن أنس قال ما شممت عنبرا قط ولا مسكا ولا شيئا أطيب من ريح
رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن جابر بن سمرة أنه صلى الله عليه وسلم مسح خده قال
فوجدت ليده بردا أو ريحا كأنما أخرجها من جونة عطار قال غيره مسها بطيب أو لم

يمسها يصافح المصافح فيظل يومه يجد ريحها ويضع يده على رأس الصبي فيعرف
من بين الصبيان بريحها ونام رسول الله صلى الله عليه وسلم في دار أنس فعرق فجاءت أمه
بقارورة تجمع فيها عرقه فسألها صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقالت نجعله في طيبنا
وهو من أطيب الطيب وذكر البخاري في تاريخه الكبير عن جابر لم يكن النبي صلى الله عليه
وسلم يمر في طريق فيتبعه أحد إلا عرف أنه سلكه من طيبه وذكر إسحق بن راهويه
أن تلك كانت رائحته بلا طيب صلى الله عليه وسلم وقد حكى بعض المعتنين بأخباره وشمائله
صلى الله عليه وسلم أنه كان إذا أراد أن يتغوط انشقت الأرض فابتلعت غائطه وبوله
وفاحت لذلك رائحة طيبة صلى الله عليه وسلم وهذا الخبر وإن لم يكن مشهورا فقد قال
قوم من أهل العلم بطهارة الحدثين منه صلى الله عليه وسلم وهو قول بعض أصحاب الشافعي
حكاه الإمام أبو نصر ابن الصباغ في شامله وقد حكى القولين عن العلماء في ذلك أبو بكر بن سابق
المالكي في كتابه البديع في فروع المالكية وتخريج ما لم يقع لهم على مذهبهم من تفاريع
الشافعية وشاهد هذا أنه صلى الله عليه وسلم لم يكن منه شيء يكره ولا غير طيب ومنه
حديث علي رضي الله عنه غسلت النبي صلى الله عليه وسلم فذهبت أنظر ما يكون من الميت فلم
أجد شيئا فقلت طبت حيا وميتا ومثله قال أبو بكر رضي الله عنه حين قبل النبي صلى الله
عليه وسلم بعد موته ومنه شرب مالك بن سنان دمه يوم أحد ومصه إياه وتسويغه
صلى الله عليه وسلم ذلك له وقوله لن تصيبه النار ومثله شرب عبد الله بن الزبير
دم حجامته فقال له صلى الله عليه وسلم ويل لك من الناس وويل لهم منك ولم ينكره
عليه وقد روي نحو من هذا عنه في امرأة شربت بوله فقال لها لن تشتكي وجع بطنك
أبدا ولم يأمر واحدا منهم بغسل فم ولا نهاه عن عودة وحديث هذه المرأة التي شربت
بوله صحيح ألزم الدارقطني مسلما والبخاري إخراجه في الصحيح واسم هذه المرأة بركة
واختلف في نسبها وقيل هي أم أيمن وكانت تخدم النبي صلى الله عليه وسلم قالت وكان
لرسول الله صلى الله عليه وسلم قدح من عيدان يوضع تحت سريره يبول فيه من الليل فبال فيه
ليلة ثم افتقده فلم يجد فيه شيئا فسأل بركة عنه فقالت قمت وأنا عطشانة فشربته

والله اعلم • روى حديثها ابن جريج وغيره • وكان صلى الله عليه وسلم ولد مختونا مقطوع
السرة • وعن عائشة رضي الله عنها ما رايت فرج رسول الله صلى الله عليه وسلم
قط • وعن علي بن ابي طالب رضي الله عنه اوصاني النبي صلى الله عليه وسلم لا يغسله غيري
فانه لا يرى احد عورتي الا طمست عيناه • وفي حديث عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنه
انه صلى الله عليه وسلم نام حتى سمع له غطيط فقام فصلى ولم يتوضا • قال عكرمة لانه
كان صلى الله عليه وسلم محفوظا •

فصل

واما وفور عقله وذكا لبه وقوة حواسه
وفصاحة لسانه واعتدال حركاته وحسن شمايله فلا مرية انه كان اعقل الناس واذكاهم •
ومن تامل تدبيره امر بواطن الخلق وظواهرهم وسياسة العامة والخاصة مع عجيب شمايله
وبديع سيره فضلا عما افاضه من العلم وقرره من الشرع دون تعلم سبق ولا ممارسة تقدمت
ولا مطالعة للكتب منه لم يمتر في رجحان عقله وثقوب فهمه لاول بديهة • وهذا مما لا
يحتاج الى تقريره لتحقيقه • وقد قال وهب بن منبه قرات في احد وسبعين كتابا
فوجدت في جميعها ان النبي صلى الله عليه وسلم ارجح الناس عقلا وافضلهم رايا •
وفي رواية اخرى فوجدت في جميعها ان الله تعالى لم يعط جميع الناس من بدء
الدنيا الى انقضايها من العقل في جنب عقله صلى الله عليه وسلم الا كحبة رمل من بين
رمال الدنيا • وقال مجاهد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قام في الصلاة
يرى من خلفه كما يرى من بين يديه • وبه فسر قوله تعالى وتقلبك في الساجدين •
وفي الموطا عنه عليه السلام اني لاراكم من وراء ظهري • ونحوه عن انس في
الصحيحين • وعن عائشة مثله • قالت زيادة زاده الله اياها في حجته • وفي
بعض الروايات اني لانظر من وراي كما انظر من بين يدي • وفي اخرى لابصر من
قفاي كما ابصر من بين يدي • وحكى بقي بن مخلد عن عائشة كان النبي صلى الله عليه
وسلم يرى في الظلمة كما يرى في الضوء • والاخبار كثيرة صحيحة في رويته صلى الله
عليه وسلم للملايكة والشياطين ورفع النجاشي له حتى صلى عليه • وبيت المقدس حين
وصفه لقريش • والكعبة حين بنى مسجده • وقد حكي عنه انه كان يرى في الثريا احد عشر

نجما • وهذه كلها محمولة على روية العين • وهو قول احمد بن حنبل وغيره • وذهب
بعضهم الى ردها الى العلم • والظواهر تخالفه • ولا احالة في ذلك • وهي من خواص
الانبيا وخصالهم • كما اخبرنا ابو محمد عبد الله بن احمد العدل من كتابه • نا ابو الحسن
المقرى الفرغاني قال حدثنا ام القسم بنت ابي بكر عن ابيها قال نا الشريف ابو
الحسن علي بن محمد الحسني نا محمد بن محمد بن سعيد نا محمد بن احمد بن سليمن نا محمد بن محمد بن
مرزوق نا همام نا الحسن عن قتادة عن يحيى بن وثاب عن ابي هريرة عن النبي صلى
الله عليه وسلم قال لما تجلى الله لموسى عليه السلام كان يبصر النملة على الصفا في الليلة
الظلما مسيرة عشرة فراسخ • ولا يبعد على هذا ان يختص نبينا بما ذكرناه في هذا الباب
بعد الاسرا والحظوة بما راى من ايات ربه الكبرى • وقد جاءت الاخبار بانه صرع
ركانة اشد اهل وقته • وكان دعاه الى الاسلام وصارع ابا ركانة في الجاهلية وكان
شديدا وعاوده ثلاث مرات كل ذلك يصرعه رسول الله صلى الله عليه وسلم • وقال
ابو هريرة ما رايت احدا اسرع من رسول الله صلى الله عليه وسلم في مشيته كانما الارض
تطوى له • انا لنجهد انفسنا وهو غير مكترث • وفي صفته ان ضحكه كان تبسما
اذا التفت التفت معا • واذا مشى مشى تقلعا كانما ينحط من صبب •

فصل

واما فصاحة اللسان وبلاغة القول فقد كان صلى الله عليه وسلم من ذلك بالمحل الافضل
والموضع الذي لا يجهل سلاسة طبع وبراعة منزع • وايجاز مقطع ونصاعة لفظ •
وجزالة قول وصحة معان • وقلة تكلف • اوتي جوامع الكلم • وخص ببدايع الحكم •
وعلم السنة العرب يخاطب كل امة منها بلسانها ويحاورها بلغتها • ويباريها في
منزع بلاغتها • حتى كان كثير من اصحابه يسالونه في غير موطن عن شرح كلامه
وتفسير قوله • من تامل حديثه وسيره علم ذلك وتحققه • وليس كلامه مع قريش
والانصار واهل الحجاز ونجد ككلامه مع ذي المشعار الهمداني • وطهفة
النهدي • وقطن بن حارثة العليمي • والاشعث بن قيس • ووايل بن حجر الكندي
وغيرهم من اقيال حضرموت • وملوك اليمن • وانظر كتابه الى همدان ان لكم فراعها

ووهاطها وعزازها تاكلون علافها وترعون عفاءها لنا من دفيهم وصرامهم
ما سلموا بالميثاق والامانة ولهم من الصدقة الثلب والناب والفصيل والفارض
الداجن والكبش الحوري وعليهم فيها الصالغ والقارح وقوله لنهد اللهم بارك
لهم في محضها ومخضها ومذقها وابعث راعيها في الدثر وافجر له الثمد وبارك له في
المال والولد من اقام الصلاة كان مسلما ومن اتى الزكاة كان محسنا ومن شهد ان لا اله
الا الله كان مخلصا لكم يا بني نهد ودايع الشرك ووضايع الملك لا تلطط في الزكاة
ولا تلحد في الحياة ولا تتثاقل عن الصلوات وكتب لهم في الوظيفة الفريضة ولكم
الفارض والفريش وذو العنان الركوب والفلو الضبيس لا يمنع سرحكم ولا يعضد
طلحكم ولا يحبس دركم ما لم تضمروا الإماق وتاكلوا الرباق من اقر فله الوفا بالعهد
والذمة ومن ابى فعليه الربوة ومن كتابه لوائل بن حجر الى الاقيال العباهلة والارواع
المشابيب وفيه في التيعة شاة لا مقورة الالياط ولا ضناك وانطوا الثبجة وفي
السيوب الخمس ومن زنى مم بكر فاصقعوه مائة واستوفضوه عاما ومن زنى
مم ثيب فضرجوه بالاضاميم ولا توصيم في الدين ولا غمة في فرايض الله وكل مسكر
حرام ووائل بن حجر يترفل على الاقيال اين هذا من كتابه لانس في الصدقة المشهور لما
كان كلام هولاء على هذا الحد وبلاغتهم هذا النمط واكثر استعمالهم هذه الالفاظ استعملها
معهم ليبين للناس ما نزل اليهم وليحدث الناس بما يعلمون وكقوله في حديث عطية
السعدي فان اليد العليا هي المنطية واليد السفلى هي المنطاة قال فكلمنا رسول الله
صلى الله عليه وسلم بلغتنا وقوله في حديث العامري حين ساله فقال له النبي صلى الله
عليه وسلم سل عنك اي سل عما شيت وهي لغة بني عامر واما كلامه المعتاد وفصاحته
المعلومة وجوامع كلمه وحكمه الماثورة فقد الف الناس فيها الدواوين وجمعت في
الفاظها ومعانيها الكتب ومنها ما لا يوازى فصاحة ولا يبارى بلاغة كقوله
المسلمون تتكافا دماوهم ويسعى بذمتهم ادناهم وهم يد على من سواهم وقوله
الناس كاسنان المشط والمرء مع من احب ولا خير في صحبة من لا يرى لك ما ترى له

والناس معادن وما هلك امرؤ عرف قدره والمستشار موتمن وهو بالخيار ما لم
يتكلم ورحم الله عبدا قال خيرا فغنم او سكت فسلم وقوله اسلم تسلم واسلم يوتك
الله اجرك مرتين وان احبكم الي واقربكم مني مجالس يوم القيمة احاسنكم اخلاقا
الموطوون اكنافا الذين يالفون ويولفون وقوله لعله كان يتكلم بما لا يعنيه ويبخل بما
لا يغنيه وقوله ذو الوجهين لا يكون عند الله وجيها ونهيه عن قيل وقال وكثرة السوال
واضاعة المال ومنع وهات وعقوق الامهات ووأد البنات وقوله اتق الله حيث
كنت واتبع السيية الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن وخير الامور اوساطها
وقوله احبب حبيبك هونا ما عسى ان يكون بغيضك يوما ما وقوله الظلم ظلمات
يوم القيمة وقوله في بعض دعايه اللهم اني اسالك رحمة تهدي بها قلبي وتجمع بها
امري وتلم بها شعثي وتصلح بها غايبي وترفع بها شاهدي وتزكي بها عملي وتلهمني بها
رشدي وترد بها الفتي وتعصمني بها من كل سوء اللهم اني اسالك الفوز في القضاء
ونزل الشهداء وعيش السعداء والنصر على الاعداء الى ما روته الكافة عن الكافة من
مقاماته ومحاضراته وخطبه وادعيته ومخاطباته وعهوده مما لا خلاف انه نزل
من ذلك مرتبة لا يقاس بها غيره وحاز فيها سبقا لا يقدر قدره وقد جمعت من
كلماته التي لم يسبق اليها ولا قدر احد ان يفرغ في قالبه عليها كقوله حمي الوطيس
ومات حتف انفه ولا يلدغ المومن من جحر مرتين والسعيد من وعظ بغيره في
اخواتها ما يدرك الناظر العجب في مضمنها ويذهب الفكر في اداني حكمها وقد قال
له اصحابه ما راينا الذي هو افصح منك فقال وما يمنعني وانما انزل القران بلساني
لسان عربي مبين وقال مرة اخرى بيد اني من قريش ونشات في بني سعد فجمع له
بذلك صلى الله عليه وسلم قوة عارضة البادية وجزالتها ونصاعة الفاظ الحاضرة
ورونق كلامها الى التاييد الالهي الذي مدده الوحي الذي لا يحيط بعلمه بشري
وقالت ام معبد في وصفها له حلو المنطق فصل لا نزر ولا هذر كان منطقه
خرزات نظمن وكان جهير الصوت حسن النغمة صلى الله عليه وسلم

فصل

واما شرف نسبه وكرم بلده ومنشابه فمما لا يحتاج الى اقامة دليل عليه ولا
بيان مشكل ولا خفي منه فانه نخبة بني هاشم وسلالة قريش وصميمها واشرف
العرب واعزهم نفرا من قبل ابيه وامه ومن اهل مكة من اكرم بلاد الله على الله وعلى
عباده حدثنا القاضي الشهيد ابو علي حسين بن محمد الصدفي ثنا القاضي ابو الوليد
سليمن بن خلف ثنا ابو ذر عبد بن احمد ثنا ابو محمد السرخسي وابو اسحق وابو
الهيثم قالوا ثنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا قتيبة بن سعيد ثنا يعقوب بن عبد الرحمن
عن عمرو عن سعيد المقبري عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال بعثت من خير قرون بني ادم قرنا فقرنا حتى كنت من القرن الذي كنت
منه وعن العباس قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله خلق الخلق فجعلني من خيرهم من خير
قرنهم ثم تخير القبائل فجعلني من خير قبيلة ثم تخير البيوت فجعلني من خير بيوتهم
فانا خيرهم نفسا وخيرهم بيتا وعن واثلة بن الاسقع قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان الله اصطفى من ولد ابرهيم اسمعيل واصطفى من ولد اسمعيل بني كنانة
واصطفى من بني كنانة قريشا واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم
قال الترمذي وهذا حديث حسن صحيح وفي حديث عن ابن عمر رضي الله
عنه رواه الطبري انه صلى الله عليه وسلم قال ان الله اختار خلقه فاختار
منهم بني ادم ثم اختار بني ادم فاختار منهم العرب ثم اختار العرب فاختار بني
هاشم ثم اختارني بني هاشم فاختارني فلم ازل خيارا من خيار الا من احب العرب
فبحبي احبهم ومن ابغض العرب فببغضي ابغضهم وعن ابن عباس ان قريشا كانت
نورا بين يدي الله تعالى قبل ان يخلق ادم بالفي عام يسبح ذلك النور وتسبح الملائكة
بتسبيحه فلما خلق الله ادم القى ذلك النور في صلبه فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم فاهبطني الله الى الارض في صلب ادم وجعلني في صلب نوح وقذف بي في صلب
ابرهيم ثم لم يزل الله تعالى ينقلني من الاصلاب الكريمة الى الارحام الطاهرة حتى اخرجني
بين ابوي لم يلتقيا على سفاح قط ويشهد بصحة هذا الخبر شعر العباس في

مدح النبي صلى الله عليه وسلم المشهور

فصل واما ما تدعو ضرورة
الحياة اليه مما فصلناه فعلى ثلاثة ضروب ضرب الفضل في قلته وضرب
الفضل في كثرته وضرب تختلف الاحوال فيه فاما التمدح والكمال بقلته
اتفاقا وعلى كل حال عادة وشريعة كالغذاء والنوم ولم تزل العرب والحكماء تتمادح
بقلتهما وتذم بكثرتهما لان كثرة الاكل والشرب دليل على النهم والحرص والشره
وغلبة الشهوة مسبب لمضار الدنيا والاخرة جالب لادواء الجسد وخثارة النفس
وامتلاء الدماغ وقلته دليل على القناعة وملك النفس وقمع الشهوة مسبب
للصحة وصفاء الخاطر وحدة الذهن كما ان كثرة النوم دليل على الفسولة والضعف
وعدم الذكاء والفطنة مسبب للكسل وعادة العجز وتضييع العمر في غير نفع وقساوة
القلب وغفلته وموته والشاهد على هذا ما يعلم ضرورة ويوجد مشاهدة وينقل
متواترا من كلام الامم المتقدمة والحكماء السالفين واشعار العرب واخبارها وصحيح
الحديث واثار من سلف وخلف مما لا يحتاج الى الاستشهاد عليه اختصارا واقتصارا
على اشتهار العلم به وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد اخذ من هذين الفنين بالاقل هذا
ما لا يدفع في سيرته وهو الذي امر به وحض عليه لا سيما بارتباط احدهما بالاخر
حدثنا ابو علي الصدفي الحافظ [illegible] ثنا ابو الفضل الاصبهاني ثنا ابو نعيم
الحافظ ثنا سليمن بن احمد ثنا بكر بن سهل ثنا عبد الله بن صالح حدثني معوية بن
صالح ان يحيى بن جابر حدثه عن المقدام بن معدي كرب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ما ملأ ابن ادم وعاء شرا من بطن حسب ابن ادم اكلات يقمن صلبه فان كان لا
محالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه ولان كثرة النوم من كثرة
الاكل والشرب قال سفين الثوري بقلة الطعام يملك سهر الليل وقال بعض
السلف لا تاكلوا كثيرا فتشربوا كثيرا فترقدوا كثيرا وقد روي عنه صلى الله عليه
وسلم انه كان احب الطعام اليه ما كان على ضفف اي كثرة الايدي وعن عائشة رضي
الله عنها لم يمتلئ جوف النبي صلى الله عليه وسلم شبعا قط وانه كان في اهله لا يسالهم

طعامًا ولا يشتهاه إن أطعموه أكل وما أطعموه قبل وما سقوه شرب ولا
يعترض ولا يعترض على هذا الحديث بريرة البرمة فيها لحم إذ لعل سبب
سؤاله ظنه صلى الله عليه وسلم اعتقادهم انه لا يحل له فاراد بيان سنته اذ راهم
لم يقدموه اليه مع علمه انهم لا يستاثرون عليه به فصدق عليهم ظنه وبين
لهم ما جهلوه من امره بقوله هو لها صدقة ولنا هدية وفي حكمة لقمن يا بني اذا
امتلأت المعدة نامت الفكرة وخرست الحكمة وقعدت الاعضاء عن العبادة وقال
سحنون لا يصلح العلم لمن يأكل حتى يشبع وفي صحيح الحديث قوله صلى الله عليه وسلم
اما انا فلا آكل متكئا والاتكاء هو التمكن للاكل والتقعدد في الجلوس له كالمتربع
وشبهه من تمكن الجلسات التي يعتمد فيها الجالس على ما تحته والجالس على هذه الهيئة
يستدعي الاكل ويستكثر منه والنبي صلى الله عليه وسلم انما كان جلوسه للاكل جلوس
المستوفز مقعيا ويقول انما انا عبد آكل كما يأكل العبد واجلس كما يجلس العبد وليس معنى
الحديث في الاتكاء الميل على شق عند المحققين وكذلك نومه صلى الله عليه وسلم كان
قليلا شهدت بذلك الآثار الصحيحة ومع ذلك فقد قال ان عيني تنامان ولا
ينام قلبي وكان نومه على جانبه الايمن استظهارا على قلة النوم لانه على الجانب الايسر
اهنأ لهدوء القلب وما يتعلق به من الاعضاء الباطنة حينئذ لميلها الى الجانب الايسر
فيستدعي ذلك الاستثقال فيه والطول واذا نام النائم على الايمن تعلق القلب
وقلق فاسرع الافاقة ولم يغمره الاستغراق **فصل** والضرب الثاني ما يتفق
التمدح بكثرته والفخر بوفوره كالنكاح والجاه اما النكاح فمتفق فيه شرعا وعادة
فانه دليل الكمال وصحة الذكورية ولم يزل التفاخر بكثرته عادة معروفة والتمادح
به سيرة ماضية واما في الشرع فسنة مأثورة وقد قال ابن عباس افضل هذه
الامة اكثرها نساء يشير صلى الله عليه وسلم وقد قال عليه السلام تناكحوا فاني
مباه بكم الامم ونهى عن التبتل مع ما فيه من قمع الشهوة وغض البصر اللذين نبه عليهما
صلى الله عليه وسلم بقوله من كان ذا طول فليتزوج فانه اغض للبصر واحصن للفرج

حتى لم يره العلماء مما يتمدح في الزهد قال سهل بن عبد الله قد حببن الى سيد
المرسلين فكيف يزهد فيهن ونحوه لابن عيينة وقد كان زهاد الصحابة
كثيري الزوجات والسراري كثيري النكاح وحكي في ذلك عن علي والحسن وابن
عمر وغيرهم غير شيء وقد كره غير واحد ان يلقى الله عزبا فان قلت
كيف يكون النكاح وكثرته من الفضائل وهذا يحيى بن زكريا قد اثنى الله عليه
انه كان حصورا فكيف يثني الله عليه بالعجز عما تعده فضيلة وهذا عيسى عليه السلام
تبتل من النساء ولو كان كما قررته لنكح فاعلم ان ثناء الله على يحيى بانه حصور
ليس كما قال بعضهم انه كان هيوبا او لا ذكر له بل قد انكر هذا حذاق المفسرين ونقاد
العلماء وقالوا هذه نقيصة وعيب ولا تليق بالانبياء وانما معناه انه معصوم
من الذنوب اي لا يأتيها كانه حصر عنها وقيل مانعا نفسه من الشهوات وقيل ليست
له شهوة في النساء فقد بان لك من هذا ان عدم القدرة على النكاح نقص وانما
الفضل في كونها موجودة ثم قمعها اما بمجاهدة كعيسى عليه السلام او بكفاية من الله
كيحيى عليه السلام فضيلة زائدة لكونها شاغلة في كثير من الاوقات حاطة الى
الدنيا ثم هي في حق من اقدر عليها وملكها وقام بالواجب فيها ولم تشغله عن
ربه درجة عليا وهي درجة نبينا صلى الله عليه وسلم الذي لم تشغله كثرتهن
عن عبادة ربه بل زادته ذلك عبادة لتحصينهن وقيامه بحقوقهن واكتسابه لهن
وهدايته اياهن بل صرح انها ليست من حظوظ دنياه هو وان كانت من حظوظ دنيا
غيره فقال حبب الي من دنياكم فدل ان حبه لما ذكر من النساء والطيب اللذين
هما من امور دنيا غيره واستعماله لذلك ليس لدنياه بل للآخرة للفوائد التي ذكرناها
في التزويج وللقاء الملائكة في الطيب ولانه ايضا مما يحض على الجماع ويعين عليه
ويحرك اسبابه وكان حبه لهاتين الخصلتين لاجل غيره وقمع شهوته وكان حبه الحقيقي
المختص بذاته في مشاهدة جبروت مولاه ومناجاته ولذلك ميز بين الحبين وفصل
بين الحالين فقال وجعلت قرة عيني في الصلاة فقد ساوى يحيى وعيسى في كفاية فتنتهن

وزاد فضيلة بالقيام بهن وكان صلى الله عليه وسلم ممن أقدر على القوة فى هذا
واعطى الكثير منه ولهذا ابيح له من عدد الحراير ما لم يبح لغيره وقد روينا
عن انس انه صلى الله عليه وسلم كان يدور على نسايه فى الساعة من الليل والنهار وهن
احدى عشرة قال انس وكنا نتحدث انه اعطى قوة ثلاثين خرجه النساى وروى
نحوه عن ابى رافع وقد قال سليمن عليه السلام لاطوفن الليلة على مائة امراة او تسع
وتسعين وانه فعل ذلك قال ابن عباس كان فى ظهر سليمن ما مائة رجل وكانت له
ثلاث مائة امراة وثلاث مائة سرية وحكى النقاش سبع مائة امراة وثلاث مائة سرية
وقد كان لداود عليه السلام على زهده واكله من عمل يده تسع وتسعون امراة وتمت بزوج
اوريا مائة وقد نبه على ذلك فى الكتاب العزيز بقوله تعالى ان هذا اخى له تسع وتسعون
نعجة وفى حديث انس عنه عليه السلام فضلت على الناس باربع بالسخا والشجاعة وكثرة
الجماع وقوة البطش **واما** الجاه فمحمود عند العقلا عادة وبقدر جاهه عظمه فى
القلوب وقد قال تعالى فى صفة عيسى عليه السلام وجيها فى الدنيا والاخرة لكن افاته
كثيرة فهو مضر لبعض الناس لعقبى الاخرة فلذلك ذمه من ذمه ومدح ضده وورد
فى الشرع مدح الخمول وذم العلو فى الارض وكان صلى الله عليه وسلم قد رزق من الحشمة
والمكانة فى القلوب والعظمة قبل النبوة عند الجاهلية وبعدها وهم يكذبونه ويوذون
اصحابه ويقصدون اذاه فى نفسه خفية حتى اذا واجههم اعظموا امره وقضوا حاجته
واخباره فى ذلك معروفة سياتى بعضها وقد كان يبهت ويفرق لرؤيته من لم
يره كما روى عن قيلة انها لما راته ارعدت من الفرق فقال يا مسكينة عليك السكينة
وفى حديث ابى مسعود ان رجلا قام بين يديه فارعد فقال له هون عليك فانى لست بملك
الحديث **فاما** عظيم قدره بالنبوة وشريف منزلته بالرسالة وانافة رتبته بالاصطفا
والكرامة فى الدنيا فامر هو مبلغ النهاية ثم هو فى الاخرة سيد ولد ادم
وعلى معنى هذا الفصل نظمنا هذا القسم باسره **فصل** واما الضرب الثالث فهو
ما تختلف الحالات فى التمدح به والتفاخر بسببه والمفضل لاجله ككثرة المال لصاحبه

على الجملة معظم عند العامة لاعتقادها توصله به الى حاجاته وتمكن اغراضه
بسببه والا فليس فضيلة فى نفسه فمتى كان المال بهذه الصورة وصاحبه منفقا له فى
مهماته ومهمات من اعتراه واملّه وتصريفه فى مواضعه مشتريا به المعالى والثناء
الحسن والمنزلة من القلوب كان فضيلة فى صاحبه عند اهل الدنيا واذا صرفه فى
وجوه البر وانفقه فى سبيل الخير وقصد بذلك الله والدار الاخرة كان فضيلة عند
الكل بكل حال ومتى كان صاحبه ممسكا له غير موجهه وجوهه حريصا على جمعه
عاد كثيره كالعدم وكان منقصة فى صاحبه ولم يقف به على جدد السلامة بل اوقعه فى
هوة رذيلة البخل ومذمة النذالة فاذا التمدح بالمال وفضيلته عند مفضليه ليست
لنفسه وانما هو للتوصل به الى غيره وتصريفه فى متصرفاته فجامعه اذا لم يضعه مواضعه
ولا وجهه وجوهه غير ملى بالحقيقة ولا غنى بالمعنى ولا ممتدح عند احد من العقلاء
بل هو فقير ابدا غير واصل الى غرض من اغراضه اذ ما بيده من المال الموصل لها لم
يسلط عليه فاشبه خازن مال غيره ولا مال له فكانه ليس فى يده منه شى والمنفق
ملى غنى بتحصيله فوايد المال وان لم يبق فى يده من المال شى **فانظر** سيرة نبينا
صلى الله عليه وسلم وخلقه فى المال تجده قد اوتى خزاين الارض ومفاتيح البلاد واحلت
له الغنايم ولم تحل لنبى قبله وفتح عليه فى حياته صلى الله عليه وسلم بلاد الحجاز واليمن
وجميع جزيرة العرب وما دانى ذلك من الشام والعراق وجلبت اليه من اخماسها وجزيتها
وصدقاتها ما لا يجبى للملوك الا بعضه وهادته جماعة من ملوك الاقاليم فما استاثر
بشى منه ولا امسك منه درهما بل صرفه مصارفه واغنى به غيره وقوى به المسلمين
وقال ما يسرنى ان لى احدا ذهبا يبيت عندى منه دينار الا دينارا ارصده لدينى
ومات صلى الله عليه وسلم ودرعه مرهونة فى نفقة عياله واقتصر من نفقته وملبسه
ومسكنه على ما تدعوه ضرورته اليه وزهد فيما سواه فكان يلبس ما وجد فيلبس فى
الغالب الشملة والكساء الخشن والبرد الغليظ ويقسم على من حضره اقبية الديباج المخوصة
بالذهب ويرفع لمن لم يحضر اذ المباهات فى الملابس والتزين بها ليست من خصال الشرف

والجلالة وهي من سمات النساء والمحمود منها تفاوت الثوب والتوسط في جنسه وكونه
لبس مثله غير مسقط لمروة جنسه مما لا يودي الى الشهرة في الطرفين وقد ذم الشرع
ذلك وغاية الفخر فيه في العادة عند الناس انما يعود الى الفخر بكثرة الموجود ووفور
الحال وكذلك التباهي بجودة المسكن وسعة المنزل وتكثير الآلة وخدمه ومركوباته
ومن ملك الارض وجبي اليه ما فيها الى ما فيها وترك ذلك زهدا وتنزها فهو حائز
لفضيلة المالية ومالك للفخر بهذه الخصلة ان كانت فضيلة زائدا عليها في الفخر ومعرق
في المدح باضرابه عنها وزهده في فانيها وبذلها في مظانها • **فصل** واما الخصال
المكتسبة من الاخلاق الحميدة والاداب الشريفة التي اتفق جميع العقلاء على تفضيل صاحبها
وتعظيم المتصف بالخلق الواحد منها فضلا عما فوقه واثنى الشرع على جميعها وامر بها ووعد
السعادة الدائمة للمتخلق بها ووصف بعضها بانه من اجزاء النبوة وهي المسماة بحسن
الخلق وهو الاعتدال في قوى النفس واوصافها والتوسط فيها دون الميل الى منحرف اطرافها
فجميعها قد كانت خلق نبينا صلى الله عليه وسلم على الانتهاء في كمالها والاعتدال الى غايتها
حتى اثنى الله تعالى عليه بذلك فقال وانك لعلى خلق عظيم قالت عائشة رضي الله عنها كان
خلقه القرآن يرضى برضاه ويسخط بسخطه وقال عليه السلام بعثت لاتمم مكارم الاخلاق
قال انس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم احسن الناس خلقا وعن علي بن ابي طالب رضي الله عنه
مثله وكان فيما ذكره المحققون مجبولا عليها في اصل خلقته واول فطرته لم تحصل له باكتساب
ولا رياضة الا بجود الهي وخصوصية ربانية وهكذا لسائر الانبياء ومن طالع سيرهم
منذ صباهم الى مبعثهم حقق ذلك كما عرف من حال موسى وعيسى ويحيى وسليمن وغيرهم عليهم
السلام بل غرزت فيهم هذه الاخلاق في الجبلة واودعوا العلم والحكمة في الفطرة قال
الله تعالى واتيناه الحكم صبيا قال المفسرون اعطي يحيى العلم بكتاب الله في حال صباه
وقال معمر كان ابن سنتين او ثلاث فقال له الصبيان لم لا تلعب فقال اللعب خلقت
وقيل في قوله مصدقا بكلمة من الله صدق يحيى بعيسى وهو ابن ثلاث سنين فشهد له انه كلمة
الله وروحه وقيل صدقه وهو في بطن امه فكانت ام يحيى تقول لمريم اني اجد ما في بطني يسجد
لما

لما في بطنك تحية له وقد نص الله تعالى على كلام عيسى لامه عند ولادتها اياه
بقوله لها الا تحزني على من قرا من تحتها وعلى قول من قال ان المنادي عيسى ونص
على كلامه في مهده فقال اني عبد الله اتاني الكتاب وجعلني نبيا وقال ففهمناها
سليمن وكلا اتينا حكما وعلما وقد ذكر من حكم سليمن وهو صبي يلعب في
قصة المرجومة وفي قصة الصبي ما اقتدى به داود ابوه وحكى الطبري ان عمره
كان حين اوتي الملك اثني عشر عاما وكذلك قصة موسى مع فرعون واخذه بلحيته
وهو طفل وقال المفسرون في قوله تعالى ولقد اتينا ابرهيم رشده من قبل اي
هديناه صغيرا قاله مجاهد وغيره وقال ابن عطا اصطفاه قبل ابداء خلقه وقال
بعضهم لما ولد ابرهيم بعث الله اليه ملكا يامره عن الله ان يعرفه بقلبه ويذكره
بلسانه فقال قد فعلت ولم يقل افعل فذلك رشده وقيل ان القاء ابرهيم عليه السلام
في النار ومحنته كانت وهو ابن ست عشرة سنة وان ابتلاء اسحق بالذبح وهو ابن سبع سنين
وان استدلال ابرهيم بالكوكب والقمر والشمس كان وهو ابن خمسة عشر شهرا وقيل اوحي
الى يوسف وهو صبي عند ما هم اخوته بالقائه في الجب بقوله تعالى واوحينا اليه
لتنبئنهم بامرهم هذا الاية الى غير ذلك من اخبارهم وقد حكى اهل السير ان امنة بنت
وهب اخبرت ان نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم ولد حين ولد باسطا يديه الى الارض
رافعا راسه الى السماء وقال في حديثه صلى الله عليه وسلم لما نشات بغضت الي الاوثان
وبغض الي الشعر ولم اهم بشيء مما كانت الجاهلية تفعله الا مرتين
فعصمني الله منهما ثم لم اعد ثم يتمكن الامر لهم وتترادف نفحات الله عليهم وتشرق
انوار المعارف في قلوبهم حتى يصلوا الغاية ويبلغوا باصطفاء الله تعالى لهم بالنبوة في
تحصيل هذه الخصال الشريفة النهاية دون ممارسة ولا رياضة قال الله تعالى ولما بلغ اشده
واستوى اتيناه حكما وعلما وقد نجد غيرهم يطبع على بعض هذه الاخلاق دون جميعها
ويولد عليها فيسهل عليه اكتساب تمامها عناية من الله تعالى كما نشاهد من خلقة بعض
الصبيان على حسن السمت او الشهامة او صدق اللسان او السماحة وكما نجد بعضهم على

على ضدها فبالاكتساب يكمل ناقصها وبالرياضة والمجاهدة يستجلب معدومها ويعتدل
منحرفها وباختلاف هذين الحالين يتفاوت الناس فيها وكل ميسر لما خلق له
ولهذا ما قد اختلف السلف فيها هل هذه الخلق جبلة او مكتسبة فحكى الطبري
عن بعض السلف ان الخلق الحسن جبلة وغريزة في العبد وحكاه عن عبد الله بن مسعود
والحسن وبه قال هو والصواب ما اصلناه وقد روى سعد عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال كل الخلال يطبع عليها المؤمن الا الخيانة والكذب وقال عمر بن الخطاب رضي
الله عنه في حديثه والجراة والجبن غرائز يضعها الله حيث يشا وهذه الاخلاق
الجميلة والخصال الشريفة كثيرة ولكنا نذكر اصولها ونشير الى جميعها ونحقق
وصفه صلى الله عليه وسلم بها ان شا الله تعالى **فصل** اما اصل فروعها وعنصر
ينابيعها ونقطة دائرتها فالعقل الذي منه ينبعث العلم والمعرفة ويتفرع عن هذا
ثقوب الراي وجودة الفطنة والاصابة وصدق الظن والنظر للعواقب ومصالح النفس
ومجاهدة الشهوة وحسن السياسة والتدبير واقتنا الفضايل وتجنب الرذايل وقد
اشرنا الى مكانه منه صلى الله عليه وسلم وبلوغه منه ومن العلم الغاية التي لم يبلغها
بشر سواه واذ جلالة محله من ذلك وما تفرع منه متحققة عند من تتبع مجاري
احواله واطراد سيره وطالع جوامع كلامه وحسن شمائله وبدايع سيره وحكم حديثه
وعلمه بما في التوراة والانجيل والكتب المنزلة وحكم الحكما وسير الامم الخالية وايامها وضرب
الامثال وسياسات الانام وتقرير الشرايع وتاصيل الاداب النفيسة والشيم الحميدة
الى فنون العلوم التي اتخذ اهلها كلامه عليه السلام فيها قدوة واشاراته حجة كالعبارة
والطب والحساب والفرايض والنسب وغير ذلك مما سنبينه في معجزاته ان شا الله
دون تعليم ولا مدارسة ولا مطالعة كتب من تقدم ولا الجلوس الى علمايهم بل نبي امي
لم يعرف بشي من ذلك حتى شرح الله صدره وابان امره وعلمه واقراه يعلم ذلك
بالمطالعة والبحث من حاله ضرورة بالبرهان القاطع على نبوته نظرا فلا نطول بسرد
الاقاصيص وآحاد القضايا اذ مجموعها ما لا ياخذه حصر ولا يحيط به حفظ جامع

وبحسب عقله كانت معارفه صلى الله عليه وسلم الى سائر ما علمه الله واطلعه عليه
من علم ما يكون وما كان وعجايب قدرته وعظيم ملكوته قال تعالى وعلمك ما لم تكن
تعلم وكان فضل الله عليك عظيما حارت العقول في تقدير فضله عليه وخرست
الالسن دون وصف يحيط بذلك او ينتهي اليه **فصل** واما الحلم والاحتمال
والعفو مع القدرة والصبر على ما يكره وبين هذه الالقاب فرق فان الحلم حالة
توقر وثبات عند الاسباب المحركات والاحتمال حبس النفس عند الالام والموذيات
ومثلها الصبر ومعانيها متقاربة واما العفو فهو ترك المواخذة وهذا كله مما
اداب الله به نبيه صلى الله عليه وسلم فقال خذ العفو وامر بالعرف الاية روي
ان النبي صلى الله عليه وسلم لما نزلت عليه هذه الاية سال جبريل عن تاويلها فقال له
حتى اسال العالم ثم ذهب فاتاه فقال يا محمد ان الله يامرك ان تصل من قطعك وتعطي
من حرمك وتعفو عمن ظلمك وقال له واصبر على ما اصابك الاية وقال فاصبر كما صبر
اولوا العزم من الرسل وقال وليعفوا وليصفحوا الاية وقال ولمن صبر وغفر
ان ذلك لمن عزم الامور ولا خفا بما يوثر من حلمه واحتماله وان كل حليم قد عرفت
منه زلة وحفظت عنه هفوة وهو صلى الله عليه وسلم لا يزيد مع كثرة الاذى الا
صبرا وعلى اسراف الجاهل الا حلما حدثنا القاضي ابو عبد الله محمد بن علي التغلبي
وغيره قالوا انا محمد بن عتاب ثنا ابو بكر بن وافد القاضي وغيره ثنا ابو عيسى ثنا عبيد الله
ثنا يحيى بن يحيى ثنا مالك عن ابن شهاب عن عروة عن عايشة قالت ما خير رسول الله صلى الله
عليه وسلم في امرين قط الا اختار ايسرهما ما لم يكن اثما فان كان اثما كان ابعد الناس منه وما
انتقم رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه الا ان تنتهك حرمة الله فينتقم لله بها
وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم لما كسرت رباعيته وشج وجهه يوم احد شق
ذلك على اصحابه شديدا وقالوا لو دعوت عليهم فقال اني لم ابعث لعانا ولكني بعثت
داعيا ورحمة اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون وروي عن عمر رضي الله عنه انه قال
في بعض كلامه بابي انت وامي يا رسول الله لقد دعا نوح على قومه فقال رب لا تذر على الارض

الآية ولو دعوت علينا مثلها لهلكنا من عند آخرنا فلقد وُطئ ظهرك وأُدمي وجهك
وكسرت رباعيتك فأبيت أن تقول إلا خيرًا فقلت اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون
قال القاضي أبو الفضل رضي الله عنه انظر ما في هذا القول من جماع الفضل ودرجات
الإحسان وحسن الخلق وكرم النفس وغاية الصبر والحلم إذ لم يقتصر صلى الله عليه
وسلم على السكوت عنهم حتى عفا ثم أشفق عليهم ورحمهم ودعا وشفع لهم فقال اغفر
أو اهد ثم أظهر سبب الشفقة والرحمة بقوله لقومي ثم اعتذر عنهم بجهلهم فقال
فإنهم لا يعلمون ولما قال له الرجل اعدل فإن هذه قسمة ما أريد بها وجه الله لم يزده
في جوابه أن بيّن له ما جهله ووعظ نفسه وذكّرها بما قال له فقال ويحك فمن يعدل
إن لم أعدل خبتُ وخسرتُ إن لم أعدل ونهى من أراد من أصحابه قتله ولما تصدّى له
غورث بن الحرث ليفتك به ورسول الله صلى الله عليه وسلم منتبذ تحت شجرة وحده قائلا
والناس قائلون في غزاة فلم ينتبه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا وهو قائم والسيف صلتًا
في يده فقال من يمنعك مني فقال الله فسقط السيف من يده فأخذه النبي صلى الله عليه
وسلم وقال من يمنعك مني قال كن خير آخذ فتركه وعفا عنه فجاء إلى قومه فقال جئتكم
من عند خير الناس ومن عظيم خبره في العفو عفوه عن اليهودية التي سمّته في الشاة بعد اعترافها
على الصحيح من الرواية وأنه لم يؤاخذ لبيد بن الأعصم إذ سحره وقد أُعلم به وأوحي
إليه بشرح أمره ولا عتب عليه فضلا عن معاقبته وكذلك لم يؤاخذ عبد الله بن أبيّ
وأشباهه من المنافقين بعظيم ما نقل عنهم في جهته قولا وفعلا بل قال لمن أشار بقتل
بعضهم لا يتحدث أن محمدا يقتل أصحابه وعن أنس كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم وعليه
برد غليظ الحاشية فجبذه أعرابي بردائه جبذة شديدة حتى أثرت حاشية البرد في
صفحة عاتقه ثم قال يا محمد احمل لي على بعيريّ هذين من مال الله الذي عندك فإنك
لا تحمل لي من مالك ولا مال أبيك فسكت النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال المال مال الله وأنا
عبده ثم قال ويُقاد منك يا أعرابي ما فعلت بي قال لا قال لم قال لأنك لا تكافئ
بالسيئة السيئة فضحك النبي صلى الله عليه وسلم ثم أمر أن يحمل له على بعير شعير وعلى

وقف

الآخر تمر قالت عائشة رضي الله عنها ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم
منتصرًا من مظلمة ظُلمها قط ما لم تكن حرمة من محارم الله وما ضرب بيده شيئا
قط إلا أن يجاهد في سبيل الله وما ضرب خادما ولا امرأة وجيء إليه برجل فقيل هذا
أراد أن يقتلك فقال له صلى الله عليه وسلم لن تراع لن تراع ولو أردت ذلك لم تسلط عليّ
وجاءه زيد بن سعنة قبل إسلامه يتقاضاه دينا عليه فجبذ ثوبه عن منكبه وأخذ
بمجامع ثيابه وأغلظ له ثم قال إنكم يا بني عبد المطلب مُطْل فانتهره عمر وشدد له في
القول والنبي صلى الله عليه وسلم يتبسم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا وهو كنا
إلى غير هذا منك أحوج يا عمر تأمرني بحسن القضاء وتأمره بحسن التقاضي ثم قال
لقد بقي من أجله ثلاث وأمر عمر يقضيه ماله ويزيده عشرين صاعا لما روّعه
فكان سبب إسلامه وذلك أنه كان يقول ما بقي من علامات النبوة شيء إلا وقد عرفتها
في محمد إلا اثنتين لم أخبرهما يسبق حلمه جهله ولا تزيده شدة الجهل إلا حلمًا فاختبرته
بهذا فوجدته كما وصف والحديث عن حلمه عليه السلام وصبره وعفوه عند المقدرة
أكثر من أن نأتي عليه وحسبك ما ذكرناه مما في الصحيح والمصنفات الثابتة
إلى ما بلغ متواترًا مبلغ اليقين من صبره على مقاساة قريش وأذى الجاهلية ومصابرة
الشدائد الصعبة معهم إلى أن أظفره الله عليهم وحكّمه فيهم وهم لا يشكّون في
استئصال شأفتهم وإبادة خضرائهم فما زاد على أن عفا وصفح وقال ما تقولون أني فاعل
بكم قالوا خيرًا أخ كريم وابن أخ كريم فقال أقول كما قال أخي يوسف لا تثريب عليكم
الآية اذهبوا فأنتم الطلقاء وقال أنس هبط ثمانون رجلا من التنعيم صلاة الصبح
ليقتلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأُخذوا فأعتقهم صلى الله عليه وسلم فأنزل الله
تعالى وهو الذي كفّ أيديهم عنكم الآية وقال لأبي سفيان وقد سيق إليه بعد أن جلب إليه
الأحزاب وقتل عمه وأصحابه ومثّل بهم فعفا عنه ولاطفه في القول ويحك يا أبا سفيان
ألم يأن لك أن تعلم أن لا إله إلا الله فقال بأبي أنت وأمي ما أحلمك وأوصلك وأكرمك
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أبعد الناس غضبا وأسرعهم رضى صلى الله عليه وسلم

وأسرعهم

فصل وأما الجود والكرم والسخاء والسماحة فمعانيها متقاربة وقد فرق بعضهم
بينها بفروق فجعلوا الكرم الإنفاق بطيب النفس فيما يعظم خطره ونفعه وسموه أيضا
حرية وهو ضد النذالة والسماحة التجافي عما يستحقه المرء عند غيره بطيب نفس
وهو ضد الشكاسة والسخاء سهولة الإنفاق وتجنب اكتساب ما لا يحمد وهو الجود
وهو ضد التقتير وكان صلى الله عليه وسلم لا يوازى في هذه الأخلاق الكريمة ولا يبارى
بهذا وصفه كل من عرفه حدثنا القاضي الشهيد أبو علي الصدفي رحمه الله ثنا القاضي
أبو الوليد الباجي ثنا أبو ذر الهروي ثنا أبو الهيثم الكشميهني وأبو محمد السرخسي وأبو
إسحاق البلخي قالوا حدثنا أبو عبد الله الفربري ثنا البخاري ثنا محمد بن كثير أخبرنا
سفيان عن ابن المنكدر قال سمعت جابر بن عبد الله يقول ما سئل النبي صلى الله عليه
وسلم شيئا فقال لا وعن أنس وسهل بن سعد مثله وقال ابن عباس كان النبي صلى الله عليه وسلم
أجود الناس بالخير وأجود ما كان في شهر رمضان وكان إذا لقيه جبريل عليه السلام أجود
بالخير من الريح المرسلة وعن أنس أن رجلا سأله فأعطاه غنما بين جبلين فرجع إلى بلده
وقال أسلموا فإن محمدا يعطي عطاء من لا يخشى فاقة وأعطى غير واحد مائة من الإبل وأعطى
صفوان مائة ثم مائة ثم مائة وهذه كانت حاله صلى الله عليه وسلم قبل أن يبعث وقد
قال له ورقة إنك تحمل الكل وتكسب المعدوم ورد على هوازن سباياها وكانوا
ستة آلاف وأعطى العباس من الذهب ما لم يطق حمله وحمل إليه تسعون ألف درهم
فوضعت على حصير ثم قام إليها يقسمها فما رد سائلا حتى فرغ منها وجاءه رجل فسأله
فقال ما عندي شيء ولكن ابتع علي فإذا جاءنا شيء قضيناه فقال له عمر ما كلفك الله ما
لا تقدر عليه فكره النبي صلى الله عليه وسلم ذلك فقال رجل من الأنصار يا رسول الله
أنفق ولا تخف من ذي العرش إقلالا فتبسم صلى الله عليه وسلم وعرف البشر في وجهه
وقال بهذا أمرت ذكره الترمذي وذكر عن معوذ بن عفراء قال أتيت النبي صلى الله عليه
وسلم بقناع من رطب يريد طبقا وأجر زغب يريد قثاء فأعطاني ملء كفه حليا وذهبا
قال أنس كان النبي صلى الله عليه وسلم لا يدخر شيئا لغد والخبر بجوده وكرمه صلى الله عليه

وسلم كثير وعن أبي هريرة أتى رجل النبي صلى الله عليه وسلم يسأله فاستسلف له
رسول الله صلى الله عليه وسلم نصف وسق فجاء الرجل يتقاضاه فأعطاه وسقا وقال نصفه
قضاء ونصفه نائل. فصل وأما الشجاعة والنجدة فالشجاعة فضيلة قوة الغضب
وانقيادها للعقل والنجدة ثقة النفس عند استرسالها إلى الموت حيث يحمد فعلها
دون خوف وكان صلى الله عليه وسلم منهما بالمكان الذي لا يجهل قد حضر المواقف الصعبة
وفر الكماة والأبطال عنه غير مرة وهو ثابت لا يبرح ومقبل لا يدبر ولا يتزحزح
وما شجاع إلا وقد أحصيت له فرة وحفظت عنه جولة سواه حدثنا أبو علي
الجياني فيما كتب لي قال ثنا القاضي سراج ثنا أبو محمد الأصيلي ثنا أبو زيد الفقيه
ثنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا ابن بشار ثنا غندر ثنا شعبة عن أبي إسحاق سمع
البراء وسأله رجل أفررتم يوم حنين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لكن رسول الله
صلى الله عليه وسلم لم يفر ثم قال لقد رأيته على بغلته البيضاء وأبو سفيان آخذ بلجامها
والنبي صلى الله عليه وسلم يقول أنا النبي لا كذب وزاد غيره أنا ابن عبد المطلب
قيل فما رئي يومئذ أحد كان أشد منه وقال غيره نزل النبي صلى الله عليه وسلم عن
بغلته وذكر مسلم عن العباس قال فلما التقى المسلمون والكفار ولى المسلمون مدبرين
فطفق رسول الله صلى الله عليه وسلم يركض بغلته نحو الكفار وأنا آخذ بلجامها أكفها
إرادة أن لا تسرع وأبو سفيان آخذ بركابه ثم نادى يا للمسلمين الحديث وقيل كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم إذا غضب ولا يغضب إلا لله لم يقم لغضبه شيء وقال ابن عمر
ما رأيت أشجع ولا أنجد ولا أجود ولا أرضى من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال علي
رضي الله عنه إنا كنا إذا حمي البأس ويروى اشتد البأس واحمرت الحدق اتقينا
برسول الله صلى الله عليه وسلم فما يكون أحد أقرب إلى العدو منه ولقد رأيتني يوم
بدر ونحن نلوذ بالنبي صلى الله عليه وسلم وهو أقربنا إلى العدو وكان من أشد الناس
يومئذ بأسا وقيل كان الشجاع هو الذي يقرب منه صلى الله عليه وسلم إذا دنا العدو لقربه
منه وعن أنس كان النبي صلى الله عليه وسلم أحسن الناس وأجود الناس وأشجع الناس لقد

فزع أهل المدينة ليلة فانطلق ناس قبل الصوت فتلقاهم رسول الله صلى الله
عليه وسلم راجعا قد سبقهم إلى الصوت واستبرأ الخبر على فرس لأبي طلحة عري
والسيف في عنقه وهو يقول لن تراعوا. وقال عمران بن حصين ما لقي النبي صلى الله عليه
وسلم كتيبة إلا كان أول من يضرب. ولما رآه أبي بن خلف يوم أحد وهو يقول أين
محمد لا نجوت إن نجا. وقد كان يقول للنبي صلى الله عليه وسلم حين افتدى يوم بدر عندي
فرس أعلفها كل يوم فرقا من ذرة أقتلك عليها فقال له النبي صلى الله عليه وسلم أنا
أقتلك إن شاء الله. فلما رآه يوم أحد شد أبي على فرسه على رسول الله صلى الله عليه
وسلم فاعترضه رجال من المسلمين فقال النبي صلى الله عليه وسلم هكذا أي خلوا
طريقه وتناول الحربة من الحرث بن الصمة فانتفض بها انتفاضة تطايروا عنه
تطاير الشعراء عن ظهر البعير إذا انتفض ثم استقبله النبي صلى الله عليه وسلم فطعنه
في عنقه طعنة تدأدأ منها مرارا وقيل بل كسر ضلعا من أضلاعه فرجع إلى قريش
يقول قتلني محمد وهم يقولون لا بأس بك فقال لو كان ما بي بجميع الناس لقتلهم أليس
قد قال أنا أقتلك والله لو بصق علي لقتلني فمات بسرف في قفولهم إلى مكة.

الشعراء ذباب له إبره

عن فرسه صح

فصل وأما الحيا والإغضا فالحيا رقة تعتري وجه الإنسان عند فعل ما
يتوقع كراهته أو ما يكون تركه خيرا من فعله والإغضا التغافل عما يكره الإنسان
بطبيعته. وكان النبي صلى الله عليه وسلم أشد الناس حيا وأكثرهم عن العورات إغضا.
قال الله سبحنه وتعالى إن ذلكم كان يؤذي النبي فيستحيي منكم الآية. وحدثنا أبو
محمد بن عتاب رحمه الله بقراءتي عليه ثنا أبو القسم حاتم بن محمد ثنا أبو الحسن القابسي ثنا
أبو زيد المروزي ثنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا عبدان أخبرنا عبد الله أنا
شعبة عن قتادة سمعت عبد الله مولى أنس عن أبي سعيد الخدري كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم أشد حيا من العذراء في خدرها وكان إذا كره شيئا عرفناه في
وجهه. وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لطيف البشرة رقيق الظاهر لا يشافه أحدا
بما يكرهه حيا وكرم نفس. وعن عائشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم إذا بلغه عن أحد ما يكرهه لم يقل ما بال فلان يقول كذا ولكن يقول ما
بال أقوام يصنعون أو يقولون كذا ينهى عنه ولا يسمي فاعله. وروى أنس أنه دخل
عليه رجل به أثر صفرة فلم يقل له شيا وكان لا يواجه أحدا بما يكره. فلما خرج
قال لو قلتم له يغسل هذا ويروى ينزعها. قالت عائشة في الصحيح لم يكن
النبي صلى الله عليه وسلم فاحشا ولا متفحشا ولا سخابا بالأسواق ولا يجزي بالسيئة السيئة
ولكن يعفو ويصفح. وقد حكي مثل هذا الكلام عن التوراة من رواية ابن سلام وعبد الله
ابن عمرو بن العاصي. وروي عنه أنه كان من حيائه لا يثبت بصره في وجه أحد وأنه
كان يكني عما اضطره الكلام إليه مما يكره. وعن عائشة رضي الله عنها ما رأيت فرج
رسول الله صلى الله عليه وسلم قط.

فصل وأما حسن عشرته وأدبه وبسط
خلقه صلى الله عليه وسلم مع أصناف الخلق فبحيث انتشرت به الأخبار الصحيحة. قال
علي رضي الله عنه في وصفه عليه السلام كان أوسع الناس صدرا وأصدق الناس لهجة وألينهم
عريكة وأكرمهم عشرة. حدثنا أبو الحسن علي بن مشرف الأنماطي فيما أجازنيه
وقرأته على غيره قال ثنا أبو إسحق الحبال ثنا أبو محمد بن النحاس ثنا ابن الأعرابي ثنا أبو داود
ثنا هشام أبو مروان ومحمد بن المثنى قالا ثنا الوليد بن مسلم ثنا الأوزاعي سمعت يحيى بن أبي
كثير يقول حدثني محمد بن عبد الرحمن بن أسعد بن زرارة عن قيس بن سعد قال زارنا
رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر قصة في آخرها فلما أراد الانصراف قرب له سعد
حمارا وطأ عليه بقطيفة فركب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال سعد يا قيس
اصحب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قيس فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم
اركب فأبيت فقال إما أن تركب وإما أن تنصرف فانصرفت. وكان صلى الله عليه
وسلم يؤلفهم ولا ينفرهم ويكرم كريم كل قوم ويوليه عليهم ويحذر الناس ويحترس
منهم من غير أن يطوي عن أحد منهم بشره ولا خلقه. يتفقد أصحابه ويعطي كل جلسائه
نصيبه لا يحسب جليسه أن أحدا أكرم عليه منه. من جالسه أو قاربه لحاجة صابره
حتى يكون هو المنصرف عنه ومن سأله حاجة لم يرده إلا بها أو بميسور من القول.

وفي رواية أخرى اركب أمامي [illegible] أولى به

قد وسع الناس بسطه وخلقه فصار لهم ابا وصاروا عنده في الحق سوا. بهذا وصفه
ابن ابي هالة. قال وكان دايم البشر سهل الخلق لين الجانب ليس بفظ ولا غليظ ولا
سخاب ولا فحاش ولا عياب ولا مداح يتغافل عما لا يشتهي ولا يويس منه. وقال
الله تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك.
وقال ادفع بالتي هي احسن الاية. وكان يجيب من دعاه ويقبل الهدية ولو كانت تعالى صح
كراعا ويكافي عليها. قال انس خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين فما
قال لي اف قط. وما قال لشي صنعته لم صنعته ولا لشي تركته لم تركته.
وعن عايشة رضي الله عنها ما كان احد احسن خلقا من رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما دعاه احد من اصحابه ولا اهل بيته الا قال لبيك. وقال جرير بن عبد الله ما حجبني
رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ اسلمت ولا راني الا تبسم. وكان يمازح اصحابه
ويخالطهم ويحادثهم ويداعب صبيانهم ويجلسهم في حجره. ويجيب دعوة العبد
والحر والامة والمسكين ويعود المرضى في اقصى المدينة ويقبل عذر المعتذر. قال
انس ما التقم احد اذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فينحي راسه حتى يكون الرجل
هو الذي ينحي راسه. وما اخذ احد بيده فيرسل يده حتى يرسلها الاخر. ولم ير مقدما
ركبتيه بين يدي جليس له. وكان يبدا من لقيه بالسلام ويبدا اصحابه بالمصافحة.
ولم ير قط مادا رجليه بين اصحابه حتى يضيق بهما على احد. يكرم من يدخل عليه وربما
بسط له ثوبه ويوثره بالوسادة التي تحته ويعزم عليه في الجلوس عليها ان ابى. ويكني
اصحابه ويدعوهم باحب اسمايهم تكرمة لهم. ولا يقطع على احد حديثه حتى يتجوز
فيقطعه بنهي او قيام. ويروى بانتهاء او قيام. وروي انه كان لا يجلس اليه احد وهو
يصلي الا خفف صلاته. وساله عن حاجته فاذا فرغ عاد الى صلاته. وكان اكثر الناس
تبسما واطيبهم نفسا ما لم ينزل عليه قران او يعظ او يخطب. قال عبد الله بن الحرث
ما رايت احدا اكثر تبسما من رسول الله صلى الله عليه وسلم. وعن انس كان خدم المدينة
ياتون رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا صلى الغداة بانيتهم فما يوتى بانية الا غمس يده فيها فيها الماء

وربما كان ذلك في الغداة الباردة يريدون به التبرك.

فصل

واما الشفقة والرافة والرحمة لجميع الخلق فقد قال تعالى فيه عزيز عليه ما عنتم
حريص عليكم بالمومنين روف رحيم. وقال وما ارسلناك الا رحمة للعالمين. وقال
بعضهم من فضله عليه السلام ان اعطاه اسمين من اسمايه فقال بالمومنين روف الله تعالى صح
رحيم. وحكى نحوه الامام ابو بكر بن فورك. حدثنا الفقيه ابو محمد عبد الله بن
محمد الخشني بقراتي عليه نا امام الحرمين ابو علي الطبري نا عبد الغافر الفارسي
نا ابو احمد الجلودي نا ابرهيم بن سفين نا مسلم بن الحجاج نا ابو الطاهر اخبرنا ابن
وهب انا يونس عن ابن شهاب قال غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم غزوة وذ
كر حنينا قال فاعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم صفوان بن امية مائة من النعم
ثم مائة ثم مائة. قال ابن شهاب حدثنا سعيد بن المسيب ان صفوان قال والله لقد
اعطاني ما اعطاني وانه لابغض الخلق الي. فما زال يعطيني حتى انه لاحب الخلق الي.
وروي ان اعرابيا جاءه يطلب منه شيا فاعطاه ثم قال احسنت اليك قال الاعرابي لا
ولا اجملت. فغضب المسلمون وقاموا اليه فاشار اليهم ان كفوا. ثم قام ودخل منزله
وارسل اليه وزاده شيا ثم قال احسنت اليك قال نعم فجزاك الله من اهل وعشيرة
خيرا. فقال له النبي صلى الله عليه وسلم انك قلت ما قلت وفي انفس اصحابي من ذلك
شي. فان احببت فقل بين ايديهم ما قلت بين يدي حتى يذهب ما في صدورهم عليك.
قال نعم. فلما كان الغد او العشي جا فقال صلى الله عليه وسلم ان هذا الاعرابي
قال ما قال فزدناه فزعم انه رضي اكذلك. قال نعم فجزاك الله من اهل وعشيرة
خيرا. فقال صلى الله عليه وسلم مثلي ومثل هذا مثل رجل له ناقة شردت عليه
فاتبعها الناس فلم يزيدوها الا نفورا فناداهم صاحبها خلوا بيني وبين ناقتي فاني
ارفق بها منكم واعلم. فتوجه لها بين يديها فاخذ لها من قمام الارض فردها حتى
جات واستناخت وشد عليها رحلها واستوى عليها. واني لو تركتكم حيث قال الرجل
ما قال فقتلتموه دخل النار. وروي عنه صلى الله عليه وسلم قال لا يبلغني احد منكم

عن احد من اصحابي شيئا فاني احب ان اخرج اليكم وانا سليم الصدر. ومن شفقته
على امته عليه السلام تخفيفه وتسهيله عليهم وكراهته اشيا مخافة ان تفرض عليهم
كقوله لولا ان اشق على امتي لامرتهم بالسواك مع كل وضوء. وخبر صلاة الليل ونهيهم
عن الوصال وكراهته دخول الكعبة لئلا يعنت امته. ورغبته لربه ان يجعل سبه
ولعنه لهم رحمة بهم. وانه كان يسمع بكا الصبي فيتجوز في صلاته. ومن شفقته
صلى الله عليه وسلم ان دعا ربه وعاهده فقال ايما رجل سببته او لعنته فاجعل ذلك
له زكاة ورحمة وطهورا وصلاة وقربة تقربه بها اليك يوم القيمة. ولما كذبه
قومه اتاه جبريل عليه السلام فقال له ان الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا
عليك وقد امر ملك الجبال لتامره بما شئت فيهم فناداه ملك الجبال وسلم عليه
وقال مرني بما شئت ان شئت ان اطبق عليهم الاخشبين قال النبي صلى الله عليه وسلم بل
ارجو ان يخرج الله من اصلابهم من يعبد الله وحده ولا يشرك به شيا. وروى ابن
المنكدر ان جبريل عليه السلام قال للنبي صلى الله عليه وسلم ان الله امر السما والارض والجبال
ان تطيعك فقال اوخر عن امتي لعل الله ان يتوب عليهم. قالت عايشة ما خير رسول الله
صلى الله عليه وسلم بين امرين الا اختار ايسرهما. وقال ابن مسعود كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يتخولنا بالموعظة مخافة السامة علينا. وعن عايشة انها ركبت بعيرا وفيه
صعوبة فجعلت تردده فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عليك بالرفق. **فصل**
واما خلقه صلى الله عليه وسلم في الوفا وحسن العهد وصلة الرحم حدثنا القاضي
ابو عامر محمد بن اسمعيل بقراتي عليه ثنا ابو بكر محمد بن محمد ثنا ابو اسحق الحبال ثنا ابو محمد بن
النحاس ثنا ابن الاعرابي ثنا ابو داود ثنا محمد بن يحيى ثنا محمد بن سنان ثنا ابرهيم بن طهمان
عن بديل عن عبد الكريم بن عبد الله بن شقيق عن ابيه عن عبد الله بن ابي الحمسا قال بايعت
النبي صلى الله عليه وسلم ببيع قبل ان يبعث وبقيت له بقية فوعدته ان اتيه بها في
مكانه فنسيت ثم ذكرت بعد ثلاث فجيت فاذا هو في مكانه فقال يا فتى لقد

شققت علي انا ها هنا منذ ثلاث انتظرك. وعن انس كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا اتي
بهدية قال اذهبوا بها الى بيت فلانة فانها كانت صديقة لخديجة انها كانت تحب
خديجة. وعن عايشة قالت ما غرت على امراة ما غرت على خديجة لما كنت اسمعه يذكرها
وان كان ليذبح الشاة فيهديها الى خلايلها. واستاذنت عليه اختها فارتاح اليها. ودخلت
عليه امراة فهش لها واحسن السوال عنها فلما خرجت قال انها كانت تاتينا ايام خديجة
وان حسن العهد من الايمان. ووصفه بعضهم فقال كان يصل ذوي رحمه من غير ان يوثرهم
على من هو افضل منهم. وقال صلى الله عليه وسلم ان ال ابي فلان ليسوا لي باوليا غير ان لهم رحما
سابلها ببلالها. وقد صلى عليه السلام بامامة ابنة ابنته زينب يحملها على عاتقه فاذا سجد
وضعها واذا قام حملها. وعن ابي قتادة وفد وفد للنجاشي فقام النبي صلى الله عليه وسلم يخدمهم
فقال له اصحابه نكفيك فقال انهم كانوا لاصحابنا مكرمين واني احب ان اكافيهم
ولما جي باخته من الرضاعة الشيما في سبايا هوازن وتعرفت له بسط لها رداه وقال
لها ان احببت اقمت عندي مكرمة محببة او متعتك ورجعت الى قومك فاختارت
قومها فمتعها. وقال ابو الطفيل رايت النبي صلى الله عليه وسلم وانا غلام اذ اقبلت امراة
حتى دنت منه فبسط لها رداه فجلست عليه فقلت من هذه قالوا امه التي ارضعته
وعن عمر بن السايب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان جالسا يوما فاقبل ابوه من الرضاعة
فوضع له بعض ثوبه فقعد عليه ثم اقبلت امه فوضع لها شق ثوبه من جانبه الاخر فجلست
عليه ثم اقبل اخوه من الرضاعة فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجلسه بين يديه. وفي
حديث خديجة رضي الله عنها انها قالت له صلى الله عليه وسلم ابشر فوالله لا يخزيك
الله ابدا انك لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقري الضيف وتعين
على نوايب الحق. **فصل** واما تواضعه صلى الله عليه وسلم على علو منصبه ورفعة رتبته
فكان اشد الناس تواضعا واقلهم كبرا وحسبك انه خير بين ان يكون نبيا ملكا او نبيا
عبدا فاختار ان يكون نبيا عبدا فقال له اسرافيل عند ذلك فان الله قد اعطاك بما تواضعت
له انك سيد ولد ادم يوم القيمة واول من تنشق الارض عنه واول شافع. حدثنا

ابو الوليد بن العواد الفقيه رحمه الله بقراتي عليه في منزله بقرطبة سنة سبع وخمس مائة حدثنا ابو علي الحافظ ثنا ابو عمر ثنا ابن عبد المومن ثنا ابن داسة ثنا ابو داود ثنا ابو بكر بن ابي شيبة ثنا عبد الله بن نمير عن مسعر عن ابي العنبس عن ابي مرزوق عن ابي غالب عن ابي امامة قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم متوكيا على عصى فقمنا له فقال لا تقوموا كما تقوم الاعاجم يعظم بعضها بعضا وقال انما انا عبد اكل كما ياكل العبد واجلس كما يجلس العبد وكان يركب الحمار ويردف خلفه ويعود المساكين ويجالس الفقراء ويجيب دعوة العبد ويجلس بين اصحابه مختلطا حيث ما انتهى به المجلس جلس وفي حديث عمر عنه لا تطروني كما اطرت النصارى ابن مريم انما انا عبد فقولوا عبد الله ورسوله وعن انس ان امراة كان في عقلها شي جاته فقالت ان لي اليك حاجة قال اجلسي يا ام فلان في اي طرق المدينة شيت اجلس اليك حتى اقضي حاجتك قال فجلست فجلس النبي صلى الله عليه وسلم اليها حتى فرغت من حاجتها قال انس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يركب الحمار ويجيب دعوة العبد وكان يوم بني قريظة على حمار مخطوم بحبل من ليف عليه اكاف قال وكان يدعى الى خبز الشعير والاهالة السنخة فيجيب قال وحج رسول الله صلى الله عليه وسلم على رحل رث وعليه قطيفة ما تساوي اربعة دراهم فقال اللهم اجعله حجا لا ريا فيه ولا سمعة هذا وقد فتحت عليه الارض واهدى في حجه ذلك مائة بدنة ولما فتحت عليه مكة ودخلها بجيوش المسلمين طاطا على رحله راسه حتى كاد يمس قادمته تواضعا لله تعالى ومن تواضعه صلى الله عليه وسلم قوله لا تفضلوني على يونس بن متى ولا تفضلوا بين الانبيا ولا تخيروني على موسى ونحن احق بالشك من ابرهيم ولو لبثت ما لبث يوسف في السجن لاجبت الداعي وقال للذي قال له يا خير البرية ذاك ابرهيم وسياتي الكلام على هذه الاحاديث بعد هذا ان شا الله تعالى وعن عايشة والحسن وابي سعيد وغيرهم في صفته وبعضهم يزيد على بعض كان في بيته في مهنة اهله يفلي ثوبه ويحلب شاته ويرقع ثوبه ويخصف نعله ويخدم نفسه ويقم البيت ويعقل البعير ويعلف ناضحه وياكل مع الخادم ويعجن معها ويحمل بضاعته من السوق وعن انس ان كانت الامة من اما المدينة لتاخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فتنطلق به حيث شات حتى يقضي حاجتها ودخل عليه رجل فاصابته من هيبته رعدة فقال له هون عليك فاني لست بملك انما انا ابن امراة من قريش تاكل القديد وعن ابي هريرة دخلت السوق مع النبي صلى الله عليه وسلم فاشترى سراويل وقال للوزان زن وارجح وذكر القصة قال فوثب الى يد النبي يقبلها فجذب يده وقال هذا تفعله الاعاجم بملوكها ولست بملك انما انا رجل منكم ثم اخذ السراويل فذهبت لاحمله فقال صاحب الشي احق بشيه ان يحمله

فصل

واما عدله صلى الله عليه وسلم وامانته وعفته وصدق لهجته فكان صلى الله عليه وسلم امن الناس واعدل الناس واعف الناس واصدقهم لهجة منذ كان اعترف له بذلك محادوه وعداه وكان يسمى قبل نبوته الامين قال ابن اسحق كان يسمى الامين بما جمع الله فيه من الاخلاق الصالحة وقال تعالى مطاع ثم امين اكثر المفسرين على انه محمد صلى الله عليه وسلم ولما اختلفت قريش وتحازبت عند بنا الكعبة فيمن يضع الحجر حكموا اول داخل عليهم فاذا بالنبي صلى الله عليه وسلم داخل وذلك قبل نبوته فقالوا هذا محمد هذا الامين قد رضينا به وعن الربيع بن خثيم كان يتحاكم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجاهلية قبل الاسلام وقال صلى الله عليه وسلم والله اني لامين في السما امين في الارض حدثنا ابو علي الصدفي الحافظ بقراتي عليه ثنا ابو الفضل بن خيرون ثنا ابو يعلى بن زوج الحرة ثنا ابو علي السنجي ثنا محمد بن محبوب المروزي ثنا ابو عيسى الحافظ ثنا ابو كريب ثنا معوية بن هشام عن سفين عن ابي اسحق عن ناجية بن كعب عن علي ان ابا جهل قال للنبي صلى الله عليه وسلم انا لا نكذبك ولكن نكذب بما جيت به فانزل الله تعالى فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين الاية وروى غيره لا نكذبك وما انت فينا بمكذب وقيل ان الاخنس بن شريق لقي ابا جهل يوم بدر فقال له يا ابا الحكم ليس هنا غيري وغيرك يسمع كلامنا تخبرني عن محمد صادق ام كاذب فقال ابو جهل والله ان محمدا لصادق وما كذب محمد قط وسال هرقل عنه ابا سفين فقال هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل ان يقول ما قال قال لا وقال النضر ابن الحارث لقريش قد كان محمد فيكم غلاما حدثا ارضاكم فيكم واصدقكم حديثا واعظمكم

امانه حتى اذا رايتم في صدغيه الشيب وجاءكم بما جاءكم به قلتم ساحر لا والله ما
هو بساحر وفي الحديث عنه ما لمست يده يد امراة قط لا يملك رقها وفي حديث
علي في وصفه عليه السلام اصدق الناس لهجة وقال في الصحيح ويحك فمن يعدل ان لم اعدل
خبت وخسرت ان لم اعدل قالت عائشة ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم في امرين
الا اختار ايسرهما ما لم يكن اثما فان كان اثما كان ابعد الناس منه قال ابو العباس المبرد
قسم كسرى ايامه فقال يصلح يوم الريح للنوم ويوم الغيم للصيد ويوم المطر للشرب واللهو
ويوم الشمس للحوائج قال ابن خالويه ما كان اعرفهم بسياسة دنياهم يعلمون ظاهرا من الحياة
الدنيا وهم عن الاخرة هم غافلون لكن نبينا صلى الله عليه وسلم جزا نهاره ثلاثة اجزاء جزءا
لله وجزءا لاهله وجزءا لنفسه ثم جزا جزءه بينه وبين الناس فكان يستعين بالخاصة
على العامة ويقول ابلغوا حاجة من لا يستطيع ابلاغي فانه من ابلغ حاجة من لا يستطيع امنه
الله يوم الفزع الاكبر وعن الحسن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ياخذ احدا بقرف
احد ولا يصدق احدا على احد وذكر ابو جعفر الطبري عن علي عنه عليه السلام ما هممت بشيء
مما كان اهل الجاهلية يعملون به غير مرتين كل ذلك يحول الله بيني وبين ما اريد من ذلك ثم ما هممت
بسوء حتى اكرمني الله برسالته قلت ليلة لغلام كان يرعى معي لو ابصرت لي غنمي حتى ادخل
مكة فاسمر بها كما يسمر الشباب فخرجت لذلك حتى جئت اول دار من مكة سمعت عزفا
بالدفوف والمزامير لعرس بعضهم فجلست انظر فضرب على اذني فنمت فما ايقظني الا مس
الشمس فرجعت ولم اقض شيئا ثم عراني مرة اخرى مثل ذلك ثم لم اهم بعد ذلك بسوء

فصل واما وقاره صلى الله عليه وسلم وصمته وتؤدته ومروته وحسن هديه
فحدثنا ابو علي الجياني الحافظ اجازة وعارضت بكتابه قال نا ابو العباس الدلائي نا
ابو ذر الهروي نا ابو عبد الله الوراق نا اللؤلؤي نا ابو داود نا عبد الرحمن بن سلام
نا حجاج بن محمد عن عبد الرحمن بن ابي الزناد عن عمر بن عبد العزيز بن وهيب قال سمعت خارجة
ابن زيد يقول كان النبي صلى الله عليه وسلم اوقر الناس في مجلسه لا يكاد يخرج شيئا من اطرافه
وروى ابو سعيد الخدري كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا جلس في المجلس احتبى بيديه
وكذلك

وكذلك كان اكثر جلوسه صلى الله عليه وسلم محتبيا وعن جابر بن سمرة انه تربع وربما
جلس القرفصا وهو في حديث قيلة وكان كثير السكوت لا يتكلم في غير حاجة يعرض
عمن تكلم بغير جميل وكان ضحكه تبسما وكلامه فصلا لا فضول ولا تقصير وكان ضحك
اصحابه عنده التبسم توقيرا له واقتداء به مجلسه مجلس حلم وحياء وخير وامانة لا ترفع
فيه الاصوات ولا تؤبن فيه الحرم اذا تكلم اطرق جلساؤه كانما على رؤوسهم الطير وفي
صفته يخطو تكفؤا ويمشي هونا كانما ينحط من صبب وفي الحديث الاخر اذا مشى مشى
مجتمعا يعرف في مشيته انه غير غرض ولا وكل اي غير ضجر ولا كسلان وقال
عبد الله بن مسعود ان احسن الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم وعن جابر بن عبد الله كان
في كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم ترتيل او ترسيل قال ابن ابي هالة كان سكوته على اربع
على الحلم والحذر والتقدير والتفكر قالت عائشة كان صلى الله عليه وسلم يحدث حديثا
لو عده العاد احصاه وكان صلى الله عليه وسلم يحب الطيب والرائحة الحسنة ويستعملهما
كثيرا ويحض عليهما ويقول حبب الي من دنياكم النساء والطيب وجعلت قرة عيني في الصلاة
ومن مروته صلى الله عليه وسلم نهيه عن النفخ في الطعام والشراب والامر بالاكل مما يلي والامر
بالسواك وانقاء البراجم والرواجب واستعمال خصال الفطرة **فصل** واما زهده
في الدنيا فقد تقدم من الاخبار اثناء هذه السيرة ما يكفي وحسبك من تقلله منها واعراضه
عن زهرتها وقد سيقت اليه بحذافيرها وترادفت عليه فتوحها ان توفي صلى الله عليه وسلم
ودرعه مرهونة عند يهودي في نفقة عياله وهو يدعو ويقول اللهم اجعل رزق ال محمد
قوتا حدثنا سفيان بن العاصي والحسين بن محمد الحافظ والقاضي ابو عبد الله التميمي قالوا
نا احمد بن عمر نا ابو العباس الرازي نا ابو احمد الجلودي نا ابن سفيان نا ابو الحسين بن الحجاج
نا ابو بكر بن ابي شيبة نا ابو معوية عن الاعمش عن ابرهيم عن الاسود عن عائشة قالت ما شبع
رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة ايام تباعا من خبز حتى مضى لسبيله وفي رواية اخرى
من خبز شعير يومين متوالين ولو شاء لاعطاه ما لا يخطر ببال وفي رواية اخرى ما شبع
ال رسول الله صلى الله عليه وسلم من خبز بر حتى لقي الله وقالت عائشة ما ترك رسول الله

صلى الله عليه وسلم دينارا ولا درهما ولا شاة ولا بعيرا وفي حديث عمرو بن الحرث ما
ترك الا سلاحه وبغلته وارضا جعلها صدقة قالت عايشة ولقد مات وما في بيتي شي
ياكله ذو كبد الا شطر شعير في رف لي وقال لي اني عرض علي ان تجعل لي بطحا مكة
ذهبا فقلت لا يا رب اجوع يوما واشبع يوما فاما اليوم الذي اجوع فيه فاتضرع اليك
وادعوك واما اليوم الذي اشبع فاحمدك واثني عليك وفي حديث اخر ان جبريل نزل عليه
فقال له ان الله يقرئك السلام ويقول لك اتحب ان اجعل هذه الجبال ذهبا وتكون معك حيث
ما كنت فاطرق ساعة ثم قال يا جبريل ان الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له قد يجمعها
من لا عقل له فقال له جبريل ثبتك الله يا محمد بالقول الثابت وعن عايشة ان كنا ال محمد
لنمكث شهرا ما نستوقد نارا ان هو الا التمر والماء وعن عبد الرحمن بن عوف مات رسول الله
صلى الله عليه وسلم ولم يشبع هو واهل بيته من خبز الشعير وعن عايشة وابي امامة وابن
عباس نحوه قال ابن عباس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبيت هو واهله الليالي المتتابعة
لا يجدون عشاء وعن انس قال ما اكل رسول الله صلى الله عليه وسلم على خوان ولا في سكرجة
ولا خبز له مرقق ولا راى شاة سميطا قط وعن عايشة انما كان فراشه الذي ينام عليه
ادما حشوه ليف وعن حفصة كان فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيتي مسحا
نثنيه ثنيتين فينام عليه فثنيناه له ليلة باربع فلما اصبح قال ما فرشتموني الليلة
فذكرنا ذلك له فقال ردوه لحاله فان وطاته منعتني الليلة صلاتي وكان ينام احيانا
على سرير مرمول بالشريط حتى يوثر في جنبه وعن عايشة قالت لم يمتلئ جوف النبي صلى الله
عليه وسلم شبعا قط ولم يبث شكوى الى احد وكانت الفاقة احب اليه من الغنى وان
كان ليظل جايعا يلتوي طول ليلته من الجوع فلا يمنعه صيام يومه ولو شا سال ربه جميع
كنوز الارض وثمارها ورغد عيشها ولقد كنت ابكي له رحمة مما ارى به وامسح بيدي على بطنه
مما به من الجوع واقول نفسي لك الفدا لو تبلغت من الدنيا بما يقوتك فيقول يا عايشة
ما لي وللدنيا اخواني من اولي العزم من الرسل صبروا على ما هو اشد من هذا فمضوا على حالهم
فقدموا على ربهم فاكرم مابهم واجزل ثوابهم فاجدني استحيي ان ترفهت في معيشتي

ان يقصر بي غدا دونهم وما من شي هو احب الي من اللحوق باخواني واخلائي قالت فما اقام
بعد الا شهرا حتى توفي صلى الله عليه وسلم

فصل واما خوفه ربه وطاعته له
وشدة عبادته فعلى قدر علمه بربه ولذلك قال فيما حدثنا ابو محمد بن عتاب قراءة مني
عليه نا ابو القسم الطرابلسي نا ابو الحسن القابسي نا ابو زيد المروزي نا ابو عبد الله الفربري
نا محمد بن اسمعيل نا يحيى بن بكير عن الليث عن عقيل عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب
ان ابا هريرة كان يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا
ولبكيتم كثيرا زاد في روايتنا عن ابي عيسى الترمذي رفعه الى ابي ذر اني ارى ما لا ترون
واسمع ما لا تسمعون اطت السما وحق لها ان تيط ما فيها موضع اربع اصابع الا وملك
واضع جبهته ساجدا لله والله لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وما
تلذذتم بالنسا على الفرش ولخرجتم الى الصعدات تجارون الى الله لوددت اني شجرة تعضد
روي هذا الكلام وددت اني شجرة تعضد من قول ابي ذر نفسه وهو اصح وفي حديث
المغيرة صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتفخت قدماه وفي رواية كان يصلي حتى ترم
قدماه فقيل له اتكلف هذا وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر قال افلا اكون
عبدا شكورا ونحوه عن ابي سلمة وابي هريرة وقالت عايشة كان عمل رسول الله صلى الله عليه
وسلم ديمة وايكم يطيق ما كان يطيق وقالت كان يصوم حتى نقول لا يفطر ويفطر حتى نقول
لا يصوم ونحوه عن ابن عباس وام سلمة وانس وقال كنت لا تشا ان تراه من الليل مصليا
الا رايته مصليا ولا نايما الا رايته نايما وقال عوف بن مالك كنت مع رسول الله صلى
الله عليه وسلم ليلة فاستاك ثم توضا ثم قام يصلي فقمت معه فبدا فاستفتح البقرة
فلا يمر باية رحمة الا وقف فسال ولا يمر باية عذاب الا وقف فتعوذ ثم ركع فمكث
بقدر قيامه يقول سبحان ذي الجبروت والملكوت والعظمة ثم سجد وقال مثل
ذلك ثم قرا ال عمران ثم سورة سورة يفعل مثل ذلك وعن حذيفة مثله وقال سجد
نحوا من قيامه وجلس بين السجدتين نحوا منه وقال حتى قرا البقرة وال عمران والنسا والمايدة
وعن عايشة قام رسول الله صلى الله عليه وسلم باية من القران ليلة وعن عبد الله بن الشخير

أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي ولجوفه ازيز كازيز المرجل قال ابن ابي
هالة كان صلى الله عليه وسلم متواصل الاحزان دايم الفكرة ليست له راحة وقال
عليه السلام إني لاستغفر الله في اليوم مائة مرة وروي سبعين مرة وعن علي رضي
الله عنه قال سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن سنته فقال المعرفة راس مالي
والعقل اصل ديني والحب اساسي والشوق مركبي وذكر الله انيسي والثقة كنزي والحزن
رفيقي والعلم سلاحي والصبر ردائي والرضى غنيمتي والعجز فخري والزهد حرفتي
واليقين قوتي والصدق شفيعي والطاعة حسبي والجهاد خلقي وقرة عيني في الصلاة
وفي حديث اخر وثمرة فوادي في ذكره وغمي لاجل امتي وشوقي الى ربي **فصل**
اعلم وفقنا الله واياك ان صفات جميع الانبيا والرسل صلوات الله عليهم من كمال
الخلق وحسن الصورة وشرف النسب وحسن الخلق وجميع المحاسن هي هذه الصفات
لانها صفات الكمال والكمال والتمام البشري والفضل الجميع لهم صلوات الله عليهم
اذ رتبتهم اشرف الرتب ودرجاتهم ارفع الدرجات ولكن فضل الله بعضهم على
بعض قال الله تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض وقال ولقد اخترناهم على علم على
العالمين وقد قال عليه السلام اول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر
ثم قال اخر الحديث على خلق رجل واحد على صورة ابيهم ادم عليه السلام طوله ستون
ذراعا في السما وفي حديث ابي هريرة رايت موسى فاذا رجل ضرب رجل كانه
من رجال شنوءة ورايت عيسى فاذا هو رجل ربعة كثير خيلان الوجه احمر كانما
خرج من ديماس وفي حديث اخر مبطن مثل السيف قال وانا اشبه ولد ابرهيم به
وقال في حديث اخر في صفة موسى كاحسن ما انت راي من ادم الرجال وفي حديث
ابي هريرة عنه صلى الله عليه وسلم ما بعث الله تعالى من بعد لوط نبيا الا في ذروة
من قومه ويروى ثروة اي كثرة ومنعة وحكى الترمذي عن قتادة وروا
الدارقطني من حديث قتادة عن انس ما بعث الله نبيا الا حسن الوجه حسن الصوت
وكان نبيكم احسنهم وجها واحسنهم صوتا وفي حديث هرقل وسالتك عن نسبه

فذكرت انه فيكم ذو نسب وكذلك الرسل تبعث في انساب قومها وقال
تعالى في ايوب انا وجدناه صابرا نعم العبد انه اواب وقال تعالى يا يحيى خذ الكتاب
بقوة الى قوله ويوم يبعث حيا وقال ان الله يبشرك بيحيى الى الصالحين وقال
ان الله اصطفى ادم ونوحا وال ابرهيم وال عمران الايتين وقال في نوح انه كان عبدا
شكورا وقال ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح الى الصالحين وقال اني عبد الله
اتاني الكتاب الى ما دمت حيا وقال يا ايها الذين امنوا لا تكونوا كالذين اذوا موسى
الاية وقال النبي صلى الله عليه وسلم كان موسى رجلا حييا ستيرا ما يرى من جسده
شي استحيا الحديث وقال تعالى عنه فوهب لي ربي حكما الاية وقال في وصف
جماعة منهم اني لكم رسول امين وقال ان خير من استاجرت القوي الامين وقال
فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل وقال ووهبنا له اسحق ويعقوب كلا هدينا
الى قوله فبهداهم اقتده فوصفهم باوصاف جمة من الصلاح والهدى والاجتبا والحكم
والنبوة وقال فبشرناه بغلام عليم وحليم وقال ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون
وجاءهم رسول كريم الى امين وقال ستجدني ان شا الله من الصابرين وقال في
اسمعيل انه كان صادق الوعد الايتين وفي موسى انه كان مخلصا وفي سليمن نعم العبد
انه اواب وقال واذكر عبادنا ابرهيم واسحق ويعقوب اولي الايدي والابصار الى
الاخيار وفي داود انه اواب ثم قال وشددنا ملكه واتيناه الحكمة وفصل
الخطاب وقال عن يوسف اجعلني على خزاين الارض اني حفيظ عليم وفي موسى ستجدني
ان شا الله صابرا وقال وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه ان اريد الا الاصلاح
ما استطعت وقال ولوطا اتيناه حكما وعلما وقال انهم كانوا يسارعون في الخيرات
الاية قال سفين هو الحزن الدايم وفي اي كثيرة ذكر فيها من خصالهم ومحاسن
اخلاقهم الدالة على كمالهم وجاء من ذلك في الاحاديث كثير كقوله انما الكريم
ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابرهيم نبي ابن نبي ابن نبي ابن نبي
وفي حديث انس وكذلك الانبيا تنام اعينهم ولا تنام قلوبهم وروي ان

سليمن كان مع ما اعطي من الملك لا يرفع بصره الى السماء تخشعا وتواضعا لله
وكان يطعم الناس لذايذ الاطعمة وياكل خبز الشعير واوحى اليه يا راس العابدين وابن
محجة الزاهدين وكانت العجوز تعترضه وهو على الريح في جنوده فيامر الريح فتقف
فينظر في حاجتها ويمضي وقيل ليوسف مالك تجوع وانت على خزاين الارض قال اخاف ان
اشبع فانسى الجايع وروى ابو هريرة عنه عليه السلام خفف على داود القران فكان
يامر بدوابه فتسرج فيقرا القران قبل ان تسرج ولا ياكل الا من عمل يده قال الله
تعالى والنا له الحديد ان اعمل سابغات وقدر في السرد وكان سال ربه ان يرزقه عملا
بيده يغنيه عن بيت مال الله وقال عليه السلام احب الصلاة الى الله صلاة داود واحب
الصيام الى الله صيام داود كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه ويصوم يوما
ويفطر يوما وكان يلبس الصوف ويفترش الشعر وياكل خبز الشعير بالملح والرماد
ويمزج شرابه بالدموع ولم ير ضاحكا بعد الخطيئة ولا شاخصا ببصره الى السماء حياء
من ربه ولم يزل باكيا حياته كلها وقيل بكى حتى نبت العشب من دموعه وحتى اتخذت
الدموع في خده اخدودا وقيل كان يخرج متنكرا يتعرف سيرته فيسمع الثنا عليه
فيزداد تواضعا وقيل لعيسى عليه السلام لو اتخذت حمارا فقال انا اكرم على الله من ان
يشغلني بحمار وكان يلبس الشعر وياكل الشجر ولم يكن له بيت اينما ادركه النوم نام
وكان احب الاسامي اليه ان يقال له مسكين وقيل ان موسى عليه السلام لما ورد ما
مدين كانت ترى خضرة البقل في بطنه من الهزال وقال عليه السلام لقد كان الانبيا
قبلي يبتلى احدهم بالفقر والقمل وكان ذلك احب اليهم من العطا اليكم وقال عيسى عليه
السلام لخنزير لقيه اذهب بسلام فقيل له في ذلك فقال اكره ان اعود لساني النطق
بسوء وقال مجاهد كان طعام يحيى العشب وكان يبكي من خشية الله حتى اتخذ الدمع
مجرى في خده وكان ياكل مع الوحش لئلا يخالط الناس وحكى الطبري عن وهب ان موسى
كان يستظل بعريش وياكل في نقرة من حجر ويكرع فيها اذا اراد ان يشرب كما تكرع الدابة
تواضعا لله بما اكرمه به من كلامه واخبارهم في هذا كله مسطورة وصفاتهم في الكمال

وجميل الاخلاق وحسن الصور والشمايل معروفة مشهورة فلا نطول بها ولا نلتفت
الى ما تجده في بعض كتب المورخين والمفسرين مما يخالف هذا **فصل** قد اتيناك اكرمك
الله من ذكر الاخلاق الحميدة والفضايل المجيدة وخصال الكمال العديدة واريناك صحتها له صلى الله
عليه وسلم وجلبنا من الاثار ما فيه مقنع والامر اوسع فمجال هذا الباب في حقه صلى الله
عليه وسلم ممتد تنقطع دون نفاده الادلا وبحر علم خصايصه زاخر لا تكدره الدلا
ولكنا اتينا فيه بالمعروف مما اكثره في الصحيح والمشهور من المصنفات واقتصرنا في ذلك
بقليل من كثير وغيض من فيض ورأينا ان نختم هذه الفصول بذكر حديث ابن ابي هالة لجمعه
من شمايله واوصافه كثيرا وادماجه جملة كافية من سيره وفضايله ونصله بتنبيه
لطيف على غريبه ومشكله حدثنا القاضي ابو علي الحسين بن محمد الحافظ رحمه الله
بقراتي عليه سنة ثمان وخمس مايه ثنا الامام ابو القسم عبد الله بن طاهر التميمي قرات عليه
اخبركم الفقيه الاديب ابو بكر محمد بن عبد الله بن الحسن النيسابوري والشيخ الفقيه ابو عبد الله
محمد بن احمد بن الحسن المحمدي والقاضي ابو علي الحسن بن علي بن جعفر الوخشي قالوا ثنا
ابو القسم علي بن احمد بن محمد بن الحسن الخزاعي اخبرنا ابو سعيد الهيثم بن كليب الشاشي
اخبرنا ابو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الحافظ ثنا سفين بن وكيع ثنا جميع بن عمر بن عبد الرحمن
العجلي املاء من كتابه حدثني رجل من بني تميم من ولد ابي هالة زوج خديجة ام
المومنين رضي الله عنها يكنى ابا عبد الله عن ابن لابي هالة عن الحسن بن علي بن ابي طالب
رضي الله عنه قال سالت خالي هند بن ابي هالة قال القاضي ابو علي رحمه الله وقرات
على الشيخ ابي طاهر احمد بن الحسن بن احمد بن خداداذ الباقلاني الكرجي قال واجاز
لنا الشيخ الاجل ابو الفضل احمد بن الحسن بن خيرون قالا اخبرنا ابو علي الحسن بن احمد بن ابرهيم
ابن الحسن بن محمد بن شاذان بن حرب بن مهران الفارسي قراءة عليه فاقر به اخبرنا
ابو محمد الحسن بن محمد بن يحيى بن الحسن بن جعفر بن عبيد الله بن الحسين بن علي بن الحسين بن علي بن
ابي طالب المعروف بابن اخي طاهر العلوي حدثنا اسمعيل بن محمد بن اسحق بن جعفر بن محمد
ابن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب قال حدثني علي بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين عن اخيه

بعض جمله
خصايصه صح
الحسن عن
قال

موسى بن جعفر عن جعفر بن محمد عن أبيه محمد بن علي عن علي بن الحسين قال قال الحسن بن علي
واللفظ لهذا السند سألت خالي هند بن أبي هالة عن حلية رسول الله صلى الله
عليه وسلم وكان وصافا وأنا أرجو أن يصف لي منها شيئا أتعلق به قال كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم فخما مفخما يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر أطول
من المربوع وأقصر من المشذب عظيم الهامة رجل الشعر إن انفرقت عقيقته فرق
وإلا فلا يجاوز شعره شحمة أذنيه إذا هو وفره أزهر اللون واسع الجبين أزج
الحواجب سوابغ من غير قرن بينهما عرق يدره الغضب أقنى العرنين له نور يعلوه
يحسبه من لم يتأمله أشم كث اللحية أدعج سهل الخدين ضليع الفم أشنب
مفلج الأسنان دقيق المسربة كأن عنقه جيد دمية في صفاء الفضة معتدل
الخلق بادنا متماسكا سواء البطن والصدر مشيح الصدر بعيد ما بين المنكبين ضخم
الكراديس أنور المتجرد موصول ما بين اللبة والسرة بشعر يجري كالخط عاري
الثديين ما سوى ذلك أشعر الذراعين والمنكبين وأعالي الصدر طويل الزندين رحب
الراحة شثن الكفين والقدمين سائل الأطراف أو قال سائن الأطراف سبط العصب
خمصان الأخمصين مسيح القدمين ينبو عنهما الماء إذا زال زال تقلعا ويخطو
تكفؤا ويمشي هونا ذريع المشية إذا مشى كأنما ينحط من صبب وإذا التفت
التفت جميعا خافض الطرف نظره إلى الأرض أطول من نظره إلى السماء جل نظره
الملاحظة يسوق أصحابه ويبدأ من لقيه بالسلام قلت صف لي منطقه
قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم متواصل الأحزان دائم الفكرة ليست له راحة
ولا يتكلم في غير حاجة طويل السكوت يفتتح الكلام ويختمه بأشداقه
ويتكلم بجوامع الكلم فصلا لا فضول فيه ولا تقصير دمثا ليس بالجافي ولا المهين
يعظم النعمة وإن دقت لا يذم شيئا لم يكن يذم ذواقا ولا يمدحه ولا يقام
لغضبه إذا تعرض للحق بشيء حتى ينتصر له ولا يغضب لنفسه ولا ينتصر لها إذا
أشار أشار بكفه كلها وإذا تعجب قلبها وإذا تحدث اتصل بها فضرب بإبهامه

وقف الله

باطن راحته اليسرى وإذا غضب أعرض وأشاح وإذا فرح غض طرفه
جل ضحكه التبسم ويفتر عن مثل حب الغمام قال أبو الحسن فكتمتها الحسين بن علي
زمانا ثم حدثته فوجدته قد سبقني إليه فسأل أباه عن مدخل رسول الله صلى الله
عليه وسلم ومخرجه ومجلسه وشكله فلم يدع منه شيئا قال الحسين سألت أبي
عليه السلام عن دخول رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كان دخوله لنفسه مأذونا
له في ذلك فكان إذا أوى إلى منزله جزأ دخوله ثلاثة أجزاء جزءا لله تعالى وجزءا
لأهله وجزءا لنفسه ثم جزأ جزأه بينه وبين الناس فيرد ذلك على العامة بالخاصة
ولا يدخر عنهم شيئا فكان من سيرته في جزء الأمة إيثار أهل الفضل بإذنه وقسمه
على قدر فضلهم في الدين فمنهم ذو الحاجة ومنهم ذو الحاجتين ومنهم ذو
الحوائج فيتشاغل بهم ويشغلهم فيما أصلحهم والأمة من مسألته عنهم وإخبارهم
بالذي ينبغي لهم ويقول ليبلغ الشاهد منكم الغائب وأبلغوني حاجة من لا يستطيع
إبلاغي حاجته فإنه من أبلغ سلطانا حاجة من لا يستطيع إبلاغها ثبت الله قدميه يوم
القيامة لا يذكر عنده إلا ذلك ولا يقبل من أحد غيره قال في حديث سفين بن وكيع
يدخلون روادا ولا يفترقون إلا عن ذواق ويخرجون أدلة يعني فقهاء قلت
فأخبرني عن مخرجه كيف كان يصنع فيه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخزن لسانه
إلا مما يعنيهم ويؤلفهم ولا ينفرهم يكرم كريم كل قوم ويوليه عليهم ويحذر
الناس ويحترس منهم من غير أن يطوي عن أحد بشره وخلقه ويتفقد أصحابه ويسأل
الناس عما في الناس ويحسن الحسن ويصوبه ويقبح القبيح ويوهنه معتدل الأمر
غير مختلف لا يغفل مخافة أن يغفلوا أو يملوا لكل حال عنده عتاد لا يقصر عن الحق
ولا يجاوزه الذين يلونه من الناس خيارهم أفضلهم عنده أعمهم نصيحة
وأعظمهم عنده منزلة أحسنهم مواساة ومؤازرة فسألته عن مجلسه عما كان يصنع
فيه فقال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يجلس ولا يقوم إلا على ذكر ولا يوطن الأماكن
وينهى عن إيطانها وإذا انتهى إلى قوم جلس حيث ينتهي به المجلس ويأمر بذلك ويعطي كل

ليبلغ
إبلاغ حاجته

جلسايه نصيبه حتى لا يحسب جليسه ان احدا اكرم عليه منه من جالسه او قاومه لحاجة صابره حتى يكون هو المنصرف عنه من ساله حاجة لم يرده الا بها او بميسور من القول قد وسع الناس بسطه وخلقه فصار لهم ابا وصاروا عنده في الحق متقاربين متفاضلين فيه بالتقوى وفي الرواية الاخرى صاروا عنده في الحق سوا مجلسه مجلس حلم وحيا وصبر وامانة لا ترفع فيه الاصوات ولا تؤبن فيه الحرم ولا تثنى فلتاته وهذه الكلمة من غير الروايتين يتعاطفون بالتقوى متواضعين يوقرون فيه الكبير ويرحمون الصغير ويرفدون ذا الحاجة ويرحمون الغريب فسالته عن سيرته صلى الله عليه وسلم في جلسايه فقال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم دايم البشر سهل الخلق لين الجانب ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب ولا فاحش ولا عياب ولا مداح يتغافل عما لا يشتهي ولا يوبس منه قد ترك نفسه من ثلاث الريا والاكثار وما لا يعنيه وترك الناس من ثلاث كان لا يذم احدا ولا يعيبه ولا يطلب عورته ولا يتكلم الا فيما يرجو ثوابه اذا تكلم اطرق جلساوه كانما على روسهم الطير واذا سكت تكلموا لا يتنازعون عنده الحديث من تكلم عنده انصتوا له حتى يفرغ حديثهم حديث اولهم يضحك مما يضحكون منه ويعجب مما يعجبون منه ويصبر للغريب على الجفوة في المنطق ويقول اذا رايتم صاحب الحاجة يطلبها فارفدوه ولا يطلب الثنا الا من مكافي ولا يقطع على احد حديثه حتى يجوزه فيقطعه بانتها او قيام هنا انتهى حديث سفين بن وكيع وزاد الاخر قلت كيف كان سكوته صلى الله عليه وسلم قال سكوته على اربع على الحلم والحذر والتقدير والتفكر فاما تقديره ففي تسوية النظر والاستماع بين الناس واما تفكره ففيما يبقى ويفنى وجمع له الحلم صلى الله عليه وسلم في الصبر فكان لا يغضبه شي يستفزه وجمع له في الحذر اربع اخذه بالحسن ليقتدي به وتركه القبيح لينتهى عنه واجتهاد الراي بما اصلح امته والقيام لهم بما جمع لهم امر الدنيا والاخرة انتهى الوصف بحمد الله وعونه

فصل في تفسير غريب هذا الحديث ومشكله قوله المشذب اي البائن الطول في نحافة وهو مثل قوله في الحديث

الاخر ليس بالطويل الممغط والشعر الرجل الذي كانه مشط فتكسر قليلا ليس بسبط ولا جعد والعقيقة شعر الراس اراد ان انفرقت من ذات نفسها فرقها والا تركها معقوصة ويروى عقيصته وازهر اللون نيره وقيل ازهر حسن ومنه زهرة الحيوة الدنيا اي زينتها وهذا كما قال في الحديث الاخر ليس بالابيض الامهق ولا بالادم والامهق هو الناصع البياض والادم الاسمر اللون ومثله في الحديث الاخر ابيض مشرب اي فيه حمرة والحاجب الازج المقوس الطويل الوافر الشعر والاقنى الانف المرتفع وسطه والاشم الطويل قصبة الانف والقرن اتصال شعر الحاجبين وضده البلج ووقع في حديث ام معبد وصفه بالقرن والادعج الشديد سواد الحدقة وفي الحديث الاخر اشكل العين واسجر العين وهو الذي في بياضها حمرة والضليع الواسع والشنب رونق الاسنان وماوها وقيل رقتها وتحزيز فيها كما يوجد في اسنان الشباب والفلج فرق بين الثنايا ودقيق المسربة خيط الشعر الذي بين الصدر والسرة بادن ذو لحم متماسك معتدل الخلق يمسك بعضه بعضا مثل قوله في الحديث الاخر لم يكن بالمطهم ولا بالمكلثم اي ليس بمسترخي اللحم والمكلثم القصير الذقن وسوا البطن والصدر اي مستويهما ومشيح الصدر ان صحت هذه اللفظة فتكون من الاقبال وهو احد معاني اشاح اي انه كان بادي الصدر ولم يكن في صدره قعس وهو تطامن فيه وبه يتضح قوله قبل سوا البطن والصدر اي ليس بمتقاعس الصدر ولا مفاض البطن ولعل اللفظ مسيح بالسين وفتح الميم بمعنى عريض كما وقع في الرواية الاخرى وحكاه ابن دريد والكراديس روس العظام وهو مثل قوله في الحديث الاخر جليل المشاش والكتد والمشاش روس المناكب والكتد مجتمع الكتفين وشثن الكفين والقدمين لحيمهما والزندان عظما الذراعين وسايل الاطراف اي طويل الاصابع وذكر ابن الانباري انه روى سايل الاطراف او قال ساين الاطراف بالنون قال وهما بمعنى تبدل اللام من النون ان صحت الرواية بها واما على الرواية الاخرى وساين الاطراف فاشارة الى فخامة جوارحه كما وقعت مفصلة في الحديث

فيه صح · ويتعجب خ · كان · بين الخصم · وقيل ازهر حسن ومنه زهرة الحياة الدنيا اي زينتها · دقتها خ · أشاح

ورحب الراحة اي واسعها وقيل كني بها عن سعة العطاء والجود. خمصان الاخمصين اي متجافي اخمص القدم وهو الموضع الذي لا تناله الارض من وسط القدم. ومسيح القدمين اي املسهما ولهذا قال ينبو عنهما الماء وفي حديث ابي هريرة خلاف هذا قال فيه اذا وطئ بقدمه وطئ بكلها ليس له اخمص وهذا يوافق معنى قوله مسيح القدمين وبه قالوا سمي المسيح عيسى بن مريم اي لم يكن له اخمص وقيل مسيح لا لحم عليهما وهذا ايضا يخالف قوله شثن القدمين والتقلع رفع الرجل بقوة والتكفؤ الميل الى سنن المشي وقصده والهون الرفق والوقار والذريع الواسع الخطو اي ان مشيه كان يرفع فيه رجليه بسرعة ويمد خطوه خلاف مشية المختال ويقصد سمته وكل ذلك برفق وتثبت دون عجلة كما قال كانما ينحط من صبب وقوله يفتتح الكلام ويختتمه باشداقه لسعة فمه والعرب تتمادح بهذا وتذم بصغر الفم واشاح مال وانقبض وحب الغمام البرد وقوله فيرد ذلك بالخاصة على العامة اي جعل من جزء نفسه ما يوصل الخاصة اليه فتوصل عنه للعامة وقيل يجعل منه للخاصة ثم يبدلها في جزء اخر بالعامة ويدخلون روادا اي محتاجين اليه وطالبين لما عنده ولا يتفرقون الا عن ذواق قيل عن علم يتعلمونه ويشبه ان يكون على ظاهره اي في الغالب والاكثر والعتاد العدة والشيء الحاضر المعد والموازرة المعاونة وقوله لا يوطن الاماكن اي لا يتخذ لمصلاه موضعا معلوما وقد ورد نهيه عن هذا مفسرا في غير هذا الحديث وصابره اي حبس نفسه على ما يريد صاحبه ولا تؤبن فيه الحرم اي لا يذكرن بسوء ولا تنثى فلتاته اي لا يتحدث بها اي لم تكن فيه فلتة وان كانت من احد سترت ويرفدون يعينون والسخاب الكثير الصياح وقوله ولا يقبل الثناء الا من مكافئ قيل مقتصد في ثنائه ومدحه وقيل الا من مسلم وقيل الا من مكافئ على يد سبقت من النبي صلى الله عليه وسلم له ويستفزه يستخفه وفي حديث اخر في وصفه منهوس العقب اي قليل لحمها واهدب الاشفار اي طويل شعرها

الباب الثالث فيما ورد من صحيح الاخبار ومشهورها بعظيم قدره عند ربه ومنزلته وما خصه به في الدارين من كرامته صلى الله عليه وسلم. لا خلاف انه اكرم البشر وسيد ولد آدم وافضل الناس منزلة عند الله واعلاهم درجة واقربهم زلفى. واعلم ان الاحاديث الواردة في ذلك كثيرة جدا وقد اقتصرنا منها على صحيحها ومنتشرها وحصرنا معاني ما ورد منها في اثني عشر فصلا.

الفصل الاول فيما ورد من ذكر مكانته عند ربه والاصطفاء ورفعة الذكر والتفضيل وسيادة ولد آدم وما خصه به في الدنيا من مزايا الرتب وبركة اسمه الطيب. اخبرنا الشيخ ابو محمد عبد الله بن احمد العدل اذنا بلفظه ثنا ابو الحسن الفرغاني قال حدثتنا ام القسم بنت ابي بكر بن يعقوب عن ابيها قال ثنا حاتم وهو ابن عقيل عن يحيى هو ابن اسمعيل عن يحيى الحماني ثنا قيس عن الاعمش عن عباية بن ربعي عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله خلق الخلق قسمين فجعلني من خيرهم قسما فذلك قوله اصحاب اليمين واصحاب الشمال فانا من اليمين وانا خير اصحاب اليمين ثم جعل القسمين اثلاثا فجعلني في خيرها ثلثا وذلك قوله فاصحاب الميمنة واصحاب المشئمة والسابقون السابقون فانا من السابقين وانا خير السابقين ثم جعل الاثلاث قبائل فجعلني من خيرها قبيلة وذلك قوله وجعلناكم شعوبا وقبائل الاية فانا اتقى ولد آدم واكرمهم على الله ولا فخر ثم جعل القبائل بيوتا فجعلني من خيرها بيتا فذلك قوله انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت الاية. وعن ابي سلمة عن ابي هريرة قال قالوا يا رسول الله متى وجبت لك النبوة قال وآدم بين الروح والجسد. وعن واثلة بن الاسقع قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله اصطفى من ولد ابراهيم اسمعيل واصطفى من ولد اسمعيل بني كنانة واصطفى من بني كنانة قريشا واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم. ومن حديث انس انا اكرم ولد آدم على ربي ولا فخر. وفي حديث ابن عباس انا اكرم الاولين والآخرين ولا فخر. وعن عائشة عنه عليه السلام اتاني جبريل فقال قلبت مشارق الارض ومغاربها فلم ار رجلا افضل من محمد ولم ار بني اب افضل من بني هاشم. وعن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم اتي بالبراق ليلة اسري به فاستصعب عليه

فقال له جبريل يا محمد تفعل هذا فما ركبك احد اكرم على الله منه فارفض عرقا ٭
وعن ابن عباس عنه عليه السلام لما خلق الله آدم اهبطني في صلبه الى الارض وجعلني في صلب
نوح في السفينة وقذف بي في النار في صلب ابرهيم ثم لم يزل ينقلني من الاصلاب الكريمة
الى الارحام الطاهرة حتى اخرجني من ابوي لم يلتقيا على سفاح قط والى هذا اشار
العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه قبله بقوله ٭

٭ من قبلها طبت في الظلال وفي مستودع حيث يخصف الورق ٭
٭ ثم هبطت البلاد لا بشر انت ولا مضغة ولا علق ٭
٭ بل نطفة تركب السفين وقد الجم نسرا واهله الغرق ٭
٭ تنقل من صالب الى رحم اذا مضى عالم بدا طبق ٭

وروى عنه صلى الله عليه وسلم ابو ذر وابن عمر وابن عباس وابو هريرة وجابر بن
عبد الله انه قال اعطيت خمسا وفي بعضها ستا لم يعطهن نبي قبلي نصرت بالرعب
مسيرة شهر وجعلت لي الارض مسجدا وطهورا وايما رجل من امتي ادركته الصلاة
فليصل واحلت لي الغنائم ولم تحل لنبي قبلي وبعثت الى الناس كافة واعطيت
الشفاعة وفي رواية بدل هذه الكلمة وقيل سل تعطه وفي رواية اخرى وعرض
علي امتي فلم يخف علي التابع من المتبوع وفي رواية بعثت الى الاحمر والاسود قيل
السود العرب لان الغالب على الوانهم الادمة فهم من السود والحمر العجم وقيل
البيض والسود من الامم وقيل الحمر الانس والسود الجن وفي الحديث الآخر عن
ابي هريرة نصرت بالرعب واوتيت جوامع الكلم وبينا انا نائم اذ جيء بمفاتيح
خزائن الارض فوضعت في يدي وفي رواية عنه وختم بي النبيون وعن عقبة بن عامر
انه قال عليه السلام اني فرط لكم وانا شهيد عليكم واني والله لانظر الى حوضي الآن
واني قد اعطيت مفاتيح خزائن الارض واني والله ما اخاف عليكم ان تشركوا بعدي
ولكني اخاف عليكم ان تنافسوا فيها وعن عبد الله بن عمرو ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال انا محمد النبي الامي لا نبي بعدي اوتيت جوامع الكلم وخواتمه وعلمت خزنة

عنه

قوله صالب اي صلب وصلب وصالب بمعنى واحد ٭

النار وحملة العرش وعن ابن عمر بعثت بين يدي الساعة ومن رواية ابن وهب
انه عليه السلام قال قال الله تعالى سل يا محمد فقلت ما أسأل يا رب اتخذت ابرهيم
خليلا وكلمت موسى تكليما واصطفيت نوحا واعطيت سليمن ملكا لا ينبغي لاحد
من بعده فقال الله تعالى ما اعطيتك خير من ذلك اعطيتك الكوثر وجعلت
اسمك مع اسمي ينادى به في جوف السماء وجعلت الارض طهورا لك ولامتك
وغفرت لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فانت تمشي في الناس مغفورا لك
ولم اصنع ذلك لاحد قبلك وجعلت قلوب امتك مصاحفها وخبأت لك
شفاعتك ولم اخبأها لنبي غيرك وفي حديث آخر رواه حذيفة بشرني
يعني ربه اول من يدخل الجنة معي من امتي سبعون الفا ليس عليهم حساب واعطاني
الا تجوع امتي ولا تغلب واعطاني النصر والعزة والرعب يسعى بين يدي امتي شهرا ٭
وطيب لي ولامتي الغنائم واحل لنا كثيرا مما شدد على قبلنا ولم يجعل علينا في الدين
من حرج وعن ابي هريرة عنه عليه السلام ما من نبي من الانبياء الا وقد اعطي من
الآيات ما مثله آمن عليه البشر وانما كان الذي اوتيت وحيا اوحى الله الي فارجوا
ان اكون اكثرهم تابعا يوم القيمة معنى هذا عند المحققين بقاء معجزته ما بقيت
الدنيا وسائر معجزات الانبياء ذهبت للحين ولم يشاهدها الا الحاضر لها ومعجزة
القرآن يقف عليها قرن بعد قرن عيانا لا خبرا الى يوم القيمة وفيه كلام يطول هذا
نخبته وقد بسطنا القول فيه وفيما ذكر فيه سوى هذا آخر باب المعجزات وعن علي
رضي الله عنه كل نبي اعطي سبعة نجباء من امته واعطي نبيكم صلى الله عليه وسلم اربعة
عشر نجيبا منهم ابو بكر وعمر وابن مسعود وعمار وقال صلى الله عليه وسلم ان الله
قد حبس عن مكة الفيل وسلط عليها رسوله والمؤمنين وانها لم تحل لاحد بعدي
وانما احلت لي ساعة من نهار وعن العرباض بن سارية سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول اني عبد الله وخاتم النبيين وان آدم لمنجدل في طينته وعدة ابي ابرهيم
وبشارة عيسى بن مريم وعن ابن عباس قال ان الله فضل محمدا صلى الله عليه وسلم على اهل

لك

من

خ ودعوة

السماء على الانبيا صلوات الله عليهم قالوا فما فضله على اهل السما قال ان الله
قال لاهل السما ومن يقل منهم اني اله من دونه الاية وقال لمحمد انا فتحنا لك فتحا
مبينا الاية قالوا فما فضله على الانبيا قال ان الله قال وما ارسلنا من رسول
الا بلسان قومه الاية وقال لمحمد وما ارسلناك الا كافة وعن خالد بن معدان
ان نفرا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا يا رسول الله اخبرنا عن
نفسك وقد روي نحوه عن ابي ذر وشداد بن اوس وانس بن مالك فقال نعم انا
دعوة ابي ابرهيم يعني قوله ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلوا وبشرى عيسى
ورات امي حين حملت بي انه خرج منها نور اضاءت له قصور بصرى من ارض الشام
واسترضعت في بني سعد بن بكر فبينا انا مع اخ لي خلف بيوتنا نرعى بهما لنا
اذ جاني رجلان عليهما ثياب بيض وفي حديث اخر ثلاثة رجال بطست من ذهب مملوة
ثلجا فاخذاني فشقا بطني قال في غير هذا الحديث من نحري الى مراق بطني ثم استخرجا
منه قلبي فشقاه فاستخرجا منه علقة سودا فطرحاها ثم غسلا قلبي وبطني بذلك
الثلج حتى انقياه قال في حديث اخر ثم تناول احدهما شيا فاذا بخاتم في يده من نور
يحار الناظر دونه فختم به قلبي فامتلا ايمانا وحكمة ثم اعاده مكانه وامر
الاخر يده على مفرق صدري فالتام وفي رواية ان جبريل قال قلب وكيع اي شديد
فيه عينان تبصران واذنان سميعتان ثم قال احدهما لصاحبه زنه بعشرة من امته
فوزنني فرجحتهم ثم قال زنه بماية من امته فوزنني بهم فوزنتهم ثم قال زنه بالف
من امته فوزنني بهم فوزنتهم ثم قال دعه عنك فلو وزنته بامته لوزنها قال في
الحديث الاخر ثم ضموني الى صدورهم وقبلوا راسي وما بين عيني ثم قالوا يا حبيب
لم ترع انك لو تدري ما يراد بك من الخير لقرت عيناك وفي بقية هذا الحديث
من قولهم ما اكرمك على الله ان الله معك وملايكته قال في حديث ابي ذر
فما هو الا ان وليا عني فكانما ارى الامر معاينة وحكى ابو محمد مكي وابو الليث السمرقندي
وغيرهما ان ادم عند معصيته قال اللهم بحق محمد اغفر خطيئتي ويروى تقبل توبتي

لي

توبتي فقال له الله من اين عرفت محمدا قال رايت في كل موضع من الجنة مكتوبا
لا اله الا الله محمد رسول الله ويروى محمد عبدي ورسولي فعلمت انه اكرم خلقك
عليك فتاب الله عليه وغفر له وهذا عند قايله تاويل قوله تعالى فتلقى ادم من
ربه كلمات وفي رواية الاجري فقال ادم لما خلقتني رفعت راسي الى عرشك
فاذا فيه مكتوب لا اله الا الله محمد رسول الله فعلمت انه ليس احد اعظم قدرا عندك
ممن جعلت اسمه مع اسمك فاوحى الله اليه وعزتي وجلالي انه لاخر النبيين من ذريتك
ولولاه ما خلقتك قال وكان ادم يكنى بابي محمد وقيل بابي البشر وروي عن سريج
ابن يونس انه قال ان لله ملايكة سياحين عبادتهم كل دار فيها احمد او محمد اكراما
منهم لمحمد صلى الله عليه وسلم وروى ابن قانع القاضي عن ابي الحمرا قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اسري بي الى السما اذا على العرش مكتوب لا اله الا الله
محمد رسول الله ايدته بعلي وفي التفسير عن ابن عباس في قوله تعالى وكان تحته
كنز لهما قال لوح من ذهب فيه مكتوب عجبا لمن ايقن بالقدر كيف ينصب عجبا
لمن ايقن بالنار كيف يضحك عجبا لمن يرى الدنيا وتقلبها باهلها كيف يطمين اليها انا
الله لا اله الا انا محمد عبدي ورسولي وعن ابن عباس على باب الجنة مكتوب اني انا الله
لا اله الا انا محمد رسول الله لا اعذب من قالها وذكر انه وجد على الحجارة القديمة
مكتوب محمد تقي مصلح وسيد امين وذكر السمنطاري انه شاهد في بعض بلاد
خراسان مولودا ولد على احد جنبيه مكتوب لا اله الا الله وعلى الاخر محمد رسول الله
وذكر الاخباريون ان ببلاد الهند وردا احمر مكتوب بالابيض لا اله الا الله محمد رسول
الله وروي عن جعفر بن محمد عن ابيه اذا كان يوم القيمة نادى مناد الا ليقم من اسمه
محمد فليدخل الجنة لكرامة اسمه عليه السلام وروى ابن القسم في سماعه وابن وهب
في جامعه عن مالك قال سمعت اهل مكة يقولون ما من بيت فيه اسم محمد الا نما
ورزقوا وعنه عليه السلام ما ضر احدكم ان يكون في بيته محمد ومحمدان وثلاثة وعن
عبد الله بن مسعود ان الله نظر الى قلوب العباد فاختار منها قلب محمد عليه السلام

فاصطفاه لنفسه فبعثه برسالته • وحكى النقاش ان النبي صلى الله عليه وسلم لما نزلت
وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا الاية • قام
خطيبا فقال يا معشر اهل الايمان ان الله فضلني عليكم تفضيلا وفضل نسائي على نسائكم
تفضيلا الحديث **فصل في** تفضيله بما تضمنته كرامة الاسراء من المناجاة والرؤية •
وامامة الانبياء والعروج به الى سدرة المنتهى وما راى من ايات ربه الكبرى ومن
خصايصه عليه السلام قصة الاسراء وما انطوت عليه من درجات الرفعة مما نبه عليه
الكتاب العزيز وشرحته صحاح الاخبار • قال الله تعالى سبحان الذي اسرى بعبده
ليلا من المسجد الحرام الاية • وقال والنجم اذا هوى الى قوله لقد راى من ايات ربه الكبرى
ولا خلاف بين المسلمين في صحة الاسراء به عليه السلام اذ هو نص القران • وجاءت بتفصيله
وشرح عجايبه وخواص نبينا عليه السلام فيه احاديث كثيرة منتشرة راينا ان نقدم
اكملها ونشير الى زيادة من غيره يجب ذكرها • حدثنا القاضي الشهيد ابو علي
والفقيه ابو بحر سماعا عليهما والقاضي ابو عبد الله التميمي وغير واحد من شيوخنا قالوا
حدثنا ابو العباس العذري نا ابو العباس الرازي نا ابو احمد الجلودي نا ابن سفين
نا مسلم بن الحجاج نا شيبان بن فروخ نا حماد بن سلمة نا ثابت البناني عن انس بن ملك
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اتيت بالبراق وهو دابة ابيض طويل فوق الحمار
ودون البغل يضع حافره عند منتهى طرفه • قال فركبته حتى اتيت بيت المقدس فربطته
بالحلقة التي يربط بها الانبياء • ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين ثم خرجت فجاني جبريل
باناء من خمر واناء من لبن فاخترت اللبن • فقال جبريل اخترت الفطرة ثم عرج بنا الى — عليه السلام
السماء فاستفتح جبريل فقيل من انت قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث
اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا انا بادم صلى الله عليه وسلم فرحب بي ودعا لي بخير •
ثم عرج بنا الى السماء الثانية فاستفتح جبريل فقيل من انت قال جبريل قيل ومن معك
قال محمد قيل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا انا بابني الخالة عيسى بن مريم
ويحيى بن زكريا صلى الله عليهما فرحبا بي ودعوا لي بخير • ثم عرج بنا الى السماء الثالثة

فذكر مثل الاول ففتح لنا فاذا انا بيوسف صلى الله عليه وسلم واذا هو قد اعطي
شطر الحسن فرحب بي ودعا لي بخير • ثم عرج بنا الى السماء الرابعة وذكر مثله فاذا
انا بادريس فرحب بي ودعا لي بخير • قال الله ورفعناه مكانا عليا • ثم عرج بنا
الى السماء الخامسة فذكر مثله فاذا انا بهارون فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج
بنا الى السماء السادسة فذكر مثله فاذا انا بموسى فرحب بي ودعا لي بخير • ثم عرج
بنا الى السماء السابعة فذكر مثله فاذا انا بابرهيم مسندا ظهره الى البيت المعمور
واذا هو يدخله كل يوم سبعون الف ملك لا يعودون اليه • ثم ذهب بي الى سدرة
المنتهى واذا ورقها كاذان الفيلة • واذا ثمرها كالقلال • قال فلما غشيها من امر
الله ما غشي تغيرت فما احد من خلق الله يستطيع ان ينعتها من حسنها • فاوحى الله الي
ما اوحى ففرض علي خمسين صلاة في كل يوم وليلة • فنزلت الى موسى فقال ما فرض
ربك على امتك قلت خمسين صلاة • قال ارجع الى ربك فسله التخفيف فان امتك لا
يطيقون ذلك فارجع الى ربك فسله التخفيف • قال فلم ازل بين ربي تعالى وبين موسى حتى
قال يا محمد انهن خمس صلوات في كل يوم وليلة لكل صلاة عشر فتلك خمسون صلاة • ومن
هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة فان عملها كتبت له عشرا ومن هم بسيئة فلم يعملها
لم تكتب شيا فان عملها كتبت سيئة واحدة • قال فنزلت حتى انتهيت الى موسى فاخبرته
فقال ارجع الى ربك فسله التخفيف فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت قد رجعت
الى ربي حتى استحييت منه • قال القاضي ... جود ثابت هذا
الحديث عن انس ما شا ولم يات احد عنه باصوب من هذا • وقد خلط فيه غيره
عن انس تخليطا كثيرا • لا سيما من رواية شريك بن ابي نمر فقد ذكر في اوله مجي الملك
له وشق بطنه وغسله بماء زمزم • وهذا انما كان وهو صبي وقبل الوحي • وقد قال
شريك في حديثه وذلك قبل ان يوحى اليه • وذكر قصة الاسراء • ولا خلاف انها كانت بعد
الوحي • وقد قال غير واحد انها كانت قبل الهجرة بسنة وقيل قبل هذا • وقد روى ثابت عن
انس من رواية حماد بن سلمة ايضا مجي جبريل الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يلعب مع

العلماء عند طيره وشقه قلبه وتلك القصة مفردة من حديث الاسراء كما
رواه الناس نحو ذلك في القصتين وفي الاسرا الى بيت المقدس والى سدرة المنتهى كان قصة
واحدة وانه وصل الى بيت المقدس ثم عرج من هناك فازاح كل اشكال اوهمه غيره
وقد روى يونس عن ابن شهاب عن انس قال كان ابوذر يحدث ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال فرج سقف بيتي فنزل جبريل ففرج صدري ثم غسله من ماء زمزم
ثم جاء بطست من ذهب ممتلي حكمة وايمانا فافرغها في صدري ثم اطبقه ثم اخذ
بيدي فعرج بنا الى السما فذكر القصة وروى قتادة الحديث بمثله عن انس عن مالك
ابن صعصعة وفيهما تقديم وتاخير وزيادة ونقص وخلاف في ترتيب الانبياء في
السموات وحديث ثابت عن انس اتقن واجود وقد وقعت في حديث الاسرا زيادات
نذكر منها نكتا مفيدة في غرضنا منها في حديث ابن شهاب وفيه قول كل نبي
له مرحبا بالنبي الصالح والاخ الصالح الا ادم وابرهيم فقالا له والابن الصالح وفيه
من طريق ابن عباس ثم عرج بي حتى ظهرت بمستوى اسمع فيه صريف الاقلام وعن انس
ثم انطلق بي حتى اتيت سدرة المنتهى فغشيها الوان لا ادري ما هي قال ثم ادخلت
الجنة وفي حديث مالك بن صعصعة فلما جاوزته يعني موسى بكى فنودي ما يبكيك
قال رب هذا غلام بعثته بعدي يدخل من امته الجنة اكثر مما يدخل من امتي
وفي حديث ابي هريرة وقد رايتني في جماعة من الانبيا فحانت الصلاة فاممتهم
فقال قايل يا محمد هذا مالك خازن النار فسلم عليه فالتفت فبدأني بالسلام وفي
حديث ابي هريرة ثم سار حتى اتى بيت المقدس فنزل فربط فرسه الى صخرة فصلى مع
الملايكة فلما قضيت الصلاة قالوا يا جبريل من هذا معك قال هذا محمد رسول الله
خاتم النبيين قالوا وقد ارسل اليه قال نعم قالوا حياه الله من اخ وخليفة فنعم
الاخ ونعم الخليفة ثم لقوا ارواح الانبيا فاثنوا على ربهم وذكر كلام كل واحد
منهم وهم ابرهيم وموسى وعيسى وداود وسليمن ثم ذكر كلام النبي صلى الله عليه
وسلم فقال وان محمدا صلى الله عليه وسلم اثنى على ربه فقال كلكم اثنى على ربه وانا

اثني على ربي الحمد لله الذي ارسلني رحمة للعالمين وكافة للناس بشيرا ونذيرا
وانزل علي الفرقان فيه تبيان كل شي وجعل امتي خير امة وجعل امتي امة وسطا
وجعل امتي هم الاولون وهم الاخرون وشرح لي صدري ووضع عني وزري
ورفع لي ذكري وجعلني فاتحا وخاتما فقال ابرهيم بهذا فضلكم محمد ثم ذكر انه
عرج به الى السما الدنيا ومن سما الى سما نحو ما تقدم وفي حديث ابن مسعود وانتهى
بي الى سدرة المنتهى وهي في السماء السادسة اليها ينتهي ما يعرج به من الارض فيقبض
منها واليها ينتهي ما يهبط من فوقها فيقبض منها قال اذ يغشى السدرة ما يغشى
قال فراش من ذهب وفي رواية ابي هريرة من طريق الربيع بن انس فقيل لي هذه سدرة
المنتهى ينتهي اليها كل احد من امتك خلا على سبيلك وهي السدرة المنتهى يخرج من اصلها
انهار من ماء غير اسن وانهار من لبن لم يتغير طعمه وانهار من خمر لذة للشاربين
وانهار من عسل مصفى وهي شجرة يسير الراكب في ظلها سبعين عاما وان ورقة
منها مظلة الخلق فغشيها نور وغشيتها الملايكة فهو قوله اذ يغشى السدرة ما   قال صح
يغشى فقال تبارك وتعالى له سل فقال انك اتخذت ابرهيم خليلا واعطيته
ملكا عظيما وكلمت موسى تكليما واعطيت داود ملكا عظيما والنت له الحديد
وسخرت له الجبال واعطيت سليمن ملكا عظيما سخرت له الجن والانس والشياطين
والرياح واعطيته ملكا لا ينبغي لاحد من بعده وعلمت موسى التوراة والانجيل وجعلته   وعيسى صح
يبري الاكمه والابرص واعذته وامه من الشيطان الرجيم فلم يكن له عليهما سبيل
فقال له ربه تعالى قد اتخذتك حبيبا فهو مكتوب في التوراة محمد حبيب الرحمن
وارسلتك الى الناس كافة وجعلت امتك هم الاولون وهم الاخرون وجعلت امتك
لا يجوز لهم خطبة حتى يشهدوا انك عبدي ورسولي وجعلتك اول النبيين خلقا
واخرهم بعثا واعطيتك سبعا من المثاني ولم اعطها نبيا قبلك واعطيتك خواتيم
سورة البقرة من كنز تحت عرشي لم اعطها نبيا قبلك وجعلتك فاتحا وخاتما وفي
الرواية الاخرى قال فاعطي رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثا اعطي الصلوات

الخمس واعطي خواتيم سورة البقرة وغفر لمن لا يشرك بالله شيا من امته المقحمات
وقال ما كذب الفواد ما راى لا يتين راى جبريل في صورته له ستماية جناح
وفي حديث شريك انه راى موسى في السابعة قال بتفضيل كلام الله قال ثم علا
به فوق ذلك بما لا يعلمه الا الله فقال موسى لم اظن ان يرفع علي احد وقد روي
عن انس انه صلى الله عليه وسلم صلى بالانبيا ببيت المقدس وذكر البزار عن علي بن ابي
طالب رضي الله عنه لما اراد الله تعالى ان يعلم رسوله الاذان جاه جبريل بدابة
يقال لها البراق فذهب يركبها فاستصعبت عليه فقال لها جبريل اسكني فوالله ما
ركبك عبد اكرم على الله من محمد صلى الله عليه وسلم فركبها حتى اتى بها الى الحجاب الذي
يلي الرحمن تعالى فبينا هو كذلك اذ خرج ملك من الحجاب فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم يا جبريل من هذا قال والذي بعثك بالحق اني لاقرب الخلق مكانا وان هذا الملك
ما رايته منذ خلقت قبل ساعتي هذه فقال الملك الله اكبر الله اكبر فقيل له من ورا
الحجاب صدق عبدي انا اكبر انا اكبر ثم قال الملك اشهد ان لا اله الا الله فقيل من ورا
الحجاب صدق عبدي لا اله الا انا وذكر مثل هذا في بقية الاذان الا انه لم يذكر جوابا
عن قوله حي على الصلاة حي على الفلاح وقال ثم اخذ الملك بيد محمد فقدمه فام اهل
السما فيهم ادم ونوح قال ابو جعفر محمد بن علي بن الحسين راويه اكمل الله لمحمد صلى الله
عليه وسلم الشرف على اهل السموات والارض قال القاضي رضي الله عنه ما في هذا الحديث
من ذكر الحجاب فهو في حق المخلوق لا في حق الخالق فهم المحجوبون والباري جل اسمه منزه
عما يحجبه اذ الحجب انما تحيط بمقدر محسوس ولكن حجبه على ابصار خلقه وبصايرهم
وادراكاتهم بما شا وكيف شا ومتى شا لقوله كلا انهم عن ربهم يوميذ لمحجوبون فقوله
في هذا الحديث الحجاب واذ خرج ملك من الحجاب يجب ان يقال انه حجاب حجب به من
وراه من ملايكته عن الاطلاع على ما دونه من سلطانه وعظمته وعجايب ملكوته
وجبروته ويدل عليه من الحديث قول جبريل عن الملك الذي خرج من ورايه ان هذا الملك
ما رايته منذ خلقت قبل ساعتي هذه فدل ان هذا الحجاب لم يختص بالذات ويدل عليه

قول كعب في تفسير سدرة المنتهى قال اليها ينتهي علم الملايكة وعندها يجدون
امر امر الله لا يجاوزها علمهم واما قوله الذي يلي الرحمن فيحمل على حذف المضاف اي
يلي يلي عرش الرحمن او امر ما من عظيم اياته او مبادي حقايق معارفه مما هو اعلم به
كما وكما قال تعالى واسال القرية اي اهلها وقوله فقيل من ورا الحجاب صدق عبدي
انا انا اكبر انا اكبر فظاهره انه سمع في هذا الموطن كلام الله ولكن من ورا حجاب
كما وكما قال وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من ورا حجاب اي وهو لا يراه حجب
بصره بصره عن رويته فان صح القول بان محمدا صلى الله عليه وسلم راى ربه فيحتمل انه في غير
هذا هذا الموطن بعد هذا او قبله رفع الحجاب عن بصره حتى راه والله اعلم **فصل**
ثم ثم اختلف السلف والعلما هل كان اسرا بروحه او جسده على ثلاث مقالات
فذ فذهبت طايفة الى انه اسرا بالروح وانه رويا منام مع اتفاقهم ان رويا الانبيا
حق حق ووحي والى هذا ذهب معوية وحكي عن الحسن والمشهور عنه خلافه واليها اشار محمد
ابن ابن اسحق وحجتهم قوله تعالى وما جعلنا الرويا التي اريناك وما حكوا عن عايشة
ما ما فقدت جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله بينا انا نايم وقول انس وهو نايم
في في المسجد الحرام وذكر القصة ثم قال في اخرها فاستيقظت وانا بالمسجد الحرام وذهب
معظم معظم السلف والمسلمين الى انه اسرا بالجسد وفي اليقظة وهذا هو الحق وهذا وهو
قو قول ابن عباس وجابر وانس وحذيفة وعمر وابي هريرة ومالك بن صعصعة وابي
حبة البدري وابن مسعود والضحاك وسعيد بن جبير وقتادة وابن المسيب وابن شهاب
وا وابن زيد والحسن وابرهيم ومسروق ومجاهد وعكرمة وابن جريج وهو دليل قول
عا عايشة وهو قول الطبري وابن حنبل وجماعة عظيمة من المسلمين وهو قول اكثر
المتاخرين من الفقها والمحدثين والمتكلمين والمفسرين وقالت طايفة كان الاسرا بالجسد
يقظة الى بيت المقدس والى السما بالروح واحتجوا بقوله سبحان الذي اسرى بعبده ليلا
من من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى فجعل الى المسجد الاقصى غاية الاسرا الذي وقع التعجب
فيه فيه بعظيم القدرة والتمدح بتشريف النبي محمد به واظهار الكرامة له بالاسرا اليه قال

ها ولا ولو كان الاسرا بجسده الى زايد على المسجد الاقصى لذكره فيكون ابلغ في المدح
ثم اختلفت هذه الفرقتان هل صلى ببيت المقدس ام لا ففي حديث انس وغيره ما تقدم
من صلاته فيه وانكر ذلك حذيفة بن اليمان وقال والله ما زالا عن ظهر البراق
حتى رجعا قال القاضي رضي الله عنه والحق من هذا والصحيح ان شا الله انه اسرا
بالجسد والروح في القصة كلها وعليه تدل الاية وصحيح الاخبار والاعتبار ولا يعدل
عن الظاهر والحقيقة الى التاويل الا عند الاستحالة وليس في الاسرا بجسده وحال
يقظته استحالة اذ لو كان مناما لقال بروح عبده ولم يقل بعبده وقوله ما زاغ
البصر وما طغى ولو كان مناما لما كانت فيه اية ولا معجزة ولما استبعده الكفار
ولا كذبوه فيه ولا ارتد به ضعفا من اسلم وافتتنوا به اذ مثل هذا من المنامات
لا ينكر بل لم يكن ذلك منهم الا وقد علموا ان خبره انما كان عن جسمه وحال يقظته
الى ما ذكر في الحديث من ذكر صلاته بالانبيا ببيت المقدس في رواية انس او في السما
على ما روى غيره وذكر مجي جبريل له بالبراق وخبر المعراج واستفتاح السما فيقال
ومن معك فيقول محمد ولقايه الانبيا فيها وخبرهم معه وترحيبهم به وشانه في
فرض الصلاة ومراجعته مع موسى في ذلك وفي بعض الاخبار فاخذ يعني جبريل بيدي
فعرج بي الى السما الى قوله ثم عرج بي حتى ظهرت لمستوى اسمع فيه صريف الاقلام
وانه وصل الى سدرة المنتهى وانه دخل الجنة وراى ما ذكره فيها ما ذكره قال
ابن عباس هي رويا عين راها النبي صلى الله عليه وسلم لا رويا منام وعن الحسن فيه بينا
انا نايم في الحجر جاني جبريل فهمزني بعقبه فقمت فجلست فلم ار شيا فعدت لمضجعي
ذكر ذلك ثلاثا فقال في الثالثة فاخذ بعضدي فجرني الى باب المسجد فاذا انا بدابة
وذكر خبر البراق وعن ام هاني ما اسري برسول الله صلى الله عليه وسلم الا وهو في
بيتي تلك الليلة صلى العشا الاخرة ونام بيننا فلما كان قبيل الفجر اهبنا رسول الله
صلى الله عليه وسلم فلما صلى الصبح وصلينا قال يا ام هاني لقد صليت معكم العشا الاخرة
كما رايت بهذا الوادي ثم جيت بيت المقدس فصليت فيه ثم صليت الغداة معكم

الا ان كما ترون وهذا بين في انه بجسمه وعن ابي بكر من رواية شداد بن اوس عنه انه
قال للنبي صلى الله عليه وسلم ليلة اسري به طلبتك يا رسول الله البارحة في مكانك
فلم اجدك فاجابه ان جبريل حمله الى المسجد الاقصى وعن عمر قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم صليت ليلة اسري بي في مقدم المسجد ثم دخلت الصخرة فاذا بملك
قايم معه انية ثلاث وذكر الحديث وهذه التصريحات ظاهرة غير مستحيلة فتحمل على
ظاهرها وعن ابي ذر عنه صلى الله عليه وسلم فرج سقف بيتي وانا بمكة فنزل جبريل
فشرح صدري ثم غسله بما زمزم الى اخر القصة ثم اخذ بيدي فعرج بي وعن انس
اتيت فانطلقوا بي الى زمزم فشرح عن صدري وعن ابي هريرة لقد رايتني في الحجر
وقريش تسالني عن مسراي فسالتني عن اشيا لم اثبتها فكربت كربا ما كربت مثله قط
فرفعه الله لي انظر اليه ونحوه عن جابر وقد روى عمر بن الخطاب رضي الله عنه في
حديث الاسرا عنه عليه السلام انه قال ثم رجعت الى خديجة وما تحولت عن جانبها

فصل في ابطال حجج من قال انها نوم احتجوا بقوله تعالى وما جعلنا الرويا فسماها
رويا قلنا قوله سبحان الذي اسرى يرده لانه لا يقال في النوم اسرى وقوله فتنة للناس
يويد انها رويا عين واسرا بشخص اذ ليس في الحلم فتنة ولا يكذب به احد لان كل
احد يرى مثل ذلك في منامه من الكون في ساعة واحدة في اقطار متباينة على ان
المفسرين قد اختلفوا في هذه الاية فذهب بعضهم الى انها نزلت في قضية الحديبية
وما وقع في نفوس الناس من ذلك وقيل غير هذا واما قولهم انه قد سماها في
الحديث مناما وقوله في حديث اخر بين النايم واليقظان وقوله ايضا وهو نايم
وقوله ثم استيقظت فلا حجة فيه اذ قد يحتمل ان اول وصول الملك اليه كان وهو
نايم او اول حمله والاسرا به وهو نايم وليس في الحديث انه كان نايما في القصة
كلها الا ما يدل عليه ثم استيقظت وانا في المسجد الحرام فلعل قوله استيقظت بمعنى
اصبحت واستيقظ من نوم اخر بعد وصوله بيته ويدل عليه ان مسراه لم يكن طول
الليل وانما كان في بعضه وقد يكون قوله استيقظت وانا في المسجد الحرام لما كان غمره

من عجايب ما طالع من ملكوت السموات والارض وخامر باطنه من مشاهدة
الملا الاعلى وما راى من ايات ربه الكبرى فلم يستفق ويرجع الى حال البشريه الا
وهو بالمسجد الحرام ووجه ثالث ان يكون نومه واستيقاظه حقيقه على مقتضى
لفظه ولكنه اسري بجسده وقلبه حاضر ورويا الانبيا حق تنام اعينهم ولا
تنام قلوبهم وقد مال بعض اصحاب الاشارات الى نحو من هذا قال تغميض عينيه
لئلا تشغله شي من المحسوسات عن الله ولا يصح هذا ان يكون في وقت صلاته
بالانبيا ولعله كانت له في هذا الاسرا حالات ووجه رابع وهو ان يعبر
النوم ها هنا عن هيئة النايم من الاضطجاع ويقويه قوله في روايه عبد بن حميد
عن همام بينا انا نايم وربما قال مضطجع وفي رواية هدبة عنه بينا انا في الحطيم
وربما قال في الحجر مضطجع وقوله في الرواية الاخرى بين النايم واليقظان فيكون
سمى هيئته بالنوم لما كانت هيئة النايم غالبا وذهب بعضهم الى ان هذه
الزيادات من النوم وذكر شق البطن ودنو الرب الواقعة في هذا الحديث انما هي
من رواية شريك عن انس فهي منكرة من روايته اذ شق البطن في الاحاديث الصحيحة
انما كان في صغره عليه السلام وقبل النبوة ولانه قال في الحديث قبل ان يبعث
والاسرا باجماع كان بعد المبعث فهذا كله يوهن ما وقع في رواية انس مع ان انسا
قد بين من غير طريق انه انما رواه عن غيره وانه لم يسمعه من النبي صلى الله عليه وسلم
فقال مرة عن مالك بن صعصعة وفي كتاب مسلم لعله عن مالك بن صعصعة على الشك
وقال مرة كان ابو ذر يحدث واما قول عايشة ما فقد جسده فعايشة لم تحدث
به عن مشاهدة لانها لم تكن حينئذ زوجة ولا في سن من يضبط ولعلها لم تكن ولدت
بعد على الخلاف في الاسرا متى كان فان الاسرا كان في اول الاسلام على قول الزهري ومن
وافقه بعد المبعث بعام ونصف وكانت عايشة في الهجرة بنت نحو ثمانية اعوام
وقد قيل كان الاسرا لخمس قبل الهجرة وقيل قبل الهجرة بعام والاشبه انه لخمس والحجة
لذلك تطول ليست من غرضنا فاذا لم تشاهد ذلك عايشه دل انها حدثت بذلك

اهل

حامسه

عن غيرها فلم يرجح خبرها على خبر غيرها وغيرها يقول خلافه مما وقع نصا في حديث
ام هاني وغيره وايضا فليس حديث عايشة بالثابت والاحاديث الاخر اثبت لسنا
نعني حديث ام هاني وما ذكرت فيه خديجة وايضا فقد روي في حديث عايشة ما
فقدت ولم يدخل بها النبي صلى الله عليه وسلم الا بالمدينه وكل هذا يوهنه بل الذي
يدل عليه صحيح قولها انه بجسده لانكارها ان يكون رؤياه لربه رؤيا عين ولو كانت
عندها مناما لم تنكره فان قيل فقد قال تعالى ما كذب الفؤاد ما راى فقد جعل
ما راه للقلب وهذا يدل على انه رؤيا نوم ووحي لا مشاهدة عين وحس قلنا يقابله
قوله تعالى ما زاغ البصر وما طغى فقد اضاف الامر للبصر وقد قال اهل التفسير في قوله
ما كذب الفؤاد ما راى اي لم يوهم القلب العين غير الحقيقة بل صدق رؤيتها وقيل
ما انكر قلبه ما راته عينه

فصل

واما رؤيته صلى الله عليه وسلم لربه جل وعز
فاختلف السلف فيها فانكرته عايشة حدثنا ابو الحسين سراج بن عبد الملك الحافظ
بقراتي عليه قال حدثني ابي وابو عبد الله بن عتاب الفقيه قالا نا القاضي يونس بن مغيث
نا ابو الفضل الصقلي نا ثابت بن قاسم بن ثابت عن ابيه وجده قالا نا عبد الله بن علي
نا محمود بن ادم نا وكيع عن ابن ابي خالد عن عامر عن مسروق انه قال لعايشة يا ام
المومنين هل راى محمد ربه فقالت لقد قف شعري مما قلت ثلاث من حدثك بهن
فقد كذب من حدثك ان محمدا راى ربه فقد كذب ثم قرات لا تدركه الابصار الاية
وذكر الحديث وقال جماعة بقول عايشة وهو المشهور عن ابن مسعود ومثله عن ابي
هريرة انه قال انما راى جبريل واختلف عنه وقال بانكار هذا وامتناع رؤيته في الدنيا جماعة
من المحدثين والفقها والمتكلمين وعن ابن عباس انه راه بعينه وروى عطا عنه راه بقلبه
وعن ابي العالية عنه راه بفواده مرتين وذكر ابن اسحق ان ابن عمر ارسل الى ابن عباس يساله
هل راى محمد ربه فقال نعم والاشهر عنه انه راى ربه بعينيه روى ذلك عنه من طرق
وقال ان الله اختص موسى بالكلام وابرهيم بالخلة ومحمدا بالرؤية وحجته قوله ما كذب
الفواد ما راى افتمارونه على ما يرى ولقد راه نزلة اخرى قال الماوردي قيل ان الله

عن

بلغ مقابلة

تعالى فقسم كلامه ورؤيته بين موسى ومحمد فرآه محمد مرتين وكلمه موسى مرتين وحكى
ابو الفتح الرازي وابو الليث السمرقندي الحكاية عن كعب وروى عبد الله بن الحارث قال
اجتمع ابن عباس وكعب فقال ابن عباس اما نحن بنو هاشم فنقول ان محمدا قد رأى ربه مرتين
فكبر كعب حتى جاوبته الجبال وقال ان الله قسم رؤيته وكلامه بين محمد وموسى فكلمه
موسى وراه محمد بقلبه وروى شريك عن ابي ذر في تفسير الاية قال راى النبي صلى الله عليه
وسلم ربه وحكى السمرقندي عن محمد بن كعب القرظي وربيع بن انس ان النبي صلى الله عليه
وسلم سئل هل رايت ربك قال رايته بفوادي ولم اره بعيني وروى مالك بن
يخامر عن معاذ عن النبي صلى الله عليه وسلم قال رايت ربي وذكر كلمة فقال يا محمد
فيم يختصم الملا الاعلى الحديث وحكى عبد الرزاق ان الحسن كان يحلف بالله لقد راى
محمد ربه وحكاه ابو عمر الطلمنكي عن عكرمة وحكى بعض المتكلمين هذا المذهب
عن ابن مسعود وحكى ابن اسحق ان مروان سال ابا هريرة هل راى محمد ربه فقال نعم
وحكى النقاش عن احمد بن حنبل انه قال انا اقول بحديث ابن عباس بعينه راه راه حتى
انقطع نفسه يعني نفس احمد وقال ابو عمر قال احمد بن حنبل راه بقلبه وجبن عن
القول برؤيته في الدنيا بالابصار وقال سعيد بن جبير لا اقول راه ولا لم يره وقد
اختلف في تاويل الاية عن ابن عباس وعكرمة والحسن وابن مسعود فحكي عن ابن عباس وعكرمة
راه بقلبه وعن الحسن وابن مسعود راى جبريل وحكى عبد الله بن احمد بن حنبل عن ابيه
انه قال قد راه وعن ابن عطا في قوله الم نشرح لك صدرك قال شرح صدره للرؤية
وشرح صدر موسى للكلام وقال ابو الحسن علي بن اسمعيل الاشعري رضي الله عنه
وجماعة من اصحابه انه راى الله ببصره وعيني راسه وقال كل اية اوتيها نبي
من الانبياء عليهم السلام فقد اوتي مثلها نبينا محمد عليه السلام وخص من بينهم بتفضيل
الرؤية ووقف بعض مشايخنا في هذا وقال ليس عليه دليل واضح ولكنه جائز ان
يكون قال القاضي ابو الفضل رضي الله عنه والحق الذي لا امترا فيه ان رؤيته جايزة
عقلا وليس في العقل ما يحيلها والدليل على جوازها في الدنيا سؤال موسى عليه السلام لها

راى

تعالى في الدنيا مع

لها اذ محال ان يجهل نبي ما يجوز على الله وما لا يجوز عليه بل لم يسال الا جايزا غير
مستحيل ولكن وقوعه ومشاهدته من الغيب الذي لا يعلمه الا من علمه الله فقال
له الله لن تراني اي لن تطيق ولا تحتمل رؤيتي ثم ضرب له مثلا مما هو اقوى من بنية
موسى واثبت وهو الجبل وكل هذا ليس فيه ما يحيل رؤيته في الدنيا بل فيه جوازها
على الجملة وليس في الشرع دليل قاطع على استحالتها ولا امتناعها اذ كل موجود فرؤيته
جايزة غير مستحيلة ولا حجة لمن استدل على منعها بقوله تعالى لا تدركه الابصار لاختلاف
التاويلات في الاية واذ ليس يقتضي قول من قال في الدنيا الاستحالة وقد استدل
بعضهم بهذه الاية نفسها على جواز الرؤية وعدم استحالتها وقد قيل لا تدركه ابصار
الكفار وقيل لا تدركه الابصار لا تحيط به وهو قول ابن عباس وقد قيل لا تدركه
الابصار وانما يدركه المبصرون وكل هذه التاويلات لا تقتضي منع الرؤية ولا استحالتها
وكذلك لا حجة لهم بقوله لن تراني الاية وقوله تبت اليك لما قدمناه ولانها ليست على
العموم ولان من قال معناها لن تراني في الدنيا انما هو تاويل وايضا فليس فيه نص الامتناع
وانما جاءت في حق موسى وحيث تتطرق التاويلات وتتسلط الاحتمالات فليس للقطع اليه
سبيل وقوله تبت اليك اي من سؤالي ما لم تقدره لي وقد قال ابو بكر الهذلي في قوله
لن تراني اي ليس لبشر ان يطيق ان ينظر الي في الدنيا وانه من نظر الي مات وقد رايت
لبعض السلف والمتاخرين ما معناه ان رؤيته تعالى في الدنيا ممتنعة لضعف تركيب
اهل الدنيا وقواهم وكونها متغيرة غرضا للافات والفناء فلم تكن لهم قوة على الرؤية
فاذا كان في الاخرة وركبوا تركيبا اخر ورزقوا قوى ثابتة باقية واتم انوار ابصارهم
وقلوبهم قووا بها على الرؤية وقد رايت نحو هذا لمالك بن انس رحمه الله قال لم ير
في الدنيا لانه باق ولا يرى الباقي بالفاني فاذا كان في الاخرة ورزقوا ابصارا باقية رأى
الباقي بالباقي وهذا كلام حسن مليح وليس فيه دليل على الاستحالة الا من حيث ضعف
القدرة فاذا قوى الله سبحانه من شاء من عباده واقدره على حمل اعباء الرؤية لم تمتنع
في حقه وقد تقدم ما ذكر في قوة بصر موسى ومحمد عليهما السلام ونفوذ ادراكهما

خامسه

بما

عن عكرمة

بقوة الهيبة منحاها لادراك ما أدركه ودونه ما رآه والله أعلم وقد ذكر
القاضي أبو بكر في أثناء أجوبته عن الآيتين ما معناه أن موسى عليه السلام رأى الله
فلذلك خر صعقا وأن الجبل رأى ربه فصار دكا بادراك خلقه الله له واستنبط
ذلك والله أعلم من قوله ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني ثم
قال فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا وتجليه للجبل هو ظهوره له
حتى رآه على هذا القول وقال جعفر بن محمد شغله بالجبل حتى تجلى ولولا ذلك لمات
صعقا بلا إفاقة وقوله هذا يدل على أن موسى رآه وقد وقع لبعض المفسرين في الجبل
أنه رآه وبرؤية الجبل له استدل من قال برؤية محمد نبينا له إذ جعله دليلا على
الجواز ولا مرية في الجواز إذ ليس في الآيات نص بالمنع وأما وجوبه لنبينا والقول بأنه
رآه بعينه فليس فيه قاطع أيضا ولا نص إذ المعول عليه على آيتي النجم والتنازع فيهما
مأثور والاحتمال لهما ممكن ولا أثر قاطع متواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم بذلك
وحديث ابن عباس خبر عن اعتقاده لم يسنده إلى النبي صلى الله عليه وسلم فيجب العمل
باعتقاد مضمنه ومثله حديث أبي ذر في تفسير الآية وحديث معاذ محتمل
للتأويل وهو مضطرب الإسناد والمتن وحديث أبي ذر الآخر مختلف محتمل مشكل
فروي نور أنى أراه وحكى بعض شيوخنا أنه روي نوراني أراه وفي حديثه الآخر
سألته فقال رأيت نورا وليس يمكن الاحتجاج بواحد منها على صحة الرؤية فإن كان
الصحيح رأيت نورا فهو قد أخبر أنه لم ير الله وإنما رأى نورا منعه وحجبه عن
رؤية الله تعالى وإلى هذا يرجع قوله نور أنى أراه أي كيف أراه مع حجاب النور
المغشي للبصر وهذا مثل ما في الحديث الآخر حجابه النور وفي الحديث الآخر لم أره بعيني
ولكن رأيته بقلبي مرتين وتلا ثم دنا فتدلى والله قادر على خلق الإدراك الذي
في البصر في القلب أو كيف شاء لا إله غيره فإن ورد حديث نص بين في الباب اعتقد
ووجب المصير إليه إذ لا استحالة فيه ولا مانع قطعي يرده والله الموفق تعالى

فصل وأما ما ورد في هذه القصة من مناجاته لله وكلامه معه بقوله فأوحى
إلى عبده ما أوحى إلى ما تضمنته الأحاديث فأكثر المفسرين على أن الموحي الله إلى جبريل
وجبريل إلى محمد إلا شذوذا منهم فذكر عن جعفر بن محمد الصادق قال أوحى إليه بلا واسطة
ونحوه عن الواسطي وإلى هذا ذهب بعض المتكلمين أن محمدا كلم ربه في الإسراء وحكي عن
الأشعري وحكوه عن ابن مسعود وابن عباس وأنكره آخرون وذكر النقاش عن ابن عباس
في قصة الإسراء عنه عليه السلام في قوله دنا فتدلى قال فارقني جبريل فانقطعت الأ
صوات عني فسمعت كلام ربي وهو يقول ليهدأ روعك يا محمد ادن ادن وفي حديث
أنس في الإسراء نحو منه وقد احتجوا في هذا بقوله تعالى وما كان لبشر أن يكلمه الله
إلا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحي بإذنه ما يشاء فقالوا هي ثلاثة
أقسام من وراء حجاب كتكليم موسى وبإرسال الملائكة كحال جميع الأنبياء وأكثر
أحوال نبينا صلى الله عليه وسلم الثالث قوله وحيا ولم يبق من تقسيم صور الكلام إلا
المشافهة مع المشاهدة وقد قيل الوحي هنا ما يلقيه في قلب النبي دون واسطة
وقد ذكر أبو بكر البزار عن علي في حديث الإسراء ما هو أوضح في سماع النبي صلى
الله عليه وسلم لكلام الله من الآية فذكر فيه فقال الملك الله أكبر الله أكبر فقيل
لي من وراء الحجاب صدق عبدي أنا أكبر أنا أكبر وقال في سائر كلمات الأذان مثل ذلك
ويجيء الكلام في مشكل هذين الحديثين في الفصل بعد هذا مع ما يشبهه وفي أول
فصل من الباب منه وكلام الله لمحمد ومن اختصه من أنبيائه جائز غير ممتنع عقلا
ولا ورد في الشرع قاطع بمنعه فإن صح في ذلك خبر عمل عليه وكلامه تعالى
لموسى كائن حق مقطوع به نص ذلك في الكتاب وأكده بالمصدر دلالة على الحقيقة
ورفع مكانه على ما ورد في الحديث في السماء السابعة بسبب كلامه ورفع محمدا
فوق هذا كله حتى بلغ مستوى وسمع صريف الأقلام فكيف يستحيل في حق هذا أو
يبعد سماع الكلام فسبحان من خص من شاء بما شاء وجعل بعضهم فوق بعض درجات

فصل وأما ما ورد في حديث الإسراء وظاهر الآية من الدنو والقرب من قوله
دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى فأكثر المفسرين أن الدنو والتدلي منقسم

ما بين محمد وجبريل عليهما السلام او مختص باحدهما من الاخر او من السدرة المنتهى
قال الرازي وقال ابن عباس هو محمد دنا فتدلى من ربه وقيل معنى دنا قرب وتدلى
زاد في القرب وقيل هما بمعنى واحد اي قرب وحكى مكي والماوردي عن ابن عباس هو
الرب دنا من محمد فتدلى اليه اي امره وحكمه وحكى النقاش عن الحسن قال دنا من عبده
محمد صلى الله عليه وسلم فتدلى فقرب منه فاراه ما شاء ان يريه من قدرته وعظمته
قال وقال ابن عباس هو مقدم ومؤخر تدلى الرفرف لمحمد صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج
فجلس عليه ثم رفع فدنا من ربه قال فارقني جبريل وانقطعت عني الاصوات وسمعت
كلام ربي وعن انس في الصحيح عرج بي جبريل الى سدرة المنتهى ودنا الجبار رب العزة
فتدلى حتى كان منه قاب قوسين او ادنى فاوحى اليه بما شا واوحى اليه خمسين صلاة
وذكر حديث الاسرا وعن محمد بن كعب هو محمد دنا محمد من ربه فكان قاب قوسين قال
وقال جعفر بن محمد ادناه ربه منه حتى كان منه كقاب قوسين وقال جعفر بن محمد
والدنو من الله لا حد له ومن العباد بالحدود وقال ايضا انقطعت الكيفية عن
الدنو الا ترى كيف حجب جبريل عن دنوه ودنا محمد الى ما اودع قلبه من المعرفة والايمان
فتدلى بسكون قلبه الى ما ادناه وزال عن قلبه الشك والارتياب قال
القاضي ابو الفضل رضي الله عنه اعلم ان ما وقع من اضافة الدنو والقرب هنا من
الله او الى الله فليس بدنو مكان ولا قرب مدى بل هو كما ذكرنا عن جعفر الصادق
ليس بدنو حد وانما دنو النبي من ربه وقربه منه ابانة عظيم منزلته وتشريف رتبته
واشراق انوار معرفته ومشاهدة اسرار غيبه وقدرته ومن الله تعالى مبرة له وتانيس
وبسط واكرام ويتاول فيه ما يتاول في قوله ينزل ربنا الى سماء الدنيا على احد الوجوه
نزول افضال واجمال وقبول واحسان قال الواسطي من توهم انه بنفسه
دنا جعل ثم مسافة بل كلما دنا بنفسه من الحق تدلى بعدا اعني عن درك حقيقته اذ لا دنو
للحق ولا بعد وقوله قاب قوسين او ادنى فمن جعل الضمير عائدا الى الله لا الى
جبريل على هذا كان عبارة عن نهاية القرب ولطف المحل واتضاح المعرفة والاشراف

على الحقيقة من محمد صلى الله عليه وسلم وعبارة عن اجابة الرغبة وقضاء المطالب
واظهار التحفي وانافة المنزلة والمرتبة من الله له ويتاول فيه ما يتاول في قوله من تقرب
مني شبرا تقربت منه ذراعا ومن اتاني يمشي اتيته هرولة قرب بالاجابة والقبول واتيان
بالاحسان وتعجيل المامول

فصل في ذكر تفضيله في القيمة بخصوص الكرامة

حدثنا القاضي ابو علي ثنا ابو الفضل وابو الحسين قالا ثنا ابو يعلى ثنا السنجي ثنا ابن محبوب
ثنا الترمذي ثنا الحسين بن يزيد الكوفي ثنا عبد السلام بن حرب عن ليث عن الربيع بن انس
عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا اول الناس خروجا اذا بعثوا وانا
خطيبهم اذا وفدوا وانا مبشرهم اذا ايسوا لواء الحمد بيدي وانا اكرم ولد ادم
على ربي ولا فخر وفي رواية ابن زحر عن الربيع بن انس في لفظ هذا الحديث انا اول
الناس خروجا اذا بعثوا وانا قائدهم اذا وفدوا وانا خطيبهم اذا انصتوا وانا شفيعهم
اذا حبسوا وانا مبشرهم اذا ابلسوا لواء الكرم بيدي وانا اكرم ولد ادم على ربه ولا
فخر ويطوف علي الف خادم كانهم لؤلؤ مكنون وعن ابي هريرة واكسى حلة من حلل الجنة
ثم اقوم عن يمين العرش ليس احد من الخلائق يقوم ذلك المقام غيري وعن ابي سعيد
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد ادم يوم القيمة وبيدي لواء الحمد ولا
فخر وما من نبي يومئذ ادم فمن سواه الا تحت لوائي وانا اول من تنشق عنه الارض ولا فخر وعن
ابي هريرة عنه صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد ادم يوم القيمة واول من ينشق
عنه القبر واول شافع واول مشفع وعن ابن عباس انا حامل لواء الحمد يوم القيمة ولا فخر
وانا اول شافع واول مشفع ولا فخر وانا اول من يحرك حلق الجنة فيفتح لي فادخلها
ومعي فقراء المؤمنين ولا فخر وعن انس انا اول الناس يشفع في الجنة وانا اكثر الناس
تبعا وعن انس قال النبي صلى الله عليه وسلم انا سيد الناس يوم القيمة وتدرون لم
ذلك يجمع الله الاولين والاخرين وذكر حديث الشفاعة وعن ابي هريرة انه عليه
السلام قال اطمع ان اكون اعظم الانبياء اجرا يوم القيمة وفي حديث اخر اما ترضون
ان يكون ابراهيم وعيسى فيكم يوم القيمة ثم قال انهما في امتي يوم القيامة اما ابراهيم

بلغ

نقول انت دعوتي وذريتي فاجعلني من امتك واما عيسى فالانبيا اخوة بنو علات امهاتهم شتى وان عيسى اخي ليس بيني وبينه نبي وانا اولى الناس به. قوله انا سيد الناس يوم القيمة هو سيدهم في الدنيا ويوم القيمة ولكن اشار عليه السلام لانفراده فيه بالسودد والشفاعة دون غيره اذ لجا الناس اليه في ذلك فلم يجدوا سواه والسيد هو الذي يلجا الناس اليه في حوايجهم فكان حينيذ سيدا منفردا من بين البشر لم يزاحمه احد في ذلك ولا ادعاه كما قال تعالى لمن الملك اليوم لله الواحد القهار والملك تعالى له في الدنيا والاخرة لكن في الاخرة انقطعت دعوى المدعين لذلك في الدنيا وكذلك لجا الى محمد جميع الناس في الشفاعة فكان سيدهم في الاخرى دون دعوى وعن انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتي باب الجنة يوم القيمة فاستفتح فيقول الخازن من انت فاقول محمد فيقول بك امرت لا افتح لاحد قبلك وعن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حوضي مسيرة شهر وزواياه سوا وماوه ابيض من الورق وريحه اطيب من المسك كيزانه كنجوم السما من شرب منه لم يظما ابدا وعن ابي ذر نحوه وقال طوله ما بين عمان الى ايلة يشخب فيه ميزابان من الجنة وعن ثوبان مثله وقال احدهما من ذهب والاخر من ورق وفي رواية حارثة بن وهب كما بين المدينة وصنعا وقال انس ايلة وصنعا وقال ابن عمر كما بين الكوفة والحجر الاسود وروى حديث الحوض ايضا انس وجابر وسمرة وابن عمر وعقبة بن عامر وحارثة بن وهب الخزاعي والمستورد وابو برزة الاسلمي وحذيفة بن اليمان وابو امامة وزيد بن ارقم وابن مسعود وعبد الله بن زيد وسهل بن سعد وسويد بن جبلة وابو سعيد الخدري وعبد الله الصنابحي وابو هريرة والبرا وجندب وعايشة واسما بنتا ابي بكر وابو بكرة وخولة بنت قيس وغيرهم.

فصل في تفضيله بالمحبة والخلة. جات بذلك الاثار الصحيحة واختص صلى الله عليه وسلم على السنة المسلمين بحبيب الله. اخبرنا ابو القسم بن ابرهيم الخطيب وغيره عن كريمة بنت احمد قالت نا ابو الهيثم ونا حسين بن محمد الحافظ سماعا عليه نا القاضي ابو الوليد

سواء

عمان بالضم والتخفيف البلد وعمان بالفتح والتشديد بالشام

نا عبيد بن احمد نا ابو الهيثم نا ابو عبد الله محمد بن يوسف نا محمد بن اسمعيل نا عبد الله بن محمد نا ابو عامر نا فليح نا ابو النضر عن بسر بن سعيد عن ابي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لو كنت متخذا خليلا غير ربي لاتخذت ابا بكر وفي حديث اخر وان صاحبكم خليل الله ومن طريق عبد الله بن مسعود وقد اتخذ الله صاحبكم خليلا وعن ابن عباس قال جلس ناس من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ينتظرونه قال فخرج حتى اذا دنا منهم سمعهم يتذاكرون فسمع حديثهم فقال بعضهم عجبا ان الله اتخذ من خلقه خليلا وقال اخر ماذا باعجب من كلام موسى كلمه الله تكليما وقال اخر فعيسى كلمة الله وروحه وقال اخر ادم اصطفاه الله فخرج عليهم فسلم وقال قد سمعت كلامكم وعجبكم ان الله اتخذ ابرهيم خليلا وهو كذلك وموسى نجي الله وهو كذلك وعيسى روح الله وهو كذلك وادم اصطفاه الله وهو كذلك الا وانا حبيب الله ولا فخر وانا اول شافع واول مشفع ولا فخر وانا اول من يحرك حلق الجنة فيفتح الله لي فيدخلنيها ومعي فقرا المومنين ولا فخر وانا اكرم الاولين والاخرين ولا فخر وفي حديث ابي هريرة من قول الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم اني اتخذتك خليلا فهو مكتوب في التوراة انت حبيب الرحمن قال القاضي ابو الفضل رضي الله عنه اختلف في تفسير الخلة واصل اشتقاقها فقيل الخليل المنقطع الى الله الذي ليس في انقطاعه اليه ومحبته له اختلال وقيل الخليل المختص واختار هذا القول غير واحد وقال بعضهم اصل الخلة الاستصفاء وسمي ابرهيم خليل الله لانه يوالي فيه ويعادي فيه وخلة الله له نصره وجعله اماما لمن بعده وقيل الخليل اصله الفقير المحتاج المنقطع ماخوذ من الخلة وهي الحاجة سمي بها ابرهيم لانه قصر حاجته على ربه وانقطع اليه بهمه ولم يجعله قبل غيره اذ جاه جبريل وهو في المنجنيق ليرمى في النار فقال الك حاجة قال اما اليك فلا وقال ابو بكر بن فورك الخلة صفا المودة التي توجب الاختصاص بتخلل الاسرار وقال بعضهم اصل الخلة المحبة ومعناها الاسعاف والالطاف والترفيع والتشفيع وقد بين ذلك في كتابه بقوله وقالت اليهود والنصارى نحن ابنا الله واحباوه قل فلم

ابراهيم

يعذبكم بذنوبكم فأوجب للمحبوب أن لا يؤاخذ بذنوبه قال وهذا أو الخلة أقوى من
البنوة لأن البنوة قد تكون فيها العداوة كما قال تعالى إن من أزواجكم وأولادكم
عدوا لكم ولا يصح أن تكون عداوة مع خلة فإذا تسمية إبراهيم ومحمد عليهما السلام
بالخلة إما بانقطاعهما إلى الله ووقف حوائجهما عليه والانقطاع عمن دونه والإضراب
عن الوسائط والأسباب أو لزيادة الاختصاص منه تعالى لهما وخفي ألطافه عندهما
وما خالل بواطنهما من أسرار إلهيته ومكنون غيوبه ومعرفته أو لاستصفائه لهما
واستصفاء قلوبهما عمن سواه حتى لم يخاللهما حب لغيره ولهذا قال بعضهم الخليل من
لا يتسع قلبه لسواه وهو عندهم معنى قوله عليه السلام ولو كنت متخذا خليلا لاتخذت
أبا بكر خليلا لكن أخوة الإسلام واختلف العلماء أرباب القلوب أيهما أرفع درجة
الخلة أو درجة المحبة فجعلهما بعضهم سواء فلا يكون الحبيب إلا خليلا ولا الخليل
إلا حبيبا لكنه خص إبراهيم بالخلة ومحمدا بالمحبة وبعضهم قال درجة الخلة أرفع
واحتج بقوله صلى الله عليه وسلم لو كنت متخذا خليلا غير ربي فلم يتخذه وقد أطلق
المحبة عليه السلام لفاطمة وابنيها وأسامة وغيرهم وأكثرهم جعل المحبة
أرفع من الخلة لأن درجة الحبيب نبينا أرفع من درجة الخليل إبراهيم وأصل المحبة
الميل إلى ما يوافق المحب ولكن هذا في حق من يصح الميل منه والانتفاع بالوفق وهي
درجة المخلوق فأما الخالق جل جلاله فمنزه عن الأعراض فمحبته لعبده تمكينه من سعادته
وعصمته وتوفيقه وتهيئة أسباب القرب وإفاضة رحمته عليه وقصواها
كشف الحجب عن قلبه حتى يراه بقلبه وينظر إليه ببصيرته فيكون كما قال في الحديث
فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ولسانه الذي ينطق
به ولا ينبغي أن يفهم من هذا سوى التجرد لله والانقطاع إلى الله والإعراض عن غير الله
وصفاء القلب لله وإخلاص الحركات لله كما قالت عائشة كان خلقه القرآن برضاه
يرضى وبسخطه يسخط ومن هذا عبر بعضهم عن الخلة بقوله

قد تخللت مسلك الروح مني وبذا سمي الخليل خليلا

فإذا ما نطقت كنت حديثي وإذا ما سكت كنت الغليلا

خ حاصلة

فإذن مزية الخلة وخصوصية المحبة خالصة لنبينا عليه السلام بما دلت عليه الآثار
الصحيحة المنتشرة المتلقاة بالقبول من الأمة وكفى بقوله تعالى قل إن كنتم تحبون
الله الآية حكى أهل التفسير أن هذه الآية لما نزلت قال الكفار إنما يريد محمد
أن نتخذه حنانا كما اتخذت النصارى عيسى فأنزل الله غيظا لهم ورغما على مقالتهم
هذه الآية قل أطيعوا الله والرسول فزاده شرفا بأمرهم بطاعته وقرنها بطاعته
ثم توعدهم على التولي عنه بقوله فإن الله لا يحب الكافرين وقد نقل الإمام أبو
بكر بن فورك عن بعض المتكلمين كلاما في الفرق بين المحبة والخلة يطول جملة إشاراته
إلى تفضيل مقام المحبة على الخلة ونحن نذكر منه طرفا يهدي إلى ما بعده فمن ذلك
قولهم الخليل يصل بالواسطة من قوله وكذلك نري إبراهيم ملكوت السماوات
والأرض والحبيب يصل لحبيبه به من قوله فكان قاب قوسين أو أدنى وقيل
الخليل الذي تكون مغفرته في حد الطمع من قوله والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي
والحبيب الذي مغفرته في حد اليقين من قوله ليغفر لك الله ما تقدم الآية
والخليل قال ولا تخزني والحبيب قيل له يوم لا يخزي الله النبي فابتدئ بالبشارة قبل
السؤال والخليل قال في المحنة حسبي الله والحبيب قيل له يا أيها النبي حسبك الله
والخليل قال واجعل لي لسان صدق والحبيب قيل له ورفعنا لك ذكرك أعطي بلا
سؤال والخليل قال واجنبني وبني أن نعبد الأصنام والحبيب قيل له إنما يريد الله
ليذهب عنكم الرجس أهل البيت وفيما ذكرناه تنبيه على مقصد أصحاب هذا المقال
من تفضيل المقامات والأحوال وكل يعمل على شاكلته فربكم أعلم بمن هو أهدى
سبيلا

فصل في تفضيله بالشفاعة والمقام المحمود

بلغ مقابلة

قال الله تعالى عسى
أن يبعثك ربك مقاما محمودا أخبرنا الشيخ أبو علي الغساني الجياني فيما كتب
به إلي بخطه ثنا سراج بن عبد الله القاضي ثنا أبو محمد الأصيلي ثنا أبو زيد وأبو أحمد
قالا ثنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا إسماعيل بن أبان ثنا أبو الأحوص عن آدم

ابن علي قال سمعت ابن عمر يقول ان الناس يصيرون يوم القيمة جثى كل امة تتبع
نبيها يقولون يا فلان اشفع لنا يا فلان اشفع لنا حتى تنتهي الشفاعة الى النبي صلى الله
عليه وسلم فذلك يوم يبعثه الله المقام المحمود • وعن ابي هريرة سيل عنها
رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني قوله عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا فقال
هي الشفاعة • وروى كعب بن مالك عنه عليه السلام يحشر الناس يوم القيمة
فاكون انا وامتي على تل ويكسوني ربي حلة خضرا • ثم يوذن لي فاقول ما شا الله
ان اقول فذلك المقام المحمود • وعن ابن عمر وذكر حديث الشفاعة • قال فيمشي
حتى ياخذ بحلقة الجنة فيومئذ يبعثه الله المقام المحمود الذي وعده • وعن
ابن مسعود عنه عليه السلام انه قيامه عن يمين العرش مقاما لا يقومه غيره
يغبطه فيه الاولون والاخرون • ونحوه عن كعب والحسن وفي رواية هو المقام
الذي اشفع لامتي فيه • وعن ابن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني
لقايم المقام المحمود • قيل وما هو • قال ذلك يوم ينزل الله تبارك وتعالى الحديث على كرسيه
وعن ابي موسى عنه عليه السلام خيرت بين ان يدخل نصف امتي الجنة وبين الشفاعة
فاخترت الشفاعة لانها اعم • اترونها للمتقين ولكنها للمذنبين الخطايين • وعن
ابي هريرة قلت يا رسول الله ماذا ورد عليك في الشفاعة فقال شفاعتي لمن شهد
ان لا اله الا الله مخلصا يصدق لسانه قلبه • وعن ام حبيبة قالت قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اريت ما تلقى امتي من بعدي وسفك بعضهم دما بعض وسبق
لهم من الله ما سبق للامم قبلهم فسالت الله ان يوتيني شفاعة يوم القيمة فيهم ففعل
وقال حذيفة يجمع الله الناس في صعيد واحد حيث يسمعهم الداعي وينفذهم
البصر حفاة عراة كما خلقوا سكوتا لا تكلم نفس الا باذنه فينادي محمد فيقول
لبيك وسعديك والخير في يديك والشر ليس اليك والمهتدي من هديت وعبدك
بين يديك ولك واليك لا ملجا ولا منجا منك الا اليك تباركت وتعاليت سبحانك
رب البيت قال فذلك المقام المحمود الذي ذكره الله • وقال ابن عباس اذا دخل

أهل

اهل النار النار واهل الجنة الجنة • فتبقى اخر زمرة من الجنة واخر زمرة من النار فتقول
زمرة النار لزمرة الجنة ما نفعكم ايمانكم فيدعون ربهم ويضجون فيسمعهم اهل
الجنة فيسالون ادم وغيره بعده في الشفاعة لهم وكل يعتذر حتى ياتوا محمدا فيشفع
لهم فذلك المقام المحمود • ونحوه عن ابن مسعود ايضا ومجاهد وذكره علي بن الحسين عن النبي
صلى الله عليه وسلم • وقال جابر بن عبد الله ليزيد الفقير سمعت بمقام محمد يعني الذي
يبعثه الله فيه قال نعم • قال فانه مقام محمد المحمود الذي يخرج الله به من يخرج يعني من
النار • وذكر حديث الشفاعة في اخراج الجهنميين • وعن انس نحوه • وقال فهذا المقام المحمود
الذي وعده • وفي رواية انس وابي هريرة وغيرهما دخل حديث بعضهم في حديث بعض
قال عليه السلام يجمع الله الاولين والاخرين يوم القيمة فيهتمون او قال فيلهمون فيقولون
لو استشفعنا الى ربنا • ومن طرق عنه ماج الناس بعضهم في بعض • وعن ابي هريرة وتدنو
الشمس فيبلغ الناس من الغم ما لا يطيقون ولا يحتملون • فيقولون الا تنظرون من يشفع لكم
فياتون ادم ابا البشر فيقولون زاد بعضهم انت ادم ابو البشر خلقك الله بيده ونفخ فيك
من روحه واسكنك جنته واسجد لك ملايكته • وعلمك اسما كل شي اشفع لنا عند
ربك حتى يريحنا من مكاننا الا ترى ما نحن فيه فيقول ان ربي غضب اليوم غضبا لم
يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله • ونهاني عن الشجرة فعصيت نفسي نفسي اذهبوا
الى غيري اذهبوا الى نوح • فيقولون انت اول الرسل الى اهل الارض وسماك الله عبدا
شكورا الا ترى ما نحن فيه • الا ترى ما بلغنا الا تشفع لنا الى ربك فيقول ان ربي غضب اليوم
غضبا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله نفسي نفسي • قال في رواية انس
ويذكر خطيئته التي اصاب سواله ربه بغير علم • وفي رواية ابي هريرة وقد كانت لي دعوة
دعوتها على قومي اذهبوا الى غيري اذهبوا الى ابرهيم فانه خليل الله فياتون ابرهيم فيقولون
انت نبي الله وخليله من اهل الارض اشفع لنا الى ربك الا ترى ما نحن فيه فيقول
ان ربي غضب اليوم غضبا فذكر مثله • ويذكر ثلاث كلمات كذبهن نفسي نفسي لست
لها ولكن عليكم بموسى فانه كليم الله • وفي رواية فانه عبد اتاه الله التوراة وكلمه وقربه

نجيا قال فياتون موسى فيقول لست لها ويذكر خطيئته التي اصاب وقتله النفس
نفسي نفسي ولكن عليكم بعيسى فانه روح الله وكلمته فياتون عيسى فيقول لست لها
ولكن عليكم بمحمد عبد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر فاوتى فاقول انا لها
فانطلق فاستاذن على ربي فيوذن لي فاذا رايته وقعت ساجدا وفي رواية فاتي
تحت العرش فاخر ساجدا وفي رواية فاقوم بين يديه فاحمده بمحامد لا اقدر
عليها الا يلهمنيها الله وفي رواية فيفتح الله علي من محامده وحسن الثنا عليه
شيا لم يفتحه على احد قبلي قال في رواية ابي هريرة فيقال يا محمد ارفع راسك
سل تعطه واشفع تشفع فارفع راسي فاقول يا رب امتي يا رب امتي فيقول ادخل
من امتك من لا حساب عليه من الباب الايمن من ابواب الجنة وهم شركا الناس فيما سوى
ذلك من الابواب ولم يذكر في رواية انس هذا الفصل وقال مكانه ثم اخر ساجدا فيقال
لي يا محمد ارفع راسك وقل يسمع لك واشفع تشفع وسل تعطه فاقول يا رب امتي امتي
فيقال انطلق فمن كان في قلبه مثقال حبة من بر او شعيرة من ايمان فاخرجه فانطلق
فافعل ثم ارجع الى ربي فاحمده بتلك المحامد وذكر مثل الاول وقال فيه مثقال
حبة من خردل قال فافعل ثم ارجع وذكر مثل ما تقدم وقال فيه من كان في قلبه
ادنى ادنى ادنى من مثقال حبة من خردل فافعل وذكر في المرة الرابعة فيقال لي ارفع
راسك وقل تسمع واشفع تشفع واسل تعطه فاقول يا رب ايذن لي فيمن قال
لا اله الا الله قال ليس ذلك اليك ولكن وعزتي وكبريائي وعظمتي وجبريائي لاخرجن
من النار من قال لا اله الا الله ومن رواية قتادة عنه قال فلا ادري في الثالثة او
الرابعة فاقول يا رب ما بقي في النار الا من حبسه القران اي وجب عليه الخلود
وعن ابي بكر وعقبة بن عامر وابي سعيد وحذيفة مثله قال فياتون محمدا فيوذن له
وتاتي الامانة والرحم فتقومان جنبتي الصراط وذكر في رواية ابي مالك عن حذيفة
فياتون محمدا فيشفع فيضرب الصراط فيمرون اولهم كالبرق الخاطف ثم كالريح والطير
وشد الرجال ونبيكم صلى الله عليه وسلم على الصراط يقول اللهم سلم سلم حتى يجتاز

الناس وذكر اخرهم جوازا الحديث وفي رواية ابي هريرة فاكون اول من يجيز يومئذ
وعن ابن عباس عنه عليه السلام توضع للانبيا منابر يجلسون عليها ويبقى منبري لا اجلس
عليه قايما بين يدي ربي منتصبا فيقول الله تبارك وتعالى ما تريد ان اصنع بامتك
فاقول يا رب عجل حسابهم فيدعى بهم فيحاسبون فمنهم من يدخل الجنة برحمته ومنهم
من يدخل الجنة بشفاعتي ولا ازال اشفع حتى اعطى صكاكا برجال قد امر بهم الى
النار حتى ان خازن النار ليقول يا محمد ما تركت لغضب ربك في امتك من نقمة ومن
طريق زياد النميري عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انا اول من تنفلق الارض
عن جمجمته ولا فخر وانا سيد الناس يوم القيمة ولا فخر ومعي لوا الحمد يوم القيمة وانا
اول من تفتح له الجنة ولا فخر فاتي فاخذ بحلقة الجنة فيقال من هذا فاقول محمد فيفتح
لي فيستقبلني الجبار تعالى فاخر له ساجدا وذكر نحو ما تقدم ومن رواية انيس سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لاشفعن يوم القيمة لاكثر مما في الارض من حجر
وشجر فقد اجتمع من اختلاف الفاظ هذه الاثار ان شفاعته عليه السلام ومقامه المحمود
من اول الشفاعات الى اخرها من حين يجتمع الناس للحشر وتضيق بهم الحناجر ويبلغ منهم
العرق والشمس والوقوف مبلغه وذلك قبل الحساب فيشفع حينئذ لاراحة الناس من
الموقف ثم يوضع الصراط ويحاسب الناس كما جا في الحديث عن ابي هريرة وحذيفة وهذا
الحديث اتقن فيشفع في تعجيل من لا حساب عليه من امته الى الجنة كما تقدم في الحديث
ثم يشفع فيمن وجب عليه العذاب ودخل النار منهم حسب ما تقتضيه الاحاديث
الصحيحة ثم فيمن قال لا اله الا الله وليس هذا لسواه صلى الله عليه وسلم وفي الحديث
المنتشر الصحيح لكل نبي دعوة يدعو بها واختبات دعوتي شفاعة لامتي يوم القيمة
قال اهل العلم معناه دعوة اعلم انها تستجاب لهم ويبلغ فيها مرغوبهم والا فكم
لكل نبي منهم من دعوة مستجابة ولنبينا صلى الله عليه وسلم منها ما لا يعد لكن حالهم
عند الدعا بها بين الرجا والخوف وضمنت لهم اجابة دعوة فيما شاوه يدعون بها
على يقين من الاجابة وقد قال محمد بن زياد وابو صالح عن ابي هريرة في هذا الحديث

لكل نبي دعوة دعا بها في امته فاستجيب له وانا اريد ان اوخر دعوتي شفاعة
لامتي يوم القيمة وفي رواية ابي صالح لكل نبي دعوة مستجابة فتعجل كل نبي دعوته
ونحوه في رواية ابي زرعة عن ابي هريرة وعن انس مثل رواية ابن زياد عن ابي هريرة
فتكون هذه الدعوة المذكورة مخصوصة بالامة مضمونة الاجابة والا فقد اخبر
صلى الله عليه وسلم انه سال لامته اشيا من امور الدين والدنيا اعطي بعضها ومنع بعضها
وادخر لهم هذه الدعوة ليوم الفاقة وخاتمة المحن وعظيم السول والرغبة جزاه
الله احسن ما جزى نبيا عن امته وصلى الله عليه وسلم كثيرا

فصل في تفضيله في الجنة بالوسيلة والدرجة الرفيعة والكوثر والفضيلة

حدثنا القاضي
ابو عبد الله محمد بن عيسى التميمي والفقيه ابو الوليد هشام بن احمد بقراتي عليهما قالا ثنا
ابو علي الغساني ثنا النمري ثنا ابن عبد المومن ثنا ابو بكر التمار ثنا ابو داود ثنا محمد بن سلمة
ثنا ابن وهب عن ابن لهيعة وحيوة وسعيد بن ابي ايوب عن كعب بن علقمة عن عبد الرحمن
ابن جبير عن عبد الله بن عمرو بن العاصي انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول اذا سمعتم
المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا علي فانه من صلى علي صلى الله عليه عشرا ثم سلوا الله
تعالى لي الوسيلة فانها منزلة في الجنة لا تنبغي الا لعبد من عباد الله وارجوا ان اكون
انا هو فمن سال الله لي الوسيلة حلت عليه الشفاعة وفي حديث اخر عن ابي هريرة
الوسيلة اعلى درجة في الجنة وعن انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينا انا اسير
في الجنة اذ عرض لي نهر حافتاه قباب اللولو قلت لجبريل ما هذا قال هذا الكوثر
الذي اعطاكه الله تعالى ثم ضرب بيده الى طينته فاستخرج مسكا وعن عايشة وعبد الله
ابن عمرو مثله قال ومجراه على الدر والياقوت وماوه احلى من العسل وابيض من الثلج
وفي رواية عنه فاذا هو يجري ولم يشق شقا عليه حوض ترد عليه امتي وذكر حديث
الحوض ونحوه عن ابن عباس وعن ابن عباس ايضا قال الكوثر الخير الذي اعطاه الله اياه
وقال سعيد بن جبير والنهر الذي في الجنة من الخير الذي اعطاه وعن حذيفة فيما ذكر
عليه السلام عن ربه واعطاني الكوثر نهرا من الجنة يسيل في حوضي وعن ابن عباس في
في قوله ولسوف يعطيك ربك فترضى قال الف قصر من لولو ترابهن المسك
وفيه ما يصلحهن وفي رواية اخرى وفيه ما ينبغي له من الازواج والخدم

فصل

فان قلت تقرر من دليل القران وصحيح الاثر واجماع الامة كونه
اكرم البشر وافضل الانبيا فما معنى الاحاديث الواردة بنهيه عن التفضيل كقوله
فيما حدثناه الاسدي ثنا السمرقندي ثنا الفارسي ثنا الجلودي ثنا ابن
سفين ثنا مسلم ثنا ابن مثنى ثنا محمد بن جعفر ثنا شعبة عن قتادة قال سمعت ابا
العالية يقول حدثني ابن عم نبيكم صلى الله عليه وسلم يعني ابن عباس عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال ما ينبغي لعبد ان يقول انا خير من يونس بن متى وفي غير هذا الطريق
عن ابي هريرة قال يعني الله ما ينبغي لعبد الحديث وفي حديث ابي هريرة في اليهودي الذي
قال والذي اصطفى موسى على البشر فلطمه رجل من الانصار وقال تقول ذلك ورسول الله
صلى الله عليه وسلم بين اظهرنا فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال لا تفضلوا بين
الانبيا وفي رواية لا تخيروني على موسى فذكر الحديث وفيه ولا اقول ان احدا افضل
من يونس بن متى وعن ابي هريرة ومن قال انا خير من يونس بن متى فقد كذب وعن ابن
مسعود لا يقولن احدكم انا خير من يونس بن متى وفي حديثه الاخر فجاءه رجل فقال
يا خير البرية فقال ذاك ابرهيم فاعلم ان للعلما في هذه الاحاديث تاويلات احدها
ان نهيه عن التفضيل كان قبل ان يعلم انه سيد ولد ادم فنهى عن التفضيل اذ يحتاج الى
توقيف وان من فضل بلا علم فقد كذب وكذلك قوله لا اقول ان احدا افضل منه
لا يقتضي تفضيله هو وانما هو في الظاهر كف عن التفضيل الوجه الثاني انه قاله
صلى الله عليه وسلم على طريق التواضع ونفي التكبر والعجب وهذا لا يسلم من الاعتراض
الوجه الثالث ان لا يفضل بينهم تفضيلا يؤدي الى تنقص بعضهم او الغض منه لا سيما
في جهة يونس عليه السلام اذ اخبر الله عنه بما اخبر لئلا يقع في نفس من لا يعلم منه بذلك
غضاضة وانحطاط من رتبته الرفيعة اذ قال تعالى عنه اذ ذهب مغاضبا فظن ان لن نقدر
عليه فربما يخيل لمن لا علم عنده حطيطته بذلك الوجه الرابع منع التفضيل في حق

النبوة والرسالة فإن الأنبيا فيها على حد واحد إذ هي شي واحد لا يتفاضل وإنما التفاضل
في زيادة الأحوال والخصوص والكرامات والرتب والألطاف وأما النبوة في نفسها فلا
تتفاضل وإنما التفاضل بأمور أخر زائدة عليها ولذلك منهم رسل ومنهم أولو عزم
من الرسل ومنهم من رفع مكانا عليا ومن أوتي الحكم صبيا وأوتي بعضهم الزبر وبعضهم
البينات ومنهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات قال الله تعالى ولقد فضلنا بعض
النبيين على بعض الآية وقال تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض الآية قال
بعض أهل العلم والتفضيل المراد لهم هنا في الدنيا وذلك بثلاثة أحوال أن تكون
آياته ومعجزاته أبهر وأشهر أو تكون أمته أزكى وأكثر أو يكون في ذاته أفضل وأظهر
وفضله في ذاته راجع إلى ما خصه الله به من كرامته واختصاصه من كلام أو خلة أو رؤية
أو ما شا الله من ألطافه وتحف ولايته واختصاصه وقد روي أن النبي صلى الله عليه وسلم
قال إن للنبوة أثقالا وإن يونس تفسخ منها تفسخ الربع فحفظ صلى الله عليه وسلم موضع
الفتنة من أوهام من يسبق إليه بسببها جرح في نبوته أو قدح في اصطفائه وحط من
رتبته ووهن في عصمته شفقة منه صلى الله عليه وسلم على أمته وقد يتوجه على
هذا الترتيب وجه خامس وهو أن يكون أنا راجعا إلى القائل نفسه أي لا يظن أحد وإن
بلغ من الزكاء والعصمة والطهارة ما بلغ أنه خير من يونس لأجل ما حكى الله عنه فإن درجة
النبوة أفضل وأعلى وإن تلك الأقدار لم تحطه عنها حبة خردل ولا أدنى وسنزيد
في القسم الثالث في هذا بيانا إن شا الله فقد بان لك الغرض وسقط بما حررناه شبهة
المعترض

فصل في أسمائه عليه السلام وما تضمنته من فضيلته

حدثنا أبو عمران موسى بن أبي تليد الفقيه نا أبو عمر الحافظ نا سعيد بن نصر نا قاسم بن أصبغ
نا محمد بن وضاح نا يحيى نا مالك عن ابن شهاب عن محمد بن جبير بن مطعم قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لي خمسة أسما أنا محمد وأنا أحمد وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر
وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي وأنا العاقب وقد سماه الله تعالى في كتابه
محمدا وأحمد فمن خصائصه تعالى له أن ضمن أسماءه ثناءه وطوى أثناء ذكره عظيم شكره

شكره فأما اسمه أحمد فأفعل مبالغة من صفة الحمد ومحمد مفعل مبالغة من
كثرة الحمد فهو صلى الله عليه وسلم أجل من حمد وأفضل من حمد وأكثر الناس
حمدا فهو أحمد المحمودين وأحمد الحامدين ومعه لوا الحمد يوم القيمة ليتم له
كمال الحمد ويتشهر في تلك العرصات بصفة الحمد ويبعثه ربه هناك مقاما
محمودا كما وعده يحمده فيه الأولون والآخرون بشفاعته لهم ويفتح عليه فيه من المحامد
كما قال عليه السلام ما لم يعط غيره وسمى أمته في كتب أنبيائه بالحمادين فحقيق أن يسمى
محمدا وأحمد ثم في هذين الاسمين من عجائب خصائصه وبدائع آياته فن آخر هو أن
الله جل اسمه حمى أن يسمى بهما أحد قبل زمانه أما أحمد الذي أتى في الكتب وبشرت
به الأنبيا فمنع الله تعالى بحكمته أن يسمى به أحد غيره ولا يدعى به مدعو قبله حتى لا يدخل
لبس على ضعيف القلب أو شك وكذلك محمد أيضا لم يسم به أحد من العرب
ولا غيرهم إلى أن شاع قبيل وجوده عليه السلام وميلاده أن نبيا يبعث اسمه
محمد فسمى قوم قليل من العرب أبناءهم بذلك رجاء أن يكون أحدهم هو والله أعلم حيث
يجعل رسالاته وهم محمد بن أحيحة بن الجلاح الأوسي ومحمد بن مسلمة الأنصاري
ومحمد بن برا البكري ومحمد بن سفين بن مجاشع ومحمد بن حمران الجعفي ومحمد بن
خزاعي السلمي لا سابع لهم ويقال أول من سمي محمد بن سفين واليمن تقول بل محمد بن اليحمد
من الأزد ثم حمى الله كل من تسمى به أن يدعي النبوة أو يدعيها أحد له أو يظهر عليه
سبب يشكك أحدا في أمره حتى تحققت السمتان له صلى الله عليه وسلم ولم ينازع
فيهما وأما قوله وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر ففسر في الحديث ويكون محو
الكفر إما من مكة وبلاد العرب وما زوي له من الأرض ووعد أنه يبلغه ملك
أمته أو يكون المحو عاما بمعنى الظهور والغلبة كما قال تعالى ليظهره على الدين كله وقوله
وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي أي على زماني وعهدي أي ليس بعدي نبي كما
قال وخاتم النبيين وسمي عاقبا لأنه عقب غيره من الأنبيا وقيل معنى على قدمي أي يحشر
الناس بمشاهدتي كما قال تعالى لتكونوا شهدا على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا وقيل معنى

قوله لي خمسة اسما قيل انها موجودة في الكتب المتقدمة وعند اولي العلم من الامم
السالفة والله اعلم وقد روي عنه عليه السلام لي عشرة اسما وذكر منها طه ويس
حكاه مكي وقد قيل في بعض تفاسير طه انه يا طاهر يا هادي وفي يس يا سيد حكاه
السلمي عن الواسطي وجعفر بن محمد وذكر غيره عشرة اسما فذكر الخمسة التي في الحديث
الاول قال وانا رسول الرحمة ورسول الراحة ورسول الملاحم وانا المقفي قفيت
النبيين وانا قيم والقيم الجامع الكامل كذا وجدته ولم اروه واري ان صوابه
قثم بالثا كما ذكرناه بعد عن الحربي وهو اشبه بالتفسير وقد وقع ايضا في كتب الانبيا
قال داود عليه السلام اللهم ابعث لنا محمدا مقيم السنة بعد الفترة فقد يكون القيم بمعناه
وروى النقاش عنه عليه السلام لي في القران سبعة اسما محمد واحمد ويس وطه
والمدثر والمزمل وعبد الله وفي حديث ابي موسى الاشعري انه كان عليه السلام يسمي
لنا نفسه اسما فيقول انا محمد واحمد والمقفي والحاشر ونبي التوبة ونبي الملحمة ويروى
الرحمة والمرحمة وكل صحيح ان شا الله ومعنى المقفي معنى العاقب واما نبي الرحمة
والتوبة والمرحمة والراحة فقد قال تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين وكما وصفه بانه
يزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ويهديهم الى صراط مستقيم وبالمومنين رووف رحيم
وقد قال في صفة امته انها امة مرحومة وقال تعالى فيهم وتواصوا بالصبر وتواصوا
بالمرحمة اي يرحم بعضهم بعضا فبعثه عليه السلام ربه تعالى رحمة لامته ورحمة
للعالمين ورحيما بهم ومترحما مستغفرا لهم وجعل امته امة مرحومة ووصفها
بالرحمة وامرها عليه السلام بالتراحم واثنى عليه فقال ان الله يحب من عباده الرحما
وقال الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من في الارض يرحمكم من في السما واما رواية
نبي الملحمة فاشارة الى ما بعث به من القتال والسيف صلى الله عليه وسلم وهي صحيحة وروى
حذيفة مثل حديث ابي موسى وفيه ونبي الرحمة ونبي التوبة ونبي الملاحم وروى الحربي
في حديثه عليه السلام انه قال اتاني ملك فقال لي انت قثم اي مجتمع والقثوم الجامع
للخير وهذا اسم هو في اهل بيته عليه السلام معلوم وقد جات من القابه عليه السلام

السلام وسماته في القران عدة كثيرة سوى ما ذكرناه كالنور والسراج المنير والمنذر
والنذير والمبشر والشاهد والشهيد والحق المبين وخاتم النبيين والرووف الرحيم
والامين وقدم الصدق ورحمة للعالمين ونعمة الله والعروة الوثقى والصراط
المستقيم والنجم الثاقب والكريم والنبي الامي وداعي الله في اوصاف كثيرة وسمات
جليلة وجرى منها في كتب الله المتقدمة وكتب انبيايه واحاديث رسوله واطلاق
الامة جملة شافية كتسميته بالمصطفى والمجتبى وابي القسم والحبيب ورسول رب العالمين
والشفيع المشفع والمتقي والمصلح والطاهر والمهيمن والصادق والمصدوق والهادي
وسيد ولد ادم وسيد المرسلين وامام المتقين وقايد الغر المحجلين وحبيب الله وخليل
الرحمن وصاحب الحوض المورود والشفاعة والمقام المحمود وصاحب الوسيلة والفضيلة
والدرجة الرفيعة وصاحب التاج والمعراج واللوا والقضيب وراكب البراق والناقة
والنجيب وصاحب الحجة والسلطان والخاتم والعلامة والبرهان وصاحب الهراوة والنعلين
ومن اسمايه عليه السلام في الكتب المتوكل والمختار ومقيم السنة والمقدس وروح الحق
وهو معنى البارقليط في الانجيل وقال ثعلب البارقليط الذي يفرق بين الحق والباطل
ومن اسمايه في الكتب السالفة ماذ ماذ ومعناه طيب طيب وحمطايا والخاتم والحاتم
حكاه كعب الاحبار قال ثعلب فالخاتم الذي ختم الانبيا والحاتم احسن الانبيا خلقا
وخلقا ويسمى بالسريانية مشفح والمنحمنا واسمه ايضا في التوراة احيد وروي ذلك عن
ابن سيرين ومعنى صاحب القضيب اي السيف وقع ذلك مفسرا في الانجيل قال معه
قضيب من حديد يقاتل به وامته كذلك وقد يحمل على انه القضيب الممشوق الذي كان يمسكه
عليه السلام وهو الان عند الخلفا واما الهراوة التي وصف بها فهي في اللغة العصى واراها
والله اعلم العصى المذكورة في حديث الحوض اذود الناس عنه بعصاي لاهل اليمن واما
التاج فالمراد به العمامة ولم تكن حينيذ الا للعرب والعمايم تيجان العرب واوصافه والقابه
وسماته في الكتب كثيرة وفيما ذكرناه منها مقنع ان شا الله

فصل في تشريف الله تعالى له بما سماه به من اسمايه الحسنى ووصفه به من صفاته العلا قال القاضي

ابو الفضل وفقه الله ما اجرى هذا الفصل بفصول الباب الاول لانخراطه في سلك
مضمونها وامتزاجه بعذب معينها لكن لم يشرح الله الصدر للهداية الى استنباطه
ولا انار الفكر لاستخراج جوهره والتقاطه الا عند الخوض في الفصل الذي قبله فراينا
ان نضيفه اليه ونجمع به شمله. **فاعلم** ان الله تعالى خص كثيرا من انبيائه بكرامة
خلعها عليهم من اسمائه كتسميته اسحق واسمعيل بعليم وحليم وابرهيم بحليم ونوحا
بشكور وعيسى ويحيى ببر وموسى بكريم وقوي ويوسف بحفيظ عليم وايوب بصابر
واسمعيل بصادق الوعد كما نطق بذلك الكتاب العزيز من مواضع ذكرهم وفضل محمدا نبينا
صلى الله عليه وسلم بان حلاه منها في كتابه العزيز وعلى السنة انبيائه بعدة اجتمع لنا
منها جملة بعد اعمال الفكر واحضار الذكر اذ لم نجد من جمع منها فوق اسمين ولا من
تفرغ فيها لنا لیف فصلين وحررنا منها في هذا الفصل نحو ثلاثين اسما ولعل الله كما الهم
الى ما علم منها وحققه يتم النعمة بابانة ما لم يظهره لنا الان ويفتح غلقه. فمن
اسمائه تعالى الحميد ومعناه المحمود لانه حمد نفسه وحمده عباده ويكون ايضا بمعنى
الحامد لنفسه ولاعمال الطاعات وسمى النبي صلى الله عليه وسلم محمدا واحمد فمحمد بمعنى محمود
وكذا وقع اسمه في زبور داود واحمد بمعنى اكبر من حمد واجل من حمد وقد اشار
الى نحو هذا حسان بقوله: وشق له من اسمه ليجله فذو العرش محمود وهذا محمد
ومن اسمائه تعالى الرءوف الرحيم وهما بمعنى متقارب وسماه في كتابه بذلك فقال بالمومنين
رءوف رحيم. ومن اسمائه تعالى الحق المبين ومعنى الحق الموجود والمحقق امره وكذلك
المبين اي البين امره والاهيته بان وابان بمعنى ويكون بمعنى المبين لعباده امر دينهم ومعادهم
وسمى النبي صلى الله عليه وسلم بذلك في كتابه فقال حتى جاءهم الحق ورسول مبين وقال وقل
اني انا النذير المبين وقال قد جاءكم الحق من ربكم وقال فقد كذبوا بالحق لما جاءهم قيل
محمد وقيل القران ومعناه هنا ضد الباطل والمتحقق صدقه وامره وهو بمعنى الاول والمبين
البين امره ورسالته او المبين عن الله ما بعثه به كما قال لتبين للناس ما نزل اليهم ومن اسمائه
تعالى النور ومعناه ذو النور اي خالقه او منور السموات والارض بالانوار ومنور قلوب

المبين امره

المومنين بالهداية وسماه نورا فقال قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين قيل محمد وقيل القران
وقال فيه وسراجا منيرا سمي بذلك لوضوح امره وبيان نبوته وتنوير قلوب المومنين والعارفين
بما جاء به. ومن اسمائه تعالى الشهيد ومعناه العالم وقيل الشاهد على عباده يوم القيمة
وسماه شهيدا وشاهدا فقال انا ارسلناك شاهدا وقال ويكون الرسول عليكم شهيدا
وهو بمعنى الاول. ومن اسمائه تعالى الكريم ومعناه الكثير الخير وقيل المفضل وقيل
العفو وقيل العلي وفي الحديث المروي في اسمائه تعالى الاكرم وسماه الله تعالى كريما
بقوله انه لقول رسول كريم قيل محمد وقيل جبريل وقال عليه السلام انا اكرم ولد ادم
ومعاني الاسم صحيحة في حقه عليه السلام. ومن اسمائه تعالى العظيم ومعناه الجليل الشان
الذي كل شيء دونه وقال في النبي صلى الله عليه وسلم وانك لعلى خلق عظيم ووقع في اول
سفر من التوراة عن اسمعيل وستلد عظيما لامة عظيمة فهو عظيم وعلى خلق عظيم

وستلد

ومن اسمائه تعالى الجبار ومعناه المصلح وقيل القاهر وقيل العلي العظيم الشان وقيل
المتكبر وسمى النبي صلى الله عليه وسلم في كتاب داود بجبار فقال تقلد ايها الجبار سيفك
فان ناموسك وشرايعك مقرونة بهيبة يمينك ومعناه في حق النبي صلى الله عليه
وسلم اما الاصلاح الامة بالهداية والتعليم او لقهره لعداه او لعلو منزلته على البشر

لاصلاحه

وعظيم خطره ونفى تعالى عنه في القران جبرية التكبر التي لا تليق به فقال وما انت
عليهم بجبار. ومن اسمائه تعالى الخبير ومعناه المطلع بكنه الشيء العالم بحقيقته وقيل
معناه المخبر وقال تعالى الرحمن فاسال به خبيرا قال القاضي بكر بن العلاء المامور
بالسوال غير النبي صلى الله عليه وسلم والمسئول الخبير هو النبي صلى الله عليه وسلم وقال
غيره بل السايل النبي والمسئول الله فالنبي خبير بالوجهين المذكورين قيل لانه عالم على
غاية من العلم بما اعلمه الله من مكنون علمه وعظيم معرفته مخبر لامته بما اذن له في
اعلامهم به. ومن اسمائه تعالى الفتاح ومعناه الحاكم بين عباده او فاتح ابواب الرزق
والرحمة والمنغلق من امورهم عليهم او يفتح قلوبهم وبصائرهم لمعرفة الحق ويكون ايضا
بمعنى الناصر لقوله ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح اي ان تستنصروا فقد جاءكم النصر.

وَقيل معناه مبتدئ الفتح والنصر وسمى الله تعالى نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بالفاتح
في حديث الاسرا الطويل من رواية الربيع بن انس عن ابي العالية او غيره عن ابي هريرة وفيه من
قول الله تعالى وجعلتك فاتحا وخاتما وفيه من قول النبي صلى الله عليه وسلم في ثنايه على ربه
وتعديد مراتبه ورفع لي ذكري وجعلني فاتحا وخاتما فيكون الفاتح هنا بمعنى الحاكم
او الفاتح لابواب الرحمة على امته والفاتح لبصايرهم لمعرفة الحق والايمان بالله او الناصر
للحق او المبتدئ بهداية الامة او المبدا المقدم في الانبيا والخاتم لهم كما قال عليه
السلام كنت اول الانبيا في الخلق واخرهم في البعث ومن اسمايه تعالى في الحديث
الشكور ومعناه المثيب على العمل القليل وقيل المثني على المطيعين ووصف بذلك نبيه
نوحا عليه السلام فقال انه كان عبدا شكورا وقد وصف النبي صلى الله عليه وسلم بذلك
نفسه فقال افلا اكون عبدا شكورا اي معترفا بنعم ربي عارفا بقدر ذلك مثنيا عليه
مجهدا نفسي في الزيادة من ذلك لقوله لين شكرتم لازيدنكم ومن اسمايه تعالى العليم
والعلام وعالم الغيب والشهادة ووصف نبيه صلى الله عليه وسلم بالعلم وخصه بمزية
منه فقال وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما وقال ويعلمكم الكتاب
والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون ومن اسمايه تعالى الاول والاخر ومعناهما
السابق للاشيا قبل وجودها والباقي بعد فنايها وتحقيقه انه ليس له اول ولا اخر
وقال عليه السلام كنت اول الانبيا في الخلق واخرهم في البعث وفسر بهذا قوله تعالى
واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح فقدم محمدا صلى الله عليه وسلم وقد
اشار الى هذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه ومنه قوله نحن الاخرون السابقون وقوله
انا اول من تنشق عنه الارض واول من يدخل الجنة واول شافع واول مشفع وهو خاتم
النبيين واخر الرسل صلى الله عليه وسلم ومن اسمايه تعالى القوي وذو القوة المتين ومعناه
القادر وقد وصفه الله تعالى بذلك فقال ذي قوة عند ذي العرش مكين قيل محمد وقيل
جبريل ومن اسمايه تعالى الصادق في الحديث الماثور وورد في الحديث ايضا اسمه
عليه السلام بالصادق المصدوق ومن اسمايه تعالى الولي والمولى ومعناهما الناصر
وقد

وقد قال الله تعالى انما وليكم الله ورسوله وقال عليه السلام انا ولي كل مومن وقال
الله تعالى النبي اولى بالمومنين وقال عليه السلام من كنت مولاه فعلي مولاه ومن
اسمايه تعالى العفو ومعناه الصفوح وقد وصف الله بهذا نبيه في القران
والتوراة وامره بالعفو فقال خذ العفو وقال فاعف عنهم واصفح وقال له جبريل
وقد ساله عن قوله خذ العفو قال ان تعفو عمن ظلمك وقال في التوراة والانجيل
في الحديث المشهور في صفته ليس بفظ ولا غليظ ولكن يعفو ويصفح ومن اسمايه
تعالى الهادي وهو بمعنى توفيق الله لمن اراد من عباده وبمعنى الدلالة والدعا قال
الله تعالى والله يدعو الى دار السلام ويهدي من يشا الى صراط مستقيم واصل الجميع
من الميل وقيل من التقديم وقيل في تفسير طه انه يا طاهر يا هادي يعني النبي صلى الله
عليه وسلم وقال تعالى له وانك لتهدي الى صراط مستقيم وقال فيه وداعيا الى الله
باذنه فالله تعالى مختص بالمعنى الاول قال تعالى انك لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي
من يشا وبمعنى الدلالة ينطلق على غيره تعالى ومن اسمايه تعالى المومن المهيمن
وقيل هما بمعنى واحد فمعنى المومن في حقه تعالى المصدق وعده عباده والمصدق
قوله الحق والمصدق لعباده المومنين ورسله وقيل الموحد نفسه وقيل المومن عباده
في الدنيا من ظلمه والمومنين في الاخرة من عذابه وقيل المهيمن بمعنى الامين مصغر منه
فقلبت الهمزة ها وقد قيل ان قولهم في الدعا امين انه اسم من اسمايه تعالى
ومعناه معنى المومن وقيل المهيمن بمعنى الشاهد والحافظ والنبي صلى الله عليه وسلم
امين ومهيمن ومومن وقد سماه الله امينا فقال مطاع ثم امين وكان عليه السلام
يعرف بالامين وشهر به قبل النبوة وبعدها وسماه العباس في شعره مهيمنا في
قوله ثم احتوى بيتك المهيمن من خندف علياء تحتها النطق
قيل المراد يا ايها المهيمن قاله القتيبي والامام ابو القسم القشيري وقال تعالى يومن
بالله ويومن للمومنين اي يصدق وقال انا امنة لاصحابي فهذا بمعنى المومن ومن
اسمايه تعالى القدوس ومعناه المنزه عن النقايص المطهر من سمات الحدث وسمي

بيت المقدس لانه يتطهر فيه من الذنوب ومنه الواد المقدس وروح القدس ووقع في كتب الانبيا في اسمايه عليه السلام المقدس اي المطهر من الذنوب كما قال ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر او الذي يتطهر به من الذنوب ويتنزه باتباعه عنها كما قال ويزكيهم قال ويخرجهم من الظلمات الى النور او يكون مقدسا بمعنى مطهر من الاخلاق الذميمة والاوصاف الدنية ∴ **ومن اسمايه تعالى العزيز** ومعناه الممتنع الغالب او الذي لا نظير له او المعز لغيره وقال تعالى ولله العزة ولرسوله اي الامتناع وجلالة القدر وقد وصف الله نفسه بالبشارة والنذارة فقال يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وقال ان الله يبشرك بيحيى وبكلمة منه وسماه تعالى مبشرا ونذيرا وبشيرا اي مبشرا لاهل طاعته ونذيرا لاهل معصيته ∴ **ومن اسمايه تعالى** فيما ذكره بعض المفسرين طه ويس وقد ذكر بعضهم ايضا انهما من اسما محمد صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم

فصل قال القاضي ابو الفضل وفقه الله وها انا اذكر نكتة اذيل بها هذا الفصل واختم بها هذا القسم وازيح الاشكال بها فيما تقدم عن كل ضعيف الوهم سقيم الفهم تخلصه من مهاوي التشبيه وتزحزحه عن شبه التمويه وهو ان يعتقد ان الله جل اسمه في عظمته وكبريايه وملكوته وحسنى اسمايه وعلي صفاته لا يشبه شيا من مخلوقاته ولا يشبه به وان ما جا مما اطلقه الشرع على الخالق وعلى المخلوق فلا تشابه بينهما في المعنى الحقيقي اذ صفات القديم بخلاف صفة المخلوق فكما ان ذاته تعالى لا تشبه الذوات كذلك صفاته لا تشبه صفات المخلوقين اذ صفاتهم لا تنفك عن الاغراض والاعراض وهو تعالى منزه عن ذلك بل لم يزل بصفاته واسمايه وكفى في هذا قوله ليس كمثله شي ولله در من قال من العلما العارفين المحققين التوحيد اثبات ذات غير مشبهة للذوات ولا معطلة من الصفات وزاد هذه النكتة الواسطي رحمه الله بيانا وهو مقصودنا فقال ليس كذاته ذات ولا كاسمه اسم ولا كفعله فعل ولا كصفته صفة الا من جهة موافقة اللفظ اللفظ وجلت الذات القديمة ان تكون لها صفة حديثة كما

كما استحال ان تكون للذات المحدثة صفة قديمة وهذا كله مذهب اهل الحق والسنة والجماعة رضي الله عنهم وقد فسر الامام ابو القسم القشيري رحمه الله قوله هذا ليزيده بيانا فقال هذه الحكاية تشتمل على جوامع مسايل التوحيد وكيف تشبه ذاته ذات المحدثات وهي بوجودها مستغنية وكيف يشبه فعله فعل الخلق وهو لغير جلب انس او دفع نقص حصل ولا بخواطر واغراض وجد ولا بمباشرة ومعالجة ظهر وفعل الخلق لا يخرج عن هذه الوجوه وقال اخر من مشايخنا ما توهمتموه باوهامكم او ادركتموه بعقولكم فهو محدث مثلكم وقال الامام ابو المعالي الجويني من اطمان الى موجود انتهى اليه فكره فهو مشبه ومن اطمان الى النفي المحض فهو معطل وان قطع بموجود اعترف بالعجز عن درك حقيقته فهو موحد وما احسن قول ذي النون المصري حقيقة التوحيد ان تعلم ان قدرة الله في الاشيا بلا علاج وصنعه لها بلا مزاج وعلة كل شي صنعه ولا علة لصنعه وما تصور في وهمك فالله بخلافه وهذا كلام عجيب نفيس محقق والفصل الاخر تفسير لقوله ليس كمثله شي والثاني تفسير لقوله لا يسيل عما يفعل وهم يسيلون والثالث تفسير لقوله انما قولنا لشي اذا اردناه ان نقول له كن فيكون ثبتنا الله واياك على التوحيد والاثبات والتنزيه وجنبنا طرفي الضلالة والغواية من التعطيل والتشبيه بمنه ورحمته ∴

الباب الرابع فيما اظهره الله على يديه من المعجزات وشرفه به من الخصايص والكرامات

قال القاضي ابو الفضل رحمه الله حسب المتامل ان يحقق ان كتابنا هذا لم نجمعه لمنكر نبوة نبينا ولا لطاعن في معجزاته فنحتاج الى نصب البراهين عليها وتحصين حوزتها حتى لا يتوصل الطاعن اليها ونذكر شروط المعجز والتحدي وحده وفساد قول من ابطل نسخ الشرايع ورده بل الفناه لاهل ملته الملبين لدعوته المصدقين لنبوته ليكون تاكيدا في محبتهم له ومنماة لاعمالهم وليزدادوا ايمانا مع ايمانهم ونيتنا ان نثبت في هذا الباب امهات معجزاته ومشاهير اياته لتدل على عظيم قدره عند ربه واتينا

منها بالمحقق والصحيح الاسناد واكثره مما بلغ القطع او كاد واضفنا اليها بعض
ما وقع في مشاهير كتب الايمة واذا تامل المتامل المنصف ما قدمناه من جميل اثره
وحميد سيره وبراعة علمه ورجاحة عقله وحلمه وجملة كماله وجميع خصاله وشاهد
حاله وصواب مقاله لم يمتر في صحة نبوته وصدق دعوته وقد كفى هذا غير واحد
في اسلامه والايمان به فروينا عن الترمذي وابن قانع وغيرهما باسانيدهم ان عبد الله
ابن سلام قال لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة جيته لانظر اليه فلما
استبنت وجهه عرفت ان وجهه ليس بوجه كذاب حدثنا القاضي الشهيد
ابو علي رحمه الله ثنا ابو الحسين الصيرفي وابو الفضل بن خيرون عن ابي يعلى البغدادي ثنا ابو
علي السنجي ثنا ابن محبوب عن الترمذي ثنا محمد بن بشار ثنا عبد الوهاب الثقفي ومحمد بن
جعفر وابن ابي عدي ويحيى بن سعيد عن عوف بن ابي جميلة الاعرابي عن زرارة بن اوفى
عن عبد الله بن سلام الحديث وعن ابي رمثة التيمي اتيت النبي صلى الله عليه وسلم ومعي
ابن لي فاريته فلما رايته قلت هذا نبي الله وروى مسلم وغيره ان ضمادا لما وفد عليه
فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ان الحمد لله نحمده ونستعينه من يهده الله فلا
مضل له ومن يضلل الله فلا هادي له واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا
عبده ورسوله قال له اعد علي كلماتك هؤلاء فلقد بلغن قاموس البحر هات يدك
ابايعك وقال جامع بن شداد كان رجل منا يقال له طارق فاخبر انه راى النبي صلى الله	له ع
عليه وسلم بالمدينة فقال هل معكم شيء تبيعونه قلنا هذا البعير قال بكم قلنا بكذا
وكذا وسقا من تمر فاخذ بخطامه وسار الى المدينة فقلنا بعنا من رجل لا ندري
من هو ومعنا ظعينة فقالت انا ضامنة لثمن البعير رايت وجه رجل مثل القمر ليلة
البدر لا يخيس بكم فاصبحنا فجا رجل بتمر فقال انا رسول الله اليكم يامركم ان تاكلوا	رسول ع
من التمر وتكتالوا حتى تستوفوا ففعلنا وفي خبر الجلندى ملك عمان لما بلغه	هذا
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوه الى الاسلام قال الجلندى والله لقد دلني على هذا
النبي الامي انه لا يامر بخير الا كان اول اخذ به ولا ينهى عن شر الا كان اول تارك له

له وانه يغلب فلا يبطر ويغلب فلا يضجر ويفي بالعهد وينجز الموعود واشهد انه نبي
وقال نفطويه في قوله تعالى يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار هذا مثل ضربه
الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم يقول يكاد منظره يدل على نبوته وان لم يتل
قرانا كما قال ابن رواحة

لو لم تكن فيه ايات مبينة لكان منظره ينبيك بالخبر

وقد آن ان ناخذ في ذكر النبوة والوحي والرسالة وبعده في معجزة القران وما فيه من	ان ع
براهين ودلالة

فصل اعلم ان الله جل اسمه قادر على خلق المعرفة في قلوب
عباده والعلم بذاته واسمائه وصفاته وجميع تكليفاته ابتداء دون واسطة لو شا
كما حكي عن سنته في بعض الانبيا وذكره بعض اهل التفسير في قوله وما لبشر ان يكلمه	كان ع
الله الا وحيا وجائز ان يوصل اليهم جميع ذلك بواسطة تبلغهم كلامه ويكون
ذلك الواسطة اما من غير البشر كالملائكة مع الانبيا او من جنسهم كالانبيا مع
الامم ولا مانع لهذا من دليل العقل واذا جاز هذا ولم يستحل وجاءت الرسل بما
دل على صدقهم من معجزاتهم وجب تصديقهم في جميع ما اتوا به لان المعجز مع التحدي من
النبي قائم مقام قول الله صدق عبدي فاطيعوه واتبعوه وشاهد على صدقه فيما يقوله
وهذا كاف والتطويل فيه خارج عن الغرض فمن اراد تتبعه وجده مستوفى في
مصنفات ايمتنا رحمهم الله والنبوة في لغة من همز ماخوذة من النبا وهو الخبر
وقد لا تهمز على هذا التاويل تسهيلا والمعنى ان الله تعالى اطلعه على غيبه واعلمه
انه نبيه فيكون نبي منبا فعيل بمعنى مفعول او يكون مخبرا عما بعثه الله به ومنبيا
بما اطلعه الله عليه فعيل بمعنى فاعل ويكون عند من لم يهمزه من النبوة وهو ما ارتفع
من الارض معناه ان له رتبة شريفة ومكانة نبيهة عند مولاه منيفة فالوصفان في	نبيهة
حقه موتلفان واما الرسول فهو المرسل ولم يات فعول بمعنى مفعل في اللغة الا
نادرا وارساله امر الله له بالابلاغ الى من ارسله اليه واشتقاقه من التتابع ومنه
قولهم جا الناس ارسالا اذا اتبع بعضهم بعضا فكانه الزم تكرير التبليغ او الزم الامة

اتباعه واختلف العلماء هل النبي والرسول بمعنى او بمعنيين فقيل هما سواء واصله
من الانباء وهو الاعلام واستدلوا بقوله تعالى وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي
فقد اثبت لهما معا الارسال قال ولا يكون النبي الا رسولا ولا الرسول الا نبيا وقيل
هما مفترقان من وجه اذ قد اجتمعا في النبوة التي هي الاطلاع على الغيب والاعلام
بخواص النبوة او الرفعة بمعرفة ذلك وحوز درجتها وافترقا في زيادة الرسالة للرسول
وهو الامر بالانذار والاعلام كما قلنا وحجتهم من الاية نفسها التفريق بين الاسمين ولو
كانا شيئا واحدا لما حسن تكرارهما في الكلام البليغ قالوا والمعنى وما ارسلنا
من رسول الى امة او نبي ليس بمرسل الى احد وقد ذهب بعضهم الى ان الرسول من جاء بشرع
مبتدا ومن لم يات به نبي غير رسول وان امر بالابلاغ والانذار والصحيح الذي
عليه الجم الغفير ان كل رسول نبي وليس كل نبي رسولا واول الرسل ادم واخرهم
محمد صلى الله عليه وسلم وفي حديث ابي ذر رضي الله عنه ان الانبياء مائة الف واربعة وعشرون
الف نبي وذكر ان الرسل منهم ثلاثمائة وثلاثة عشر اولهم ادم فقد بان لك
معنى النبوة والرسالة وليستا عند المحققين ذاتا للنبي ولا وصف ذات خلافا للكرامية
في تطويل لهم وتهويل ليس عليه تعويل واما الوحي فاصله الاسراع فلما كان النبي
يتلقى ما ياتيه من ربه بعجل سمي وحيا وسميت انواع الالهامات وحيا تشبيها بالوحي
الى النبي وسمي الخط وحيا لسرعة حركة يد كاتبه ووحي الحاجب واللحظ سرعة
اشارتهما ومنه قوله تعالى فاوحى اليهم ان سبحوا بكرة وعشيا اي اوما ورمز
وقيل كتب ومنه قولهم الوحا الوحا اي السرعة وقيل اصل الوحي السر والاخفاء
ومنه سمي الالهام وحيا ومنه قوله وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم اي يوسوسون
في صدورهم ومنه قوله واوحينا الى ام موسى اي القي في قلبها وقد قيل ذلك في قوله
تعالى وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا اي ما يلقيه في قلبه دون واسطة

فصل اعلم ان معنى تسميتنا ما جاءت به الانبياء معجزة هو ان الخلق عجزوا عن
الاتيان بمثلها وهي على ضربين ضرب هو من نوع قدرة البشر فعجزوا عنه فتعجيزهم عنه

عنه فعل لله دل على صدق نبيه كصرفهم عن تمني الموت وتعجيزهم عن الاتيان بمثل
القران على راي بعضهم ونحوه وضرب هو خارج عن قدرتهم فلم يقدروا على الاتيان
بمثله كاحياء الموتى وقلب العصا حية واخراج ناقة من صخرة وكلام شجرة ونبع
الماء من الاصابع وانشقاق القمر مما لا يمكن ان يفعله احد الا الله فكون ذلك
على يد النبي من فعل الله تعالى وتحديه من يكذبه ان ياتي بمثله تعجيز له واعلم
ان المعجزات التي ظهرت على يد نبينا صلى الله عليه وسلم ودلائل نبوته وبراهين صدقه
من هذين النوعين معا وهو اكثر الرسل معجزة وابهرهم اية واظهرهم برهانا
كما سنبينه وهي في كثرتها لا يحيط بها ضبط فان واحدا منها وهو القران لا يحصى
عدد معجزاته بالف ولا الفين ولا اكثر لان النبي قد تحدى بسورة منه فعجز
عنها قال اهل العلم واقصر السور انا اعطيناك الكوثر فكل اية او ايات منه بعدد
وقدرها معجزة ثم فيها نفسها معجزات على ما سنفصله فيما انطوى عليه من المعجزات
ثم معجزاته صلى الله عليه وسلم على قسمين قسم منها علم قطعا ونقل الينا متواترا
كالقران فلا مرية ولا خلاف بمجيء النبي به وظهوره من قبله واستدلاله بحجته وان انكر
هذا معاند جاحد فهو كانكاره وجود محمد في الدنيا وانما جاء اعتراض الجاحدين
في الحجة به فهو في نفسه وجميع ما تضمنه من معجز معلوم ضرورة ووجه اعجازه
معلوم ضرورة ونظرا كما سنشرحه قال بعض ائمتنا ويجري هذا المجرى على الجملة
انه قد جرى على يديه عليه السلام ايات وخوارق عادات ان لم يبلغ واحد منها
معينا القطع فيبلغه جميعها فلا مرية في جريان معانيها على يديه ولا يختلف
مؤمن ولا كافر انه جرت على يديه عجائب وانما خلاف المعاند في كونها من قبل الله
وقد قدمنا كونها من قبل الله وان ذلك بمثابة قوله صدقت فقد علم وقوع مثل
هذا ايضا من نبينا صلى الله عليه وسلم ضرورة لاتفاق معانيها كما يعلم ضرورة جود
حاتم وشجاعة عنترة وحلم احنف لاتفاق الاخبار الواردة عن كل واحد منهم على كرم
هذا وشجاعة هذا وحلم هذا وان كان كل خبر بنفسه لا يوجب العلم ولا يقطع بصحته

لم

والقسم الثاني ما لم يبلغ مبلغ الضرورة والقطع وهو على نوعين نوع مشتهر منتشر
رواه العدد وشاع الخبر به عند المحدثين والرواة ونقلة السير والأخبار كنبع الماء
من بين الأصابع وتكثير الطعام ونوع منه اختص به الواحد والاثنان ورواه العدد
اليسير ولم يشتهر اشتهار غيره لكنه إذا جمع إلى مثله اتفقا في المعنى واجتمعا
على الإتيان بالمعجز كما قدمنا قال القاضي أبو الفضل وأنا أقول صدعا بالحق
إن كثيرا من هذه الآيات المأثورة عنه عليه السلام معلومة بالقطع أما انشقاق
القمر فالقرآن نص بوقوعه وأخبر عن وجوده ولا يعدل عن ظاهر إلا بدليل وجاء
برفع احتماله صحيح الأخبار من طرق كثيرة فلا يوهن عزمنا خلاف أخرق منحل
عرى الدين ولا يلتفت إلى سخافة مبتدع يلقي الشك على قلوب ضعفاء المؤمنين بل نرغم
بهذا أنفه وننبذ بالعراء سخفه وكذلك قصة نبع الماء وتكثير الطعام رواها
الثقات والعدد الكثير عن الجماء الغفير عن العدد الكثير من الصحابة ومنها
ما رواه الكافة عن الكافة متصلا عمن حدث بها من جملة الصحابة وإخبارهم
أن ذلك كان في موطن اجتماع الكثير منهم في يوم الخندق وفي غزوة بواط وعمرة
الحديبية وغزوة تبوك وأمثالها من محافل المسلمين ومجمع العساكر ولم يؤثر عن
أحد من الصحابة مخالفة للراوي فيما حكاه ولا إنكار لما ذكر عنهم أنهم رأوه كما رآه
فسكوت الساكت منهم كنطق الناطق إذ هم المنزهون عن السكوت على باطل والمداهنة
في كذب وليس هناك رغبة ولا رهبة تمنعهم ولو كان ما سمعوه منكرا عندهم وغير
معروف لديهم لأنكروه كما أنكر بعضهم على بعض أشياء رواها من السنن والسير
وحروف القرآن وخطأ بعضهم بعضا ووهمه في ذلك مما هو معلوم فهذا النوع
كله يلحق بالقطعي من معجزاته لما بيناه وأيضا فإن أمثال الأخبار التي لا أصل لها وبنيت
على باطل لا بد مع مرور الأزمان وتداول الناس وأهل البحث من انكشاف ضعفها وخمول
ذكرها كما يشاهد في كثير من الأخبار الكاذبة والأراجيف الطارئة وأعلام نبينا
هذه الواردة من طريق الآحاد لا تزداد مع مرور الأزمان إلا ظهورا ومع تداول

الفرق وكثرة طعن العدو وحرصه على توهينها وتضعيف أصلها واجتهاد الملحد
على إطفاء نورها إلا قوة وقبولا ولا للطاعن عليها إلا حسرة وغليلا وكذلك إخباره
عن الغيوب وإنباؤه بما يكون وكان معلوم من آياته على الجملة بالضرورة وهذا
وهذا حق لا غطاء عليه وقال به من أئمتنا القاضي والأستاذ أبو بكر وغيرهما
رحمهما الله وما عندي أوجب قول القائل إن هذه القصص المشهورة من باب
خبر الواحد إلا قلة مطالعته للأخبار وروايتها وشغله بغير ذلك من المعارف
وإلا فمن اعتنى بطرق النقل وطالع الأحاديث والسير لم يرتب في صحة هذه القصص
المشهورة على الوجه الذي ذكرناه ولا يبعد أن يحصل العلم بالتواتر عند واحد ولا يحصل
عند آخر فإن أكثر الناس يعلمون بالخبر كون بغداد موجودة وأنها مدينة عظيمة ودار
الإمارة والخلافة وآحاد من الناس لا يعلمون اسمها فضلا عن وصفها وهكذا يعلم
الفقهاء من أصحاب مالك بالضرورة وتواتر النقل عنه أن مذهبه إيجاب قراءة القرآن
في الصلاة للمنفرد والإمام وإجزاء النية في أول ليلة من رمضان عما سواه وأن
الشافعي يرى تجديد النية كل ليلة والاقتصار في المسح على بعض الرأس وأن مذهبهما
القصاص في القتل بالمحدد وغيره وإيجاب النية في الوضوء واشتراط الولي في النكاح
وأن أبا حنيفة يخالفهما في هذه المسائل وغيرهم ممن لم يشتغل بمذاهبهم ولا روى
أقوالهم لا يعرف هذا من مذاهبهم فضلا عمن سواه وعند ذكرنا آحاد هذه
المعجزات نزيد الكلام فيها بيانا إن شاء الله تعالى

فصل في إعجاز القرآن

اعلم وفقنا الله وإياك أن كتاب الله العزيز منطو على وجوه من الإعجاز كثيرة وتحصيلها
من جهة ضبط أنواعها في أربعة وجوه أولها حسن تأليفه والتئام كلمه وفصاحته
ووجوه إيجازه وبلاغته الخارقة عادة العرب وذلك أنهم كانوا أرباب هذا
الشأن وفرسان الكلام قد خصوا من البلاغة والحكم ما لم يخص به غيرهم من الأمم
وأوتوا من ذرابة اللسان ما لم يؤت إنسان ومن فصل الخطاب ما يقيد الألباب
جعل الله لهم ذلك طبعا وخلقة وفيهم غريزة وقوة يأتون منه على البديهة بالعجب

ويدلون به الى كل سبب، يخطبون بديهًا في المقامات وشديد الخطب، ويرتجزون
به بين الطعن والضرب، ويمدحون ويقدحون، ويتوسلون ويتوصلون، ويرفعون
ويضعون، فيأتون من ذلك بالسحر الحلال، ويطوقون من اوصافهم اجمل من سمط اللال
فيخدعون الالباب، ويذللون الصعاب، ويذهبون الاحن، ويهيجون الدمن، ويجرؤون
الجبان، ويبسطون يد الجعد البنان، ويصيرون الناقص كاملا، ويتركون النبيه خاملا،
منهم البدوي ذو اللفظ الجزل، والقول الفصل، والكلام الفخم، والطبع الجوهري
والمنزع القوي، ومنهم الحضري ذو البلاغة البارعة، والالفاظ الناصعة، والكلمات
الجامعة، والطبع السهل، والتصرف في القول القليل الكلفة، الكثير الرونق الرقيق
الحاشية، وكلا البابين فلهما في البلاغة الحجة البالغة، والقوة الدامغة، والقدح
الفالج، والمهيع الناهج، لا يشكون أن الكلام طوع مرادهم، والبلاغة ملك قيادهم،
قد حووا فنونها، واستنبطوا عيونها، ودخلوا من كل باب من ابوابها، وعلوا صرحًا
لبلوغ اسبابها، فقالوا في الخطير والمهين، وتفننوا في الغث والسمين، وتقاولوا في
القل والكثر، وتساجلوا في النظم والنثر، فما راعهم الا رسول كريم، بكتاب عزيز لا
يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، أحكمت اياته، وفصلت
كلماته، وبهرت بلاغته العقول، وظهرت فصاحته على كل مقول، وتظافر ايجازه
واعجازه، وتظاهرت حقيقته ومجازه، وتبارت في الحسن مطالعه ومقاطعه، وحوت
كل البيان جوامعه وبدايعه، واعتدل مع ايجازه حسن نظمه، وانطبق على كثرة فوايده
مختار لفظه، وهم افسح ما كانوا في هذا الباب مجالا، واشهر في الخطابة رجالا، واكثر
في السجع والشعر ارتجالا، واوسع في الغريب واللغة مقالا، بلغتهم التي بها يتحاورون
ومنازعهم التي عنها يتناضلون، صارخًا بهم في كل حين، ومقرعًا لهم بضعًا وعشرين
عامًا على رؤس الملا اجمعين، ام يقولون افتراه قل فاتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم
من دون الله ان كنتم صادقين، وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله
الى قوله ولن تفعلوا، وقل لئن اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القران الاية، وقل

فاتوا بعشر سور مثله مفتريات، وذلك ان المفترى اسهل، ووضع الباطل والمختلق
على الاختيار اقرب، واللفظ اذا تبع المعنى الصحيح كان اصعب، ولهذا قيل فلان
يكتب كما يقال له، وفلان يكتب كما يريد، وللاول على الثاني فضل وبينهما شاو بعيد،
فلم يزل يقرعهم صلى الله عليه وسلم اشد التقريع، ويوبخهم غاية التوبيخ، ويسفه
احلامهم، ويحط اعلامهم، ويشتت نظامهم، ويذم الهتهم واباهم، ويستبيح ارضهم
وديارهم واموالهم، وهم في كل هذا ناكصون عن معارضته، محجمون عن مماثلته،
يخادعون انفسهم بالتشغيب بالتكذيب، والاغترا بالافترا، وقولهم ان هذا الا سحر
يوثر، وسحر مستمر، وافك افتراه، واساطير الاولين، والمباهتة والرضى بالدنية
كقولهم قلوبنا غلف، وفي اكنة مما تدعونا اليه وفي اذاننا وقر ومن بيننا وبينك
حجاب، ولا تسمعوا لهذا القران والغوا فيه لعلكم تغلبون، والادعا مع العجز
بقولهم لو نشا لقلنا مثل هذا، وقد قال لهم الله ولن تفعلوا فما فعلوا ولا قدروا،
ومن تعاطى ذلك من سخفايهم كمسيلمة كشف عواره لجميعهم، وسلبهم الله ما الفوه
من فصيح كلامهم، والا فلم يخف على اهل الميز منهم انه ليس من نمط فصاحتهم ولا
جنس بلاغتهم، بل ولوا عنه مدبرين، واتوا مذعنين من بين مهتد وبين مفتون، ولهذا
لما سمع الوليد بن المغيرة من النبي صلى الله عليه وسلم ان الله يامر بالعدل والاحسان
الاية، قال والله ان له لحلاوة، وان عليه لطلاوة، وان اسفله لمغدق، وان اعلاه
لمثمر، ما يقول هذا بشر، وذكر ابو عبيد ان اعرابيًا سمع رجلًا يقرأ فاصدع بما تومر
فسجد وقال سجدت لفصاحته، وسمع اخر رجلا يقرا فلما استيأسوا منه خلصوا
نجيا، فقال اشهد ان مخلوقًا لا يقدر على مثل هذا الكلام، وحكي ان عمر بن الخطاب رضي
الله عنه كان يومًا نايمًا في المسجد فاذا هو بقايم على راسه يتشهد شهادة الحق،
فاستخبره فاعلمه انه من بطارقة الروم ممن يحسن كلام العرب وغيرها وانه سمع رجلا
من اسرى المسلمين يقرأ اية من كتابكم فتاملتها فاذا قد جمع فيها ما انزل على عيسى
ابن مريم من احوال الدنيا والاخرة وهي قوله تعالى ومن يطع الله ورسوله الاية، وحكي

ويخش الله ويتقه هم

الاصمعي انه سمع كلام جارية فقال لها قاتلك الله ما افصحك فقالت او يعد
هذا فصاحة بعد قول الله تعالى واوحينا الى ام موسى ان ارضعيه الاية فجمع في اية
واحدة بين امرين ونهيين وخبرين وبشارتين فهذا نوع من اعجازه منفرد بذاته غير
مضاف الى غيره على التحقيق والصحيح من القولين وكون القران من قبل النبي صلى الله عليه
وسلم وانه اتى به معلوم ضرورة وكونه عليه السلام متحديا به معلوم ضرورة
وعجز العرب عن الاتيان به معلوم ضرورة وكونه في فصاحته خارقا للعادة معلوم
ضرورة للعالمين بالفصاحة ووجوه البلاغة وسبيل من ليس من اهلها علم ذلك
بعجز المنكرين من اهلها عن معارضته واعتراف المقرين باعجاز بلاغته وانت اذا
تاملت قوله تعالى ولكم في القصاص حياة وقوله ولو ترى اذ فزعوا فلا فوت واخذوا
من مكان قريب وقوله ادفع بالتي هي احسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي
حميم وقوله وقيل يا ارض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي الاية وقوله فكلا اخذنا بذنبه
فمنهم من ارسلنا عليه حاصبا الاية واشباهها من الاي بل اكثر القران حققت ما
بينته من ايجاز الفاظها وكثرة معانيها وديباجة عبارتها وحسن تاليف حروفها
وتلاوم كلمها وان تحت كل لفظة منها جملا كثيرة وفصولا جمة وعلوما زواخر
ملئت الدواوين من بعض ما استفيد منها وكثرت المقالات في المستنبطات عنها ثم
هو في سرد القصص الطوال واخبار القرون السوالف التي يضعف في عادة الفصحاء
عندها الكلام ويذهب ماء البيان اية لمتامله من ربط الكلام بعضه ببعض والتئام
سرده وتناصف وجوهه كقصة يوسف على طولها ثم اذا ترددت قصصه اختلفت
العبارات عنها على كثرة ترددها حتى تكاد كل واحدة تنسي في البيان صاحبتها وتناصف
في الحسن وجه مقابلتها ولا نفور للنفوس من ترديدها ولا معاداة لمعادها

فصل الوجه الثاني من اعجازه صورة نظمه العجيب والاسلوب الغريب المخالف
لاساليب كلام العرب ومناهج نظمها ونثرها الذي جاء عليه ووقفت مقاطع ايه
وانتهت فواصل كلماته اليه ولم يوجد قبله ولا بعده نظير له ولا استطاع احد

اذ انطوت

على مثاله شيء منه بل حارت فيه عقولهم وتدلهت دونه احلامهم ولم يهتدوا
الى مثله في جنس كلامهم من نثر او سجع او رجز او شعر ولما سمع كلامه صلى الله
عليه وسلم الوليد بن المغيرة وقرا عليه القران رق فجاءه ابو جهل منكرا عليه
قال والله ما منكم احد اعلم بالاشعار مني والله ما يشبه الذي يقول شيئا من هذا
وفي خبره الاخر حين جمع قريشا عند حضور الموسم وقال ان وفود العرب ترد فاجمعوا
فيه رايا لا يكذب بعضكم بعضا فقالوا نقول كاهن قال والله ما هو بكاهن ما هو
بزمزمته ولا سجعه قالوا مجنون قال ما هو بمجنون ولا بخنقه ولا وسوسته قالوا
نقول شاعر قال ما هو بشاعر قد عرفنا الشعر كله رجزه وهزجه وقريضه ومبسوطه
ومقبوضه ما هو بشاعر قالوا فنقول ساحر قال ما هو بساحر ولا نفثه ولا عقده
قالوا فما نقول قال ما انتم بقائلين من هذا شيئا الا وانا اعرف انه باطل وان اقرب القول
انه ساحر فانه سحر يفرق بين المرء وابنه والمرء واخيه والمرء وزوجه والمرء
وعشيرته فتفرقوا وجلسوا على السبل يحذرون الناس فانزل الله تعالى في الوليد ذرني
ومن خلقت وحيدا الايات وقال عتبة بن ربيعة حين سمع القران يا قوم قد علمتم اني
لم اترك شيئا الا وقد علمته وقراته وقلته والله لقد سمعت قولا والله ما سمعت
مثله قط ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة وقال النضر بن الحرث نحوه وفي
حديث اسلام ابي ذر ووصف اخاه انيسا فقال والله ما سمعت باشعر من اخي انيس
لقد ناقض اثني عشر شاعرا في الجاهلية انا احدهم وانه انطلق الى مكة وجاء الى ابي
ذر بخبر النبي صلى الله عليه وسلم قلت فما يقول الناس قال يقولون شاعر كاهن ساحر
لقد سمعت قول الكهنة فما هو بقولهم ولقد وضعته على اقراء الشعر فلم يلتئم وما يلتئم
على لسان احد بعدي انه شعر وانه لصادق وانهم لكاذبون والاخبار في هذا صحيحة
كثيرة والاعجاز بكل واحد من النوعين الايجاز والبلاغة بذاتها والاسلوب الغريب
بذاته كل واحد منهما نوع اعجاز على التحقيق لم تقدر العرب على الاتيان بواحد منهما اذ
كل واحد خارج عن قدرتها مباين لفصاحتها وكلامها والى هذا ذهب غير واحد من

او نظيره

أئمة المحققين، وذهب بعض المقتدى بهم إلى أن الإعجاز في مجموع البلاغة والأسلوب
وأتى على ذلك بقول تمجه الأسماع وتنفر منه القلوب، والصحيح ما قدمناه والعلم
بهذا كله ضرورة وقطعًا ومن تفنن في علوم البلاغة وأرهف خاطره ولسانه أدب
هذه الصناعة لم يخف عليه ما قلناه، وقد اختلف أئمة أهل السنة في وجه عجزهم
عنه فأكثرهم يقول إنه بما جمع في قوة جزالته ونصاعة ألفاظه وحسن نظمه
وإيجازه وبديع تأليفه وأسلوبه لا يصح أن يكون في مقدور البشر وأنه من باب
الخوارق الممتنعة عن إقدار الخلق عليها كإحياء الموتى وقلب العصا وتسبيح الحصى
وذهب الشيخ أبو الحسن إلى أنه مما يمكن أن يدخل مثله تحت مقدور البشر ويقدرهم
الله عليه ولكنه لم يكن هذا ولا يكون فمنعهم الله وعجزهم عنه وقال به جماعة
من أصحابه، وعلى الطريقين عجز العرب عنه ثابت وإقامة الحجة عليهم بما يصح أن يكون
في مقدور البشر وتحديهم بأن يأتوا بمثله قاطع وهو أبلغ في التعجيز وأحرى بالتقريع
والاحتجاج بمجيء بشر مثلهم بشيء ليس من قدرة البشر لازم وهو أبهر آية وأقمع
دلالة، وعلى كل حال فما أتوا في ذلك بمقال بل صبروا على الجلاء والقتل وتجرعوا
كاسات الصغار والذل وكانوا من شموخ الأنف وإباية الضيم بحيث لا يؤثرون
ذلك اختيارًا ولا يرضونه إلا اضطرارًا وإلا فالمعارضة لو كانت من قدرهم
والشغل بها أهون عليهم وأسرع بالنجح وقطع العذر وإفحام الخصم لديهم وهم
ممن لهم قدرة على الكلام وقدوة في المعرفة لجميع الأنام وما منهم إلا من جهد
جهده واستنفد ما عنده في إخفاء ظهوره وإطفاء نوره فما جلوا في ذلك خبيئة
من بنات شفاههم ولا أتوا بنطفة من معين مياههم مع طول الأمد وكثرة
العدد وتظاهر الوالد وما ولد بل أبلسوا فما نبسوا ومنعوا فانقطعوا فهذان
نوعان من إعجازه.

فصل الوجه الثالث من الإعجاز ما انطوى عليه من
الإخبار بالمغيبات وما لم يكن ولم يقع فوجد كما ورد على الوجه الذي أخبر
كقوله تعالى لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين، وقوله وهم من بعد غلبهم
سيغلبون، وقوله ليظهره على الدين كله، وقوله وعد الله الذين آمنوا منكم
وعملوا الصالحات ليستخلفنهم الآية، وقوله إذا جاء نصر الله إلى آخرها فكان جميع
هذا كما قال فغلبت الروم فارس في بضع سنين ودخل الناس في الإسلام أفواجًا
فما مات عليه السلام وفي بلاد العرب كلها موضع لم يدخله الإسلام، واستخلف المؤمنين
في الأرض ومكن فيها دينهم وملكهم إياها من أقصى المشارق إلى أقصى المغارب
كما قال عليه السلام زويت لي الأرض فأريت مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك
أمتي ما زوي لي منها، وقوله إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون فكان كذلك لا يكاد
يعد من سعى في تغييره وتبديل محكمه من الملحدة والمعطلة لا سيما القرامطة
فأجمعوا كيدهم وحولهم وقوتهم اليوم نيفًا على خمسمائة عام فما قدروا على إطفاء
شيء من نوره ولا تغيير كلمة من كلامه ولا تشكيك المسلمين في حرف من حروفه والحمد
لله، ومنه قوله سيهزم الجمع ويولون الدبر، وقوله قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم
الآية، وقوله هو الذي أرسل رسوله بالهدى الآية، وقوله لن يضروكم إلا أذى وإن
يقاتلوكم الآية، فكان كل ذلك وما فيه من كشف أسرار المنافقين واليهود ومقالهم
وكذبهم في حلفهم وتقريعهم بذلك كقوله ويقولون في أنفسهم لولا يعذبنا الله
بما نقول، وقوله يخفون في أنفسهم ما لا يبدون لك الآية، وقوله ومن الذين هادوا
سماعون للكذب الآية، وقوله من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه إلى قوله في الدين
وقد قال مبديًا ما قدره الله واعتقده المؤمنون يوم بدر وإذ يعدكم الله إحدى
الطائفتين أنها لكم وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم، ومنه قوله إنا كفيناك
المستهزئين، ولما نزلت بشر بذلك النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه بأن الله كفاه إياهم
وكان المستهزئون نفرًا بمكة ينفرون الناس عنه ويؤذونه فهلكوا، وقوله والله
يعصمك من الناس فكان كذلك على كثرة من رام ضره وقصد قتله والأخبار بذلك معروفة
صحيحة.

فصل الوجه الرابع ما أنبأ به من أخبار القرون السالفة والأمم البائدة
والشرائع الداثرة مما كان لا يعلم منه القصة الواحدة إلا الفذ من أحبار أهل الكتاب الذي

باب المنافقين

وقطع عمره في تعلم ذلك فيورده النبي صلى الله عليه وسلم على وجهه ويأتي به على نصه فيعترف العالم بذلك بصحته وصدقه وان مثله لم ينله بتعليم وقد علموا انه صلى الله عليه وسلم امي لا يقرأ ولا يكتب ولا اشتغل بمدارسة ولا مثافنة لم يغب عنهم ولا جهل حاله احد منهم وقد كان اهل الكتاب كثيرا ما يسألونه صلى الله عليه وسلم عن هذا فينزل عليه من القرآن ما يتلوا عليهم منه ذكرا كقصص الانبياء مع قومهم وخبر موسى والخضر ويوسف واخوته واصحاب الكهف وذي القرنين ولقمن وابنه واشباه ذلك من الانباء وبدء الخلق وما في التوراة والانجيل والزبور وصحف ابرهيم وموسى مما صدقه فيه العلما بها ولم يقدروا على تكذيب ما ذكر منها بل اذعنوا لذلك فمن موفق امن بما سبق له من خير ومن شقي معاند حاسد ومع هذا فلم يحك عن واحد من النصارى واليهود على شدة عداوتهم له وحرصهم على تكذيبه وطول احتجاجه عليهم بما في كتبهم وتقريعهم بما انطوت عليه مصاحفهم وكثرة سوالهم له عليه السلام وتعنيتهم اياه عن اخبار انبيائهم واسرار علومهم ومستودعات سيرهم واعلامه لهم بمكتوم شرائعهم ومضمنات كتبهم مثل سوالهم عن الروح وذي القرنين واصحاب الكهف وعيسى وحكم الرجم وما حرم اسرايل على نفسه وما حرم عليهم من الانعام ومن طيبات كانت احلت لهم فحرمت عليهم ببغيهم وقوله ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الانجيل وغير ذلك من امورهم التي نزل فيها القرآن فاجابهم وعرفهم بما اوحي اليه من ذلك انه انكر ذلك او كذبه بل اكثرهم صرح بصحة نبوته وصدق مقاله واعترف بعناده وحسده اياه كاهل نجران وابن صوريا وابني اخطب وغيرهم ومن باهت في ذلك بعض المباهتة وادعى ان فيما عنده من ذلك لما حكاه مخالفة دعي الى اقامة حجته وكشف دعوته فقيل له فاتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين الى قوله الظالمون فقرع ووبخ ودعا الى احضار ممكن غير ممتنع فمن معترف بما جحده ومتواقح يلقي على فضيحته من كتابه يده ولم يؤثر ان واحدا منهم اظهر خلاف قوله من كتبه ولا ابدى صحيحا ولا سقيما من صحفه قال

الانبيا والقصص

الله تعالى يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفوا عن كثير الايتين.

فصل هذه الوجوه الاربعة من اعجازه بينة لا نزاع فيها ولا مرية ومن الوجوه البينة في اعجازه من غير هذه الوجوه اي وردت بتعجيز قوم في قضايا واعلامهم انهم لا يفعلونها فما فعلوا ولا قدروا على ذلك كقوله لليهود قل ان كانت لكم الدار الاخرة عند الله خالصة الاية قال ابو اسحق الزجاج في هذه الاية اعظم حجة واظهر دلالة على صحة الرسالة لانه قال لهم فتمنوا الموت واعلمهم انهم لن يتمنوه ابدا فلم يتمنه واحد منهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لا يقولها رجل منهم الا غص بريقه يعني يموت مكانه فصرفهم الله عن تمنيه وجزعهم ليظهر صدق رسوله وصحة ما اوحي اليه اذ لم يتمنه احد منهم وكانوا على تكذيبه احرص لو قدروا ولكن الله يفعل ما يريد فظهرت بذلك معجزته وبانت حجته قال ابو محمد الاصيلي من اعجب امرهم انه لا توجد منهم جماعة ولا واحد من يوم امر الله بذلك نبيه يقدم عليه ولا يجيب اليه وهذا موجود مشاهد لمن اراد ان يمتحنه منهم وكذلك اية المباهلة من هذا المعنى حيث وفد عليه اساقفة نجران وابوا الاسلام فانزل الله عليه اية المباهلة بقوله فمن حاجك فيه الاية فامتنعوا منها ورضوا باداء الجزية وذلك ان العاقب عظيمهم قال لهم قد علمتم انه نبي وانه ما لاعن قوما نبي قط فبقي كبيرهم ولا صغيرهم ومثله قوله وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا الى قوله فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاخبرهم انهم لا يفعلون كما كان وهذه الاية ادخل في باب الاخبار عن الغيب ولكن فيها من التعجيز ما في التي قبلها.

فصل ومنها الروعة التي تلحق قلوب سامعيه واسماعهم عند سماعه والهيبة التي تعتريهم عند تلاوته لقوة حاله وانافة خطره وهي على المكذبين به اعظم حتى كانوا يستثقلون سماعه ويزيدهم نفورا كما قال تعالى ويودون انقطاعه لكراهتهم له ولهذا قال عليه السلام ان القرآن صعب مستصعب على من كرهه وهو الحكم واما المومن فلا تزال روعته

به وهيبته إياه مع تلاوته توليه انجذابًا وتكسبه هشاشة لميل قلبه إليه
وتصديقه به. قال تعالى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم
وقلوبهم إلى ذكر الله. وقال لو أنزلنا هذا القرآن على جبل الآية. ويدل على أن
هذا شيء خص به أنه يعتري من لا يفهم معانيه ولا يعلم تفاسيره. كما روي
عن نصراني أنه مر بقارئ فوقف يبكي فقيل له مم بكيت قال للشجا والنظم.
وهذه الروعة قد اعترت جماعة قبل الإسلام وبعده فمنهم من أسلم لها لأول وهلة
وآمن به ومنهم من كفر. فحكي في الصحيح عن جبير بن مطعم قال سمعت النبي صلى الله عليه
وسلم يقرأ في المغرب بالطور فلما بلغ هذه الآية أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون
إلى قوله المسيطرون كاد قلبي أن يطير. وفي رواية وذلك أول ما وقر الإيمان في
قلبي. وعن عتبة بن ربيعة أنه كلم النبي صلى الله عليه وسلم فيما جاء به من خلاف
قومه فتلا عليه حم فصلت إلى قوله صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود فأمسك
عتبة بيده على في النبي صلى الله عليه وسلم وناشده الرحم أن يكف. وفي رواية فجعل
النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ وعتبة مصغ ملق يديه خلف ظهره معتمد عليهما حتى
انتهى إلى السجدة فسجد النبي صلى الله عليه وسلم وقام عتبة لا يدري بما يراجعه ورجع
إلى أهله ولم يخرج إلى قومه حتى أتوه فاعتذر لهم وقال والله لقد كلمني بكلام والله
ما سمعت أذناي بمثله قط فما دريت ما أقول له. وقد حكي عن غير واحد ممن رام معارضته
أنه اعترته روعة وهيبة كف بها عن ذلك. فحكي أن ابن المقفع طلب ذلك ورامه
وشرع فيه فمر بصبي يقرأ وقيل يا أرض ابلعي ماءك فرجع فمحا ما عمل وقال أشهد
أن هذا لا يعارض وما هو من كلام البشر وكان من أفصح أهل وقته. وكان يحيى بن حكم
الغزال بليغ الأندلس في زمانه فحكي أنه رام شيئًا من هذا فنظر في سورة الإخلاص ليحذو
على مثالها وينسج بزعمه على منوالها قال فاعترتني خشية ورقة حملتني على التوبة والإنابة

فصل ومن وجوه إعجازه المعدودة كونه آية باقية لا تعدم ما بقيت الدنيا
مع تكفل الله بحفظه. فقال إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون وقال لا يأتيه الباطل

عن ح
قد مر
فاعترته إلخ

قال القاضي أبو الفضل رحمه الله تعالى

من بين يديه ولا من خلفه. وسائر معجزات الأنبياء انقضت بانقضاء أوقاتها فلم يبق إلا
خبرها والقرآن العزيز الباهرة آياته الظاهرة معجزاته على ما كان عليه اليوم مدة خمس
مائة عام وخمس وثلاثين سنة لأول نزوله إلى وقتنا هذا حجته قاهرة ومعارضته
ممتنعة والأعصار كلها طافحة بأهل البيان وحملة علم اللسان وأئمة البلاغة
وفرسان الكلام وجهابذة البراعة والملحد فيهم كثير والمعادي للشرع عتيد
فما منهم من أتى بشيء يؤثر في معارضته ولا ألف كلمتين في مناقضته ولا قدر فيه
على مطعن صحيح ولا قدح المتكلف من ذهنه في ذلك إلا بزند شحيح بل المأثور عن
كل من رام ذلك إلقاؤه في العجز بيديه والنكوص على عقبيه. **فصل** وقد عد
جماعة من الأئمة ومقلدي الأمة في إعجازه وجوهًا كثيرة منها أن قارئه لا يمله
وسامعه لا يمجه بل الإكباب على تلاوته يزيده حلاوة وترديده يوجب له محبة لا يزال
غضًا طريًا وغيره من الكلام ولو بلغ في الحسن والبلاغة مبلغه يمل مع الترديد
ويعادى إذا أعيد وكتابنا يستلذ به في الخلوات ويؤنس بتلاوته في الأزمات وسواه
من الكتب لا يوجد فيها ذلك حتى أحدث أصحابها لها لحونًا وطرقًا يستجلبون بتلك
اللحون تنشيطهم على قراءتها. ولهذا وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن بأنه
لا يخلق على كثرة الرد ولا تنقضي عبره ولا تفنى عجائبه هو الفصل ليس بالهزل لا يشبع
منه العلماء ولا تزيغ به الأهواء ولا تلتبس به الألسنة هو الذي لم تنته الجن حين
سمعته أن قالوا إنا سمعنا قرآنًا عجبًا يهدي إلى الرشد. ومنها جمعه لعلوم ومعارف
لم تعهد العرب عامة ولا محمد صلى الله عليه وسلم قبل نبوته خاصة بمعرفتها ولا القيام
بها ولا يحيط بها أحد من علماء الأمم ولا يشتمل عليها كتاب من كتبهم فجمع فيه من بيان علم
الشرائع والتنبيه على طرق الحجج العقليات والرد على فرق الأمم ببراهين قوية وأدلة بينة
سهلة الألفاظ موجزة المقاصد رام المتحذلقون بعد أن ينصبوا أدلة مثلها فلم يقدروا
عليها كقوله أوليس الذي خلق السماوات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم وقل يحييها الذي
أنشأها أول مرة ولو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا إلى ما حواه من علوم السير

وأنبا الأمم والمواعظ والحكم وأخبار الدار الآخرة ومحاسن الآداب والشيم قال
الله جل اسمه ما فرطنا في الكتاب من شيء ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء
ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل وقال عليه السلام إن الله أنزل هذا القرآن
آمرا وزاجرا وسنة خالية ومثلا مضروبا فيه نبأكم وخبر ما كان قبلكم ونبأ ما
بعدكم وحكم ما بينكم لا يخلقه طول الرد ولا تنقضي عجائبه هو الحق ليس بالهزل
من قال به صدق ومن حكم به عدل ومن خاصم به فلج ومن قسم به أقسط ومن عمل به أجر
ومن تمسك به هدي إلى صراط مستقيم ومن طلب الهدى من غيره أضله الله ومن حكم
بغيره قصمه الله هو الذكر الحكيم والنور المبين والصراط المستقيم وحبل الله المتين
والشفاء النافع عصمة لمن تمسك به ونجاة لمن اتبعه لا يعوج فيقوم ولا يزيغ
فيستعتب ولا تنقضي عجائبه ولا يخلق على كثرة الرد ونحوه عن ابن مسعود وقال
فيه ولا يختلف ولا يتشانا فيه نبأ الأولين والآخرين وفي الحديث قال الله لمحمد عليه صوابه تشانّ
السلام إني منزل عليك توراة حديثة تفتح بها أعينا عميا وآذانا صما وقلوبا غلفا
فيها ينابيع العلم وفهم الحكمة وربيع القلوب وعن كعب عليكم بالقرآن فإنه فهم
العقول ونور الحكمة وقال تعالى إن هذا القرآن يقص على بني إسرائيل أكثر الذي هم فيه
يختلفون وقال هذا بيان للناس وهدى الآية فجمع فيه مع وجازة ألفاظه
وجوامع كلمه أضعاف ما في الكتب قبله التي ألفاظها على الضعف منه مرات ومنها جمعه
فيه بين الدليل والمدلول وذلك أنه احتج بنظم القرآن وحسن رصفه وإيجازه وبلاغته
وأثناء هذه البلاغة أمره ونهيه ووعده ووعيده فالتالي له يفهم موضع الحجة
والتكليف معا من كلام واحد وسورة منفردة ومنها أن جعله في حيز المنظوم الذي
لم يعهد ولم يكن في حيز المنثور لأن المنظوم أسهل على النفوس وأوعى للقلوب وأسمح في
الآذان وأحلى على الأفهام فالناس إليه أميل والأهواء إليه أسرع ومنها تيسيره تعالى
حفظه لمتعلميه وتقريبه على متحفظيه قال الله تعالى ولقد يسرنا القرآن للذكر وسائر
الأمم لا يحفظ كتبها الواحد منهم فكيف الجماء على مرور السنين عليهم والقرآن ميسر حفظه

للغلمان في أقرب مدة ومنها مشاكلة بعض أجزائه بعضا وحسن ائتلاف أنواعها
والتئام أقسامها وحسن التخلص من قصة إلى أخرى والخروج من باب إلى غيره على
اختلاف معانيه وانقسام السورة الواحدة على أمر ونهي وخبر واستخبار ووعد ووعيد
وإثبات نبوة وتوحيد وتقرير وترغيب وترهيب إلى غير ذلك من فوائده دون
خلل يتخلل فصوله والكلام الفصيح إذا اعتوره مثل هذا ضعفت قوته ولانت
جزالته وقل رونقه وتقلقلت ألفاظه فتأمل أول ص وما جمع فيها من أخبار
الكفار وشقاقهم وتقريعهم بإهلاك القرون من قبلهم وما ذكر من تكذيبهم لمحمد صلى الله عليه وسلم
وتعجبهم مما أتى به والخبر عن اجتماع ملئهم على الكفر وما ظهر من الحسد في كلامهم
وتعجيزهم وتوهينهم ووعيدهم بخزي الدنيا والآخرة وتكذيب الأمم قبلهم وإهلاك
الله لهم ووعيد هؤلاء مثل مصابهم وتصبير النبي صلى الله عليه وسلم على أذاهم
وتسليته بكل ما تقدم ذكره ثم أخذ في ذكر داود وقصص الأنبياء كل هذا في أوجز
كلام وأحسن نظام ومنه الجملة الكثيرة التي انطوت عليها الكلمات القليلة وهذا
كله وكثير مما ذكرنا أنه ذكر في إعجاز القرآن إلى وجوه كثيرة ذكرها الأئمة لم نذكرها
إذ أكثرها داخل في باب بلاغته فلا يجب أن يعد فنا منفردا في إعجازه إلا في باب تفصيل
فنون البلاغة وكذلك كثير مما قدمنا ذكره عنهم يعد في خواصه وفضائله لا إعجازه
وحقيقة الإعجاز الوجوه الأربعة التي ذكرنا فليعتمد عليها وما بعدها من خواص القرآن
وعجائبه التي لا تنقضي وبالله التوفيق

فصل انشقاق القمر وحبس الشمس

قال الله تعالى اقتربت الساعة وانشق القمر وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر
أخبر تعالى بوقوع انشقاقه بلفظ الماضي وإعراض الكفرة عن آياته وأجمع المفسرون وأهل
السنة على وقوعه أخبرنا الحسين بن محمد الحافظ من كتابه نا القاضي سراج بن عبد الله
نا الأصيلي نا المروزي نا الفربري نا البخاري نا مسدد نا يحيى عن شعبة وسفيان
عن الأعمش عن إبراهيم عن أبي معمر عن ابن مسعود قال انشق القمر على عهد رسول الله صلى
الله عليه وسلم فرقتين فرقة فوق الجبل وفرقة دونه فقال رسول الله صلى الله عليه

وسلم اشهدوا وفي رواية مجاهد ونحن مع النبي صلى الله عليه وسلم وفي بعض طرق
الاعمش بمنى ورواه ايضا عن ابن مسعود الاسود وقال حتى رايت الجبل بين فرجتي
القمر ورواه عنه مسروق انه كان بمكة وزاد فقال كفار قريش سحركم ابن ابي
كبشة فقال رجل منهم ان محمدا ان كان سحر القمر فانه لا يبلغ من سحره ان يسحر الارض كلها
فسلوا من ياتيكم من بلد اخر هل راوا هذا فاتوا فسالوا فاخبروهم انهم راوا مثل ذلك
وحكى السمرقندي عن الضحاك نحوه وقال فقال ابو جهل هذا سحر فابعثوا الى اهل الافاق
حتى تنظروا اراوا ذلك ام لا فاخبر اهل الافاق انهم راوه منشقا فقالوا يعني
الكفار هذا سحر مستمر ورواه ايضا عن ابن مسعود علقمة فهؤلاء اربعة عن
عبد الله وقد رواه غير ابن مسعود كما رواه ابن مسعود منهم انس وابن عباس
وابن عمر وحذيفة وعلي وجبير بن مطعم فقال علي من رواية ابي حذيفة الارحبي
انشق القمر ونحن مع النبي صلى الله عليه وسلم وعن انس سال اهل مكة النبي صلى الله
عليه وسلم ان يريهم اية فاراهم انشقاق القمر مرتين حتى راوا حراء بينهما رواه
عن انس قتادة وفي رواية معمر وغيره عن قتادة عنه اراهم القمر مرتين انشقاقه
فنزلت اقتربت الساعة ورواه عن جبير بن مطعم ابنه محمد وابن ابنه جبير بن
محمد ورواه عن ابن عباس عبيد الله بن عبد الله ابن عتبة ورواه عن ابن عمر مجاهد
ورواه عن حذيفة ابو عبد الرحمن السلمي ومسلم بن ابي عمران الازدي واكثر طرق
هذه الاحاديث صحيحة والاية مصرحة ولا يلتفت الى اعتراض مخذول بانه لو
كان لم يخف على اهل الارض اذ هو شي ظاهر لجميعهم اذ لم ينقل لنا عن اهل الارض هذا
انهم رصدوه تلك الليلة فلم يروه انشق ولو نقل الينا عمن لا يجوز تمالؤهم
لكثرتهم على الكذب لما كانت علينا به حجة اذ ليس القمر في حد واحد لجميع
اهل الارض فقد يطلع على قوم قبل ان يطلع على اخرين وقد يكون من قوم بضد
ما هو من مقابليهم من اقطار الارض او يحول بين قوم وبينه سحاب او جبال ولهذا
نجد الكسوفات في بعض البلاد دون بعض وفي بعضها جزئية وفي بعضها كلية

كلية وفي بعضها لا يعرفها الا المدعون لعلمها ذلك تقدير العزيز العليم واية
القمر كانت ليلا والعادة من الناس بالليل الهدو والسكون وايجاف الابواب وقطع
التصرف ولا يكاد يعرف من امور السما شيا الا من رصد ذلك واهتبل به ولذلك
ما يكون الكسوف القمري كثيرا في البلاد واكثرهم لا يعلم به حتى يخبر وكثيرا ما
يحدث الثقات بعجايب يشاهدونها من انوار ونجوم طوالع عظام تظهر في الاحيان
بالليل في السما ولا علم عند احد منها وخرج الطحاوي في مشكل الحديث عن
اسما بنت عميس من طريقين ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يوحى اليه وراسه في حجر
علي فلم يصل العصر حتى غربت الشمس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اصليت يا علي
قال لا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم انه كان في طاعتك وطاعة رسولك
فاردد عليه الشمس قالت اسما فرايتها غربت ثم رايتها طلعت بعد ما غربت ووقفت
على الجبال والارض وذلك بالصهبا في خيبر قال وهذان الحديثان ثابتان ورواتهما
ثقات وحكى الطحاوي ان احمد بن صالح كان يقول لا ينبغي لمن سبيله العلم التخلف عن
حفظ حديث اسما لانه من علامات النبوة وروى يونس بن بكير في زيادة المغازي في
روايته عن ابن اسحق لما اسري برسول الله صلى الله عليه وسلم واخبر قومه بالرفقة
والعلامة التي في العير قالوا متى تجي قال يوم الاربعا فلما كان ذلك اليوم اشرفت
قريش ينظرون وقد ولي النهار ولم تجي فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فزيد له
في النهار ساعة وحبست عليه الشمس

فصل في نبع الماء من اصابعه

وتكثيره ببركته اما الاحاديث في هذا فكثيرة جدا روى حديث نبع الماء من اصابعه
صلى الله عليه وسلم جماعة من الصحابة منهم انس وجابر وابن مسعود حدثنا ابو
اسحق ابراهيم بن جعفر الفقيه رحمه الله بقراتي عليه نا القاضي عيسى بن سهل نا
ابو القسم حاتم بن محمد نا ابو عمر بن الفخار نا ابو عيسى نا يحيى نا مالك عن اسحق بن عبد الله
ابن ابي طلحة عن انس بن مالك رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم وحانت صلاة العصر
فالتمس الناس الوضو فلم يجدوه فاتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بوضوء فوضع

رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك الاناء يده وأمر الناس ان يتوضؤوا منه قال
فرأيت الما ينبع من بين اصابعه فتوضا الناس حتى توضؤوا من عند اخرهم ورواه
ايضا عن انس قتادة وقال باناء فيه ما يغمر اصابعه او لا يكاد يغمر قال كم
كنتم قال زها ثلاث مائة وفي رواية عنه وهم بالزوراء عند السوق ورواه
ايضا حميد وثابت والحسن عن انس وفي رواية حميد قلت كم كانوا قال ثمانين
ونحوه عن ثابت عنه وعنه ايضا وهم نحو من سبعين رجلا واما ابن مسعود ففي
الصحيح عنه من رواية علقمة بينما نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس معنا
ما فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم اطلبوا من معه فضل ما فاتي بما فصبه
في اناء ثم وضع كفه فيه فجعل الما ينبع من بين اصابع رسول الله صلى الله عليه وسلم
وفي الصحيح عن سالم بن ابي الجعد عن جابر عطش الناس يوم الحديبية ورسول الله صلى
الله عليه وسلم بين يديه ركوة فتوضا منها واقبل نحوه وقالوا ليس عندنا ما الا ما في [margin: الناس]
ركوتك فوضع النبي صلى الله عليه وسلم يده في الركوة فجعل الما يفور من بين اصابعه
كامثال العيون وفيه فقلت كم كنتم قال لو كنا مائة الف لكفانا كنا خمس عشرة
مائة وروي مثله عن انس عن جابر وفيه انه كان بالحديبية وفي رواية الوليد بن
عبادة بن الصامت عنه في حديث مسلم الطويل في ذكر غزوة بواط قال قال لي
رسول الله صلى الله عليه وسلم يا جابر ناد الوضوء وذكر الحديث بطوله وانه لم
يجد الا قطرة في عزلاء شجب فاتي به النبي صلى الله عليه وسلم فغمزه وتكلم بشيء لا ادري [margin: العزلاء فم القربة والشجب القربة البالية]
ما هو وقال ناد بجفنة الركب فاتيت بها فوضعتها بين يديه وذكر ان النبي صلى الله عليه
وسلم بسط يده في الجفنة وفرق اصابعه وصب جابر عليه وقال بسم الله قال فرأيت
الما يفور من بين اصابعه ثم فارت الجفنة واستدارت حتى امتلأت وامر الناس بالاستقاء
فاستقوا حتى رووا فقلت هل بقي احد له حاجة فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم
يده من الجفنة وهي ملأى وعن الشعبي ان النبي صلى الله عليه وسلم في بعض اسفاره اتي باداوة
ما وقيل ما معنا يا رسول الله ما غيرها فسكبها في ركوة ووضع اصبعه وسطها

وغمسها في الما وجعل الناس يجيئون فيتوضؤون ثم يقومون قال الترمذي وفي الباب
عن عمران بن حصين ومثل هذا في هذه المواطن الحفيلة والجموع الكثيرة لا تتطرق التهمة [margin: المحفلة]
الى المحدث به لانهم كانوا اسرع شيء الى تكذيبه لما جبلت عليه النفوس من ذلك
ولانهم كانوا ممن لا يسكت على باطل فهؤلاء قد رووا هذا واشاعوه ونسبوا
حضور الجم الغفير له ولم ينكر احد من الناس عليهم ما حدثوا به عنهم انهم فعلوه [margin: الجم]
وشاهدوه فصار كتصديق جميعهم له **فصل** ومما يشبه هذا من معجزاته تفجير
الما ببركته وانبعاثه بمسه ودعوته فيما روى مالك في الموطا عن معاذ بن جبل في
قصة غزوة تبوك وانهم وردوا العين وهي تبض من ما مثل الشراك فغرفوا من العين [margin: بشيء]
بايديهم حتى اجتمع في شي ثم غسل رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه وجهه ويديه
واعاده فيها فجرت بما كثير فاستقى الناس قال في حديث ابن اسحق فانخرق من الما ماله
حس كحس الصواعق ثم قال يوشك يا معاذ ان طالت بك حياة ان ترى ما هاهنا قد
ملئ جنانا وفي حديث البراء وسلمة بن الاكوع وحديثه اتم في قصة الحديبية وهم
اربع عشرة مائة وبئرها لا تروي خمسين شاة فنزحناها فلم نترك فيها قطرة [margin: جبا البير جانبها]
فقعد رسول الله صلى الله عليه وسلم على جباها قال البراء واتي بدلو منها فبصق فدعا
وقال سلمة فاما دعا واما بصق فيها فجاشت فارووا وارووا ركابهم وفي غير هذه من
الروايات في هذه القصة من طريق ابن شهاب في الحديبية فاخرج سهما من كنانته
فوضع في قعر قليب ليس فيه ما فروي الناس حتى ضربوا بعطن وعن ابي قتادة وذكر
ان الناس شكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم العطش في بعض اسفاره فدعا بالميضاة
فجعلها في ضبنه ثم التقم فمها فالله اعلم نفث فيها ام لا فشرب الناس حتى رووا
وملؤوا كل انا معهم فخيل الي انها كما اخذها مني وكانوا اثنين وسبعين رجلا وروي
مثله عن عمران بن حصين وذكر الطبري حديث ابي قتادة على غير ما ذكره اهل
الصحيح وان النبي صلى الله عليه وسلم خرج لهم ممدا لاهل مؤتة عندما بلغه قتل
الامراء وذكر حديثا طويلا فيه معجزات وايات للنبي صلى الله عليه وسلم وفيه اعلامهم

الميضاة مطهرة يتوضا منها

انهم يفقدون الماء في غد وذكر حديث الميضاة قال والقوم زهاء ثلاث مائة
وفي كتاب مسلم انه قال لابي قتادة احفظ علي ميضاتك فانه سيكون لها نبأ وذكر
نحوه ومن ذلك حديث عمران بن حصين حين اصاب النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه عطش
في بعض اسفارهم فوجه رجلين من اصحابه واعلمهما انهما يجدان امراة بمكان كذا معها
بعير عليه مزادتان الحديث فوجداها واتيا بها الى النبي صلى الله عليه وسلم فجعل في اناء
من مزادتيها وقال فيه ما شاء الله ان يقول ثم اعاد الماء في المزادتين ثم فتحت عزاليهما
وامر الناس فملؤوا اسقيتهم حتى لم يدعوا شيئا الا ملؤوه قال عمران ويخيل الي انهما
لم تزدادا الا امتلاء ثم امر فجمع للمراة من الازواد حتى ملأ ثوبها وقال اذهبي فانا
لم ناخذ من مائك شيئا ولكن الله سقانا الحديث بطوله وعن سلمة بن الاكوع قال نبي الله
صلى الله عليه وسلم هل من وضوء فجاء رجل باداوة فيها نطفة فافرغها في قدح فتوضانا
كلنا ندغفقه دغفقة اربع عشرة مائة وفي حديث عمر في جيش العسرة وذكر ما اصابهم
من العطش حتى ان الرجل لينحر بعيره فيعصر فرثه فيشربه فرغب ابو بكر الى النبي صلى
الله عليه وسلم في الدعاء فرفع يديه فلم يرجعهما حتى قالت السماء فانسكبت فملؤوا ما
معهم من انية ولم تجاوز العسكر وعن عمرو بن شعيب ان ابا طالب قال للنبي صلى الله
عليه وسلم وهو رديفه بذي المجاز عطشت وليس عندي ماء فنزل النبي صلى الله عليه
وسلم وضرب بقدمه الارض فخرج الماء فقال اشرب والحديث في هذا الباب كثير
ومنه الاجابة بدعاء الاستسقاء وما جانسه **فصل** ومن معجزاته تكثير الطعام
ببركته ودعائه حدثنا القاضي الشهيد ابو علي رحمه الله ثنا العذري ثنا الرازي ثنا
الجلودي ثنا ابن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج ثنا سلمة بن شبيب ثنا الحسن بن اعين ثنا معقل
عن ابي الزبير عن جابر ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم يستطعمه فاطعمه شطر وسق شعير
فما زال الرجل ياكل منه وامراته وضيفهما حتى كاله فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره فقال لو لم تكله
لاكلتم منه ولقام بكم ومن ذلك حديث ابي طلحة المشهور واطعامه صلى الله عليه وسلم
ثمانين او سبعين رجلا من اقراص من شعير جاء بها انس تحت يده اي ابطه فامر بها ففتت

الدغفقة الصب الشديد [illegible] وفلان في عيش دغفق اي واسع

حتى قامت السما

ففتت وقال فيها ما شاء الله ان يقول وحديث جابر في اطعامه صلى الله عليه وسلم
يوم الخندق الف رجل من صاع شعير وعناق وقال جابر فاقسم بالله لاكلوا حتى تركوه
وانحرفوا وان برمتنا لتغط كما هي وان عجيننا ليخبز وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
بصق في العجين والبرمة وبارك رواه عن جابر سعيد بن ميناء وايمن وحديث ابي ايوب
انه صنع لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولابي بكر من الطعام زهاء ما يكفيهما فقال له
النبي صلى الله عليه وسلم ادع ثلاثين من اشراف الانصار فدعاهم فاكلوا حتى تركوا ثم قال
ادع ستين فكان مثل ذلك ثم قال ادع سبعين فاكلوا حتى تركوا وما خرج منهم احد
حتى اسلم وبايع قال ابو ايوب فاكل من طعامي مائة وثمانون رجلا وعن سمرة بن جندب
اتي النبي صلى الله عليه وسلم بقصعة فيها لحم فتعاقبوها من غدوة حتى الليل يقوم قوم
ويقعد اخرون ومن ذلك حديث عبد الرحمن بن ابي بكر كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم
ثلاثين ومائة وذكر في الحديث انه عجن صاع من طعام وصنعت شاة فشوي سواد
بطنها قال وايم الله ما من الثلاثين ومائة الا وقد حز له حزة من سواد بطنها ثم جعل
منها قصعتين فاكلنا اجمعون وفضل في القصعتين فحملته على البعير ومن ذلك
حديث عبد الرحمن بن ابي عمرة الانصاري عن ابيه ومثله لسلمة بن الاكوع وابي هريرة
وعمر بن الخطاب فذكروا مخمصة اصابت الناس مع النبي صلى الله عليه وسلم في بعض
مغازيه فدعا ببقية الازواد فجاء الرجل بالحثية من الطعام وفوق ذلك واعلاهم
الذي اتى بالصاع من التمر فجمعه على نطع قال سلمة فحزرته كربضة العنز ثم دعا الناس
باوعيتهم فما بقي في الجيش وعاء الا ملؤوه وبقي منه وعن ابي هريرة امرني النبي صلى الله عليه
وسلم ان ادعو له اهل الصفة فتتبعتهم حتى جمعتهم فوضعت بين ايدينا صحفة
فاكلنا ما شئنا وفرغنا وهي مثلها حين وضعت الا ان فيها اثر الاصابع وعن علي بن ابي
طالب رضي الله عنه جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بني عبد المطلب وكانوا اربعين منهم
قوم ياكلون الجذعة ويشربون الفرق فصنع لهم مدا من طعام فاكلوا حتى شبعوا وبقي
كما هو ثم دعا بعس فشربوا حتى رووا وبقي كانه لم يشرب وقال انس ان النبي صلى الله عليه

وسلم حين اتيته بزينب امره ان يدعو له قوما سماهم وكل من لقيت حتى امتلا البيت
والحجرة وقدم اليهم تورا فيه قدر مد من تمر جعل حيسا فوضعه قدامه وغمس
ثلاث اصابعه وجعل القوم يتغدون ويخرجون وبقي التور نحوا مما كان وكان
القوم احدا او اثنين وسبعين وامر عمر بن الخطاب ان يزود اربع مائة راكب من
احمس فقال يا رسول الله ما هي الا اصوع قال اذهب فذهب فزودهم منه وكان
قدر الفصيل الرابض من التمر وبقي بحاله من رواية دكين الاحمسي ومن رواية جرير
ومثله من رواية النعمان بن مقرن الخبر بعينه الا انه قال اربع مائة راكب من مزينة
ومن ذلك حديث جابر في دين ابيه بعد موته وقد كان بذل لغرماء ابيه اصل ماله فلم
يقبلوه ولم يكن في ثمرها سنين كفاف دينهم فجاءه النبي صلى الله عليه وسلم بعد ان
امره بجدها وجعلها بيادر في اصولها فمشى فيها ودعا فاوفى منه جابر غرماء
ابيه وفضل مثل ما كانوا يجدون كل سنة وفي رواية مثل ما اعطاهم قال
وكان الغرماء يهود فتعجبوا من ذلك وقال ابو هريرة اصاب الناس مخمصة فقال
لي رسول الله صلى الله عليه وسلم هل من شيء قلت نعم شيء من التمر في المزود قال فاتني به
فادخل يده فاخرج قبضة فبسطها ودعا بالبركة ثم قال ادع عشرة فاكلوا حتى
شبعوا ثم عشرة كذلك حتى اطعم الجيش كلهم وشبعوا قال خذ ما جئت به وادخل
يدك واقبض منه ولا تكبه فقبضت على اكثر مما جئت به فاكلت منه واطعمت
حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وابي بكر وعمر الى ان قتل عثمان فانتهب مني فذهب
وفي رواية فقد حملت من ذلك التمر كذا وكذا من وسق في سبيل الله وذكرت مثل هذه
الحكاية في غزوة تبوك وان التمر كان بضع عشرة تمرة ومنه ايضا حديث ابي
هريرة حين اصابه الجوع فاستتبعه النبي صلى الله عليه وسلم فوجد لبنا في قدح قد
اهدي اليه وامره ان يدعو اهل الصفة قال فقلت ما هذا اللبن فيهم كنت احق ان
اصيب منه شربة اتقوى بها فدعوتهم وذكر امر النبي صلى الله عليه وسلم له ان يسقيهم
فجعلت اعطي الرجل فيشرب حتى يروى ثم ياخذ الآخر حتى روي جميعهم قال فاخذ

من لقيته

النبي صلى الله عليه وسلم القدح وقال بقيت انا وانت اقعد فاشرب فشربت
ثم قال اشرب وما زال يقولها واشرب حتى قلت لا والذي بعثك بالحق ما اجد له مسلكا
فاخذ القدح فحمد الله وسمى وشرب الفضلة وفي حديث خالد بن عبد العزى انه
اجزر النبي صلى الله عليه وسلم شاة وكان عيال خالد كثيرا يذبح الشاة فلا يبد
عياله عظما عظما وان النبي صلى الله عليه وسلم اكل من الشاة وجعل فضلتها في دلو
خالد ودعا له بالبركة فنثر ذلك لعياله فاكلوا وافضلوا ذكر خبره الدولابي
ومن حديث الآجري في انكاح النبي صلى الله عليه وسلم لعلي فاطمة ان النبي صلى الله
عليه وسلم امر بلالا بقصعة من اربعة امداد او خمسة ويذبح جزورا لوليمتها
قال فاتيته بذلك فطعن في راسها ثم ادخل الناس رفقة رفقة ياكلون منها حتى
فرغوا وبقيت منها فضلة فبرك فيها وامر بحملها الى ازواجه وقال كلن واطعمن
من غشيكن وفي حديث انس تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم فصنعت امي ام
سليم حيسا فجعلته في تور فذهبت به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ضعه
وادع لي فلانا وفلانا ومن لقيت فدعوتهم ولم ادع احدا لقيته الا دعوته وذكر انهم
كانوا زهاء ثلاث مائة حتى ملؤوا الصفة والحجرة فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم تحلقوا
عشرة عشرة ووضع النبي صلى الله عليه وسلم يده على الطعام فدعا فيه وقال ما شاء الله ان
يقول فاكلوا حتى شبعوا كلهم فقال لي ارفع فما ادري حين وضعت كان اكثر ام حين
رفعت واكثر احاديث هذه الفصول الثلاثة في الصحيح وقد اجتمع على معنى
هذا الفصل بضعة عشر من الصحابة رواه عنهم اضعافهم من التابعين ثم من لا ينعد
بعدهم واكثرها في قصص مشهورة ومجامع مشهودة لا يمكن التحدث عنها الا بالحق
ولا يسكت الحاضر لها على ما انكره

فصل في كلام الشجر وشهادتها له

بالنبوة واجابتها دعوته حدثنا احمد بن محمد بن غلبون الشيخ الصالح فيما اجازنيه
عن ابي عمر الطلمنكي عن ابي بكر بن المهندس عن ابي القسم البغوي ثنا احمد بن عمران
الاخنسي ثنا ابو حيان التيمي وكان صدوقا عن مجاهد عن ابن عمر قال كنا مع رسول الله

صلى الله عليه وسلم في سفر فدنا منه اعرابي فقال يا اعرابي اين تريد قال الى اهلي
قال هل لك الى خير قال وما هو قال تشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا
عبده ورسوله قال من يشهد لك على ما تقول قال هذه الشجرة السمرة وهي بشاطئ
الوادي فاقبلت تخد الارض حتى قامت بين يديه فاستشهدها ثلاثا فشهدت انه
كما قال ثم رجعت الى مكانها وعن بريدة سال اعرابي النبي صلى الله عليه وسلم
اية فقال له قل لتلك الشجرة رسول الله يدعوك قال فمالت الشجرة عن يمينها وشمالها
وبين يديها وخلفها فتقطعت عروقها ثم جاءت تخد الارض تجر عروقها مغبرة
حتى وقفت بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت السلام عليك يا رسول الله
قال الاعرابي مرها فلترجع الى منبتها فرجعت فدلت عروقها فاستوت فقال
الاعرابي ايذن لي اسجد لك قال لو امرت احدا ان يسجد لاحد لامرت المراة ان تسجد
لزوجها قال فاذن لي اقبل يديك ورجليك فاذن له وفي الصحيح في حديث جابر بن
عبد الله الطويل ذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقضي حاجته فلم ير شيئا يستتر به
فاذا بشجرتين بشاطئ الوادي فانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم الى احداهما فاخذ بغصن من اغصانها
فقال انقادي علي باذن الله فانقادت معه كالبعير المخشوش الذي يصانع قائده وذكر انه
فعل بالاخرى مثل ذلك حتى اذا كان بالمنصف بينهما قال التئما علي باذن الله فالتامتا وفي
رواية اخرى فقال يا جابر قل لهذه الشجرة يقول لك رسول الله الحقي بصاحبتك حتى اجلس
خلفكما ففعلت فرجعت حتى لحقت بصاحبتها فجلس خلفهما فخرجت احضر وجلست
احدث نفسي فالتفت فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقبلا والشجرتان قد افترقتا فقامت
كل واحدة منهما على ساق فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم وقفة فقال براسه هكذا
يمينا وشمالا وروى اسامة بن زيد نحوه قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم في
بعض مغازيه هل تعني مكانا لحاجة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت ان الوادي ما فيه
موضع بالناس فقال هل ترى من نخل او حجارة قلت ارى نخلات متقاربات قال انطلق
وقل لهن ان رسول الله يامركن ان تاتين لمخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وقل للحجارة

مثل ذلك فقلت ذلك لهن فوالذي بعثه بالحق لقد رايت النخلات يتقاربن حتى اجتمعن
والحجارة يتعاقدن حتى صرن ركاما خلفهن فلما قضى حاجته قال لي قل لهن يفترقن
فوالذي نفسي بيده لرايتهن والحجارة يفترقن حتى عدن الى مواضعهن وقال يعلى بن
سيابة كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم في مسير وذكر نحوا من هذين الحديثين وذكر
فامر وديتين فانضمتا وفي رواية اشاءتين وعن غيلان بن سلمة الثقفي مثله في شجرتين
وعن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم مثله في غزاة حنين وعن يعلى بن مرة وهو ابن
سيابة ايضا وذكر اشياء راها من رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر ان طلحة او سمرة
جاءت فاطافت به ثم رجعت الى منبتها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انها استاذنت
ان تسلم علي وفي حديث عبد الله بن مسعود اذنت النبي صلى الله عليه وسلم بالجن ليلة
استمعوا له شجرة وعن مجاهد عن ابن مسعود في هذا الحديث ان الجن قالوا من يشهد لك
قال هذه الشجرة تعالي يا شجرة فجاءت تجر عروقها لها قعاقع وذكر مثل الحديث الاول او نحوه
قال القاضي ابو الفضل فهذا ابن عمر وبريدة وجابر وابن مسعود ويعلى بن مرة واسامة
ابن زيد وانس بن مالك وعلي بن ابي طالب وابن عباس وغيرهم قد اتفقوا على هذه القصة
نفسها او معناها ورواها عنهم من التابعين اضعافهم فصارت في انتشارها من القوة
حيث هي وذكر ابن فورك انه صلى الله عليه وسلم سار في غزوة الطائف ليلا وهو
وسن فاعترضته سدرة فانفرجت له نصفين حتى جاز بينهما وبقيت على ساقين الى
وقتنا وهي هناك معروفة معظمة ومن ذلك حديث انس ان جبريل قال للنبي صلى الله عليه
وسلم وراه حزينا اتحب ان اريك اية قال نعم فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى
شجرة من وراء الوادي فقال ادع تلك الشجرة فجاءت تمشي حتى قامت بين يديه قال مرها
فلترجع فعادت الى مكانها وعن علي نحو هذا ولم يذكر فيها جبريل قال اللهم ارني اية
لا ابالي من كذبني بعدها فدعا شجرة وذكر مثله وحزنه صلى الله عليه وسلم لتكذيب
قومه وطلبه الاية لهم لا له وذكر ابن اسحق ان النبي صلى الله عليه وسلم اري ركانة مثل
هذه الاية في شجرة دعاها فاتت حتى وقفت بين يديه ثم قال ارجعي فرجعت وعن الحسن

انه عليه السلام شكى الى ربه من قومه وانهم خوفونه وساله آية يعلم بها ألا مخافة عليه
فأوحى الله اليه أن ائت وادي كذا فيه شجرة فادع غصنا منها يأتك ففعل فجاء
يخط الارض خطا حتى انتصب بين يديه فحبسه ما شاء الله ثم قال له ارجع كما جئت
فرجع فقال يا رب علمت الا مخافة علي ونحو منه عن عمر وقال فيه أرني آية لا أبالي
من كذبني بعدها وذكر نحوه وعن ابن عباس انه صلى الله عليه وسلم قال لاعرابي أرأيت
إن دعوت هذا العذق من هذه النخلة أتشهد أني رسول الله قال نعم فدعاه فجعل
ينقز حتى أتاه فقال ارجع فعاد الى مكانه وخرجه الترمذي وقال هذا حديث صحيح

فصل في قصة حنين الجذع ويعضد هذه الأخبار حديث أنين الجذع وهو
في نفسه مشهور منتشر والخبر به متواتر خرجه أهل الصحيح ورواه من الصحابة
بضعة عشر منهم أبي بن كعب وجابر بن عبد الله وأنس بن مالك وعبد الله بن عمر وعبد الله
ابن عباس وسهل بن سعد وأبو سعيد الخدري وبريدة وأم سلمة والمطلب بن أبي
وداعة كلهم يحدث بمعنى هذا الخبر قال الترمذي وحديث أنس صحيح قال
جابر بن عبد الله كان المسجد مسقوفا على جذوع نخل وكان النبي صلى الله عليه وسلم
اذا خطب يقوم الى جذع منها فلما صنع له المنبر سمعنا لذلك الجذع صوتا كصوت
العشار وفي رواية أنس حتى ارتج المسجد لخواره وفي رواية سهل وكثر بكاء الناس
لما رأوا به وفي رواية المطلب حتى تصدع وانشق حتى جاء النبي صلى الله عليه وسلم
فوضع يده عليه فسكت زاد غيره فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان هذا بكى لما فقد
من الذكر وزاد غيره والذي نفسي بيده لو لم ألتزمه لم يزل هكذا الى يوم القيمة
تحزنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمر به رسول الله فدفن تحت المنبر كذا في
حديث المطلب وسهل بن سعد واسحق عن أنس وفي حديث أبي كان اذا صلى النبي
صلى الله عليه وسلم صلى اليه فلما هدم المسجد أخذه أبي فكان عنده الى ان أكلته الارض
وعاد رفاتا وذكر الاسفرايني ان النبي صلى الله عليه وسلم دعاه الى نفسه فجاءه يخرق
الأرض فالتزمه ثم أمره فعاد الى مكانه وفي حديث بريدة فقال يعني النبي صلى الله عليه

وسلم إن شئت أردك الى الحائط الذي كنت فيه تنبت لك عروقك ويكمل خلقك
ويجدد لك خوص وثمرة وإن شئت أغرسك في الجنة فيأكل أولياء الله من ثمرك ثم
أصغى له النبي صلى الله عليه وسلم يستمع ما يقول فقال بل تغرسني في الجنة فيأكل مني أولياء
الله وأكون في مكان لا أبلى فيه فسمعه من يليه فقال النبي صلى الله عليه وسلم قد
فعلت ثم قال اختار دار البقاء على دار الفناء فكان الحسن اذا حدث بهذا بكى وقال
يا عباد الله الخشبة تحن الى رسول الله صلى الله عليه وسلم شوقا اليه لمكانه فأنتم
أحق أن تشتاقوا الى لقائه رواه عن جابر حفص ابن عبيد الله ويقال عبيد الله بن حفص
وأيمن وأبو نضرة وابن المسيب وسعيد بن أبي كريب وكريب وأبو صالح ورواه عن أنس
ابن مالك الحسن وثابت واسحق بن أبي طلحة ورواه عن ابن عمر نافع وأبو حية ورواه
أبو نضرة وأبو الوداك عن أبي سعيد وعمار بن أبي عمار عن ابن عباس وأبو حازم وعباس
ابن سهل بن سعد عن سهل بن سعد وكثير بن زيد عن المطلب وعبد الله بن بريدة عن أبيه
والطفيل بن أبي بن كعب عن أبيه قال القاضي أبو الفضل رضي الله عنه فهذا الحديث كما
تراه خرجه أهل الصحيح ورواه من الصحابة من ذكرناه وغيرهم من التابعين ضعفهم
الى من لم نذكره وبمن دون هذا العدد يقع العلم لمن اعتنى بهذا الباب والله
المثبت على الصواب

فصل ومثل هذا في سائر الجمادات حدثنا القاضي أبو عبد الله
محمد بن عيسى التميمي ثنا القاضي أبو عبد الله محمد بن المرابط ثنا المهلب أبو القسم ثنا أبو الحسن
القابسي ثنا المروزي ثنا الفربري ثنا البخاري ثنا محمد بن المثنى ثنا أبو أحمد الزبيري ثنا
اسرائيل عن منصور عن ابرهيم عن علقمة عن عبد الله قال لقد كنا نسمع تسبيح الطعام
وهو يؤكل وفي غير هذه الرواية عن ابن مسعود كنا نأكل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
الطعام ونحن نسمع تسبيحه وقال أنس أخذ النبي صلى الله عليه وسلم كفا من حصى فسبحن
في يد رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى سمعنا التسبيح ثم صبهن في يد أبي بكر فسبحن ثم
في أيدينا فما سبحن وروى مثله أبو ذر وذكر أنهن سبحن في كف عمر وعثمان وقال
علي رضي الله عنه كنا بمكة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج الى بعض نواحيها

فما استقبله شجر ولا جبل الا قال له السلام عليك يا رسول الله. وعن جابر بن سمرة عنه عليه السلام اني لاعرف حجرا بمكة كان يسلم علي قيل انه الحجر الاسود. وعن عائشة لما استقبلني جبريل بالرسالة جعلت لا امر بحجر ولا شجر الا قال السلام عليك يا رسول الله. وعن جابر بن عبد الله لم يكن صلى الله عليه وسلم يمر بحجر ولا شجر الا سجد له. وفي حديث العباس اذ اشتمل عليه النبي صلى الله عليه وسلم وعلى بنيه بملاءة ودعا لهم بالستر من النار كستره اياهم بملاءته فامنت اسكفة الباب وحوائط البيت امين امين. وعن جعفر بن محمد عن ابيه مرض النبي صلى الله عليه وسلم فاتاه جبريل بطبق فيه رمان وعنب فاكل منه صلى الله عليه وسلم فسبح. وعن انس صعد النبي صلى الله عليه وسلم وابو بكر وعمر وعثمان احدا فرجف فقال اثبت احد فانما عليك نبي وصديق وشهيدان. ومثله عن ابي هريرة في حراء وزاد معه وعلي وطلحة والزبير وقال فانما عليك نبي او صديق او شهيد. والخبر في حراء ايضا عن عثمان قال ومعه عشرة من اصحابه انا فيهم وزاد عبد الرحمن وسعدا قال ونسيت الاثنين. وفي حديث سعيد ابن زيد ايضا مثله وذكر عشرة وزاد نفسه. وقد روي انه حين طلبته قريش قال له ثبير اهبط يا رسول الله فاني اخاف ان يقتلوك على ظهري فيعذبني الله فقال حراء الي يا رسول الله. وروى ابن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم قرا على المنبر وما قدروا الله حق قدره ثم قال يمجد الجبار نفسه انا الجبار انا الجبار انا الكبير المتعال فرجف المنبر حتى قلنا ليخرن عنه. وعن ابن عباس كان حول البيت ستون وثلاث مائة صنم مثبتة الارجل بالرصاص في الحجارة فلما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد عام الفتح جعل يشير بقضيب في يده اليها ولا يمسها ويقول جاء الحق وزهق الباطل الاية. فما اشار الى وجه صنم الا وقع لقفاه ولا لقفاه الا وقع لوجهه حتى ما ما بقي منها صنم. ومثله في حديث ابن مسعود وقال فجعل يطعنها ويقول جاء الحق وزهق وما يبدئ الباطل وما يعيد. ومن ذلك حديثه مع الراهب في ابتداء امره اذ خرج تاجرا مع عمه وكان الراهب لا يخرج الى احد فخرج وجعل يتخللهم حتى اخذ بيد

رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هذا سيد العالمين يبعثه الله رحمة للعالمين. فقال له اشياخ من قريش ما علمك فقال انه لم يبق شجر ولا حجر الا خر ساجدا له ولا تسجد الا لنبي. وذكر القصة ثم قال واقبل صلى الله عليه وسلم وعليه غمامة تظله فلما دنا من القوم وجدهم سبقوه الى فيء الشجرة فلما جلس مال فيء الشجرة اليه.

فصل الايات في ضروب الحيوانات

حدثنا سراج بن عبد الملك ابو الحسين الحافظ ثنا ابي ثنا القاضي يونس ثنا ابو الفضل يونس ثنا ابو الفضل الصقلي ثنا ثابت بن قاسم بن ثابت عن ابيه وجده قالا ثنا ابو العلا احمد بن عمران ثنا محمد بن فضيل ثنا يونس بن عمرو ثنا مجاهد عن عائشة قالت كان عندنا داجن فاذا كان عندنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قر وثبت مكانه فلم يجئ ولم يذهب واذا خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء وذهب. وروي عن عمر رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان في محفل من اصحابه اذ جاء اعرابي قد صاد ضبا فقال من هذا قالوا نبي الله فقال واللات والعزى لا امنت بك او يؤمن هذا الضب وطرحه بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا ضب فاجابه بلسان مبين يسمعه القوم القوم جميعا لبيك وسعديك يا زين من وافى القيامة قال من تعبد قال الذي في السماء عرشه وفي الارض سلطانه وفي البحر سبيله وفي الجنة رحمته وفي النار عقابه قال فمن انا قال رسول رب العالمين وخاتم النبيين وقد افلح من صدقك وخاب من كذبك فاسلم الاعرابي. ومن ذلك قصة كلام الذئب المشهورة عن ابي سعيد الخدري بينا راع يرعى غنما له عرض الذئب لشاة منها فاخذها الراعي منه فاقعى الذئب وقال له الا تتقي الله حلت بيني وبين رزقي. قال الراعي العجب من ذئب يتكلم بكلام الانس. فقال الذئب الا اخبرك باعجب من ذلك رسول الله بين الحرتين يحدث الناس بانباء ما قد سبق. فاتى الراعي النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره فقال النبي صلى الله عليه وسلم قم فحدثهم ثم قال صدق. والحديث فيه قصة وفي بعضه طول. وروى حديث الذئب عن ابي هريرة وفي بعض الطرق عن ابي هريرة فقال الذئب انت اعجب واقفا على

عمك وتركت نبيا لم يبعث الله نبيا قط أعظم منه عنده قدرا قد فتحت له أبواب
الجنة وأشرف أهلها على أصحابه قتالهم وما بينك وبينه إلا هذا الشعب فتصير
في جنود الله قال الراعي من لي بغنمي قال الذئب أنا أرعاها حتى ترجع فأسلم الرجل
إليه غنمه ومضى وذكر قصته وإسلامه ووجوده النبي صلى الله عليه وسلم يقاتل فقال
له النبي صلى الله عليه وسلم عد إلى غنمك تجدها بوفرها فوجدها كذلك وذبح للذئب
شاة منها وعن أهبان بن أوس وأنه كان صاحب القصة والمحدث بها ومكلم الذئب
وعن سلمة بن عمرو بن الأكوع وأنه كان صاحب هذه القصة أيضا وسبب إسلامه بمثل حديث
أبي سعيد وقد روى ابن وهب مثل هذا أنه جرى لأبي سفيان بن حرب وصفوان بن أمية مع
ذئب وجداه أخذ ظبيا فدخل الظبي الحرم فانصرف الذئب فعجبا من ذلك فقال الذئب
أعجب من ذلك محمد بن عبد الله بالمدينة يدعوكم إلى الجنة وتدعونه إلى النار فقال
أبو سفيان واللات والعزى لئن ذكرت هذا بمكة لتتركنها خلوفا وقد روي مثل هذا الخبر
وأنه جرى لأبي جهل وأصحابه وعن عباس بن مرداس لما تعجب من كلام ضمار صنمه وإنشاده
الشعر الذي ذكر فيه النبي صلى الله عليه وسلم وإذا طائر سقط فقال يا عباس أتعجب من كلام
ضمار ولا تعجب من نفسك إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو إلى الإسلام وأنت جالس
فكان سبب إسلامه وعن جابر بن عبد الله عن رجل أتى النبي صلى الله عليه وسلم وآمن به
وهو على بعض حصون خيبر وكان في غنم يرعاها لهم فقال يا رسول الله كيف بالغنم قال
احصب وجوهها فإن الله سيؤدي عنك أمانتك ويردها إلى أهلها ففعل فسارت
كل شاة حتى دخلت إلى أهلها وعن أنس دخل النبي صلى الله عليه وسلم حائط أنصاري
وأبو بكر وعمر ورجل من الأنصار وفي الحائط غنم فسجدت له فقال أبو بكر نحن أحق بالسجود
لك منها الحديث وعن أبي هريرة دخل النبي صلى الله عليه وسلم حائطا فجاء بعير فسجد له
وذكر مثله ومثله في الجمل عن ثعلبة بن مالك وجابر بن عبد الله ويعلى بن مرة وعبد الله
بن جعفر قال وكان لا يدخل أحد الحائط إلا شد عليه الجمل فلما دخل عليه النبي صلى الله
عليه وسلم دعاه فوضع مشفره في الأرض وبرك بين يديه فخطمه وقال ما بين السما والأرض

شيء إلا يعلم أني رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا عاصي الجن والإنس ومثله عن
عبد الله بن أبي أوفى وفي خبر آخر في حديث الجمل أن النبي صلى الله عليه وسلم سألهم
عن شأنه فأخبروه أنهم أرادوا ذبحه وفي رواية أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لهم إنه
شكا كثرة العمل وقلة العلف وفي رواية أنه شكا إلي أنكم أردتم ذبحه بعد
أن استعملتموه في شاق العمل من صغره فقالوا نعم وقد روي في قصة العضباء
وكلامها النبي صلى الله عليه وسلم وتعريفها له بنفسها ومبادرة العشب إليها في
الرعي وتجنب الوحوش عنها وندائهم لها إنك لمحمد وإنها لم تأكل ولم تشرب بعد
موته حتى ماتت ذكره الإسفرايني وروى ابن وهب أن حمام مكة أظلت النبي
صلى الله عليه وسلم يوم فتحها فدعا لها بالبركة وروي عن أنس وزيد بن أرقم والمغيرة
بن شعبة أن النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الغار أمر الله شجرة فنبتت تجاه النبي صلى
الله عليه وسلم فسترته وأمر حمامتين فوقفتا بفم الغار وفي حديث آخر أن العنكبوت
نسجت على بابه فلما أتى الطالبون له ورأوا ذلك قالوا لو كان فيه أحد لم تكن الحمامتان
ببابه والنبي صلى الله عليه وسلم يسمع كلامهم فانصرفوا وعن عبد الله بن قرط قرب إلى
رسول الله صلى الله عليه وسلم بدنات خمس أو ست أو سبع لينحرها يوم عيد فازدلفن
إليه بأيتهن يبدأ وعن أم سلمة كان النبي صلى الله عليه وسلم في صحراء فنادته ظبية
يا رسول الله قال ما حاجتك قالت صادني هذا الأعرابي ولي خشفان في ذلك الجبل
فأطلقني حتى أذهب فأرضعهما وأرجع قال وتفعلين قالت نعم فأطلقها فذهبت
ورجعت فأوثقها فانتبه الأعرابي وقال يا رسول الله لك حاجة قال تطلق هذه
الظبية فأطلقها فخرجت تعدو في الصحراء وتقول أشهد أن لا إله إلا الله وأنك محمد
رسول الله ومن هذا الباب ما روي من تسخير الأسد لسفينة مولى رسول الله
صلى الله عليه وسلم إذ وجهه إلى معاذ باليمن فلقي الأسد فعرفه أنه مولى رسول
الله صلى الله عليه وسلم ومعه كتابه فهمهم وتنحى عن الطريق وذكر في منصرفه
مثل ذلك وفي رواية أخرى عنه أن سفينة تكسرت به فخرج إلى جزيرة فإذا الأسد فقلت

انا مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل يغمزني بمنكبه حتى اقامني على
الطريق. واخذه عليه السلام باذن شاة لقوم من عبد القيس بين اصبعيه ثم خلاها
فصار لها ميسما وبقي ذلك الاثر فيها وفي نسلها بعد. وما روي عن ابرهيم بن حماد
بسنده من كلام الحمار الذي اصابه بخيبر وقال له اسمي يزيد بن شهاب فسماه
النبي يعفورا وانه كان يوجهه الى دور اصحابه فيضرب عليهم الباب براسه ويستدعيهم
وان النبي صلى الله عليه وسلم لما مات تردى في بير جزعا وحزنا فمات. وحديث الناقة
التي شهدت عند النبي صلى الله عليه وسلم لصاحبها انه ما سرقها وانها ملكه. وفي العنز
التي اتت رسول الله صلى الله عليه وسلم في عسكره وقد اصابهم عطش ونزلوا على غير ماء
وهم زهاء ثلاث مايه فحلبها رسول الله صلى الله عليه وسلم فاروى الجند ثم قال لرافع
املكها وما اراك فربطها فوجدها قد انطلقت. رواه ابن قانع وغيره وفيه فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الذي جاء بها هو الذي ذهب بها. وقال لفرسه عليه
السلام وقد قام الى الصلاة في بعض اسفاره لا تبرح بارك الله فيك حتى نفرغ من
صلاتنا وجعلها قبلته فما حرك عضوا حتى صلى صلى الله عليه وسلم والحديث في هذا
الباب كثير وقد جينا منه بالمشهور من ذلك وما وقع في كتب الايمة.

فصل

في احيا الموتى وكلامهم وكلام الصبيان والمراضع وشهادتهم له بالنبوه

حدثنا ابو الوليد هشام بن احمد الفقيه بقراتي عليه والقاضي ابو الوليد محمد بن رشد
والقاضي ابو عبد الله محمد بن عيسى التميمي وغير واحد سماعا واذنا قالوا حدثنا ابو علي
الحافظ ثنا ابو عمر الحافظ ثنا ابو زيد عبد الرحمن بن يحيى ثنا احمد بن سعيد ثنا ابن الاعرابي
ثنا ابو داود ثنا وهب بن بقية عن خالد هو الطحان عن محمد بن عمرو عن ابي سلمة عن ابي
هريرة ان يهودية اهدت للنبي صلى الله عليه وسلم بخيبر شاة مصلية سمتها
فاكل رسول الله صلى الله عليه وسلم منها واكل القوم فقال ارفعوا ايديكم فانها اخبرتني
انها مسمومة فمات بشر بن البرا وقال لليهودية ما حملك على ما صنعت قالت ان كنت
نبيا لم يضرك الذي صنعت وان كنت ملكا ارحت الناس منك قال فامر بها

فقتلت. وقد روى هذا الحديث انس وفيه قالت اردت قتلك فقال ما كان الله
ليسلطك على ذلك فقالوا نقتلها قال لا. وكذلك روي عن ابي هريرة من رواية غير
وهب قال فما عرض لها. ورواه ايضا جابر بن عبد الله وفيه اخبرتني به هذه الذراع قال
ولم يعاقبها. وكذلك ذكر الخبر ابن اسحق وقال فيه فتجاوز عنها. وفي الحديث الاخر عن
انس انه قال فما زلت اعرفها في لهوات رسول الله صلى الله عليه وسلم. وفي حديث ابي
هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في وجعه الذي مات منه ما زالت اكلة
خيبر تعاودني فالان اوان قطعت ابهري. وحكى ابن اسحق ان كان المسلمون ليرون ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم مات شهيدا مع ما اكرمه الله به من النبوة.
وقال ابن سحنون اجمع اهل الحديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل اليهودية التي
سمته وقد ذكرنا اختلاف الروايات في ذلك عن ابي هريرة وانس وجابر. وروى الحديث
البزار عن ابي سعيد فذكر مثله الا انه قال في اخره فبسط يده وقال كلوا باسم الله فاكلنا
وذكرنا اسم الله فلم يضر منا احدا. قال القاضي ابو الفضل وقد خرج حديث الشاة
المسمومة اهل الصحيح وخرجه الايمة وهو حديث مشهور. واختلف ايمة اهل
النظر في هذا الباب فمن قايل يقول هو كلام يخلقه الله تعالى في الشاة الميتة او الحجر
او الشجرة وحروف واصوات يحدثها الله فيها ويسمعها منها دون تغيير اشكالها ونقلها
عن هيئتها وهو مذهب الشيخ ابي الحسن والقاضي ابي بكر رحمهما الله. واخرون ذهبوا
الى ايجاد الحياة بها اولا ثم الكلام بعده. وحكي هذا ايضا عن شيخنا ابي الحسن وكل
محتمل والله اعلم اذ لم نجعل الحياة شرطا لوجود الحروف والاصوات اذ لا يستحيل
وجودها مع عدم الحياة بمجردها فاما اذا عبارة عن الكلام النفسي فلا بد من شرط الحياة
لها اذ لا يوجد كلام النفس الا من حي خلافا للجبايي من بين ساير متكلمي الفرق في احالة
وجود الكلام اللفظي والحروف والاصوات الا من حي مركب على تركيب من يصح منه
النطق بالحروف والاصوات والتزم ذلك في الحصى والجذع والذراع وقال ان الله
خلق فيها حياة وخرق لها فما ولسانا والة امكنها بها من الكلام. وهذا لو كان لكان

لَكَانَ نَقْلُهُ والتهممُ بِهِ آكَدُ مِنَ التَهَمُمِ بِنَقْلِ تَسْبِيحِهِ أَوْ حَنِينِهِ وَلَمْ يَنْقُلْ أَحَدٌ مِنْ
أَهْلِ السِّيَرِ والرِّوَايَةِ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ فَدَلَّ عَلَى سُقُوطِ دَعْوَاهُ مَعَ أَنَّهُ لَا ضَرُورَةَ إِلَيْهِ
فِي النَظَرِ وَاللَّهُ المُوَفِّقُ • وَرَوَى وَكِيعٌ رَفَعَهُ عَنْ فَهْدِ بْنِ عَطِيَّةَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ أُتِيَ بِصَبِيٍّ قَدْ شَبَّ لَمْ يَتَكَلَّمْ قَطُّ فَقَالَ مَنْ أَنَا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ • وَرُوِيَ عَنْ
مُعَرِّضِ بْنِ مُعَيْقِيبٍ رَأَيْتُ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَجَبًا أُتِيَ بِصَبِيٍّ يَوْمَ وُلِدَ فَذَكَرَ مِثْلَهُ •
وَهُوَ حَدِيثُ مُبَارَكِ اليَمَامَةِ وَيُعْرَفُ بِحَدِيثِ شَاصُونَةَ اسْمِ رَاوِيهِ • وَفِيهِ فَقَالَ
لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَدَقْتَ بَارَكَ اللَّهُ فِيكَ ثُمَّ إِنَّ الغُلَامَ لَمْ يَتَكَلَّمْ بَعْدَهَا
حَتَّى شَبَّ فَكَانَ يُسَمَّى مُبَارَكَ اليَمَامَةِ • وَكَانَتْ هَذِهِ القِصَّةُ بِمَكَّةَ فِي حَجَّةِ الوَدَاعِ • وَعَنِ
الحَسَنِ أَتَى رَجُلٌ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَذَكَرَ لَهُ أَنَّهُ طَرَحَ بُنَيَّةً لَهُ فِي وَادِي كَذَا فَانْطَلَقَ
مَعَهُ إِلَى الوَادِي وَنَادَاهَا بِاسْمِهَا يَا فُلَانَةُ أَجِيبِي بِإِذْنِ اللَّهِ فَخَرَجَتْ وَهِيَ تَقُولُ لَبَّيْكَ
وَسَعْدَيْكَ • فَقَالَ لَهَا إِنَّ أَبَوَيْكِ قَدْ أَسْلَمَا فَإِنْ أَحْبَبْتِ أَنْ أَرُدَّكِ عَلَيْهِمَا قَالَتْ لَا حَاجَةَ
لِي فِيهِمَا وَجَدْتُ اللَّهَ خَيْرًا لِي مِنْهُمَا • وَعَنْ أَنَسٍ أَنَّ شَابًّا مِنَ الأَنْصَارِ تُوُفِّيَ وَلَهُ أُمٌّ عَجُوزٌ
عَمْيَاءُ فَسَجَّيْنَاهُ وَعَزَّيْنَاهَا فَقَالَتْ مَاتَ ابْنِي قُلْنَا نَعَمْ • قَالَتِ اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي
قَدْ هَاجَرْتُ إِلَيْكَ وَإِلَى نَبِيِّكَ رَجَاءَ أَنْ تُعِينَنِي عَلَى كُلِّ شِدَّةٍ فَلَا تَحْمِلَنَّ عَلَيَّ هَذِهِ المُصِيبَةَ •
فَمَا بَرِحْنَا أَنْ كَشَفَ الثَّوْبَ عَنْ وَجْهِهِ فَطَعِمَ وَطَعِمْنَا • وَرُوِيَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُبَيْدٍ
الأَنْصَارِيِّ كُنْتُ فِيمَنْ دَفَنَ ثَابِتَ بْنَ قَيْسِ بْنِ شَمَّاسٍ وَكَانَ قُتِلَ بِاليَمَامَةِ فَسَمِعْنَاهُ حِينَ
أَدْخَلْنَاهُ القَبْرَ يَقُولُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ عُمَرُ الشَّهِيدُ عُثْمَانُ البَرُّ الرَّحِيمُ •
فَنَظَرْنَا فَإِذَا هُوَ مَيِّتٌ • وَذُكِرَ عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ أَنَّ زَيْدَ بْنَ خَارِجَةَ خَرَّ مَيِّتًا فِي بَعْضِ
أَزِقَّةِ المَدِينَةِ فَرُفِعَ وَسُجِّيَ • إِذْ سَمِعُوهُ بَيْنَ العِشَاءَيْنِ وَالنِّسَاءُ يَصْرُخْنَ حَوْلَهُ يَقُولُ
أَنْصِتُوا أَنْصِتُوا • فَحَسَرَ عَنْ وَجْهِهِ فَقَالَ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ النَّبِيُّ الأُمِّيُّ وَخَاتَمُ النَّبِيِّينَ كَانَ
ذَلِكَ فِي الكِتَابِ الأَوَّلِ ثُمَّ قَالَ صَدَقَ صَدَقَ • وَذَكَرَ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ ثُمَّ قَالَ السَّلَامُ عَلَيْكَ
يَا رَسُولَ اللَّهِ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ ثُمَّ عَادَ مَيِّتًا كَمَا كَانَ •

فَصْلٌ فِي إِبْرَاءِ

المَرْضَى وَذَوِي العَاهَاتِ • أَخْبَرَنَا أَبُو الحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ مُشَرَّفٍ فِيمَا أَجَازَنِيهِ وَقَرَأْتُهُ

عَلَى غَيْرِهِ ثَنَا أَبُو إِسْحَاقَ الحَبَّالُ ثَنَا أَبُو مُحَمَّدِ بْنُ النَّحَّاسِ ثَنَا ابْنُ الوَرْدِ عَنِ البَرْقِيِّ عَنِ ابْنِ هِشَامٍ
عَنْ زِيَادٍ البَكَّائِيِّ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ ثَنَا ابْنُ شِهَابٍ • وَعَاصِمُ بْنُ عُمَرَ بْنِ قَتَادَةَ وَجَمَاعَةٌ
ذَكَرَهُمْ بِقِصَّةٍ أُحُدٍ ضَبَطُوهَا • قَالُوا قَالَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
لَيُنَاوِلُنِي النَّبْلَ لَا نَصْلَ لَهُ فَيَقُولُ ارْمِ بِهِ • وَقَدْ رَمَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَئِذٍ
عَنْ قَوْسِهِ حَتَّى انْدَقَّتْ • وَأُصِيبَ يَوْمَئِذٍ عَيْنُ قَتَادَةَ يَعْنِي ابْنَ النُّعْمَانِ حَتَّى وَقَعَتْ عَلَى
وَجْنَتِهِ فَرَدَّهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَكَانَتْ أَحْسَنَ عَيْنَيْهِ • وَرَوَى قِصَّةَ قَتَادَةَ
عَاصِمُ بْنُ عُمَرَ بْنِ قَتَادَةَ • وَيَزِيدُ بْنُ عِيَاضٍ عَنْ عُمَرَ بْنِ قَتَادَةَ وَرَوَاهَا أَبُو سَعِيدٍ الخُدْرِيُّ
عَنْ قَتَادَةَ • وَبَصَقَ عَلَى أَثَرِ سَهْمٍ فِي وَجْهِ أَبِي قَتَادَةَ فِي يَوْمِ ذِي قَرَدٍ قَالَ فَمَا ضَرَبَ عَلَيَّ
وَلَا قَاحَ • وَرَوَى النَّسَائِيُّ عَنْ عُثْمَانَ بْنِ حُنَيْفٍ أَنَّ أَعْمَى قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ادْعُ اللَّهَ لِي
أَنْ يَكْشِفَ لِي عَنْ بَصَرِي • قَالَ فَانْطَلِقْ فَتَوَضَّأْ ثُمَّ صَلِّ رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ قُلِ اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ وَأَتَوَجَّهُ
إِلَيْكَ بِنَبِيِّي نَبِيِّ الرَّحْمَةِ • يَا مُحَمَّدُ إِنِّي أَتَوَجَّهُ بِكَ إِلَى رَبِّكَ أَنْ يَكْشِفَ عَنْ بَصَرِي • اللَّهُمَّ شَفِّعْهُ
فِيَّ قَالَ فَرَجَعَ وَقَدْ كَشَفَ اللَّهُ عَنْ بَصَرِهِ • وَرُوِيَ أَنَّ ابْنَ مُلَاعِبِ الأَسِنَّةِ أَصَابَهُ اسْتِسْقَاءٌ
فَبَعَثَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخَذَ بِيَدِهِ حَثْوَةً مِنَ الأَرْضِ فَتَفَلَ عَلَيْهَا ثُمَّ أَعْطَاهَا رَسُولَهُ
فَأَخَذَهَا مُتَعَجِّبًا يَرَى أَنَّهُ قَدْ هُزِئَ بِهِ • فَأَتَاهُ بِهَا وَهُوَ عَلَى شَفَا فَشَرِبَهَا فَشَفَاهُ اللَّهُ • وَذَكَرَ
العُقَيْلِيُّ عَنْ حَبِيبِ بْنِ فُدَيْكٍ وَيُقَالُ لَهُ فُوَيْكٌ أَنَّ أَبَاهُ ابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ فَكَانَ لَا يُبْصِرُ
بِهِمَا شَيْئًا فَنَفَثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي عَيْنَيْهِ فَأَبْصَرَ فَرَأَيْتُهُ يُدْخِلُ الخَيْطَ فِي
الإِبْرَةِ وَهُوَ ابْنُ ثَمَانِينَ سَنَةً • وَرُمِيَ كُلْثُومُ بْنُ الحُصَيْنِ يَوْمَ أُحُدٍ فِي نَحْرِهِ فَبَصَقَ رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيهِ فَبَرَأَ • وَتَفَلَ عَلَى شَجَّةِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أُنَيْسٍ فَلَمْ تُمِدَّ • وَتَفَلَ فِي
عَيْنَيْ عَلِيٍّ يَوْمَ خَيْبَرَ وَكَانَ رَمِدًا فَأَصْبَحَ بَارِئًا • وَنَفَثَ عَلَى ضَرْبَةٍ بِسَاقِ سَلَمَةَ بْنِ الأَكْوَعِ
يَوْمَ خَيْبَرَ فَبَرِئَتْ • وَفِي رِجْلِ زَيْدِ بْنِ مُعَاذٍ حِينَ أَصَابَهَا السَّيْفُ إِلَى الكَعْبِ حِينَ قَتَلَ ابْنَ
الأَشْرَفِ فَبَرِئَتْ • وَعَلَى سَاقِ عَلِيِّ بْنِ الحَكَمِ يَوْمَ الخَنْدَقِ إِذِ انْكَسَرَتْ فَبَرِئَ مَكَانَهُ وَمَا نَزَلَ
عَنْ فَرَسِهِ • وَاشْتَكَى عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فَجَعَلَ يَدْعُو فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اللَّهُمَّ اشْفِهِ
أَوْ عَافِهِ ثُمَّ ضَرَبَهُ بِرِجْلِهِ فَمَا اشْتَكَى ذَلِكَ الوَجَعَ بَعْدُ • وَقَطَعَ أَبُو جَهْلٍ يَوْمَ بَدْرٍ يَدَ مُعَوِّذِ

قال

السهمي لذكر ... الرسول صلى الله عليه ... واحرقها بالقوس

حديث ... صحيح

قال ابو عبيد المنفث بالفم شبيه بالنفخ واما التفل فلا يكون الا ومعه شيء من الريق

خ صدق بالتخصيص

ابن عفراء انجا يحمل يده فبصق عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم والصقها فلصقت
رواه ابن وهب. ومن روايته ايضا ان خبيب بن يساف اصيب يوم بدر مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم بضربة على عاتقه حتى مال شقه فرده رسول الله صلى الله عليه
وسلم ونفث عليه حتى صح. واتته امراة من خثعم معها صبي به بلاء لا يتكلم فاتي
بماء فمضمض فاه وغسل يديه ثم اعطاها اياه وامرها ان تسقيه وتمسه به فبرا الغلام
وعقل عقلا يفضل عقول الناس. وعن ابن عباس جاءت امراة بابن لها به جنون فمسح
صدره فثع ثعة فخرج من جوفه مثل الجرو الاسود فسعى. وانكفات القدر (ثع اي قاء)
على ذراع محمد بن حاطب وهو طفل فمسح عليه ودعا له وتفل فيه فبرئ لحينه. وكانت
في كف شرحبيل الجعفي سلعة تمنعه القبض على السيف وعنان الدابة فشكاها للنبي
صلى الله عليه وسلم فما زال يطحنها بكفه حتى رفعها ولم يبق لها اثر. وسالته جارية
طعاما وهو ياكل فناولها من بين يديه وكانت قليلة الحياء فقالت انما اريد من
الذي في فيك فناولها ما في فيه ولم يكن يسال شيئا فيمنعه فلما استقر في جوفها
القي عليها من الحياء ما لم تكن امراة بالمدينة اشد حياء منها.

فصل في

اجابة دعائه عليه السلام. وهذا باب واسع جدا واجابة دعوة النبي صلى الله عليه
وسلم لجماعة بما دعا لهم وعليهم متواتر على الجملة معلوم ضرورة. وقد جاء في حديث
حذيفة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دعا لرجل ادركت الدعوة ولده وولد
ولده. حدثنا ابو محمد العتابي بقراءتي عليه ثنا ابو القسم حاتم بن محمد ثنا ابو الحسن
القابسي ثنا ابو زيد المروزي ثنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا عبد الله بن ابي الاسود
ثنا حرمي ثنا شعبة عن قتادة عن انس قال قالت امي يا رسول الله خادمك ادع الله
له قال اللهم اكثر ماله وولده وبارك له فيما اتيته. ومن رواية عكرمة
قال انس فوالله ان مالي لكثير وان ولدي وولد ولدي ليتعادون اليوم على نحو المائة
وفي رواية وما اعلم احدا اصاب من رخاء العيش ما اصبت ولقد دفنت بيدي هاتين
مائة من ولدي لا اقول سقطا ولا ولد ولد. ومنه دعاؤه لعبد الرحمن بن عوف

بالبركة. قال عبد الرحمن فلو رفعت حجرا لرجوت ان اصيب تحته ذهبا. وفتح الله عليه
ومات فحفر الذهب من تركته بالفؤوس حتى مجلت فيه الايدي واخذت كل زوجة
ثمانين الفا وكن اربعا وقيل مائة الف وقيل بل صولحت احداهن لانه طلقها في
مرضه على نيف وثمانين الفا واوصى بخمسين الفا بعد صدقاته الفاشية في حياته
وعوارفه العظيمة اعتق يوما ثلاثين عبدا وتصدق مرة بعير فيها سبعمائة
بعير وردت عليه تحمل من كل شيء فتصدق بها وبما عليها وباقتابها واحلاسها.
ودعا لمعاوية بالتمكين في البلاد فنال الخلافة. ولسعد بن ابي وقاص ان يجيب
الله دعوته فما دعا على احد الا استجيب له. ودعا بعز الاسلام بعمر او بابي جهل فاستجيب
له في عمر. قال ابن مسعود ما زلنا اعزة منذ اسلم عمر. واصاب الناس في بعض مغازيه
عطش فسأله عمر الدعاء فدعا فجاءت سحابة فسقتهم حاجتهم ثم اقلعت. ودعا
في الاستسقاء فسقوا ثم شكوا اليه المطر فدعا فصحوا. وقال للنابغة لا يفضض الله
فاك فما سقطت له سن. وفي رواية فكان احسن الناس ثغرا اذا سقطت له سن
نبتت له اخرى. وعاش عشرين ومائة وقيل اكثر من هذا. ودعا لابن عباس اللهم
فقهه في الدين وعلمه التاويل فسمي بعد الحبر وترجمان القران. ودعا لعبد الله
ابن جعفر بالبركة في صفقة يمينه فما اشترى شيئا الا ربح فيه. ودعا للمقداد بالبركة
فكانت عنده غرائر من المال. ودعا بمثله لعروة بن ابي الجعد قال فلقد كنت اقوم
بالكناسة فما ارجع حتى اربح اربعين الفا. وقال البخاري في حديثه فكان لو اشترى التراب
ربح فيه. وروي مثل هذا لغرقدة ايضا. وندت له ناقة فدعا فجاءه بها اعصار ريح
حتى ردها عليه. ودعا لام ابي هريرة فاسلمت. ودعا لعلي ان يكفى الحر والقر
فكان يلبس في الشتاء ثياب الصيف وفي الصيف ثياب الشتاء ولا يصيبه حر ولا
برد. ودعا لفاطمة ابنته الا يجيعها قالت فما جعت بعد. وسأله الطفيل (رضي الله عنها)
ابن عمرو اية لقومه فقال اللهم نور له فسطع نور بين عينيه فقال يا رب اخاف
ان يقولوا مثلة فتحول الى طرف سوطه فكان يضيء في الليلة المظلمة فسمي ذا النور. ودعا

على مضر فأقحطوا حتى استعطفته قريش فدعا لهم فسقوا ودعا على كسرى حين مزق
كتابه أن يمزق الله ملكه فلم تبق له باقية ولا بقيت لفارس رياسة في أقطار الدنيا
ودعا على صبي قطع عليه الصلاة أن يقطع الله أثره فأقعد وقال لرجل رآه يأكل بشماله
كل بيمينك فقال لا أستطيع فقال لا استطعت فلم يرفعها إلى فيه وقال لعتبة بن أبي
لهب اللهم سلط عليه كلبا من كلابك فأكله الأسد وحديثه المشهور من رواية عبد الله
ابن مسعود في دعائه على قريش حين وضعوا السلا على رقبته وهو ساجد مع الفرث
والدم وسماهم قال فلقد رأيتهم قتلوا يوم بدر ودعا على الحكم بن أبي العاصي وكان
يختلج بوجهه ويغمز عند النبي صلى الله عليه وسلم أي لا فقال كذلك كن فلم يزل
يختلج إلى أن مات ودعا على محلم بن جثامة فمات لسبع فلفظته الأرض ثم
ووري فلفظته مرات فألقوه بين صدين ورضموا عليه بالحجارة الصد جانب الوادي
وجحده رجل بيع فرس وهي التي شهد فيها خزيمة للنبي صلى الله عليه وسلم فرد الفرس
بعد النبي صلى الله عليه وسلم على الرجل وقال اللهم إن كان كاذبا فلا تبارك له فيها فأصبحت
شاصية برجلها أي رافعة وهذا الباب أكثر من أن يحاط به

فصل في كراماته وبركاته وانقلاب الأعيان له فيما لمسه أو باشره أخبرنا أحمد بن
محمد ثنا أبو ذر الهروي إجازة وحدثنا القاضي أبو علي سماعا والقاضي أبو عبد الله محمد بن
عبد الرحمن وغيرهما قالوا ثنا أبو الوليد القاضي ثنا أبو ذر ثنا أبو محمد وأبو إسحق وأبو الهيثم
قالوا ثنا الفربري ثنا البخاري ثنا عبد الأعلى بن حماد ثنا يزيد بن زريع ثنا سعيد
عن قتادة عن أنس بن مالك أن أهل المدينة فزعوا مرة فركب رسول الله صلى الله عليه
وسلم فرسا لأبي طلحة كان يقطف أو به قطاف وقال غيره بطيئا فلما رجع قال
وجدنا فرسك بحرا فكان بعد لا يجارى ونخس جمل جابر وكان قد أعيى فنشط حتى كان
لا يملك زمامه وصنع مثل ذلك بفرس لجعيل الأشجعي خفقها بمخفقة معه وبرك
عليها فلم يملك رأسها نشاطا وباع من بطنها باثني عشر ألفا وكانت شعرات من شعره
في قلنسوة خالد بن الوليد فلم يشهد بها قتالا إلا رزق النصر وفي الصحيح عن أسماء بنت

أبي بكر أنها أخرجت جبة طيالسة وقالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبسها
فنحن نغسلها للمرضى يستشفى بها وحدثنا القاضي أبو علي عن شيخه أبي القسم بن المأمون
قال كانت عندنا قصعة من قصاع النبي صلى الله عليه وسلم فكنا نجعل فيها الماء للمرضى
فيستشفون بها وأخذ جهجاه الغفاري القضيب من يد عثمن ليكسره على ركبته فصاح
الناس به فأخذته فيها الأكلة فقطعها ومات قبل الحول وسكب من فضل وضوءه
في بير قباء فما نزفت بعد وبصق في بير كانت في دار أنس فلم يكن بالمدينة أعذب منها
ومر على ماء فسأل عنه فقيل له اسمه بيسان وماؤه ملح فقال بل هو نعمان وماؤه
طيب فطاب وأتي بدلو من ماء زمزم فمج فيه فصار أطيب من المسك وأعطى الحسن والحسين لسانه
فمصاه وكانا يبكيان عطشا فسكتا وكان لأم مالك عكة تهدي فيها للنبي صلى الله عليه وسلم
سمنا فأمرها النبي صلى الله عليه وسلم ألا تعصرها ثم دفعها إليها فإذا هي مملوءة سمنا
فيأتيها بنوها يسألونها الأدم وليس عندهم شيء فتعمد إليها فتجد فيها سمنا فكانت تقيم
أدمها حتى عصرتها وكان يتفل في أفواه الصبيان المراضع فيجزئهم ريقه إلى الليل
ومن ذلك بركة يده فيما لمسه وغرسه لسلمان حين كاتبه مواليه على ثلاثمائة وديّة
يغرسها كلها تعلق وتطعم وعلى أربعين أوقية من ذهب فقام عليه السلام وغرسها له
بيده إلا واحدة غرسها غيره فأخذت كلها إلا تلك الواحدة فقلعها النبي صلى الله عليه وسلم
وردها فأخذت وفي كتاب البزار فأطعم النخل من عامه إلا الواحدة فقلعها رسول الله
صلى الله عليه وسلم وغرسها فأطعمت من عامها وأعطاه مثل بيضة الدجاجة من
ذهب بعد أن أدارها على لسانه فوزن منها لمواليه أربعين أوقية وبقي عنده مثل ما أعطاهم
وفي حديث حنش بن عقيل سقاني رسول الله صلى الله عليه وسلم شربة من سويق شرب أولها
وشربت آخرها فما برحت أجد شبعها إذا جعت وريها إذا عطشت وبردها إذا
ظمئت وأعطى قتادة بن النعمان وصلى معه العشاء في ليلة مظلمة مطيرة عرجونا وقال
انطلق به فإنه سيضيء لك من بين يديك عشرا ومن خلفك عشرا فإذا دخلت بيتك
فسترى سوادا فاضربه حتى يخرج فإنه الشيطان فانطلق فأضاء له العرجون حتى دخل
له

بيته ووجدا السواد فضربه حتى خرج • ومنها دفعه لعكاشة جذل حطب وقال
اضرب به حين انكسر سيفه يوم بدر فعاد في يده سيفا صارما طويل القامة ابيض
شديد المتن فقاتل به • ثم لم يزل عنده يشهد به المواقف الى ان استشهد في قتال اهل   الموافق
الردة • وكان هذا السيف يسمى العون • ودفع عليه السلام لعبد الله بن جحش يوم احد وقد ذهب
سيفه عسيب نخل فرجع في يده سيفا • ومنه بركته في درور الشياه الحوايل باللبن
الكثير لقصة شاة ام معبد واعنز معاوية بن ثور وشاة انس وغنم حليمة مرضعته
وشارف لها • وشاة عبد الله بن مسعود وكانت لم ينز عليها فحل وشاة المقداد • ومن
ذلك تزويده اصحابه سقاء ماء بعد ان اوكاه ودعا فيه فلما حضرتهم الصلاة نزلوا
فحلوه فاذا به لبن طيب وزبدة في فمه • من رواية حماد بن سلمة • ومسح على راس عمير بن
سعد وبرك فمات وهو ابن ثمانين سنة فما شاب • وروي مثل هذه القصص عن غير واحد
منهم السايب بن يزيد ومدلوك • وكان يوجد لعتبة بن فرقد طيب يغلب طيب نسايه
لان رسول الله صلى الله عليه وسلم مسح بيده على بطنه وظهره • وسلت الدم عن وجه
عايذ بن عمرو وكان جرح يوم حنين ودعا له فكانت له غرة كغرة الفرس • ومسح   ودعا له
على راس قيس بن زيد الجذامي فهلك ابن ماية سنة وراسه ابيض وموضع كف النبي
صلى الله عليه وسلم وما مرت يده عليه من شعره اسود فكان يدعى الاغر • وروي
مثل هذه الحكاية لعمرو بن ثعلبة الجهني • ومسح وجه اخر فما زال على وجهه نور •
ومسح وجه قتادة بن ملحان فكان لوجهه بريق حتى كان ينظر في وجهه كما ينظر في
المراة • ووضع يده على راس حنظلة بن حذيم وبرك عليه فكان حنظلة يوتى بالرجل   حذيم
قد ورم وجهه والشاة قد ورم ضرعها فيوضع على موضع كف النبي صلى الله عليه
وسلم فيذهب الورم • ونضح في وجه زينب بنت ام سلمة نضحة من ماء فما يعرف
كان في وجه امراة من الجمال ما بها من الحسن • ومسح على راس صبي به عاهة فبرئ
واستوى شعره • وعلى غير واحد من الصبيان والمرضى والمجانين فبروا • واتاه رجل به ادرة
فامره ان ينضحها بماء من عين مج فيها ففعل فبرا • وعن طاووس لم يؤت النبي صلى الله عليه
وسلم

في خبر المؤمنين بالله ١٩

باحد به مس فصك في صدره الا ذهب المس الجنون • ومج في دلو من بير ثم صب
فيها ففاح منها ريح المسك • واخذ قبضة من تراب يوم حنين ورمى بها في وجوه
الكفار وقال شاهت الوجوه فانصرفوا يمسحون القذا عن اعينهم • وشكا اليه
ابو هريرة النسيان فامره ببسط ثوبه وغرف بيده فيه ثم امره بضمه ففعل فما
نسي شيئا بعد وما يروى عنه في هذا كثير •

فصل

ومن ذلك ما اطلع
عليه من الغيوب وما يكون • والاحاديث في هذا الباب بحر لا يدرك قعره ولا ينزف
غمره • وهذه المعجزة من جملة معجزاته المعلومة على القطع الواصل الينا خبرها
على التواتر لكثرة رواتها واتفاق معانيها على الاطلاع على الغيب • حدثنا
الامام ابو بكر محمد بن الوليد الفهري اجازة وقراته على غيره قال ابو بكر نا ابو علي التستري
نا ابو عمر الهاشمي نا اللولوي نا ابو داود نا عثمن بن ابي شيبة نا جرير عن الاعمش
عن ابي وايل عن حذيفة قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقاما فما ترك شيئا يكون
في مقامه ذلك الى قيام الساعة الا حدثه • حفظه من حفظه ونسيه من نسيه
قد علمه اصحابي هولاء • وانه ليكون منه الشيء فاعرفه فاذكره كما يذكر الرجل وجه
الرجل اذا غاب عنه ثم اذا راه عرفه • ثم قال حذيفة ما ادري انسي اصحابي ام تناسوه
والله ما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم من قايد فتنة الى ان تنقضي الدنيا يبلغ من
معه ثلاث ماية فصاعدا الا قد سماه لنا باسمه واسم ابيه وقبيلته • وقال ابو ذر رضي الله عنه
لقد تركنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يحرك طاير جناحيه في السما الا ذكر لنا منه
علما • وقد خرج اهل الصحيح والايمة ما اعلم به اصحابه صلى الله عليه وسلم مما وعدهم
به من الظهور على اعدايه وفتح مكة وبيت المقدس واليمن والشام والعراق وظهور
الامن حتى تظعن المراة من الحيرة الى مكة لا تخاف الا الله • وان المدينة ستغزى
ويفتح خيبر على يد علي في غد يومه • وما يفتح الله على امته من الدنيا ويوتون من زهرتها   وتفتح
وقسمتهم كنوز كسرى وقيصر • وما يحدث بينهم من الفتن والاختلاف والاهواء وسلوك   الفتن
سبيل من قبلهم وافتراقهم على ثلاث وسبعين فرقة الناجية منها واحدة وانها ستكون

لهم انماط ويغدو احدهم في حلة ويروح في اخرى وتوضع بين يديه صحفة وترفع
اخرى ويسترون بيوتهم كما تستر الكعبة ثم قال اخر الحديث وانتم اليوم خير منكم
يومئذ وانهم اذا مشوا المطيطا وخدمتهم بنات فارس والروم رد الله باسهم
بينهم وسلط شرارهم على خيارهم وقتالهم الترك والخزر والروم وذهاب كسرى
وفارس حتى لا كسرى ولا فارس بعده وذهاب قيصر حتى لا قيصر بعده وذكر ان
الروم ذات قرون الى اخر الدهر وبذهاب الامثل فالامثل من الناس وتقارب الزمان
وقبض العلم وظهور الفتن والهرج وقال ويل للعرب من شر قد اقترب وانه زويت
له الارض فارى مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك امته ما زوي له منها فكذلك
كان امتدت في المشارق والمغارب ما بين ارض الهند اقصى المشرق الى بحر طنجة حيث لا
عمارة وراه وذلك ما لم تملكه امة من الامم ولم تمتد في الجنوب ولا في الشمال مثل ذلك
وقوله لا يزال اهل الغرب ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة ذهب ابن المديني الى انهم
العرب لانهم المختصون بالسقي بالغرب وهي الدلو وغيره يذهب الى انهم اهل المغرب
وقد ورد المغرب كذا في الحديث بمعناه وفي حديث اخر من رواية ابي امامة لا تزال
طايفة من امتي ظاهرين على الحق قاهرين لعدوهم حتى ياتيهم امر الله وهم كذلك قيل
يا رسول الله واين هم قال ببيت المقدس واخبر بملك بني امية وولاية معوية ووصاه
واتخاذ بني امية مال الله دولا وخروج ولد العباس بالرايات السود وملكهم اضعاف
ما ملكوا وخروج المهدي وما ينال اهل بيته وتقتيلهم وتشريدهم وقتل علي وان اشقاها
الذي يخضب هذه من هذه اي لحيته من راسه وانه قسيم النار يدخل اولياوه الجنة
واعداوه النار فكان فيمن عاداه الخوارج والناصبة وطايفة ممن ينسب اليه من
الروافض لكفروه وقال يقتل عثمان وهو يقرا في المصحف وان الله عسى ان يلبسه قميصا
وانهم يريدون خلعه وانه سيقطر دمه على قوله فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم
وان الفتن لا تظهر ما دام عمر حيا ومحاربة الزبير لعلي ونباح كلاب الحوءب على
بعض ازواجه وانه يقتل حولها قتلى كثير وتنجو بعد ما كادت فنبحت على عايشة

المطيطا

عليه السلام

عند خروجها الى البصرة وان عمارا تقتله الفية الباغية فقتله اصحاب معوية
وقال لعبد الله بن الزبير ويل للناس منك وويل لك من الناس وقال في قزمان وقد ابلى
مع المسلمين انه من اهل النار فقتل نفسه وقال في جماعة فيهم ابو هريرة وسمرة بن
جندب وحذيفة اخركم موتا في النار فكان بعضهم يسال عن بعض فكان سمرة اخرهم
موتا هرم وخرف فاصطلى بالنار فاحترق فيها وقال الخلافة في قريش ولن يزال هذا
الامر في قريش ما اقاموا الدين وقال يكون في ثقيف كذاب ومبير فراوهما الحجاج
والمختار وان مسيلمة يعقره الله وان فاطمة اول اهله لحوقا به وانذر بالردة وبان
الخلافة بعده ثلاثون ثم ملكا فكانت كذلك بمدة الحسن بن علي وقال ان هذا الامر
بدا نبوة ورحمة ثم يكون رحمة وخلافة ثم يكون ملكا عضوضا ثم يكون عتوا
وجبروتا وفسادا في الامة واخبر بشان اويس القرني وبامرا يوخرون الصلاة
عن وقتها وسيكون في امته ثلاثون كذابا فيهم اربع نسوة وفي حديث اخر
ثلاثون دجالا كذابا اخرهم الدجال الكذاب كلهم يكذب على الله ورسوله
وقال يوشك ان يكثر فيكم العجم ياكلون فيئكم ويضربون رقابكم ولا تقوم الساعة
حتى يسوق الناس بعصاه رجل من قحطان وقال خيركم قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين
يلونهم ياتي بعد ذلك قوم يشهدون ولا يستشهدون ويخونون ولا يوتمنون
وينذرون ولا يوفون ولا ياتي زمان الا والذي بعده شر منه وقال هلاك
امتي على يدي اغيلمة من قريش قال ابو هريرة راويه لو شيت سميتهم لكم بنو
فلان وبنو فلان واخبر بظهور القدرية والرافضة وسب اخر هذه الامة
اولها وقلة الانصار حتى يكونوا كالملح في الطعام فلم يزل امرهم يتبدد حتى لم
يبق لهم جماعة وانهم سيلقون بعده اثرة واخبر بشان الخوارج وصفتهم
والمخدج الذي فيهم وان سيماهم التحليق وترى رعا الغنم روس الناس
والعراة الحفاة يتبارون في البنيان وان تلد الامة ربتها وان قريشا والاحزاب
لا يغزونه ابدا وانه هو يغزوهم واخبر بالموتان الذي يكون بعد فتح بيت المقدس

وقال في حنظلة الغسيل سلوا زوجته عنه فاني رايت الملايكة تغسله فسلوها فقالت انه خرج جنبا واعجله الحال عن الغسل قال ابو عبيد ورايته يقطر

رجلا

وما وعد من سكنى البصرة، وانهم يغزون في البحر كالملوك على الاسرة، وان الدين لو كان منوطا بالثريا لناله رجال من ابناء فارس، وهاجت ريح في غزاته فقال هاجت لموت منافق فلما رجعوا الى المدينة وجدوا ذلك، وقال لقوم من جلسائه ضرس احدكم في النار اعظم من احد قال ابو هريرة فذهب القوم يعني ماتوا وبقيت انا ورجل فقتل مرتدا يوم اليمامة، واعلم بالذي غل خرزا من خرز يهود فوجدت في رحله، وبالذي غل الشملة، وحيث هي ناقته حين ضلت، وكيف تعلقت بالشجرة بخطامها، وبشان كتاب حاطب الى اهل مكة، وبقضية عمير مع صفوان حين ساره وشارطه على قتل النبي صلى الله عليه وسلم فلما جاء عمير النبي صلى الله عليه وسلم قاصدا لقتله واطلعه رسول الله صلى الله عليه وسلم على الامر والسر اسلم، واخبر بالمال الذي ترك عمه العباس عند ام الفضل بعد ان كتمه فقال ما علمه غيري وغيرها فاسلم، واعلم بانه سيقتل ابي بن خلف، وفي عتبة بن ابي لهب انه ياكله كلب الله، وعن مصارع اهل بدر فكان كما قال، وقال في الحسن ان ابني هذا سيد وسيصلح الله به بين فئتين، ولسعد لعلك تخلف حتى ينتفع بك اقوام ويستضر بك اخرون، واخبر بقتل اهل مؤتة يوم قتلوا وبينهم مسيرة شهر او ازيد، وبموت النجاشي يوم مات وهو بارضه، واخبر فيروز اذ ورد عليه رسولا من كسرى بموت كسرى ذلك اليوم فلما حقق فيروز القصة اسلم، واخبر ابا ذر بتطريده كما كان ووجده في المسجد نائما فقال له كيف بك اذا اخرجت منه الحديث ويعيشه وحده وموته وحده، واخبر ان اسرع ازواجه به لحوقا اطولهن يدا فكانت زينب لطول يدها بالصدقة، واخبر بقتل الحسين بالطف واخرج بيده تربة وقال فيها مضجعه، وقال في زيد بن صوحان يسبقه عضو منه الى الجنة فقطعت يده في الجهاد، وقال في الذين كانوا معه على حرا اثبت فانما عليك نبي وصديق وشهيد فقتل علي وعمر وعثمان وطلحة والزبير وطعن سعد، وقال لسراقة كيف بك اذا البست سواري كسرى فلما اتي بهما عمر البسهما اياه وقال الحمد لله الذي سلبهما كسرى والبسهما سراقة، وقال تبنى مدينة بين دجلة ودجيل وقطربل والصراة تجبى اليها

خزائن الارض يخسف بها يعني بغداد، وقال سيكون في هذه الامة رجل يقال له الوليد هو شر لهذه الامة من فرعون لقومه، وقال لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان دعواهما واحدة، وقال لعمر في سهيل بن عمرو وعسى ان يقوم مقاما يسرك يا عمر فكان كذلك قام بمكة مقام ابي بكر يوم بلغهم موت النبي صلى الله عليه وسلم وخطب بنحو خطبته وثبتهم وقوى بصائرهم، وقال لخالد حين وجهه لاكيدر انك تجده يصيد البقر فوجدت هذه الامور كلها في حياته وبعد موته كما قال عليه السلام الى ما اخبر به جلساءه من اسرارهم وبواطنهم، واطلع عليه من اسرار المنافقين وكفرهم وقولهم فيه وفي المؤمنين حتى ان كان بعضهم ليقول لصاحبه اسكت فوالله لو لم يكن عنده من يخبره لاخبرته حجارة البطحاء، واعلامه بصفة السحر الذي سحره به لبيد بن الاعصم وكونه في مشط ومشاقة في جف طلع نخلة ذكر وانه القي في بير ذروان فكان كما قال ووجد على تلك الصفة، واعلامه قريشا باكل الارضة ما في صحيفتهم التي تظاهروا بها على بني هاشم وقطعوا بها رحمهم وانها ابقت فيها كل اسم لله فوجدوها كما قال عليه السلام، ووصفه لكفار قريش بيت المقدس حين كذبوه في خبر الاسرا ونعته اياه نعت من عرفه، واعلامهم بعيرهم التي مر عليها في طريقه وانذارهم بوقت وصولها فكان كله كما قال الى ما اخبر به من الحوادث التي تكون ولم تات بعد ومنها ما ظهرت مقدماتها، كقوله عمران بيت المقدس خراب يثرب وخراب يثرب خروج الملحمة وخروج الملحمة فتح القسطنطينية، ومن اشراط الساعة وايات حلولها وذكر النشر والحشر واخبار الابرار والفجار والجنة والنار وعرصات القيمة، وبحسب هذا الفصل ان يكون ديوانا مفردا يشتمل على اجزا وحده، وفيما اشرنا اليه من نكت الاحاديث التي ذكرناها كفاية واكثرها في الصحيح وعند الايمة.

فصل

في عصمة الله تعالى له من الناس وكفايته من اذاه. قال الله تعالى والله يعصمك من الناس، وقال تعالى واصبر لحكم ربك فانك باعيننا، وقال اليس الله بكاف عبده

بكاف محمدا اعداوه المشركين وقيل غير هذا وقال انا كفيناك المستهزئين وقال واذ بل
يمكر بك الذين كفروا الاية اخبرنا القاضي الشهيد ابو علي الصدفي قراتي عليه
والفقيه الحافظ ابو بكر محمد بن عبد الله المعافري قالا ثنا ابو الحسين الصيرفي ثنا ابو
يعلى البغدادي ثنا ابو علي السنجي ثنا ابو العباس المروزي ثنا ابو عيسى الحافظ ثنا عبد بن
حميد ثنا مسلم بن ابراهيم ثنا الحرث بن عبيد عن سعيد الجريري عن عبد الله بن شقيق عن
عائشة قالت كان النبي صلى الله عليه وسلم يحرس حتى نزلت هذه الاية والله يعصمك
من الناس فاخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم راسه من القبة فقال لهم يا ايها الناس
انصرفوا فقد عصمني ربي عز وجل وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا نزل منزلا اختار
له اصحابه شجرة يقيل تحتها فاتاه اعرابي فاخترط سيفه ثم قال من يمنعك مني فقال
الله فارعدت يد الاعرابي وسقط سيفه وضرب براسه الشجرة حتى سال دماغه
فنزلت الاية وقد رويت هذه القصة في الصحيح وان غورث بن الحارث صاحب هذه
القصة وان النبي صلى الله عليه وسلم عفا عنه فرجع الى قومه وقال جئتكم من عند خير مل
الناس وقد حكيت مثل هذه الحكاية انها جرت له يوم بدر وقد انفرد من اصحابه
لقضاء حاجته فتبعه رجل من المنافقين وذكر مثله وقد روي انه وقع له مثلها
في غزوة غطفان بذي امر مع رجل اسمه دعثور بن الحرث وان الرجل اسلم فلما رجع
الى قومه الذين اغروه وكان سيدهم واشجعهم قالوا له اين ما كنت تقول وقد امكنك ومن
فقال اني نظرت الى رجل ابيض طويل دفع في صدري فوقعت لظهري وسقط السيف
فعرفت انه ملك واسلمت قيل وفيه نزلت يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمة الله عليكم
اذ هم قوم ان يبسطوا اليكم ايديهم الاية وفي رواية الخطابي ان غورث بن الحرث
المحاربي اراد ان يفتك بالنبي صلى الله عليه وسلم فلم يشعر به الا وهو قائم على راسه
منتضيا سيفه فقال اللهم اكفنيه بما شئت فانكب من وجهه من زلخة زلخها بين
كتفيه وندر سيفه من يده الزلخة وجع الظهر وقيل في قصته غير هذا وذكر
ان فيه نزلت يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم الاية وقيل كان

الزلخة وجع الظهر

النبي صلى الله عليه وسلم يخاف قريشا فلما نزلت هذه الاية ثم قال من شاء فليخذلني استلقى
وذكر عبد بن حميد قال كانت حمالة الحطب تضع العضاه وهي جمر على طريق رسول الله
صلى الله عليه وسلم فكانما يطاها كثيبا اهيل وذكر ابن اسحق عنها انها لما بلغها
نزول تبت يدا ابي لهب وذكرها بما ذكرها الله مع زوجها من الذم اتت رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهو جالس في المسجد ومعه ابو بكر وفي يدها فهر من حجارة فلما
وقفت عليهما لم تر الا ابا بكر واخذ الله ببصرها عن نبيه صلى الله عليه وسلم
فقالت يا ابا بكر اين صاحبك فقد بلغني انه يهجوني والله لو وجدته لضربت بهذا
الفهر فاه وعن الحكم بن ابي العاص تواعدنا على النبي صلى الله عليه وسلم حتى اذا
رايناه سمعنا صوتا خلفنا ما ظننا انه بقي بتهامة احد فوقعنا مغشيا علينا
فما افقنا حتى قضى صلاته ورجع الى اهله ثم تواعدنا ليلة اخرى فجئنا حتى اذا
رايناه جاءت الصفا والمروة فحالت بيننا وبينه وعن عمر رضي الله عنه تواعدت
فتسمعنا انا وابو جهم بن حذيفة ليلة قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم فجئنا منزله فتسمعنا
له فافتتح وقرا الحاقة ما الحاقة الى فهل ترى لهم من باقية فضرب ابو جهم على عضد
عمر وقال انج وفرا هاربين فكانت من مقدمات اسلام عمر ومنه العبرة المشهورة
والكفاية التامة عندما اخافته قريش واجمعت على قتله وبيتوه فخرج عليهم من
بيته فقام على رؤوسهم وقد ضرب الله على ابصارهم وذرى التراب على رؤوسهم وخلص
منهم وحمايته عن رؤيتهم في الغار بما هيا الله له من الايات ومن العنكبوت
الذي نسج عليه حتى قال امية بن خلف حين قالوا ندخل الغار ما اربكم فيه وعليه من نسج
الامين العنكبوت ما ارى انه قبل ان يولد محمد ووقفت حمامتان على فم الغار فقالت
قريش لو كان فيه احد لما كانت هناك الحمام وقصته مع سراقة بن مالك بن جعشم
حين الهجرة وقد جعلت قريش فيه وفي ابي بكر الجعائل فانذر به فركب فرسه واتبعه
حتى اذا قرب منه دعا عليه النبي صلى الله عليه وسلم فساخت قوائم فرسه فخر عنها
واستقسم بالازلام فخرج له ما يكره ثم ركب ودنا حتى سمع قراءة النبي صلى الله عليه وسلم

وهو لا يلتفت وأبو بكر يلتفت فقال للنبي صلى الله عليه وسلم أُتينا فقال لا تحزن
إن الله معنا فساخت ثانية إلى ركبتيها وخر عنها فزجرها فنهضت ولقوائمها مثل
الدخان فناداهم بالأمان فكتب له صلى الله عليه وسلم أمانا كتبه ابن فهيرة وقيل
أبو بكر وأخبرهم بالأخبار وأمره النبي صلى الله عليه وسلم أن لا يترك أحدا يلحق بهم
فانصرف يقول للناس كفيتم ما هاهنا وقيل بل قال لهما أراكما دعوتما علي فادعوا
لي فنجا ووقع في نفسه ظهور النبي صلى الله عليه وسلم وفي خبر آخر أن راعيا عرف
خبرهما فخرج يشتد يعلم قريشا فلما ورد مكة ضرب على قلبه فما يدري ما يصنع
وأنسي ما خرج له حتى رجع إلى موضعه وجاءه فيما ذكر ابن إسحق وغيره أبو جهل بصخرة
وهو ساجد وقريش ينظرون ليطرحها عليه فلزقت بيده ويبست يداه إلى عنقه
وأقبل يرجع القهقرى إلى خلفه ثم سأله أن يدعو له ففعل فانطلقت يداه وكان
قد تواعد مع قريش بذلك وحلف لئن رآه ليدمغنه فسألوه عن شأنه فذكر أنه
عرض لي دونه فحل ما رأيت مثله قط هم بي أن يأكلني فقال النبي صلى الله عليه وسلم
ذاك جبريل لو دنا لأخذه وذكر السمرقندي أن رجلا من بني المغيرة أتى النبي صلى الله
عليه وسلم ليقتله فطمس الله على بصره فلم ير النبي صلى الله عليه وسلم وسمع قوله
فرجع إلى أصحابه ولم يرهم حتى نادوه وذكر أن في هاتين القصتين نزلت إنا جعلنا
في أعناقهم أغلالا الآيتين ومن ذلك ما ذكره ابن إسحق في قصته إذ خرج إلى بني
قريظة في أصحابه فجلس إلى جدار بعض آطامهم فانبعث عمرو بن جحاش أحدهم
ليطرح عليه رحى فقام النبي صلى الله عليه وسلم فانصرف إلى المدينة وأعلمهم بقصتهم
وقد قيل إن قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ هم قوم في هذه
القصة نزلت وحكى السمرقندي أنه خرج إلى بني النضير يستعين في عقل الكلابيين
اللذين قتلهما عمرو بن أمية فقال له حيي بن أخطب اجلس يا أبا القاسم حتى نطعمك
ونعطيك ما سألتنا فجلس النبي صلى الله عليه وسلم مع أبي بكر وعمر وتوامر حيي
معهم على قتله فأعلم جبريل النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فقام كأنه يريد حاجة

حتى دخل المدينة وذكر أهل التفسير ومعنى الحديث عن أبي هريرة أن أبا جهل
وعد قريشا لئن رأى محمدا يصلي ليطأن رقبته فلما صلى النبي صلى الله عليه وسلم أعلموه
فأقبل فلما قرب منه ولى هاربا ناكصا على عقبيه متقيا بيديه فسئل فقال لما دنوت
منه أشرفت على خندق مملوء نارا كدت أهوي فيه وأبصرت هولا عظيما وخفق
أجنحة قد ملأت الأرض فقال عليه السلام تلك الملائكة لو دنا لاختطفته عضوا
عضوا ثم أنزل على النبي صلى الله عليه وسلم كلا إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى إلى آخر
السورة ويروى أن شيبة بن عثمن الحجبي أدركه يوم حنين وكان حمزة قد قتل أباه
وعمه فقال اليوم أدرك ثاري من محمد فلما اختلط الناس أتاه من خلفه ورفع سيفه
ليصبه عليه قال فلما دنوت منه ارتفع إلي شواظ من نار أسرع من البرق فوليت هاربا
وأحس بي النبي صلى الله عليه وسلم فدعاني فوضع يده على صدري وهو أبغض الخلق إلي
فما رفعها إلا وهو أحب الخلق إلي وعن فضالة بن عمرو أردت قتل النبي صلى الله عليه وسلم
عام الفتح وهو يطوف بالبيت فلما دنوت منه قال أفضالة قلت نعم قال ما كنت تحدث
به نفسك قلت لا شيء فضحك واستغفر لي ووضع يده على صدري فسكن قلبي فوالله
ما رفعها حتى ما خلق الله شيئا أحب إلي منه ومن مشهور ذلك خبر عامر بن الطفيل
وأربد بن قيس حين وفدا على النبي صلى الله عليه وسلم وكان عامر قال له أنا أشغل عنك
وجه محمد فاضربه أنت فلم يره فعل شيئا فلما لامه في ذلك قال له والله ما هممت
أن أضربه إلا وجدتك بيني وبينه أفأضربك ومن عصمته له تعالى أن كثيرا من اليهود
والكهنة أنذروا به وعينوه لقريش وأخبروهم بسطوته بهم وحضوهم على قتله
فعصمه الله تعالى حتى بلغ فيه أمره ومن ذلك نصره بالرعب أمامه مسيرة شهر
كما قال عليه السلام

فصل ومن معجزاته الباهرة ما جمعه الله له من
المعارف والعلوم وخصه به من الاطلاع على جميع مصالح الدنيا والدين ومعرفته
بأمور شرائعه وقوانين دينه وسياسة عباده ومصالح أمته وما كان في الأمم قبله
وقصص الأنبياء والرسل والجبابرة والقرون الماضية من لدن آدم إلى زمنه وحفظ

من

شرايعهم وكتبهم ووعي سيرهم وسرد انبايهم وايام الله فيهم وصفات
اعيانهم واختلاف ارايهم والمعرفة بمددهم واعمارهم وحكم حكمايهم ومحاجة
كل امة من الكفرة ومعارضة كل فرقة من الكتابيين بما في كتبهم واعلامهم
باسرارها ومخبات علومها واخبارهم بما كتموه من ذلك وغيروه الى الاحتوا على
لغات العرب وغريب الفاظ فرقها والاحاطة بضروب فصاحتها والحفظ لايامها
وامثالها وحكمها ومعاني اشعارها والتخصيص بجوامع كلمها الى المعرفة بضرب
الامثال الصحيحة والحكم البينة لتقريب التفهيم للغامض والتبيين للمشكل
الى تمهيد قواعد الشرع الذي لا تناقض فيه ولا تخاذل مع اشتمال شريعته على محاسن
الاخلاق ومحامد الاداب وكل شي مستحسن مفضل لم ينكر منه ملحد ذو عقل
سليم شيا الا من جهة الخذلان بل كل جاحد له وكافر به من الجاهلية اذا سمع ما يدعوا
اليه صوبه واستحسنه دون طلب اقامة برهان عليه ثم ما احل لهم من الطيبات وحرم
عليهم من الخبايث وصان به انفسهم واعراضهم واموالهم من المعاقبات والحدود
عاجلا والتخويف بالنار اجلا الى الاحتوا على ضروب العلوم وفنون المعارف
كالطب والعبارة والفرايض والحساب والنسب وغير ذلك من العلم مما اتخذ اهل هذه
المعارف كلامه صلى الله عليه وسلم فيها قدوة واصولا في علمهم كقوله عليه السلام
الرويا لاول عابر وهي على رجل طاير وقوله الرويا ثلاث رويا حق ورويا يحدث
بها الرجل نفسه ورويا تحزين من الشيطان وقوله اذا تقارب الزمان لم تكد
رويا المومن تكذب وقوله اصل كل دا البردة وما روي عنه في حديث ابي هريرة
من قوله المعدة حوض البدن والعروق اليها واردة وان كان هذا حديثا لا نصححه
لضعفه وكونه موضوعا تكلم عليه الدارقطني وقوله خير ما تداويتم به السعوط
واللدود والحجامة والمشي وخير الحجامة يوم سبع عشرة وتسع عشرة واحدى وعشرين
وفي العود الهندي سبعة اشفية وقوله ما ملا ابن ادم وعا شرا من بطن الى قوله فان
كان لا بد فثلث للطعام وثلث للشراب وثلث للنفس وقوله وقد سيل عن سبا ارجل

هو ام امراة او ارض فقال رجل ولد عشرة تيامن منهم ستة وتشام اربعة الحديث
بطوله وكذلك جوابه في نسب قضاعة وغير ذلك مما اضطرت العرب على شغلها
بالنسب الى سواله عما اختلفوا فيه من ذلك وقوله حمير راس العرب ونابها
ومذحج هامتها وغلصمتها والازد كاهلها وجمجمتها وهمدان غاربها
وذروتها وقوله ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض
وقوله في الحوض زواياه سوا وقوله في حديث الذكر وان الحسنة بعشر فتلك
مائة وخمسون على اللسان والف وخمسمائة في الميزان وقوله وهو بموضع
نعم موضع الحمام هذا وقوله ما بين المشرق والمغرب قبلة وقوله لعيينة او الاقرع
انا افرس بالخيل منك وقوله لكاتبه ضع القلم على اذنك فانه اذكر للممل هذا
مع انه صلى الله عليه وسلم كان لا يكتب ولكنه اوتي علم كل شي حتى قد وردت
اثار بمعرفته حروف الخط وحسن تصويرها كقوله لا تمدوا بسم الله الرحمن الرحيم
رواه ابن شعبان من طريق ابن عباس وقوله في الحديث الاخر الذي يروى عن معوية
انه كان يكتب بين يديه عليه السلام فقال له الق الدواة وحرف القلم واقم
البا وفرق السين ولا تعور الميم وحسن الله ومد الرحمن وجود الرحيم وهذا
وان لم تصح الرواية انه عليه السلام كتب فلا يبعد ان يرزق علم هذا ويمنع الكتابة
والقراة واما علمه صلى الله عليه وسلم بلغات العرب وحفظه معاني اشعارها
فامر مشهور قد نبهنا على بعضه اول الكتاب وكذلك حفظه لكثير من لغات الامم
كقوله سنه سنه وهي حسنة بالحبشية وقوله ويكثر الهرج وهو القتل بها
وقوله في حديث ابي هريرة اشكنب درد اي وجع البطن بالفارسية الى غير ذلك
مما لا يعلم بعض هذا ولا يقوم به ولا ببعضه الا من مارس الدرس والعكوف
على الكتب ومثافنة اهلها عمره وهو رجل كما قال الله تعالى امي لم يكتب ولم يقرا ولا
عرف بصحبة من هذه صفته ولا نشا بين قوم لهم علم ولا قراة لشي من هذه الامور
ولا عرف هو قبل بشي منها قال الله تعالى وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا

تخطه بيمينك الآية. إنما كانت غاية معارف العرب النسب وأخبار أوايلها والشعر والبيان، وإنما حصل ذلك لهم بعد التفرغ لعلم ذلك والاشتغال بطلبه ومباحثة أهله عنه. وهذا الفن نقطة من بحر علمه صلى الله عليه وسلم، ولا سبيل إلى جحد الملحد لشيء مما ذكرناه، ولا وجد الكفرة حيلة في دفع ما نصصناه إلا قولهم أساطير الأولين، وإنما يعلمه بشر، فرد الله قولهم بقوله: لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين. ثم ما قالوه مكابرة العيان، فإن الذي نسبوا تعليمه إليه إما سلمان أو العبد الرومي، وسلمان إنما عرفه بعد الهجرة ونزول الكثير من القرآن وظهور ما لا ينعد من الآيات، وأما الرومي فكان أسلم وكان يقرأ على النبي صلى الله عليه وسلم، واختلف في اسمه، وقيل بل كان النبي صلى الله عليه وسلم يجلس عنده عند المروة، وكلاهما أعجمي اللسان، وهم الفصحاء اللد والخطباء اللسن قد عجزوا عن معارضة ما أتى به والإتيان بمثله، بل عن فهم وصفه وصورة تأليفه ونظمه، فكيف بأعجمي ألكن. نعم وقد كان سلمان أو بلعام الرومي أو يعيش أو جبر أو يسار على اختلافهم في اسمه بين أظهرهم يكلمونهم مدى أعمارهم، فهل حكي عن واحد منهم شيء من مثل ما كان يجيء به محمد عليه السلام؟ وهل عرف واحد منهم بمعرفة شيء من ذلك؟ وما منع العدو حينئذ على كثرة عدده ودؤوب طلبه وقوة حسده أن يجلس إلى هذا فيأخذ عنه ما يعارض به ويتعلم منه ما يحتج به على شيعته كفعل النضر بن الحارث بما كان يمخرق به من أخبار كتبه. ولا غاب النبي صلى الله عليه وسلم عن قومه ولا كثرت اختلافاته إلى بلاد أهل الكتاب فيقال إنه استمد منهم، بل لم يزل بين أظهرهم يرعى في صغره وشبابه على عادة أبنائهم، ثم لم يخرج عن بلادهم إلا في سفرة أو سفرتين لم يطل فيهما مكثه مدة يحتمل فيها تعليم القليل فكيف الكثير، بل كان في سفره في صحبة قومه ورفاقة عشيرته لم يغب عنهم، ولا خالف حاله مدة مقامه بمكة من تعليم واختلاف إلى حبر أو قس أو منجم أو كاهن، بل لو كان هذا بعد كله لكان مجيء ما أتى به في معجز القرآن قاطعا لكل عذر ومدحضا لكل حجة ومجليا لأمره.

الحبر بكسر الحا اجود ذكره ابن قتيبة

فصل

ومن خصائصه عليه السلام وكراماته وباهر آياته أنباؤه مع الملائكة والجن، وإمداد الله له بالملائكة، وطاعة الجن له، ورؤية كثير من أصحابه لهم. قال الله تعالى: وإن تظاهرا عليه فإن الله هو مولاه وجبريل الآية. وقال: إذ يوحي ربك إلى الملائكة أني معكم فثبتوا الذين آمنوا. وقال: إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم الآيتين. وقال: وإذ صرفنا إليك نفرا من الجن يستمعون القرآن الآية. حدثنا سفيان بن العاصي الفقيه سماعا عليه، ثنا أبو الليث السمرقندي، ثنا عبد الغافر الفارسي، ثنا أبو أحمد الجلودي، ثنا ابن سفيان، ثنا مسلم، ثنا عبيد الله بن معاذ، ثنا أبي، ثنا شعبة عن سليمان الشيباني سمع زر بن حبيش عن عبد الله قال: لقد رأى من آيات ربه الكبرى، قال: رأى جبريل في صورته له ستمائة جناح. والخبر في محادثته مع جبريل وإسرافيل وغيرهم من الملائكة وما شاهده من كثرتهم وعظم صور بعضهم ليلة الإسراء مشهور. وقد رآهم بحضرته جماعة من أصحابه في مواطن مختلفة، ورأى ابن عباس وأسامة وغيرهما عنده جبريل في صورة دحية، ورأى سعد على يمينه ويساره جبريل وميكائيل في صورة رجلين عليهما ثياب بيض، ومثله عن غير واحد. وسمع بعضهم زجر الملائكة خيلها يوم بدر، وبعضهم رأى تطاير الرؤوس من الكفار ولا يرون الضارب، ورأى أبو سفيان بن الحارث يومئذ رجالا بيضا على خيل بلق بين السماء والأرض ما يقوم لها شيء. وقد كانت الملائكة تصافح عمران بن الحصين، وأرى النبي صلى الله عليه وسلم حمزة جبريل في الكعبة فخر مغشيا عليه. ورأى عبد الله بن مسعود الجن ليلة الجن وسمع كلامهم وشبههم برجال الزط. وذكر ابن سعد أن مصعب بن عمير لما قتل يوم أحد أخذ الراية ملك على صورته، فكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول له: تقدم يا مصعب، فقال له الملك: لست بمصعب، فعلم أنه ملك. وقد ذكر غير واحد من المصنفين عن عمر بن الخطاب أنه قال: بينا نحن جلوس مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ أقبل شيخ بيده عصا فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم فرد عليه وقال: نغمة الجن، من أنت؟ قال: أنا هامة بن الهيم بن لاقيس بن إبليس، فذكر أنه لقي نوحا ومن بعده في حديث طويل، وأن النبي صلى الله عليه وسلم علمه سورا من القرآن. وذكر الواقدي قتل خالد عند هدمه العزى للسوداء التي خرجت له ناشرة شعرها

عريانة فجزلها بسيفه وأعلم النبي صلى الله عليه وسلم فقال له تلك العزى وقال
عليه السلام إن شيطانا تفلت البارحة ليقطع علي صلاتي فأمكنني الله منه فأخذته
فأردت أن أربطه إلى سارية من سواري المسجد حتى تنظروا إليه كلكم فذكرت دعوة
أخي سليمن رب اغفر لي وهب لي ملكا الآية فرده الله خاسئا وهذا باب واسع

فصل ومن دلائل نبوته وعلامات رسالته ما ترادفت به الأخبار عن الرهبان بلغ
والأحبار وعلماء أهل الكتب من صفته وصفة أمته واسمه وعلاماته وذكر الخاتم
الذي بين كتفيه وما وجد في ذلك من أشعار الموحدين المتقدمين من شعر تبع والأوس
ابن حارثة وكعب بن لؤي وسفين بن مجاشع وقس بن ساعدة وما ذكر عن سيف بن ذي
يزن وغيرهم وما عرف به من أمره زيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل وعثكلان
الحميري وعلماء يهود وشامول عالمهم صاحب تبع من صفته وخبره وما ألفي من ذلك
في التوراة والإنجيل مما قد جمعه العلماء وبينوه ونقله عنها ثقات من أسلم منهم
مثل ابن سلام وبني سعية معا وابن يامين ومخيريق وكعب وأشباههم ممن أسلم من علماء ٥
يهود وبحيرا ونسطور الحبشة وصاحب بصرى وضغاطر وأسقف الشام والجارود
وسلمان والنجاشي ونصارى الحبشة وأساقف نجران وغيرهم ممن أسلم من علماء النصارى
وقد اعترف بذلك هرقل وصاحب رومة عالما النصارى ورئيساهم ومقوقس صاحب
مصر والشيخ صاحبه وابن صوريا وابن أخطب وأخوه وكعب بن أسد والزبير بن باطيا
وغيرهم من علماء اليهود ممن حمله الحسد والنفاسة على البقاء على الشقاء والأخبار
في هذا كثيرة لا تنحصر وقد قرع أسماع يهود والنصارى بما ذكر أنه في كتبهم
من صفته وصفة أصحابه واحتج عليهم بما انطوت عليه من ذلك صحفهم وذمهم
بتحريف ذلك وكتمانه وليهم ألسنتهم ببيان أمره ودعاهم إلى المباهلة على الكاذب
فما منهم إلا من نفر عن معارضته وإبداء ما ألزمهم من كتبهم إظهاره ولو وجدوا خلاف (وأبدى خ)
قوله لكان إظهاره أهون عليهم من بذل النفوس والأموال وتخريب الديار ونبذ القتال
وقد قال لهم قل فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين إلى ما أنذر به الكهان مثل شافع

شافع بن كليب وشق وسطيح وسواد بن قارب وخنافر وأفعى نجران وجذل (وسعد خ)
ابن جذل الكندي وابن خلصة الدوسي وسعد بن بنت كريز وفاطمة بنت النعمان
ومن لا يعد كثرة إلى ما ظهر على ألسنة الأصنام من نبوته وحلول وقت رسالته
وسمع من هواتف الجان ومن ذبائح النصب وأجواف الصور وما وجد من اسم النبي صلى
الله عليه وسلم والشهادة له بالرسالة مكتوبا في الحجارة والقبور بالخط القديم (مكتوب خ)
ما أكثره مشهور وإسلام من أسلم بسبب ذلك معلوم مذكور

فصل

ومن ذلك ما ظهر من الآيات عند مولده وما حكته أمه ومن حضره من العجائب وكونه
رافعا رأسه عندما وضعته شاخصا ببصره إلى السماء وما رأته من النور الذي خرج
معه عند ولادته وما رأته إذ ذاك أم عثمان بن أبي العاص من تدلي النجوم وظهور
النور عند ولادته حتى ما تنظر إلا النور وقول الشفاء أم عبد الرحمن بن عوف
لما سقط عليه السلام على يدي واستهل سمعت قائلا يقول رحمك الله وأضاء لي ما بين
المشرق والمغرب حتى نظرت إلى قصور الروم وما تعرفت به حليمة وزوجها
ظئراه من بركته ودرور لبنها له ولبن شارفها وخصب غنمها وسرعة شبابه وما (وحسن نشأته)
جرى من العجائب ليلة مولده من ارتجاج إيوان كسرى وسقوط شرفاته وغيض بحيرة
طبرية وخمود نار فارس وكان لها ألف عام لم تخمد وأنه كان إذا أكل مع عمه
أبي طالب وآله وهو صغير شبعوا ورووا وإذا غاب فأكلوا في غيبته لم يشبعوا
وكان سائر ولد أبي طالب يصبحون شعثا ويصبح صلى الله عليه وسلم صقيلا دهينا (كحيلا قالت أم أيمن ما رأيته شكا جوعا ولا عطشا صغيرا ولا كبيرا)
ومن ذلك حراسة السماء بالشهب وقطع رصد الشياطين ومنعهم استراق السمع
وما نشأ عليه من بغض الأصنام والعفة عن أمور الجاهلية وما خصه الله به من
ذلك وحماه حتى في ستره في الخبر المشهور عند بناء الكعبة إذ أخذ إزاره ليجعله
على عاتقه ليحمل عليه الحجارة وتعرى فسقط إلى الأرض حتى رد إزاره عليه فقال له
عمه ما بالك فقال إني نهيت عن التعري ومن ذلك إظلال الله له بالغمام في سفره
وفي رواية أن خديجة ونساءها رأينه لما قدم وملكان يظلانه فذكرت ذلك

لميسرة فاخبرها انه رأى ذلك منذ خرج معه في سفره ومن ذلك انه نزل في بعض
اسفاره قبل مبعثه تحت شجرة يابسة فاعشوشب ما حولها واينعت هي فاشرقت وتدلت
عليه اغصانها بمحضر من رآه وميل فيء الشجرة اليه في الخبر الآخر حتى اظلته وما ذكر
من انه كان لا ظل لشخصه في شمس ولا قمر لانه كان نورا وان الذباب كان لا يقع على
جسده ولا ثيابه ومن ذلك تحبيب الخلوة اليه حتى اوحي اليه ثم اعلامه بموته ودنو
اجله وان قبره بالمدينة وفي بيته وان بين بيته وبين منبره روضة من رياض الجنة
وتخيير الله له عند موته وما اشتمل عليه حديث الوفاة من كراماته وتشريفه
وصلاة الملائكة على جسده على ما رويناه في بعضها واستيذان ملك الموت عليه
ولم يستاذن على غيره قبله ونداهم الذي سمعوه ان لا ينزعوا القميص عنه عند
غسله وما روي من تعزية الخضر والملائكة اهل بيته عند موته الى ما ظهر على
اصحابه من كراماته وبركته في حياته وموته كاستسقاء عمر بعمه وتبرك غير واحد
بذريته **فصل** قال القاضي ابو الفضل رحمه الله قد اتينا في هذا الباب
على نكت من معجزاته واضحة وجمل من علامات نبوته مقنعة في واحد منها الكفاية
والغنية وتركنا الكثير سوى ما ذكرناه واقتصرنا من الاحاديث الطوال على عين
الغرض وفص المقصد ومن كثير الاحاديث وغريبها على ما صح واشتهر الا يسيرا
من غريبه مما ذكره مشاهير الائمة وحذفنا الاسناد في جمهورها طلبا للاختصار
وبحسب هذا الباب لو تقصي ان يكون ديوانا جامعا يشتمل على مجلدات عدة
ومعجزات نبينا اظهر من سائر معجزات الرسل بوجهين احدهما كثرتها وانه لم يؤت
نبي معجزة الا وعند نبينا مثلها او ما هو ابلغ منها وقد نبه الناس على ذلك
فان اردته فتامل فصول هذا الباب ومعجزات من تقدم من الانبياء تقف على ذلك
ان شاء الله واما كونها كثيرة فهذا القرآن وكله معجز واقل ما يقع الاعجاز
فيه عند بعض ائمة المحققين سورة انا اعطيناك الكوثر او آية في قدرها وذهب بعضهم
الى ان كل آية منه كيف كانت معجزة وزاد آخرون ان كل جملة منتظمة منه معجزة

معجزة وان كانت من كلمة او كلمتين والحق ما ذكرناه اولا لقوله تعالى فاتوا بسورة
مثله فهو اقل ما تحداهم به مع ما ينصر هذا من نظر وتحقيق يطول بسطه
واذا كان هذا ففي القرآن من الكلمات نحو من سبعة وسبعين الف كلمة ونيف على
عدد بعضهم وعدد كلمات انا اعطيناك الكوثر عشر كلمات فيتجزأ القرآن على نسبة
عدد انا اعطيناك الكوثر ازيد من سبعة آلاف جزء كل واحد منها معجز في نفسه
ثم اعجازه كما تقدم بوجهين طريق بلاغته وطريق نظمه فصار في كل جزء من هذا
العدد معجزتان فتضاعف العدد من هذا الوجه ثم فيه وجوه اعجاز اخر من الاخبار
بعلوم الغيب فقد يكون في السورة الواحدة من هذه التجزئة الخبر عن اشياء من
الغيب كل خبر منها بنفسه معجز فتضاعف العدد كرة اخرى ثم وجوه الاعجاز
الاخر التي ذكرناها توجب التضعيف هذا في حق القرآن فلا يكاد ياخذ العد
معجزاته ولا يحوي الحصر براهينه ثم الاحاديث الواردة والاخبار الصادرة
عنه عليه السلام في هذه الابواب وعما دل على امره مما اشرنا الى جمله يبلغ نحوا من
هذا الوجه الثاني وضوح معجزاته صلى الله عليه وسلم فان معجزات الرسل كانت بقدر
همم اهل زمانهم وبحسب الفن الذي سما فيه قرنه فلما كان زمن موسى عليه السلام
غاية علم اهله السحر بعث اليهم موسى بمعجزة تشبه ما يدعون قدرتهم عليه
فجاءهم منها ما خرق عادتهم ولم يكن في قدرتهم وابطل سحرهم وكذلك زمن عيسى عليه
اغنى ما كان الطب واوفر ما كان اهله فجاءهم امر لا يقدرون عليه واتاهم ما لم
يحتسبوه من احياء الميت وابراء الاكمه والابرص دون معالجة ولا طب وهكذا
سائر معجزات الانبياء ثم ان الله بعث محمدا صلى الله عليه وسلم وجملة معارف العرب
وعلومها اربعة البلاغة والشعر والخبر والكهانة فانزل عليه القرآن الخارق
لهذه الاربعة فصول من الفصاحة والايجاز والبلاغة الخارجة عن نمط كلامهم ومن
النظم الغريب والاسلوب العجيب الذي لم يهتدوا في المنظوم الى طريقه ولا علموا في
اساليب الاوزان منهجه ومن الاخبار عن الكوائن والحوادث والاسرار والمخبآت

والضماير فتوجد على ما كانت ويعترف المخبر عنها بصحة ذلك وصدقه وان كان
اعدى العدو فابطل الكهانة التى تصدق مرة وتكذب اخرى عشرا ثم اجتثها من اصلها
برجم الشهب ورصد النجوم وجاء من الاخبار عن القرون السالفة وانبا الانبيا والامم
البايدة والحوادث الماضية ما يعجز من تفرغ لهذا العلم عن بعضه على الوجوه التى بسطناها
وبينا المعجز فيها ثم بقيت هذه المعجزة الجامعة لهذه الوجوه الى الفصول الاخر التى
ذكرناها فى معجزات القران ثابتة الى يوم القيمة بينة الحجة لكل امة تاتى لا يخفى وجوه
ذلك على من نظر فيه وتامل وجوه اعجازه الى ما اخبر به من الغيوب على هذه السبيل
فلا يمر عصر ولا زمن الا ويظهر فيه صدقه بظهور مخبره على ما اخبر فيتجدد الايمان
ويتظاهر البرهان وليس الخبر كالعيان وللمشاهدة زيادة فى اليقين والنفس اشد
طمانينة الى عين اليقين منها الى علم اليقين وان كان كل عندها حقا وساير معجزات
الرسل انقرضت بانقراضهم وعدمت بعدم ذواتها ومعجزة نبينا لا تبيد ولا تنقطع
واياته تتجدد ولا تضمحل ولهذا اشار عليه السلام بقوله فيما حدثنا القاضى الشهيد
ابو على ثنا القاضى ابو الوليد ثنا ابو ذر ثنا ابو محمد وابو اسحق وابو الهيثم قالوا ثنا الفربرى
ثنا البخارى ثنا عبد العزيز بن عبد الله ثنا الليث عن سعيد عن ابيه عن ابى هريرة عن
النبى صلى الله عليه وسلم ما من الانبيا نبى الا اعطى من الايات ما مثله امن عليه
البشر وانما كان الذى اوتيت وحيا اوحاه الله الى فارجو انى اكثرهم تابعا يوم
القيمة هذا معنى الحديث عند بعضهم وهو الظاهر والصحيح ان شا الله
وذهب غير واحد من العلما فى تاويل هذا الحديث وظهور معجزة نبينا عليه السلام
الى معنى اخر من ظهورها بكونها وحيا وكلاما لا يمكن التخييل عليه والتشبيه فان
غيرها من معجزات الرسل قد رام المعاندون لها باشيا طمعوا فى التخييل بها على الضعفا
كالقا السحرة حبالهم وعصيهم وشبه هذا مما يخيله الساحر او يتحيل فيه والقران
كلام ليس للحيلة ولا للسحر فى التخييل فيه عمل فكان من هذا الوجه عندهم اظهر
من غيره من المعجزات كما لا يتم لشاعر ولا خطيب ان يكون شاعرا او خطيبا بضرب من

الحيل والتمويه والتاويل الاول اخلص وارضى وفى هذا التاويل الثانى ما يغمض
الحذق عليه وبعضى فوجه ثالث على مذهب من قال بالصرفة وان المعارضة كانت فى
مقدور البشر فصرفوا عنها او على احد مذهبى اهل السنة من ان الاتيان بمثله من
جنس مقدورهم ولكن لم يكن ذلك قبل ولا يكون بعد لان الله لم يقدرهم ولا يقدرهم
عليه وبين المذهبين فرق بين وعليهما جميعا فترك العرب الاتيان بما فى مقدورهم
او ما هو من جنس مقدورهم ورضاهم بالبلاء والجلاء والسبا والاذلال وتغيير
الحال وسلب النفوس والاموال والتقريع والتوبيخ والتعجيز والتهديد والوعيد ابين
اية للعجز عن الاتيان بمثله والنكول عن معارضته وانهم منعوا عن شى هو من جنس
مقدورهم والى هذا ذهب الامام ابو المعالى الجوينى وغيره قال وهذا عندنا ابلغ
فى خرق العادة بالافعال البديعة فى انفسها كقلب العصى حية ونحوها فانه قد
يسبق الى بال الناظر بدارا ان ذلك من اختصاص صاحب ذلك بمزية معرفة فى ذلك
الفن وفضل علم الى ان يرد ذلك صحيح النظر واما التحدى للخلايق المتين من
السنين بكلام من جنس كلامهم لياتوا بمثله فلم ياتوا فلم يبق بعد توفر الداعى على
المعارضة ثم عدمها الا منع الله الخلق عنها بمثابة ما لو قال نبى ايتى ان يمنع الله القيام
عن الناس مع مقدرتهم عليه وارتفاع الزمانة عنهم فلو كان ذلك وعجزهم الله عن
القيام لكان ذلك من ابهر اية واظهر دلالة وبالله التوفيق وقد غاب عن بعض
العلما وجه ظهور ايته على ساير ايات الانبيا حتى احتاج للعذر عن ذلك بدقة
افهام العرب وذكا البابها ووفور عقولها وانهم ادركوا المعجزة فيه بفطنتهم
وجاهم من ذلك بحسب ادراكهم وغيرهم من القبط وبنى اسرايل وغيرهم لم يكونوا بهذه
السبيل بل كانوا من الغباوة وقلة الفطنة بحيث جوز عليهم فرعون انه ربهم وجوز
عليهم السامرى ذلك فى العجل بعد ايمانهم وعبدوا المسيح مع اجماعهم على صلبه
وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم فجاتهم من الايات الظاهرة البينة للابصار
بقدر غلظ افهامهم مما لا يشكون فيه ومع هذا فقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله

جهرة ولم يصبروا على المن والسلوى واستبدلوا الذي هو ادنى بالذي هو خير
والعرب على جاهليتها اكثرها يعترف بالصانع وانما كانت تتقرب بالاصنام الى الله
زلفى ومنهم من امن بالله وحده من قبل الرسول صلى الله عليه وسلم بدليل عقله
وصفاء لبه ولما جاءهم الرسول بكتاب فهموا حكمته وتبينوا بفضل ادراكهم لاول
وهلة معجزته فامنوا به وازدادوا كل يوم ايمانا ورفضوا الدنيا كلها في صحبته
وهجروا ديارهم واموالهم وقتلوا اباءهم وابناءهم في نصرته واتى في معنى هذا
بما يلوح له رونق ويعجب منه زبرج لو احتيج اليه وحقق لكنا قدمنا من بيان معجزة
نبينا صلى الله عليه وسلم وظهورها ما يغني عن ركوب بطون هذه المسالك وظهورها
وبالله استعين

نجز الجزء الاول من الكتاب والله الموفق للصواب

القسم الثاني فيما يجب على الانام من حقوقه عليه السلام

قال القاضي ابو الفضل رحمه الله وهذا قسم لخصنا فيه الكلام في
اربعة ابواب على ما ذكرناه في اول الكتاب ومجموعها في وجوب تصديقه واتباعه
وطاعته ومحبته ومناصحته وتوقيره وبره وحكم الصلاة عليه والتسليم وزيارة
قبره عليه السلام

الباب الاول في فرض الايمان به ووجوب طاعته واتباع سنته

اذا تقرر بما قدمناه ثبوت نبوته وصحة رسالته وجب الايمان به وتصديقه
فيما اتى به قال الله تعالى فامنوا بالله ورسوله والنور الذي انزلنا وقال انا
ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا لتؤمنوا بالله ورسوله وقال فامنوا بالله ورسوله
النبي الامي الاية فالايمان بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم واجب متعين لا يتم ايمان الا
به ولا يصح اسلام الا معه قال الله تعالى ومن لم يؤمن بالله ورسوله فانا اعتدنا

للكافرين سعيرا حدثنا ابو محمد الخشني الفقيه بقراءتي عليه ثنا الامام ابو علي
الطبري ثنا عبد الغافر الفارسي ثنا ابن عمرويه ثنا ابن سفيان ثنا ابو الحسين بن امية
ابن بسطام ثنا يزيد بن زريع ثنا روح عن العلاء بن عبد الرحمن بن يعقوب عن ابيه عن ابي هريرة
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال امرت ان اقاتل الناس حتى يشهدوا ان لا اله
الا الله ويؤمنوا بي وبما جئت به فاذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم واموالهم
الا بحقها وحسابهم على الله قال القاضي ابو الفضل والايمان به عليه السلام هو
تصديق نبوته ورسالة الله له وتصديقه في جميع ما جاء به وما قاله ومطابقة
تصديق القلب بذلك شهادة اللسان بانه رسول الله فاذا اجتمع التصديق به بالقلب
والنطق بالشهادة بذلك باللسان تم الايمان به والتصديق له كما ورد في هذا الحديث
نفسه من رواية عبد الله بن عمر امرت ان اقاتل الناس حتى يشهدوا ان لا اله الا الله
وان محمدا رسول الله وقد زاده وضوحا في حديث جبريل اذ قال اخبرني عن الاسلام
فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان تشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وذكر
اركان الاسلام ثم سأله عن الايمان فقال ان تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله الحديث
فقد قرر ان الايمان به محتاج الى العقد بالجنان والاسلام به مضطر الى النطق باللسان
وهذه الحال المحمودة التامة واما الحال المذمومة فالشهادة باللسان دون تصديق
القلب وهذا هو النفاق قال الله تعالى اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك
لرسول الله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون اي كاذبون
في قولهم ذلك عن اعتقادهم وتصديقهم وهم لا يعتقدونه فلما لم تصدق
ذلك ضمائرهم لم ينفعهم ان يقولوا بالسنتهم ما ليس في قلوبهم فخرجوا عن اسم
الايمان ولم يكن لهم في الاخرة حكمه اذ لم يكن معهم ولحقوا بالكافرين في الدرك
الاسفل من النار وبقي عليهم حكم الاسلام باظهار شهادة اللسان في احكام الدنيا
المتعلقة بالائمة وحكام المسلمين الذين احكامهم على الظواهر بما اظهروه من علامة
الاسلام اذ لم يجعل للبشر سبيل الى السرائر ولا امروا بالبحث عنها بل نهى النبي صلى الله

عليه وسلم عن التحكم عليها وذم ذلك وقال هلا شققت عن قلبه وللفرق بين
القول والعقد ما جعل في حديث جبريل الشهادة من الإسلام والتصديق من الإيمان
وبقيت حالتان أخريان بين هذين إحداهما أن يصدق بقلبه ثم يخترم قبل اتساع
وقت الشهادة بلسانه فاختلف فيه فشرط بعضهم من تمام الإيمان القول والشهادة
به ورآه بعضهم مؤمنا مستوجبا للجنة لقوله عليه السلام يخرج من النار من
كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان فلم يذكر سوى ما في القلب وهذا مؤمن بقلبه غير
عاص ولا مفرط بترك غيره وهذا هو الصحيح في هذا الوجه الثانية أن يصدق
بقلبه ويطول مهله وعلم ما يلزمه من الشهادة فلم ينطق بها جملة ولا استشهد
في عمره ولا مرة فهذا اختلف فيه أيضا فقيل هو مؤمن لأنه مصدق والشهادة
من جملة الأعمال فهو عاص بتركها غير مخلد وقيل ليس بمؤمن حتى يقارن عقده
شهادة إذ الشهادة إنشاء عقد والتزام إيمان وهي مرتبطة مع العقد ولا
يتم التصديق مع المهلة إلا بها وهذا هو الصحيح وهذه نبذ يفضي إلى متسع خ وهذا نبذ
من الكلام في الإسلام والإيمان وأبوابهما وفي الزيادة فيهما والنقصان وهل
التجزي ممتنع على مجرد التصديق لا يصح فيه جملة وإنما يرجع إلى ما زاد عليه من
عمل أو قد يعرض فيه لاختلاف صفاته وتباين حالاته من قوة يقين وتصميم اعتقاد
ووضوح معرفة ودوام حالة وحضور قلب وفي بسط هذا خروج عن غرض التأليف
وفيما ذكرنا غنية فيما قصدنا إن شاء الله **فصل** وأما وجوب طاعته فإذا
وجب الإيمان به وتصديقه فيما جاء به وجبت طاعته لأن ذلك مما أتى به قال الله
تعالى يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله وقال قل أطيعوا الله والرسول وأطيعوا
الله والرسول لعلكم ترحمون وقال وإن تطيعوه تهتدوا وقال من يطع الرسول
فقد أطاع الله وقال وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا وقال ومن
يطع الله والرسول فأولئك الآية وقال وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله فجعل
تعالى طاعة رسوله طاعته وقرن طاعته بطاعته ووعد على ذلك بجزيل الثواب وأوعد

على مخالفته بسوء العقاب وأوجب امتثال أمره واجتناب نهيه قال المفسرون
والأئمة طاعة الرسول في التزام سنته والتسليم لما جاء به وقالوا وما أرسل الله من رسول
إلا فرض طاعته على من أرسله إليه وقالوا من يطع الرسول في سننه يطع الله في فرائضه شـ سننه
وسئل سهل بن عبد الله عن شرائع الإسلام فقال وما آتاكم الرسول فخذوه وقال
السمرقندي يقال أطيعوا الله في فرائضه والرسول في سننه وقيل أطيعوا الله فيما شـ سنته
حرم عليكم والرسول فيما بلغكم ويقال أطيعوا الله بالشهادة له بالربوبية والنبي
بالشهادة له بالنبوة حدثنا أبو محمد بن عتاب بقراءتي عليه ثنا حاتم بن محمد ثنا
أبو الحسن علي بن محمد بن خلف ثنا محمد بن أحمد ثنا محمد بن يوسف ثنا البخاري ثنا عبدان
أخبرنا عبد الله نا يونس عن الزهري أخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمن أنه سمع أبا هريرة يقول
إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله
ومن أطاع أميري فقد أطاعني ومن عصى أميري فقد عصاني فطاعة الرسول من طاعة الله
إذ الله أمر بطاعته فطاعته امتثال لما أمر الله به وطاعة له وقد حكى الله عن الكفار
في دركات جهنم يوم تقلب وجوههم في النار يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا
فتمنوا طاعته حيث لا ينفعهم التمني وقال عليه السلام إذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه
وإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم وفي حديث أبي هريرة عنه عليه السلام كل
أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى قالوا ومن يأبى قال من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد
أبى وفي الحديث الآخر الصحيح عنه عليه السلام مثلي ومثل ما بعثني الله به كمثل رجل
أتى قوما فقال يا قوم رأيت الجيش بعيني وإني أنا النذير العريان فالنجا فأطاعه طائفة أتى
من قومه فأدلجوا فانطلقوا على مهلهم فنجوا وكذبت طائفة منهم فأصبحوا مكانهم
فصبحهم الجيش فأهلكهم واجتاحهم فذلك مثل من أطاعني واتبع ما جئت به ومثل
من عصاني وكذب بما جئت به من الحق وفي الحديث الآخر في مثله كمثل من بنى دارا
وجعل فيها مأدبة وبعث داعيا فمن أجاب الداعي دخل الدار وأكل من المأدبة ومن لم
يجب الداعي لم يدخل الدار ولم يأكل من المأدبة فالدار الجنة والداعي محمد فمن أطاع

لى سالم ح

قوله محمد فرق بين الناس اي بين المؤمن والكافر

محمدا فقد اطاع الله ومن عصى محمدا فقد عصى الله ومحمد فرق بين الناس

فصل

واما وجوب اتباعه وامتثال سنته والاقتدا بهديه فقد قال تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم وقال فامنوا بالله ورسوله النبي الامي الذي يومن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون وقال فلا وربك لا يومنون حتى يحكموك الى قوله تسليما اي ينقادوا لحكمك يقال سلم واستسلم اذا انقاد وقال لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الاخر الاية قال محمد بن علي الترمذي الاسوة في الرسول الاقتدا به والاتباع لسنته وترك مخالفته في قول او فعل وقال غير واحد من المفسرين معناه وقيل هو عتاب للمتخلفين عنه وقال سهل في قوله تعالى صراط الذين انعمت عليهم قال بمتابعة السنة فامرهم تعالى بذلك ووعدهم الاهتدا باتباعه لان الله ارسله بالهدى ودين الحق ليزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ويهديهم الى صراط مستقيم ووعدهم محبته تعالى في الاية الاخرى ومغفرته اذا اتبعوه واثروه على اهوايهم وما تجنح اليه نفوسهم وان صحة ايمانهم بانقيادهم له ورضاهم بحكمه وترك الاعتراض عليه وروي عن الحسن ان اقواما قالوا يا رسول الله انا نحب الله فانزل الله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني الاية وروي ان الاية نزلت في كعب بن الاشرف وغيره وانهم قالوا نحن ابنا الله واحباوه ونحن اشد حبا لله فانزل الله الاية وقال الزجاج معناه ان كنتم تحبون الله ان تقصدوا طاعته فافعلوا ما امركم به اذ محبة العبد لله والرسول طاعته لهما ورضاه بما امرا ومحبة الله لهم عفوه عنهم وانعامه عليهم برحمته ويقال الحب من الله عصمة وتوفيق ومن العباد طاعة كما قال القايل

تعصي الاله وانت تظهر حبه هذا لعمري في القياس بديع

لو كان حبك صادقا لاطعته ان المحب لمن يحب مطيع

ويقال محبة العبد لله تعظيمه له وهيبته منه ومحبة الله له رحمته له وارادته الجميل له ويكون بمعنى مدحه وثنايه عليه قال القشيري فاذا كان بمعنى الرحمة

واسلم ح

والارادة والمدح كان من صفات الذات وسياتي بعد في ذكر محبة العبد غير هذا بحول الله حدثنا ابو اسحق ابراهيم بن جعفر الفقيه ثنا ابو الاصبغ عيسى بن سهل وثنا ابو الحسن يونس بن مغيث الفقيه بقراتي عليه قالا ثنا حاتم بن محمد ثنا ابو حفص الجهني ثنا ابو بكر الاجري ثنا ابراهيم بن موسى الجوزي ثنا داود بن رشيد ثنا الوليد بن مسلم عن ثور بن يزيد عن خالد بن معدان عن عبد الرحمن بن عمرو الاسلمي وحجر الكلاعي عن العرباض بن سارية في حديثه في موعظة النبي صلى الله عليه وسلم انه قال فعليكم بسنتي وسنة الخلفا الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ واياكم ومحدثات الامور فان كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة زاد في حديث جابر بمعناه وكل ضلالة في النار وفي حديث ابي رافع عنه عليه السلام لا الفين احدكم متكيا على اريكته ياتيه الامر من امري مما امرت به او نهيت عنه فيقول لا ادري ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه وفي حديث عايشة صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم شيا ترخص فيه فتنزه عنه قوم فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فحمد الله ثم قال ما بال قوم يتنزهون عن الشي اصنعه فوالله اني لاعلمهم بالله واشدهم له خشية وروي عنه عليه السلام انه قال القران صعب مستصعب على من كرهه وهو الحكم فمن استمسك بحديثي وفهمه وحفظه جاء مع القران ومن تهاون بالقران وحديثي خسر الدنيا والاخرة امرت امتي ان ياخذوا بقولي ويطيعوا امري ويتبعوا سنتي فمن رضي بقولي فقد رضي بالقران قال الله تعالى وما اتاكم الرسول فخذوه الاية وقال عليه السلام من اقتدى بي فهو مني ومن رغب عن سنتي فليس مني وعن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان احسن الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم وشر الامور محدثاتها وعن عبد الله بن عمرو بن العاصي قال النبي صلى الله عليه وسلم العلم ثلاثة فما سوى ذلك فهو فضل اية محكمة او سنة قايمة او فريضة عادلة وعن الحسن بن ابي الحسن قال عليه السلام عمل قليل في سنة خير من عمل كثير في بدعة وقال عليه السلام ان الله

ح الجوزي

يتمسك خ

يدخل العبد الجنة بالسنة تمسك بها وعن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
المتمسك بسنتي عند فساد امتي له اجر ماية شهيد وقال عليه السلام ان بني اسرايل
افترقوا على اثنين وسبعين ملة وان امتي تفترق على ثلاث وسبعين كلها في النار الا
واحدة قالوا ومن هم يا رسول الله قال الذي انا عليه اليوم واصحابي وعن انس قال
عليه السلام من احيى سنتي فقد احياني ومن احياني كان معي وعن عمرو بن عوف
المزني ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لبلال بن الحرث من احيى سنة من سنتي قد
اميتت بعدي فان له من الاجر مثل من عمل بها من غير ان ينقص من اجورهم شيا
ومن ابتدع بدعة ضلالة لا يرضى الله ورسوله كان عليه مثل اثام من عمل بها
لا ينقص ذلك من اوزار الناس شيا **فصل** واما ما ورد عن السلف والايمة
من اتباع سننه والاقتدا بهديه وسيرته فحدثنا الشيخ ابو عمران موسى
ابن عبد الرحمن بن ابي تليد الفقيه سماعا عليه نا ابو عمر الحافظ نا سعيد بن نصر
نا قاسم بن اصبغ ووهب بن مسرة قالا نا محمد بن وضاح نا يحيى بن يحيى نا مالك
عن ابن شهاب عن رجل من آل خالد بن اسيد انه سال عبد الله بن عمر فقال يا ابا
عبد الرحمن انا نجد صلاة الخوف وصلاة الحضر في القران ولا نجد صلاة السفر
فقال ابن عمر يا ابن اخي ان الله بعث الينا محمدا ولا نعلم شيا فانما نفعل كما رايناه
يفعل وقال عمر بن عبد العزيز سن رسول الله صلى الله عليه وسلم وولاة الامر بعده
سننا الاخذ بها تصديق لكتاب الله واستعمال لطاعة الله وقوة على دين الله ليس
لاحد تغييرها ولا تبديلها ولا النظر في راي من خالفها من اقتدى بها مهتد ومن
انتصر بها منصور ومن خالفها واتبع غير سبيل المومنين ولاه الله ما تولى واصلاه
جهنم وساءت مصيرا وقال الحسن بن ابي الحسن عمل قليل في سنة خير من عمل كثير
في بدعة وقال ابن شهاب بلغنا عن رجال من اهل العلم قالوا الاعتصام بالسنة نجاة
وكتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه بتعلم السنة والفرايض واللحن اي اللغة وقال
ان ناسا يجادلونكم يعني بالقران فخذوهم بالسنن فان اصحاب السنن اعلم بكتاب الله وفي

خيبر وحين صلى بذي الحليفة ركعتين فقال اصنع كما رايت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يصنع وعن علي حين قرن فقال له عثمان ترى اني انهى الناس عنه فتفعله
قال لم اكن ادع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لقول احد من الناس وعنه
الا اني لست بنبي ولا يوحى الي ولكني اعمل بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه
وسلم ما استطعت وكان ابن مسعود يقول القصد في السنة خير من الاجتهاد
في البدعة وقال ابن عمر صلاة السفر ركعتان من خالف السنة كفر وقال ابي بن كعب
عليكم بالسبيل والسنة فانه ما على الارض من عبد على السبيل والسنة ذكر الله ففاضت
عيناه من خشية الله فيعذبه الله ابدا وما على الارض من عبد على السبيل والسنة ذكر
الله في نفسه فاقشعر جلده من خشية الله الا كان مثله كمثل شجرة قد يبس ورقها
فهي كذلك اذ اصابتها ريح شديدة فتحات عنها ورقها الا حط الله عنه خطاياه
كما تحات عن الشجرة ورقها فان اقتصادا في سبيل وسنة خير من اجتهاد في خلاف
سبيل وسنة وانظروا ان يكون عملكم ان كان اجتهادا او اقتصادا ان يكون على منهاج
الانبيا وسنتهم وكتب بعض عمال عمر بن عبد العزيز الى عمر بحال بلده وكثرة لصوصه
هل ياخذهم بالظنة او يحملهم على البينة وما جرت عليه السنة فكتب اليه عمر خذهم
بالبينة وما جرت عليه السنة فان لم يصلحهم الحق فلا اصلحهم الله وعن عطا في
قوله فان تنازعتم في شي فردوه الى الله والرسول اي الى كتاب الله وسنة رسول الله
وقال الشافعي ليس في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم الا اتباعها وقال عمر ونظر
الى الحجر الاسود انك حجر لا تنفع ولا تضر ولولا اني رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقبلك ما قبلتك ثم قبله وروي عبد الله بن عمر يدير ناقته في مكان فسيل فقال
لا ادري الا اني رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم فعله ففعلته وقال ابو عثمان الحيري
من امر السنة على نفسه قولا وفعلا نطق بالحكمة ومن امر الهوى على نفسه نطق بالبدعة
وقال سهل التستري اصول مذهبنا ثلاثة الاقتدا بالنبي صلى الله عليه وسلم في الاخلاق
والافعال والاكل من الحلال واخلاص النية في جميع الاعمال وجا في تفسير قوله تعالى

والعمل الصالح يرفعه أنه الاقتدا برسول الله صلى الله عليه وسلم وحكى عن أحمد بن
حنبل قال كنت يوما مع جماعة تجردوا ودخلوا الما فاستعملت الحديث من كان يومن
بالله واليوم الاخر فلا يدخل الحمام الا بميزر ولم اتجرد فرأيت تلك الليلة قايلا لي
يا احمد ابشر فان الله قد غفر لك باستعمالك السنة وجعلك اماما يقتدى بك قلت
من انت قال جبريل .. **فصل** ومخالفة امره وتبديل سنته ضلال وبدعة
متوعد من الله عليه بالخذلان والعذاب قال الله تعالى فليحذر الذين يخالفون عن امره أن
تصيبهم فتنة او يصيبهم عذاب اليم وقال ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى
ويتبع غير سبيل المومنين نوله ما تولى الاية حدثنا ابو محمد عبد الله بن ابي جعفر
وعبد الرحمن بن عتاب بقراتي عليهما قالا نا ابو القسم حاتم بن محمد نا ابو الحسن القابسي نا
ابو الحسن بن مسرور الدباغ نا احمد بن ابي سليمن نا سحنون بن سعيد نا ابن القسم نا
مالك عن العلا بن عبد الرحمن عن ابيه عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
خرج الى المقبرة وذكر الحديث في صفة امته وفيه فليذادن رجال عن حوضي كما يذاد
البعير الضال فاناديهم الا هلم الا هلم الا هلم فيقال انهم قد بدلوا بعدك فاقول
فسحقا فسحقا فسحقا وروى انس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من رغب عن سنتي فليس مني
وقال من ادخل في امرنا ما ليس منه فهو رد وروى ابن ابي رافع عن ابيه عن النبي صلى الله فيه
عليه وسلم انه قال لا ألفين احدكم متكيا على اريكته ياتيه الامر من امري مما امرت
به او نهيت عنه فيقول لا ادري ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه زاد في حديث المقدام
الا وان ما حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ما حرم الله وقال عليه السلام وجي
بكتاب في كتف فقال كفى بقوم حمقا او قال ضلالا ان يرغبوا عما جاء به نبيهم الى غير نبيهم
او كتاب غير كتابهم فنزلت اولم يكفهم انا انزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم الاية ..
وقال عليه السلام هلك المتنطعون وقال ابو بكر الصديق رضي الله عنه لست تاركا المتنطعون
شيا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعمل به الا عملت به اني اخشى ان تركت شيا من امره
ان ازيغ .. **الباب الثاني** في لزوم محبته عليه السلام .. قال الله تعالى

عاشره

قل ان كان اباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم واموال اقترفتموها الاية
فكفى بهذا حضا وتنبيها ودلالة وحجة على الزام محبته ووجوب فرضها وعظم
خطرها واستحقاقه لها عليه السلام اذ قرع تعالى من كان ماله واهله وولده احب
اليه من الله ورسوله واوعدهم بقوله فتربصوا حتى ياتي الله بامره ثم فسقهم بتمام
الاية واعلمهم انهم ممن ضل ولم يهده الله حدثنا ابو علي الغساني الحافظ
فيما اجازنيه وهو مما قراته على غير واحد نا سراج بن عبد الله القاضي نا ابو محمد
الاصيلي نا المروزي نا ابو عبد الله محمد بن يوسف نا محمد بن اسمعيل نا يعقوب
ابن ابرهيم نا ابن علية عن عبد العزيز بن صهيب عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
لا يومن احدكم حتى اكون احب اليه من ولده ووالده والناس اجمعين وعن ابي هريرة نحوه
وعن انس عنه عليه السلام ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان ان يكون الله ورسوله احب
اليه مما سواهما وان يحب المرء لا يحبه الا لله وان يكره ان يعود في الكفر كما يكره
ان يقذف في النار وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه قال للنبي صلى الله عليه وسلم لانت
احب الي من كل شي الا نفسي التي بين جنبي فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لن يومن احدكم
حتى اكون احب اليه من نفسه فقال عمر والذي انزل عليك الكتاب لانت احب الي
من نفسي التي بين جنبي فقال له النبي صلى الله عليه وسلم الان يا عمر قال سهل من لم ير ولاية
الرسول عليه السلام في جميع الاحوال ويرى نفسه في ملكه عليه السلام لا يذوق حلاوة
سنته لان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يومن احدكم حتى اكون احب اليه من نفسه الحديث
فصل في ثواب محبته عليه السلام .. حدثنا ابو محمد بن عتاب بقراتي
عليه نا ابو القسم حاتم بن محمد نا ابو الحسن علي بن خلف نا ابو زيد المروزي نا محمد بن
يوسف نا محمد بن اسمعيل نا عبدان نا ابي نا شعبة عن عمرو بن مرة عن سالم بن ابي الجعد
عن انس ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال متى الساعة يا رسول الله قال ما اعددت
لها قال ما اعددت لها من كثير صلاة ولا صوم ولا صدقة ولكني احب الله ورسوله فقال
انت مع من احببت وعن صفوان بن قدامة هاجرت مع النبي صلى الله عليه وسلم فاتيته

فقلت يا رسول الله ناولني يدك أبايعك فناولني يده فقلت يا رسول الله إني أحبك قال المرء
مع من أحب وروى هذا اللفظ عن النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله بن مسعود وأبو موسى
وأنس وعن أبي ذر معناه وعن علي أن النبي صلى الله عليه وسلم أخذ بيد حسن وحسين
فقال من أحبني وأحب هذين وأباهما وأمهما كان معي في درجتي يوم القيمة وروي
أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله لأنت أحب إلي من أهلي ومالي وإني
لأذكرك فما أصبر حتى أجيء فأنظر إليك وإني ذكرت موتي وموتك فعرفت أنك إذا
دخلت الجنة رفعت مع النبيين وإن دخلتها لا أراك فأنزل الله ومن يطع الله والرسول
فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن
أولئك رفيقا فدعا به فقرأها عليه وفي حديث آخر كان رجل عند النبي صلى الله عليه
وسلم ينظر إليه لا يطرف فقال ما بالك فقال بأبي وأمي أتمتع من النظر إليك فإذا
كان يوم القيمة رفعك الله بتفضيله فأنزل الله الآية وفي حديث أنس من أحبني كان
معي في الجنة

فصل فيما روي عن السلف والأئمة من محبتهم للنبي صلى الله
عليه وسلم وشوقهم له حدثنا القاضي الشهيد نا العذري نا الرازي نا الجلودي
نا ابن سفين نا مسلم نا قتيبة نا يعقوب بن عبد الرحمن عن سهيل عن أبيه عن أبي هريرة أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من أشد أمتي لي حبا ناس يكونون بعدي يود أحدهم
لو رآني بأهله وماله ومثله عن أبي ذر وتقدم حديث عمر وقوله للنبي صلى الله عليه
وسلم لأنت أحب إلي من نفسي وما تقدم عن الصحابة في مثله وعن عمرو بن العاص ما
كان أحد أحب إلي من رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن عبدة بنت خالد بن معدان
قالت ما كان خالد يأوي إلى فراش إلا وهو يذكر من شوقه إلى رسول الله صلى الله عليه
وسلم وإلى أصحابه من المهاجرين والأنصار يسميهم ويقول هم أصلي وفصلي وإليهم يحن
قلبي طال شوقي إليهم فعجل رب قبضي إليك حتى يغلبه النوم وروي عن أبي بكر أنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم
والذي بعثك بالحق لإسلام أبي طالب كان أقر لعيني من إسلامه يعني أباه أبا قحافة وذلك
أن إسلام أبي طالب كان أقر لعينك ونحوه عن عمر بن الخطاب قاله للعباس أن تسلم أحب

إلي من أن يسلم الخطاب لأن ذلك أحب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن ابن
إسحاق أن امرأة من الأنصار قتل أبوها وأخوها وزوجها يوم أحد مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقالت ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا خيرا هو بحمد الله
كما تحبين قالت أرنيه حتى أنظر إليه فلما رأته قالت كل مصيبة بعدك جلل وسئل
علي بن أبي طالب كيف كان حبكم لرسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان والله أحب إلينا
من أموالنا وأولادنا وآبائنا وأمهاتنا ومن الماء البارد على الظمأ وعن زيد بن أسلم
خرج عمر ليلة يحرس فرأى مصباحا في بيت وإذا عجوز تنفش صوفا وتقول

على محمد صلاة الأبرار ... صلى عليه الطيبون الأخيار
قد كنت قواما بكى بالأسحار ... يا ليت شعري والمنايا أطوار
هل تجمعني وحبيبي الدار

تعني النبي صلى الله عليه وسلم فجلس عمر يبكي وفي الحكاية طول وروي أن عبد الله بن عمر
خدرت رجله فقيل له اذكر أحب الناس إليك يزل عنك فصاح يا محمداه فانتشرت
ولما احتضر بلال نادت امرأته واحزناه فقال واطرباه غدا ألقى الأحبة محمدا وحزبه
ويروى أن امرأة قالت لعائشة اكشفي لي قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فكشفته لها
فبكت حتى ماتت ولما أخرج أهل مكة زيد بن الدثنة من الحرم ليقتلوه قال له أبو سفين
ابن حرب أنشدك بالله يا زيد أتحب أن محمدا الآن عندنا مكانك نضرب عنقه وأنك
في أهلك فقال زيد والله ما أحب أن محمدا الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة
وأني جالس في أهلي فقال أبو سفين ما رأيت من الناس أحدا يحب أحدا كحب أصحاب محمد
محمدا صلى الله عليه وسلم وعن ابن عباس كانت المرأة إذا أتت النبي صلى الله عليه وسلم
حلفها بالله ما خرجت من بغض زوج ولا رغبة بأرض عن أرض وما خرجت إلا
حبا لله ورسوله ووقف ابن عمر على ابن الزبير بعد قتله فاستغفر له وقال كنت والله
ما علمت صواما قواما تحب الله ورسوله

فصل في علامة محبته عليه السلام

إعلم أن من أحب شيئا آثره وآثر موافقته وإلا لم يكن صادقا في حبه وكان مدعيا فالصادق في

في حب النبي من تظهر علامات ذلك عليه وأولها الاقتداء به واستعمال سنته واتباع
أقواله وأفعاله وامتثال أوامره واجتناب نواهيه والتأدب بآدابه في عسره ويسره
ومنشطه ومكرهه وشاهد هذا قوله تعالى قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم
الله وإيثار ما شرعه وحض عليه على هوى نفسه وموافقة شهوته قال الله تعالى
والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم
حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة وإسخاط العباد في رضى
الله ∴ حدثنا القاضي أبو علي الحافظ رحمه الله ثنا أبو الحسين الصيرفي وأبو الفضل
ابن خيرون قالا ثنا أبو يعلى البغدادي ثنا أبو علي السنجي ثنا محمد بن محبوب ثنا أبو عيسى ثنا
مسلم بن حاتم ثنا محمد بن عبد الله الأنصاري عن أبيه عن علي بن زيد عن سعيد بن المسيب قال
قال أنس بن مالك قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا بني إن قدرت أن تصبح وتمسي ليس
في قلبك غش لأحد فافعل ثم قال لي يا بني وذلك من سنتي ومن أحيى سنتي فقد أحبني
ومن أحبني كان معي في الجنة ∴ فمن اتصف بهذه الصفة فهو كامل المحبة لله ورسوله ومن
خالفها في بعض هذه الأمور فهو ناقص المحبة ولا يخرج عن اسمها ودليله قوله عليه السلام
للذي حده في الخمر فلعنه بعضهم وقال ما أكثر ما يؤتى به فقال صلى الله عليه وسلم
لا تلعنه فإنه يحب الله ورسوله ومن علامات محبة النبي صلى الله عليه وسلم كثرة ذكره
له فمن أحب شيئا أكثر ذكره ومنها كثرة شوقه إلى لقائه فكل حبيب يحب لقاء
حبيبه وفي حديث الأشعريين عند قدومهم المدينة أنهم كانوا يرتجزون غدا نلقى الأحبه
محمدا وصحبه وتقدم قول بلال ومثله قال عمار قبل قتله وما ذكرناه من قصة خالد بن
معدان ومن علاماته مع كثرة ذكره تعظيمه له وتوقيره عند ذكره وإظهار الخشوع
والانكسار مع سماع اسمه قال إسحاق التجيبي كان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
بعده لا يذكرونه إلا خشعوا واقشعرت جلودهم وبكوا وكذلك كثير من التابعين
منهم من يفعل ذلك محبة له وشوقا إليه ومنهم من يفعله تهيبا وتوقيرا ومنها
محبته لمن أحب النبي صلى الله عليه وسلم ومن هو بسببه من آل بيته وصحابته من المهاجرين

والأنصار وعداوة من عاداهم وبغض من أبغضهم وسبهم فمن أحب شيئا أحب
من يحب وقد قال عليه السلام في الحسن والحسين اللهم إني أحبهما فأحبهما
وفي رواية في الحسن فأحب من يحبه وقال من أحبهما فقد أحبني ومن أحبني فقد أحب
الله ومن أبغضهما فقد أبغضني ومن أبغضني فقد أبغض الله وقال الله الله في
أصحابي لا تتخذوهم غرضا فمن أحبهم فبحبي أحبهم ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم ومن
آذاهم فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله ومن آذى الله يوشك أن يأخذه وقال
في فاطمة إنها بضعة مني يغضبني ما أغضبها وقال لعائشة في أسامة بن زيد أحبيه
فإني أحبه وقال آية الإيمان حب الأنصار وآية النفاق بغضهم وفي حديث ابن عمر
من أحب العرب فبحبي أحبهم ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم فبالحقيقة من أحب شيئا
أحب كل شيء يحبه وهذه سيرة السلف في المباحات وشهوات النفس وقد قال أنس
حين رأى النبي صلى الله عليه وسلم يتتبع الدباء من حوالي القصعة فما زلت أحب الدباء من
يومئذ وهذا الحسن بن علي وعبد الله بن عباس وابن جعفر أتوا سلمى وسألوها أن تصنع
لهم طعاما مما كان يعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان ابن عمر يلبس النعال السبتية
ويصبغ بالصفرة إذ رأى النبي صلى الله عليه وسلم يفعل نحو ذلك ومنها بغض من أبغض
الله ورسوله ومعاداة من عاداه ومجانبة من خالف سنته وابتدع في دينه واستثقاله
كل أمر يخالف شريعته قال الله تعالى لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون
من حاد الله ورسوله وهؤلاء أصحابه عليه السلام قد قتلوا أحباءهم وقاتلوا آباءهم
وأبناءهم في مرضاته وقال له عبد الله بن عبد الله بن أبي لو شئت لأتيتك برأسه يعني
أباه ومنها أن يحب القرآن الذي أتى به عليه السلام وهدى به واهتدى وتخلق به
حتى قالت عائشة كان خلقه القرآن وحبه للقرآن تلاوته والعمل به وتفهمه ويحب
سنته ويقف عند حدودها قال سهل بن عبد الله علامة حب الله حب القرآن وعلامة حب
الله وحب القرآن حب النبي صلى الله عليه وسلم وعلامة حب النبي صلى الله عليه وسلم حب
السنة وعلامة حب السنة حب الآخرة وعلامة حب الآخرة بغض الدنيا وعلامة

وعلامة بغض الدنيا ألا يدخر منها إلا زادا وبلغة إلى الآخرة وقال ابن مسعود لا يسأل أحد عن نفسه إلا القرآن فإن كان يحب القرآن فهو يحب الله ورسوله ومن علامة حبه للنبي صلى الله عليه وسلم شفقته على أمته ونصحه لهم وسعيه في مصالحهم ودفع المضار عنهم كما كان عليه السلام بالمؤمنين رؤوفا رحيما ومن علامة تمام محبته زهد مدعيها في الدنيا وإيثاره الفقر واتصافه به وقد قال عليه السلام لأبي سعيد الخدري إن الفقر إلى من يحبني منكم أسرع من السيل من أعلى الوادي أو الجبل إلى أسفله وفي حديث عبد الله بن مغفل قال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم يا رسول الله إني أحبك فقال انظر ما تقول قال والله إني أحبك ثلاث مرات قال إن كنت تحبني فأعد للفقر تجفافا ثم ذكر نحو حديث أبي سعيد بمعناه

فصل في معنى المحبة للنبي صلى الله عليه وسلم وحقيقتها

اختلف الناس في تفسير محبة الله ومحبة النبي صلى الله عليه وسلم وكثرت عباراتهم في ذلك وليست ترجع بالحقيقة إلى اختلاف مقال ولكنها اختلاف أحوال فقال سفيان المحبة اتباع الرسول عليه السلام كأنه التفت إلى قوله تعالى قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني الآية وقال بعضهم محبة الرسول اعتقاد نصرته والذب عن سنته والانقياد لها وهيبة مخالفته وقال بعضهم المحبة دوام الذكر للمحبوب وقال آخر إيثار المحبوب وقال بعضهم المحبة الشوق إلى المحبوب وقال بعضهم المحبة مواطأة القلب لمراد الرب يحب ما أحب ويكره ما كره وقال آخر المحبة ميل القلب إلى موافق له وأكثر العبارات المتقدمة إشارة إلى ثمرات المحبة دون حقيقتها وحقيقة المحبة الميل إلى ما يوافق الإنسان وتكون موافقته له إما لاستلذاذه بإدراكه كحب الصور الجميلة والأصوات الحسنة والأطعمة والأشربة اللذيذة وأشباهها مما كل طبع سليم مائل إليها لموافقتها له أو لاستلذاذه بإدراكه بحاسة عقله وقلبه معاني باطنة شريفة كمحبة الصالحين والعلماء وأهل المعروف والمأثور عنهم السير الجميلة والأفعال الحسنة فإن طبع الإنسان مائل إلى الشغف بأمثال هؤلاء حتى يبلغ التعصب بقوم لقوم والتشيع من أمة في آخرين ما يؤدي إلى الجلاء عن الأوطان وهتك الحرم واخترام النفوس

أو

أو يكون حبه إياه لموافقته له من جهة إحسانه له وإنعامه عليه فقد جبلت النفوس على حب من أحسن إليها فإذا تقرر لك هذا نظرت هذه الأسباب كلها في حقه عليه السلام فعلمت أنه عليه السلام جامع لهذه المعاني الثلاثة الموجبة للمحبة أما جمال الصورة والظاهر وكمال الأخلاق والباطن فقد قررنا منها قبل فيما مر من الكتاب ما لا يحتاج إلى زيادة وأما إحسانه وإنعامه على أمته فكذلك قد مر منه في أوصاف الله تعالى له من رأفته ورحمته لهم وهدايته إياهم وشفقته عليهم واستنقاذهم به من النار وأنه بالمؤمنين رؤوف رحيم ورحمة للعالمين ومبشرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه ويتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ويهديهم إلى صراط مستقيم فأي إحسان أجل قدرا وأعظم خطرا من إحسانه إلى جميع المؤمنين وأي إفضال أعم منفعة وأكثر فائدة من إنعامه على كافة المسلمين إذ كان ذريعتهم إلى الهداية ومنقذهم من العماية وداعيهم إلى الفلاح والكرامة ووسيلتهم إلى ربهم وشفيعهم والمتكلم عنهم والشاهد لهم والموجب لهم البقاء الدائم والنعيم السرمد فقد استبان لك أنه عليه السلام مستوجب للمحبة الحقيقية شرعا بما قدمناه من صحيح الآثار وعادة وجبلة بما ذكرناه آنفا لإفاضته الإحسان وعمومه الإجمال فإذا كان الإنسان يحب من منحه في دنياه مرة أو مرتين معروفا أو استنقذه من هلكة أو مضرة مدة التأذي بها قليل منقطع فمن منحه ما لا يبيد من النعيم ووقاه ما لا يفنى من عذاب الجحيم أولى بالحب وإذا كان يحب بالطبع ملك لحسن سيرته أو حاكم لما يؤثر من قوام طريقته أو قاص بعيد الدار لما يشاد من علمه أو كرم شيمته فمن جمع هذه الخصال على غاية مراتب الكمال أحق بالحب وأولى بالميل وقد قال علي رضي الله عنه في صفته عليه السلام من رآه بديهة هابه ومن خالطه معرفة أحبه وذكرنا عن بعض الصحابة أنه كان لا يصرف بصره عنه محبة فيه

فصل في وجوب مناصحته عليه السلام

قال الله تعالى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج إذا نصحوا لله ورسوله ما على المحسنين من سبيل والله غفور رحيم قال أهل التفسير إذا نصحوا لله ورسوله إذا كانوا مخلصين مسلمين في السر

والعلانية • حدثنا الفقيه ابو الوليد بقراتي عليه نا حسين بن محمد نا يوسف
ابن عبد الله نا ابن عبد المومن نا ابو بكر التمار نا ابو داود نا احمد بن يونس نا زهير نا
سهيل بن ابي صالح عن عطا بن يسار عن تميم الداري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان الدين النصيحة ان الدين النصيحة ان الدين النصيحة قالوا لمن يا رسول الله قال لله ولكتابه
ولرسوله وايمة المسلمين وعامتهم واجبة قال الامام ابو سليمن البستي النصيحة كلمة
يعبر بها عن جملة ارادة الخير للمنصوح له وليس يمكن ان يعبر عنها بكلمة واحدة تحصرها
ومعناها في اللغة الاخلاص من قولهم نصحت العسل اذا خلصته من شمعه وقال ابو بكر
ابن ابي اسحق الخفاف النصح فعل الشي الذي به الصلاح والملايمة ماخوذ من النصاح وهو
الخيط الذي يخاط به الثوب وقال ابو اسحق الزجاج نحوه فنصيحة الله تعالى صحة الاعتقاد
له بالوحدانية ووصفه بما هو اهله وتنزيهه عما لا يجوز عليه والرغبة في محابه والبعد
من مساخطه والاخلاص في عبادته والنصيحة لكتابه الايمان به والعمل بما فيه وتحسين
تلاوته والتخشع عنده والتعظيم له وتفهمه والتفقه فيه والذب عنه من تاويل الغالين
وطعن الملحدين والنصيحة لرسوله التصديق بنبوته وبذل الطاعة له فيما امر به ونهى
عنه قاله ابو سليمن وقال ابو بكر موازرته ونصرته وحمايته حيا وميتا واحيا
سنته بالطلب والذب عنها ونشرها والتخلق باخلاقه الكريمة وادابه الجميلة وقال
ابو اسحق ابرهيم التجيبي نصيحة رسول الله التصديق بما جا به والاعتصام بسنته ونشرها
والحض عليها والدعوة الى الله والى كتابه والى رسوله واليها والى العمل بها وقال احمد
ابن محمد من مفروضات القلوب اعتقاد النصيحة لرسول الله صلى الله عليه وسلم قال
ابو بكر الاجري وغيره النصح له يقتضي نصحين نصحا في حياته ونصحا بعد مماته
ففي حياته نصح اصحابه له بالنصر والمحاماة عنه ومعاداة من عاداه والسمع والطاعة
له وبذل النفوس والاموال دونه كما قال تعالى رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه الاية
وقال وينصرون الله ورسوله الاية واما نصيحة المسلمين له بعد وفاته فالتزام التوقير
والاجلال وشدة المحبة له والمثابرة على تعلم سنته والتفقه في شريعته ومحبة ال بيته

عاشر

واصحابه ومجانبة من رغب عن سنته وانحرف عنها وبغضه والتحذير منه والشفقة
على امته والبحث عن تعرف اخلاقه وسيره وادابه والصبر على ذلك فعلى ما ذكره تكون
النصيحة احدى ثمرات المحبة وعلامة من علاماتها كما قدمنا وحكى الامام ابو القسم القشيري
ان عمرو بن الليث احد ملوك خراسان ومشاهير الثوار المعروف بالصفار ريي في النوم
فقيل له ما فعل الله بك فقال غفر لي فقيل بماذا قال صعدت ذروة جبل يوما فاشرفت
على جنودي فاعجبتني كثرتهم فتمنيت اني حضرت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعنته
ونصرته فشكر الله لي ذلك وغفر لي واما النصح لايمة المسلمين فطاعتهم في الحق ومعونتهم
فيه وامرهم به وتذكيرهم اياه على احسن وجه وتنبيههم على ما غفلوا عنه وكتم عنهم
من امور المسلمين وترك الخروج عليهم وتضريب الناس وافساد قلوبهم عليهم والنصح لعامة
المسلمين ارشادهم الى مصالحهم ومعونتهم في امر دينهم ودنياهم بالقول والفعل وتنبيه
غافلهم وتبصير جاهلهم ورفد محتاجهم وستر عوراتهم ودفع المضار عنهم وجلب
المنافع اليهم

الباب الثالث في تعظيم امره ووجوب توقيره وبره

قال الله تعالى انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا لتومنوا بالله ورسوله وتعزروه
وتوقروه، وقال يا ايها الذين امنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي الثلاث الايات
وقال لا تجعلوا دعا الرسول بينكم كدعا بعضكم بعضا فاوجب تعالى تعزيره وتوقيره
والزم اكرامه وتعظيمه قال ابن عباس تعزروه تجلوه وقال المبرد تعزروه تبالغوا
في تعظيمه وقال الاخفش تنصرونه وقال الطبري تعينونه وقرى تعززوه من
العز ونهي عن التقدم بين يديه بالقول وسوء الادب بسبقه بالكلام على قول
ابن عباس وغيره وهو اختيار ثعلب قال سهل بن عبد الله لا تقولوا قبل ان يقول واذا
قال فاستمعوا له وانصتوا ونهوا عن التقدم والتعجل بقضا امر قبل قضايه فيه وان
يفتاتوا بشي في ذلك من قتال او غيره من امر دينهم الا بامره ولا يسبقوه به الى
هذا يرجع قول الحسن ومجاهد والضحاك والسدي والثوري ثم وعظهم وحذرهم
مخالفة ذلك فقال واتقوا الله ان الله سميع عليم قال الماوردي اتقوه يعني في

التقدم وقال السلمي اتقوا الله في اهمال حقه وتضييع حرمته انه سميع لقولكم
عليم بفعلكم ثم نهاهم عن رفع الصوت فوق صوته والجهر له بالقول كما يجهر بعضهم
لبعض ويرفع صوته وقيل كما ينادي بعضهم بعضا باسمه قال ابو محمد مكي اي لا تسابقوه
بالكلام وتغلظوا له بالخطاب ولا تنادوه باسمه نداء بعضكم لبعض ولكن عظموه وو
قروه ونادوه باشرف ما يحب ان ينادى به يا رسول الله يا نبي الله وهذا كقوله في
الاية الاخرى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا على احد التاويلين وقال
غيره لا تخاطبوه الا مستفهمين ثم خوفهم الله تعالى بحبط اعمالهم ان هم فعلوا ذلك
وحذرهم منه قيل نزلت الاية في وفد بني تميم وقيل في غيرهم اتوا النبي صلى الله عليه
وسلم فنادوه يا محمد يا محمد اخرج الينا فذمهم الله بالجهل ووصفهم بان اكثرهم لا
يعقلون وقيل نزلت الاية الاولى في محاورة كانت بين ابي بكر وعمر بين يدي النبي
صلى الله عليه وسلم واختلفا وجرى بينهما حتى ارتفعت اصواتهما وقيل نزلت في ثابت
ابن قيس بن شماس خطيب النبي صلى الله عليه وسلم في مفاخرة بني تميم وكان في اذنيه
صمم فكان يرفع صوته فلما نزلت هذه الاية اقام في منزله وخشي ان يكون حبط عمله
ثم اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا نبي الله لقد خشيت ان اكون هلكت نهانا الله ان (خ: يارسول الله)
نجهر بالقول وانا امرؤ جهير الصوت فقال النبي يا ثابت اما ترضى ان تعيش حميدا
وتقتل شهيدا وتدخل الجنة فقتل يوم اليمامة وروي ان ابا بكر لما نزلت هذه الاية
قال والله يا رسول الله لا اكلمك بعدها الا كاخي السرار وان عمر كان اذا حدثه
حدثه كاخي السرار ما كان يسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذه الاية حتى
يستفهمه فانزل الله تعالى فيهم ان الذين يغضون اصواتهم عند رسول الله اولئك
الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة واجر عظيم وقيل نزلت ان الذين ينادونك
من وراء الحجرات في غير بني تميم نادوه باسمه وروى صفوان بن عسال بينا النبي صلى الله
عليه وسلم في سفر اذ ناداه اعرابي بصوت له جهوري ايا محمد ايا محمد فقلنا له اغضض (ابا محمد)
من صوتك فانك قد نهيت عن رفع الصوت وقال الله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تقولوا راعنا

قال

قال بعض المفسرين هي لغة كانت في الانصار نهوا عن قولها تعظيما للنبي صلى الله عليه
وسلم وتبجيلا له لان معناها ارعنا نرعك فنهوا عن قولها اذ مقتضاها
كانهم لا يرعونه الا برعايته لهم بل حقه ان يرعى على كل حال وقيل كانت اليهود
تعرض بها للنبي صلى الله عليه وسلم بالرعونة فنهي المسلمون عن قولها قطعا للذريعة
ومنعا للتشبيه بهم في قولها لمشاركة اللفظة وقيل غير هذا ∴

فصل

في عادة الصحابة في تعظيمه عليه السلام وتوقيره واجلاله ∴ حدثنا القاضي ابو علي
الصدفي وابو بحر الاسدي بسماعي عليهما في اخرين قالوا حدثنا احمد بن عمر نا احمد بن
الحسن نا محمد بن عيسى نا ابرهيم بن سفين نا مسلم نا محمد بن مثنى وابو معن الرقاشي واسحق
ابن منصور قالوا نا الضحاك بن مخلد اخبرنا حيوة بن شريح حدثني يزيد بن ابي حبيب
عن ابن شماسة المهري قال حضرنا عمرو بن العاصي فذكر حديثا طويلا فيه عن عمرو قال
وما كان احد احب الي من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا اجل في عيني منه وما كنت
اطيق ان املا عيني منه اجلالا له ولو سئلت ان اصفه ما اطقت لاني لم اكن املا
عيني منه وروى الترمذي عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخرج على
اصحابه من المهاجرين والانصار وهم جلوس فيهم ابو بكر وعمر فلا يرفع احد منهم
اليه بصره الا ابو بكر وعمر فانهما كانا ينظران اليه وينظر اليهما ويبتسمان اليه ويتبسم
اليهما وروى اسامة بن شريك اتيت النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه حوله كانما
على رؤوسهم الطير وفي حديث صفته عليه السلام اذا تكلم اطرق جلساؤه كانما على
رؤوسهم الطير وقال عروة بن مسعود حين وجهته قريش عام القضية الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم وراى من تعظيم اصحابه ما راى وانه لا يتوضا الا ابتدروا وضوءه
وكادوا يقتتلون عليه ولا يبصق بصاقا ولا يتنخم نخامة الا تلقوها باكفهم فدلكوا
بها وجوههم واجسادهم ولا تسقط منه شعرة الا ابتدروها واذا امرهم بامر
ابتدروا امره واذا تكلم خفضوا اصواتهم عنده وما يحدون اليه النظر تعظيما
له فلما رجع الى قريش قال يا معشر قريش اني جئت كسرى في ملكه وقيصر في ملكه

والنجاشي في ملكه واني والله ما رايت ملكا في قوم قط مثل محمد في اصحابه وفي
رواية ان رايت ملكا قط يعظمه اصحابه ما يعظم محمدا اصحابه وقد رايت
قوما لا يسلمونه ابدا وعن انس لقد رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم والحلاق
يحلقه واطاف به اصحابه فما يريدون ان تقع شعرة الا في يد رجل ومن هذا لما اذنت
قريش لعثمان في الطواف بالبيت حين وجهه النبي صلى الله عليه وسلم اليهم في القضية
ابى وقال ما كنت لافعل حتى يطوف به رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي حديث طلحة
ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا لاعرابي جاهل سله عمن قضى نحبه وكانوا
يهابونه ويوقرونه فساله فاعرض عنه اذ طلع طلحة فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم هذا ممن قضى نحبه وفي حديث قيلة فلما رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم
جالسا القرفصاء ارعدت من الفرق وذلك هيبة له وتعظيما وفي حديث المغيرة
كان اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يقرعون بابه بالاظافير وقال البراء بن عازب لقد كنت
اريد ان اسال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الامر فاوخر سنين من هيبته

فصل

واعلم ان حرمة النبي صلى الله عليه وسلم بعد موته وتوقيره وتعظيمه لازم كما كان
حال حياته وذلك عند ذكره عليه السلام وذكر حديثه وسنته وسماع اسمه وسيرته
ومعاملة اله وعترته وتعظيم اهل بيته وصحابته قال ابو ابرهيم التجيبي واجب على
كل مومن متى ذكره او ذكر عنده ان يخضع ويخشع ويتوقر ويسكن من حركته وياخذ في
هيبته واجلاله بما كان ياخذ به نفسه لو كان بين يديه ويتادب بما ادبنا الله
به قال القاضي ابو الفضل رضي الله عنه وهذه كانت سيرة سلفنا الصالح وايمتنا
الماضين رضي الله عنهم حدثنا القاضي ابو عبد الله محمد بن عبد الرحمن الاشعري
وابو القسم احمد بن بقي الحاكم وغير واحد فيما اجازونيه قالوا اخبرنا ابو العباس احمد بن
عمر بن دلهاث نا ابو الحسن علي بن فهر نا ابو بكر محمد بن احمد بن الفرج نا ابو الحسن عبد الله
ابن المنتاب نا يعقوب بن اسحق بن ابي اسرائيل نا ابن حميد قال ناظر ابو جعفر
امير المومنين مالكا في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له مالك يا امير المومنين

رضي الله عنهم ح
[illegible]

لا ترفع صوتك في هذا المسجد فان الله عز وجل ادب قوما فقال لا ترفعوا اصواتكم
فوق صوت النبي الاية ومدح قوما فقال ان الذين يغضون اصواتهم الاية وذم
قوما فقال ان الذين ينادونك من وراء الحجرات الاية وان حرمته ميتا كحرمته حيا
فاستكان لها ابو جعفر وقال يا ابا عبد الله استقبل القبلة وادعو ام استقبل
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ولم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك
ووسيلة ابيك ادم عليه السلام الى يوم القيامة بل استقبله واستشفع به فيشفعك
الله قال الله تعالى ولو انهم اذ ظلموا انفسهم الاية وقال مالك وقد سيل عن ايوب
السختياني ما حدثتكم عن احد الا وايوب افضل منه قال وحج حجتين فكنت ارمقه
ولا اسمع منه غير انه كان اذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم بكى حتى ارحمه فلما رايت
منه ما رايت واجلاله للنبي صلى الله عليه وسلم كتبت عنه وقال مصعب بن عبد الله
كان مالك اذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم يتغير لونه وينحني حتى يصعب ذلك على وبتنحي خ
جلسايه فقيل له يوما في ذلك فقال لو رايتم ما رايت لما انكرتم علي ما ترون لقد
كنت ارى محمد بن المنكدر وكان سيد القراء لا نكاد نساله عن حديث ابدا الا يبكي
حتى نرحمه ولقد كنت ارى جعفر بن محمد وكان كثير الدعابة والتبسم فاذا ذكر
عنده النبي صلى الله عليه وسلم اصفر وما رايته يحدث عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم الا على طهارة ولقد اختلفت اليه زمانا فما كنت اراه الا على ثلاث خصال
اما مصليا واما صامتا واما يقرا القران ولا يتكلم فيما لا يعنيه وكان من العلماء وإمّا
والعباد الذين يخشون الله عز وجل ولقد كان عبد الرحمن بن القسم يذكر النبي صلى الله
عليه وسلم فينظر الى لونه كانه نزف منه الدم وقد جف لسانه في فمه هيبة لرسول الله في فيه
صلى الله عليه وسلم ولقد كنت اتي عامر بن عبد الله بن الزبير فاذا ذكر عنده النبي صلى الله
عليه وسلم بكى حتى لا يبقى في عينيه دموع ولقد رايت الزهري وكان من اهنا الناس
واقربهم فاذا ذكر عنده النبي صلى الله عليه وسلم فكانه ما عرفك ولا عرفته ولقد كنت
اتي صفوان بن سليم وكان من المتعبدين المجتهدين فاذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم بكى

فلا يزال يبكي حتى يقوم الناس عنه ويتركوه وروي عن قتادة أنه كان إذا سمع الحديث أخذه
العويل والزويل ولما كثر على مالك الناس قيل له لو جعلت مستمليا يسمعهم فقال
قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي وحرمته حيا وميتا
سوا وكان عبد الرحمن بن مهدي إذا قرأ حديث النبي صلى الله عليه وسلم أمرهم بالسكوت
وقال لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ويتأول أنه يجب له من الإنصات عند قراءة
حديثه ما يجب له عند سماع قوله ∴ **فصل** في سيرة السلف في تعظيم رواية
حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وسنته ∴ حدثنا الحسين بن محمد الحافظ ثنا
أبو الفضل بن خيرون ثنا أبو بكر البرقاني وغيره ثنا أبو الحسن الدارقطني ثنا علي بن مبشر
ثنا أحمد بن سنان القطان ثنا يزيد بن هارون ثنا المسعودي عن مسلم البطين عن عمرو
ابن ميمون قال اختلفت إلى ابن مسعود سنة فما سمعته يقول قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم إلا أنه حدث يوما فجرى على لسانه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم
علاه كرب حتى رأيت العرق يتحدر عن جبهته ثم قال هكذا إن شاء الله أو فوق ذا
أو قريب من ذا وفي رواية فتربد وجهه وفي رواية وقد تغرغرت عيناه وانتفخت
أوداجه وقال إبرهيم بن عبد الله بن قريم الأنصاري قاضي المدينة مر مالك بن أنس
على أبي حازم وهو يحدث فجازه وقال إني لم أجد موضعا أجلس فيه فكرهت أن آخذ
حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا قائم وقال مالك جاء رجل إلى ابن المسيب
فسأله عن حديث وهو مضطجع فجلس وحدثه فقال له الرجل وددت أنك لم
تتعن فقال إني كرهت أن أحدثك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مضطجع وروي
عن محمد بن سيرين أنه قد يكون يضحك فإذا ذكر عنده حديث النبي صلى الله عليه وسلم
خشع وقال أبو مصعب كان مالك بن أنس لا يحدث بحديث رسول الله صلى الله عليه
وسلم إلا وهو على وضوء إجلالا له وحكى مالك ذلك عن جعفر بن محمد وقال
مصعب بن عبد الله كان مالك بن أنس إذا حدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
توضأ وتهيأ ولبس ثيابه ثم يحدث قال مصعب فسئل عن ذلك فقال إنه حديث

حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مطرف كان إذا أتى الناس مالكا خرجت
إليهم الجارية فتقول لهم يقول لكم الشيخ تريدون الحديث أو المسائل فإن قالوا المسائل
خرج إليهم وإن قالوا الحديث دخل مغتسله واغتسل وتطيب ولبس ثيابا جددا
ولبس ساجه وتعمم ووضع على رأسه رداءه وتلقى له منصة فيخرج فيجلس عليها
وعليه الخشوع ولا يزال يبخر بالعود حتى يفرغ من حديث رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال غيره ولم يكن يجلس على تلك المنصة إلا إذا حدث عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال ابن أبي أويس فقيل لمالك في ذلك فقال أحب أن أعظم حديث رسول الله
صلى الله عليه وسلم ولا أحدث به إلا على طهارة متمكنا قال وكان يكره أن يحدث
في الطريق أو وهو قائم أو مستعجل وقال أحب أن أفهم حديث رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال عبد الله بن المبارك كنت عند مالك وهو يحدثنا فلدغته عقرب
ست عشرة مرة وهو يتغير لونه ويصفر ولا يقطع حديث رسول الله صلى الله عليه
وسلم فلما فرغ من المجلس وتفرق الناس عنه قلت له يا أبا عبد الله لقد رأيت منك
اليوم عجبا قال نعم إنما صبرت إجلالا لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
ابن مهدي مشيت يوما مع مالك إلى العقيق فسألته عن حديث فانتهرني وقال
لي كنت في عيني أجل من أن تسأل عن حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نمشي
وسأله جرير بن عبد الحميد القاضي عن حديث وهو قائم فأمر بحبسه فقيل له إنه
قاض قال القاضي أحق من أدب وذكر أن هشام بن الغاز سأل مالكا عن حديث وهو
واقف فضربه عشرين سوطا ثم أشفق فحدثه عشرين حديثا فقال هشام وددت
لو زادني سياطا ويزيدني حديثا قال عبد الله بن صالح كان مالك والليث لا يكتبان
الحديث إلا وهما طاهران وكان قتادة يستحب أن لا تقرأ أحاديث النبي صلى الله عليه
وسلم إلا على وضوء ولا يحدث إلا على طهارة وكان الأعمش إذا أراد أن يحدث وهو
على غير وضوء تيمم ∴ **فصل** ومن توقيره صلى الله عليه وسلم وبره بر آله وذريته
وأمهات المؤمنين أزواجه كما حض عليه السلام وسلكه السلف الصالح رضي الله عنهم

قال الله تعالى انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت الاية وقال تعالى
وازواجه امهاتهم ∴ اخبرنا الشيخ ابو محمد بن احمد العدل من كتابه وكتبت من اصله
قال نا ابو الحسن المقرئ المرغيناني حدثتني ام القسم بنت الشيخ ابي بكر الخفاف قالت حدثني
ابي نا حاتم هو ابن عقيل نا يحيى هو ابن اسمعيل نا يحيى هو الحماني نا وكيع عن ابيه
عن سعيد بن مسروق عن يزيد بن حيان عن زيد بن ارقم قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم انشدكم الله واهل بيتي ثلاثا قلنا ليزيد من اهل بيته قال آل علي وآل جعفر
وآل عقيل وآل العباس وقال عليه السلام اني تارك فيكم ما ان اخذتم به لن تضلوا
كتاب الله وعترتي اهل بيتي فانظروا كيف تخلفوني فيهما وقال عليه السلام معرفة
آل محمد براءة من النار وحب آل محمد جواز على الصراط والولاية لآل محمد امان من العذاب
قال بعض العلماء معرفتهم هي معرفة مكانهم من النبي صلى الله عليه وسلم واذا عرفهم بذلك
عرف وجوب حقهم وحرمتهم بسببه وعن عمر بن ابي سلمة لما نزلت انما يريد الله
ليذهب عنكم الرجس اهل البيت الاية وذلك في بيت ام سلمة دعا فاطمة وحسنا
وحسينا فجللهم بكساء وعلي خلف ظهره ثم قال اللهم هؤلاء اهل بيتي فاذهب عنهم
الرجس وطهرهم تطهيرا وعن سعد بن ابي وقاص لما نزلت اية المباهلة دعا النبي
صلى الله عليه وسلم عليا وحسنا وحسينا وفاطمة وقال اللهم هؤلاء اهلي بيتي
وقال النبي صلى الله عليه وسلم في علي من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه
وعاد من عاداه وقال فيه لا يحبك الا مؤمن ولا يبغضك الا منافق وقال
للعباس والذي نفسي بيده لا يدخل قلب رجل الايمان حتى يحبكم لله ولرسوله ومن
اذى عمي فقد اذاني وانما عم الرجل صنو ابيه وقال للعباس اغد علي يا عم مع
ولدك فجمعهم وجللهم بملاءته وقال هذا عمي وصنو ابي وهؤلاء اهل بيتي فاسترهم
من النار كستري اياهم فامنت اسكفة الباب وحوائط البيت امين امين وكان
ياخذ اسامة بن زيد والحسن ويقول اللهم اني احبهما فاحبهما وقال ابو بكر رضي الله
عنه ارقبوا محمدا في اهل بيته وقال ايضا والذي نفسي بيده لقرابة رسول الله صلى الله

عليه وسلم احب الي ان اصل قرابتي وقال صلى الله عليه وسلم احب الله من احب
حسنا وقال من احبني واحب هذين واشار الى حسن وحسين واباهما وامهما
كان معي في درجتي يوم القيمة وقال صلى الله عليه وسلم من اهان قريشا اهانه الله
وقال قدموا قريشا ولا تقدموها وقال عليه السلام لام سلمة لا تؤذيني في عائشة
وعن عقبة بن الحرث رايت ابا بكر رضي الله عنه وجعل الحسن على عنقه وهو يقول
بابي شبيه بالنبي ليس شبيها بعلي وعلي يضحك وروي عن عبد الله بن حسن بن حسن
قال اتيت عمر بن عبد العزيز في حاجة فقال لي اذا كانت لك حاجة فارسل الي او اكتب
فاني استحيي من الله ان يراك على بابي وعن الشعبي صلى زيد بن ثابت على جنازة امه ثم
قربت له بغلته ليركبها فجاء ابن عباس فاخذ بركابه فقال زيد خل عنه يا ابن عم
رسول الله فقال هكذا نفعل بالعلماء فقبل زيد يد ابن عباس وقال هكذا امرنا
ان نفعل باهل بيت نبينا وراى ابن عمر محمد بن اسامة بن زيد فقال ليت هذا
عبدي فقيل له هو محمد بن اسامة فطاطا راسه ونقر بيده الارض وقال لو رآه رسول الله
صلى الله عليه وسلم لاحبه وقال الاوزاعي دخلت بنت اسامة بن زيد صاحب
رسول الله صلى الله عليه وسلم على عمر بن عبد العزيز ومعها مولى لها يمسك بيدها فقام
لها عمر ومشى اليها حتى جعل يديها بين يديه ويداه في ثيابه ومشى بها حتى اجلسها
على مجلسه وجلس بين يديها وما ترك لها حاجة الا قضاها ولما فرض عمر بن الخطاب
لابنه عبد الله في ثلاثة الاف ولاسامة بن زيد في ثلاثة الاف وخمس مائة
قال عبد الله لابيه لم فضلته فوالله ما سبقني الى مشهد فقال له لان زيدا كان
احب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من ابيك واسامة احب اليه منك فاثرت
حب رسول الله صلى الله عليه وسلم على حبي وبلغ معاوية ان كابس بن ربيعة يشبه
برسول الله صلى الله عليه وسلم فلما دخل عليه من باب الدار قام عن سريره وتلقاه
وقبل بين عينيه واقطعه المرغاب لشبهه صورة رسول الله صلى الله عليه
وسلم وروي ان مالكا رحمه الله لما ضربه جعفر بن سليمن ونال منه ما نال وحمل

مغشيا عليه فدخل عليه الناس فأفاق فقال أشهدكم أني جعلت ضاربي في حل فقيل
بعد ذلك فقال خفت أن أموت فألقى النبي صلى الله عليه وسلم فأستحيي منه أن يدخل
بعض آله النار بسببي وقيل إن المنصور أقاده من جعفر فقال له أعوذ بالله والله
ما ارتفع منها سوط عن جسمي إلا وقد جعلته في حل لقرابته من رسول الله صلى الله
عليه وسلم وقال أبو بكر بن عياش لو أتاني أبو بكر وعمر وعلي لبدأت بحاجة علي قبلهما
لقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولأن أخر من السماء إلى الأرض أحب إلي من أن
أقدمه عليهما وقيل لابن عباس ماتت فلانة لبعض أزواج النبي صلى الله عليه وسلم
فسجد فقيل له أتسجد هذه الساعة فقال أليس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا
رأيتم آية فاسجدوا وأي آية أعظم من ذهاب أزواج النبي صلى الله عليه وسلم

فصل ومن توقيره وبره عليه السلام توقير أصحابه وبرهم ومعرفة حقهم
والاقتداء بهم وحسن الثناء عليهم والاستغفار لهم والإمساك عما شجر بينهم ومعاداة
من عاداهم والإضراب عن أخبار المؤرخين وجهلة الرواة وضلال الشيعة والمبتدعين
القادحة في أحد منهم وأن يلتمس لهم فيما نقل من ذلك فيما كان بينهم من الفتن أحسن
التأويلات ويخرج لهم أصوب المخارج إذ هم أهل ذلك ولا يذكر أحد
منهم بسوء ولا يغمص عليه أمر بل تذكر حسناتهم وفضائلهم وحميد سيرهم ويسكت
عما وراء ذلك كما قال عليه السلام إذا ذكر أصحابي فأمسكوا قال الله تعالى رحماء بينهم
إلى آخر السورة وقال والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار الآية وقال لقد رضي الله
عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة وقال رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه الآية
حدثنا القاضي أبو علي نا أبو الحسين وأبو الفضل قالا نا أبو يعلى نا أبو علي السنجي نا محمد بن
محبوب نا الترمذي نا الحسن بن الصباح نا سفيان بن عيينة عن زائدة عن عبد الملك بن عمير
عن ربعي بن حراش عن حذيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقتدوا باللذين من
بعدي أبي بكر وعمر وقال أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم وعن أنس قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل أصحابي كمثل الملح في الطعام لا يصلح الطعام إلا به

وقال

وقال الله الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضا بعدي فمن أحبهم فبحبي أحبهم ومن أبغضهم
فببغضي أبغضهم ومن آذاهم فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله ومن آذى الله يوشك أن يأخذه
وقال لا تسبوا أصحابي فلو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه
وقال من سب أصحابي فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه
صرفا ولا عدلا وقال إذا ذكر أصحابي فأمسكوا وقال في حديث جابر إن الله اختار
أصحابي على جميع العالمين سوى النبيين والمرسلين واختار لي منهم أربعة أبا بكر وعمر
وعثمان وعليا فجعلهم خير أصحابي وفي كل أصحابي خير وقال من أحب عمر فقد أحبني ومن
أبغض عمر فقد أبغضني وقال مالك بن أنس وغيره من أبغض الصحابة وسبهم فليس له في
فيء المسلمين حق ونزع بآية الحشر والذين جاءوا من بعدهم الآية وقال من غاظه
أصحاب محمد فهو كافر قال الله تعالى ليغيظ بهم الكفار وقال عبد الله بن المبارك
خصلتان من كانتا فيه نجا الصدق وحب أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم قال أيوب
السختياني من أحب أبا بكر فقد أقام الدين ومن أحب عمر فقد أوضح السبيل ومن
أحب عثمان فقد استضاء بنور الله ومن أحب عليا فقد أخذ بالعروة الوثقى ومن
أحسن الثناء على أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فقد برئ من النفاق ومن انتقص أحدا
منهم فهو مبتدع مخالف للسنة والسلف الصالح وأخاف أن لا يصعد له عمل إلى
السماء حتى يحبهم جميعا ويكون قلبه سليما وفي حديث خالد بن سعيد أن النبي صلى الله عليه
وسلم قال أيها الناس إني راض عن أبي بكر فاعرفوا له ذلك أيها الناس إني راض عن عمر
وعن علي وعن عثمان وطلحة والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف فاعرفوا لهم
ذلك أيها الناس إن الله غفر لأهل بدر والحديبية أيها الناس احفظوني في أصحابي
وأصهاري وأختاني لا يطالبنكم أحد منهم بمظلمة فإنها مظلمة لا توهب في القيامة
غدا وقال رجل للمعافى بن عمران أين عمر بن عبد العزيز من معاوية فغضب وقال لا
يقاس بأصحاب النبي أحد معاوية صاحبه وصهره وكاتبه وأمينه على وحي الله وأتي
النبي صلى الله عليه وسلم بجنازة رجل فلم يصل عليه وقال كان يبغض عثمان فأبغضه الله

وقال عليه السلام في الانصار اعفوا عن مسيئهم واقبلوا من محسنهم وقال احفظوني
في اصحابي واصهاري فانه من حفظني فيهم حفظه الله في الدنيا والاخرة ومن لم يحفظني
فيهم تخلى الله منه ومن تخلى الله منه يوشك ان ياخذه وعنه عليه السلام من حفظني
في اصحابي كنت له حافظا يوم القيمة وقال من حفظني في اصحابي ورد علي الحوض ومن
لم يحفظني في اصحابي لم يرد علي الحوض ولم يرني الا من بعيد قال مالك رحمه الله هذا
النبي مؤدب الخلق الذي هدانا الله به وجعله رحمة للعالمين يخرج الى البقيع في جوف
الليل فيدعو لهم ويستغفر كالمودع لهم وبذلك امره الله وامر النبي بحبهم وموالاتهم
ومعاداة من عاداهم وروي عن كعب ليس احد من اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم الا له شفاعة
يوم القيمة وطلب من المغيرة بن نوفل ان يشفع له يوم القيمة قال سهل بن عبد الله
التستري لم يؤمن بالرسول من لم يوقر اصحابه ولم يعزر اوامره ∴

فصل ومن
اعظامه واكباره صلى الله عليه وسلم اعظام جميع اسبابه واكرام مشاهده وامكنته
من مكة والمدينة ومعاهده وما لمسه عليه السلام او عرف به وروي عن صفية بنت
نجدة قالت كان لابي محذورة قصة في مقدم راسه اذا قعد وارسلها اصابت الارض
فقيل له الا تحلقها فقال لم اكن بالذي احلقها وقد مسها رسول الله صلى الله عليه
وسلم بيده وكانت في قلنسوة خالد بن الوليد شعرات من شعره عليه السلام فسقطت
قلنسوته في بعض حروبه فشد عليها شدة انكر عليه اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
كثرة من قتل فيها فقال لم افعلها بسبب القلنسوة بل لما تضمنته من شعره عليه السلام
لئلا اسلب بركتها وتقع في ايدي المشركين ولهذا كان مالك رحمه الله لا يركب بالمدينة
دابة وكان يقول استحيي من الله ان اطا تربة فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم بحافر دابة
وروي انه وهب للشافعي كراعا كثيرا فقال له الشافعي امسك منها دابة فاجابه بمثل كان عنده
هذا الجواب وقد حكى ابو عبد الرحمن السلمي عن احمد بن فضلويه الزاهد وكان من الغزاة
الرماة انه قال ما مسست القوس بيدي الا على طهارة منذ بلغني ان النبي صلى الله عليه
وسلم اخذ القوس بيده وقد افتى مالك فيمن قال تربة المدينة ردية يضرب ثلاثين درة

وأمر بحبسه وكان له قدر وقال ما احوجه الى ضرب عنقه تربة دفن فيها النبي صلى الله
عليه وسلم يزعم انها غير طيبة وفي الصحيح انه قال عليه السلام في المدينة من احدث
فيها حدثا او اوى محدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين لا يقبل الله
منه صرفا ولا عدلا وحكي ان جهجاها الغفاري اخذ قضيب النبي صلى الله عليه وسلم
من يد عثمان رضي الله عنه وتناوله ليكسره على ركبته فصاح به الناس فاخذته
الاكلة في ركبته فقطعها ومات قبل الحول وقال عليه السلام من حلف على منبري
كاذبا فليتبوا مقعده من النار وحدثت ان ابا الفضل الجوهري لما ورد المدينة
زايرا وقرب من بيوتها ترجل ومشى باكيا منشدا ∴

ولما راينا رسم من لم يدع لنا ∴ فؤادا لعرفان الرسوم ولا لبا ∴
نزلنا عن الاكوار نمشي كرامة ∴ لمن بان عنه ان نلم به ركبا ∴

وحكي عن بعض المريدين انه لما اشرف على مدينة الرسول انشا يقول متمثلا

رفع الحجاب لنا فلاح لناظر ∴ قمر تقطع دونه الاوهام ∴
واذا المطي بنا بلغن محمدا ∴ فظهورهن على الرجال حرام ∴
قربننا من خير من وطي الثرا ∴ فلها علينا حرمة وذمام ∴

وحكي عن بعض المشايخ انه حج ماشيا فقيل له في ذلك فقال العبد الابق ياتي الى
بيت مولاه راكبا لو قدرت ان امشي على راسي ما مشيت على قدمي قال
القاضي ابو الفضل رحمه الله وجدير لمواطن عمرت بالوحي والتنزيل وتردد بها
جبريل وميكائيل وعرجت منها الملائكة والروح وضجت عرصاتها بالتقديس والتسبيح
واشتملت تربتها على جسد سيد البشر وانتشر عنها من دين الله وسنة رسوله ما
ما انتشر مدارس ايات ومساجد وصلوات ومشاهد الفضائل والخيرات ومعاهد
البراهين والمعجزات ومناسك الدين ومشاعر المسلمين ومواقف سيد المرسلين ومتبوا
خاتم النبيين حيث انفجرت النبوة واين فاض عبابها ومواطن مهبط الرسالة واول ارض
مس جلد المصطفى ترابها ان تعظم عرصاتها وتتنسم نفحاتها وتقبل ربوعها وجدرانها

يا دار خير المرسلين

يا دار خير المرسلين ومن به هُدي الأنام وخصّ بالآيات
عندي لأجلك لوعة وصبابة وتشوّق متوقّد الجمرات
وعلي عهد إن ملأت محاجري من تلكم الجدرات والعرصات
لأعفرنّ مصون شيبي بينها من كثرة التقبيل والرشفات
لولا العوادي والأعادي زرتها أبدًا ولو سحبًا على الوجنات
لكن سأهدي من حفيل تحيتي لقطين تلك الدار والحجرات
أذكى من المسك المفتّق نفحة تغشاه بالآصال والبكرات
وتخصّه بزواكي الصلوات ونوامي التسليم والبركات

الجمرات

الباب الرابع في حكم الصلاة عليه والتسليم وفرض ذلك وفضيلته

قال الله تعالى إن الله وملائكته يصلون على النبي الآية قال ابن عباس معناه أن الله وملائكته يباركون على النبي وقيل إن الله يترحم على النبي وملائكته يدعون له قال المبرد وأصل الصلاة الترحم فهي من الله رحمة ومن الملائكة رقة واستدعاء للرحمة من الله وقد ورد في الحديث صفة صلاة الملائكة على من جلس ينتظر الصلاة اللهم اغفر له اللهم ارحمه فهذا دعاء وقال بكر القشيري الصلاة من الله تعالى لمن دون النبي رحمة وللنبي صلى الله عليه وسلم تشريف وزيادة تكرمة وقال أبو العالية صلاة الله ثناؤه عليه عند الملائكة وصلاة الملائكة الدعاء قال القاضي أبو الفضل رحمه الله وقد فرّق النبي صلى الله عليه وسلم في حديث تعليم الصلاة عليه بين لفظ الصلاة ولفظ البركة فدل أنهما بمعنيين وأما التسليم الذي أمر الله تعالى به عباده فقال القاضي أبو بكر بن بكير نزلت هذه الآية على النبي صلى الله عليه وسلم فأمر الله أصحابه أن يسلموا عليه وكذلك من بعدهم أمروا أن يسلموا على النبي صلى الله عليه وسلم عند حضورهم قبره وعند ذكره وفي معنى السلام عليه ثلاثة وجوه أحدها السلامة لك ومعك وتكون السلامة مصدرًا كاللذاذ واللذاذة الثاني أي السلام على حفظك ورعايتك متولٍّ له وكفيل به ويكون هنا السلام اسم الله الثالث أن السلام بمعنى المسالمة له والانقياد كما قال فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجًا مما قضيت ويسلموا تسليمًا

فصل

اعلم أن الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فرض على الجملة غير محدد بوقت لأمر الله تعالى بالصلاة عليه وحمل الأئمة والعلماء له على الوجوب وأجمعوا عليه وحكى أبو جعفر الطبري أن محمل الآية عنده على الندب وادّعى فيه الإجماع ولعله فيما زاد على مرة والواجب منه الذي يسقط به الحرج ومأثم ترك الفرض مرة كالشهادة له بالنبوة وما عدا ذاك فمندوب مرغّب فيه من سنن الإسلام وشعار أهله قال القاضي أبو الحسن بن القصار المشهور عن أصحابنا أن ذلك واجب في الجملة على الإنسان وفرض عليه أن يأتي بها مرة في دهره مع القدرة على ذلك وقال القاضي أبو بكر بن بكير افترض الله على خلقه أن يصلوا على نبيه ويسلموا تسليمًا ولم يجعل ذلك لوقت معلوم فالواجب أن يكثر المرء منها ولا يغفل عنها قال القاضي أبو محمد بن نصر الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم واجبة في الجملة قال القاضي أبو عبد الله محمد بن سعيد ذهب مالك وأصحابه وغيرهم من أهل العلم أن الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فرض بالجملة بعقد الإيمان لا يتعين في الصلاة وأن من صلى عليه مرة واحدة من عمره سقط الفرض عنه وقال أصحاب الشافعي الفرض منها الذي أمر الله به ورسوله عليه السلام هو في الصلاة وقالوا وأما في غيرها فلا خلاف أنها غير واجبة وأما في الصلاة فحكى الإمامان أبو جعفر الطبري والطحاوي وغيرهما إجماع جميع المتقدمين والمتأخرين من علماء الأمة على أن الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في التشهد غير واجبة وشذ الشافعي في ذلك فقال من لم يصل على النبي صلى الله عليه وسلم من بعد التشهد الآخر وقبل السلام فصلاته فاسدة وإن صلى عليه قبل ذلك لم تجزه ولا سلف له في هذا القول ولا سنة يتبعها وقد بالغ في إنكار هذه المسألة عليه لمخالفته فيها من تقدمه جماعة وشنعوا عليه الخلاف فيها منهم الطبري والقشيري وغير واحد وقال أبو بكر بن المنذر يستحب أن لا يصلي أحد صلاة إلا

لم تجزه

صلى فيها على رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن ترك ذلك تارك فصلاته مجزئة في
مذهب مالك وأهل المدينة وسفيان الثوري وأهل الكوفة من أصحاب الرأي وغيرهم
وهو قول جمهور أهل العلم وحكي عن مالك وسفيان أنها في التشهد الأخير مستحبة وأن
تاركها في التشهد مسيء وشذ الشافعي فأوجب على تاركها في الصلاة الإعادة وأوجب
إسحاق الإعادة مع تعمد تركها دون النسيان وحكى أبو محمد بن أبي زيد عن محمد بن المواز
أن الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فريضة قال أبو محمد يريد ليست من فرائض الصلاة
وقاله محمد بن عبد الحكم وغيره وحكى ابن القصار وعبد الوهاب أن محمد بن المواز
يراها فريضة في الصلاة كقول الشافعي وقد خالف الخطابي من أصحاب الشافعي وغيره
الشافعي في هذه المسألة قال الخطابي وليست بواجبة في الصلاة وهو قول جماعة
الفقهاء إلا الشافعي ولا أعلم له فيها قدوة والدليل على أنها ليست من فروض الصلاة
عمل السلف الصالح قبل الشافعي وإجماعهم عليه وقد شنع الناس عليه هذه المسألة جدا
وهذا تشهد ابن مسعود الذي اختاره الشافعي وهو الذي علمه له النبي صلى الله عليه وسلم ليس
وكذلك كل من روى التشهد عن النبي صلى الله عليه وسلم كأبي هريرة وابن عباس وجابر وابن
عمر وأبي سعيد الخدري وأبي موسى الأشعري وعبد الله بن الزبير لم يذكروا فيه صلاة
على النبي صلى الله عليه وسلم وقد قال ابن عباس وجابر كان النبي صلى الله عليه وسلم يعلمنا
التشهد كما يعلمنا السورة من القرآن ونحوه عن أبي سعيد وقال ابن عمر كان أبو بكر
يعلمنا التشهد على المنبر كما تعلمون الصبيان في الكتاب وعلمه أيضا على المنبر عمر بن الخطاب
وفي الحديث لا صلاة لمن لم يصل علي قال ابن القصار معناه كاملة أو لمن لم يصل علي
مرة في عمره وضعف أهل الحديث كلهم رواية هذا الحديث وفي حديث أبي جعفر عن ابن
مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم من صلى صلاة لم يصل فيها علي وعلى أهل بيتي لم تقبل
منه قال الدارقطني الصواب أنه قول أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين لو صليت صلاة لم
أصل فيها على النبي صلى الله عليه وسلم ولا على أهل بيته لرأيت أنها لا تتم

فصل في

المواطن التي يستحب فيها الصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم ويرغب من ذلك في

تشهد الصلاة كما قدمناه وذلك بعد التشهد وقبل الدعاء حدثنا القاضي
أبو علي بقراءتي عليه ثنا الإمام أبو القاسم البلخي ثنا الفارسي عن أبي القاسم الخزاعي عن
الهيثم عن أبي عيسى الحافظ ثنا محمود بن غيلان ثنا عبد الله بن يزيد المقرئ ثنا حيوة
ابن شريح حدثني أبو هانئ الخولاني أن عمرو بن مالك الجنبي أخبره أنه سمع فضالة
ابن عبيد يقول سمع النبي صلى الله عليه وسلم رجلا يدعو في صلاته فلم يصل على النبي صلى
الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم عجل هذا ثم دعاه فقال له ولغيره إذا
صلى أحدكم فليبدأ بتحميد الله والثناء عليه ثم ليصل على النبي ثم ليدع بعد بما شاء
ويروى من غير هذا السند بتمجيد الله وهو أصح وعن عمر بن الخطاب قال الدعاء والصلاة
معلق بين السماء والأرض ولا يصعد إلى الله منه شيء حتى يصلى على النبي صلى الله عليه وسلم
وعن علي عن النبي صلى الله عليه وسلم بمعناه وقال وعلى آل محمد وروي أن الدعاء محجوب
حتى يصلي الداعي على النبي صلى الله عليه وسلم وعن ابن مسعود إذا أراد أحدكم أن يسأل
الله شيئا فليبدأ بمدحه والثناء عليه بما هو أهله ثم يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم
ثم ليسأل فإنه أجدر أن ينجح وعن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تجعلوني
كقدح الراكب فإن الراكب يملأ قدحه ثم يضعه ويرفع متاعه فإن احتاج إلى الشراب
شربه أو الوضوء توضأ وإلا أهراقه ولكن اجعلوني في أول الدعاء وأوسطه
وآخره وقال ابن عطاء للدعاء أركان وأجنحة وأسباب وأوقات فإن وافق أركانه
قوي وإن وافق أجنحته طار في السماء وإن وافق مواقيته فاز وإن وافق أسبابه
أنجح فأركانه حضور القلب والرقة والاستكانة والخشوع وتعلق القلب بالله
وقطعه من الأسباب وأجنحته الصدق ومواقيته الأسحار وأسبابه الصلاة
على محمد صلى الله عليه وسلم وفي الحديث الدعاء بين الصلاتين علي لا يرد وفي حديث
آخر كل دعاء محجوب دون السماء فإذا جاءت الصلاة علي صعد الدعاء وفي دعاء
ابن عباس الذي رواه عنه حنش فقال في آخره واستجب دعائي ثم تبدأ بالصلاة على
النبي صلى الله عليه وسلم أن تصلي على محمد عبدك ونبيك ورسولك أفضل ما صليت على

على احدٍ من خلقك اجمعين امين ومن مواطن الصلاة عليه عند ذكره وسماع اسمه او
كتابه او عند الاذان وقد قال عليه السلام رغم انف رجل ذكرت عنده فلم يصل علي
وكره ابن حبيب ذكر النبي صلى الله عليه وسلم عند الذبح وكره سحنون الصلاة
عليه عند التعجب وقال لا يصلى عليه الا على طريق الاحتساب وطلب الثواب وقال
اصبغ عن ابن القسم موطنان لا يذكر فيهما الا الله الذبيحة والعطاس فلا يقل فيهما
بعد ذكر الله محمد رسول الله ولو قال بعد ذكر الله صلى الله على محمد لم تكن تسمية له
مع الله وقاله اشهب قال ولا ينبغي ان تجعل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم
فيه استنانا وروى النسايي عن اوس ابن اوس عن النبي صلى الله عليه وسلم الامر بالاكثار
من الصلاة عليه يوم الجمعة ومن مواطن الصلاة والسلام دخول المسجد قال ابو اسحق
ابن شعبان وينبغي لمن دخل المسجد ان يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى اله ويترحم عليه
وعلى اله ويبارك عليه وعلى اله ويسلم تسليما ويقول اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي ابواب
رحمتك واذا خرج فعل مثل ذلك وجعل موضع رحمتك فضلك وقال عمرو بن دينار
في قوله فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على انفسكم قال ان لم يكن في البيت احد فقل السلام
على النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام على اهل
البيت ورحمة الله وبركاته قال ابن عباس المراد بالبيوت هنا المساجد وقال النخعي
اذا لم يكن في البيت احد فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين وعن علقمة
اذا دخلت المسجد اقول السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته صلى الله وملايكته
على محمد ونحوه عن كعب اذا دخل واذا خرج ولم يذكر الصلاة واحتج ابن شعبان لما ذكره
لحديث فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ان النبي صلى الله عليه وسلم كان
يفعله اذا دخل المسجد ومثله عن ابي بكر بن عمرو بن حزم وذكر السلام والرحمة
وقد ذكرنا هذا الحديث اخر القسم والاختلاف في الفاظه ومن مواطن الصلاة عليه
ايضا الصلاة على الجنايز وذكر عن ابي امامة انها من السنة ومن مواطن الصلاة التي مضى
عليها عمل الامة ولم تنكرها الصلاة على النبي واله في الرسايل وما يكتب بعد التسمية

عليه صح

المسجد احد فقال السلام على رسول الله واذا لم يكن صح

ولم يكن هذا في الصدر الاول واحدث عند ولاية بني هاشم فمضى به عمل الناس في
اقطار الارض ومنهم من يختم به ايضا الكتب وقال عليه السلام من صلى علي في كتاب
لم تزل الملايكة تستغفر له ما دام اسمي في ذلك الكتاب ومن مواطن السلام على النبي
صلى الله عليه وسلم تشهد الصلاة حدثنا ابو القسم خلف بن ابرهيم المقري الخطيب
رحمه الله وغيره قال حدثتني كريمة بنت احمد قالت حدثنا ابو الهيثم نا محمد بن
يوسف نا محمد بن اسمعيل نا ابو نعيم نا الاعمش عن شقيق بن سلمة عن عبد الله بن مسعود
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا صلى احدكم فليقل التحيات لله والصلوات والطيبات
السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين
فانكم اذا قلتموها اصابت كل عبد صالح في السما والارض هذا احد مواطن التسليم عليه
وسنته اول التشهد وقد روى مالك عن ابن عمر انه كان يقول ذلك اذا فرغ من
تشهده واراد ان يسلم واستحب مالك في المبسوط ان يسلم بمثل ذلك قبل السلام
قال محمد بن مسلمة اراد ما جا عن عايشة وابن عمر انهما كانا يقولان عند سلامهما
السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين
السلام عليكم واستحب اهل العلم ان ينوي الانسان عند سلامه كل عبد صالح في السما
والارض من الملايكة وبني ادم والجن قال مالك في المجموعة واحب للماموم اذا سلم
امامه ان يقول السلام على النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين
السلام عليكم

فصل في كيفية الصلاة عليه والتسليم

حدثنا ابو اسحق
ابرهيم بن جعفر الفقيه بقراتي عليه نا القاضي ابو الاصبغ نا ابو عبد الله بن عتاب
نا ابو بكر بن وافد وغيره نا ابو عيسى نا عبيد الله نا يحيى نا مالك عن عبد الله بن ابي
بكر بن حزم عن ابيه عن عمرو بن سليم الزرقي انه قال اخبرني ابو حميد الساعدي انهم
قالوا يا رسول الله كيف نصلي عليك فقال قولوا اللهم صل على محمد وازواجه وذريته
كما صليت على ال ابرهيم وبارك على محمد وازواجه وذريته كما باركت على ال ابرهيم انك حميد
مجيد وفي رواية مالك عن ابي مسعود الانصاري قال قولوا اللهم صل على محمد وعلى

وآل محمد

وعلى آله كما صليت على ابرهيم وبارك على محمد كما باركت على ابرهيم في العالمين انك حميد مجيد
والسلام كما قد علمتم ۝ وفي رواية كعب بن عجرة اللهم صل على محمد وال محمد كما صليت
على ابرهيم وبارك على محمد وال محمد كما باركت على ابرهيم انك حميد مجيد وعن عقبة بن
عمرو في حديثه اللهم صل على محمد النبي الامي وعلى ال محمد وفي رواية ابي سعيد الخدري
اللهم صل على محمد عبدك ورسولك وذكر معناه ۝ حدثنا القاضي ابو عبد الله التميمي
سماعا عليه وابو علي الحسن بن طريف النحوي بقراتي عليه قالا ثنا ابو عبد الله بن سعدون
الفقيه ثنا ابو بكر المطوعي ثنا ابو عبد الله الحاكم عن ابي بكر بن ابي دارم الحافظ عن علي بن احمد
العجلي عن حرب بن الحسن عن يحيى بن المساور عن عمرو بن خالد عن زيد بن علي بن الحسين عن
ابيه علي عن ابيه الحسين عن ابيه علي بن ابي طالب قال عدهن في يدي رسول الله صلى الله رضي الله عنهم اجمعين
عليه وسلم وقال عدهن في يدي جبريل وقال هكذا نزلت من عند رب العزة اللهم صل
على محمد وعلى ال محمد كما صليت على ابرهيم وعلى ال ابرهيم انك حميد مجيد اللهم بارك على
محمد وعلى ال محمد كما باركت على ابرهيم وعلى ال ابرهيم انك حميد مجيد اللهم وترحم
على محمد وعلى ال محمد كما ترحمت على ابرهيم وعلى ال ابرهيم انك حميد مجيد اللهم وتحنن على
محمد وعلى ال محمد كما تحننت على ابرهيم وعلى ال ابرهيم انك حميد مجيد اللهم وسلم على محمد
وعلى ال محمد كما سلمت على ابرهيم وعلى ال ابرهيم انك حميد مجيد وعن ابي هريرة عن النبي
صلى الله عليه وسلم من سره ان يكتال بالمكيال الاوفى اذا صلى علينا اهل البيت فليقل
اللهم صل على محمد النبي وازواجه امهات المومنين وذريته واهل بيته كما صليت على
ابرهيم انك حميد مجيد وفي رواية زيد بن خارجة الانصاري سالت النبي صلى الله عليه
وسلم كيف نصلي عليك فقال صلوا واجتهدوا في الدعاء ثم قولوا اللهم بارك على
محمد وعلى ال محمد كما باركت على ابرهيم انك حميد مجيد وعن سلامة الكندي كان علي يعلمنا
الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم اللهم داحي المدحوات وباري المسموكات اجعل
شرايف صلواتك ونوامي بركاتك ورافة تحننك على محمد عبدك ورسولك الفاتح لما
اغلق والخاتم لما سبق والمعلن الحق بالحق والدامغ لخبيثات الاباطيل كما حمل فاضطلع

لجيشات

بامرك بطاعتك مستوفزا في مرضاتك واعيا لوحيك حافظا لعهدك ماضيا
على نفاذ امرك حتى اورى قبسا لقابس الا الله تصل باهله اسبابه به هديت
القلوب بعد خوضات الفتن والاثم موضحات الاعلام ونايرات الاحكام ومنيرات
الاسلام فهو امينك المامون وخازن علمك المخزون وشهيدك يوم الدين وبعيثك
نعمة ورسولك بالحق اللهم افسح له في عدنك واجزه مضاعفات الخير من فضلك
مهنات له غير مكدرات من فوز ثوابك المحلول وجزيل عطايك المعلول اللهم
اعل على بناء الناس بناه واكرم مثواه لديك ونزله واتمم له نوره واجزه من ابتعاثك
له مقبول الشهادة ومرضي المقالة ذا منطق عدل وخطة فصل وبرهان عظيم وعنه
ايضا في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ان الله وملائكته يصلون على النبي الاية
لبيك اللهم ربي وسعديك صلوات الله البر الرحيم والملائكة المقربين والنبيين والصديقين
والشهداء والصالحين وما سبح لك من شيء يا رب العالمين على محمد بن عبد الله خاتم النبيين
وسيد المرسلين وامام المتقين ورسول رب العالمين الشاهد البشير الداعي اليك باذنك
السراج المنير وعليه السلام وعن عبد الله بن مسعود اللهم اجعل صلواتك وبركاتك
ورحمتك على سيد المرسلين وامام المتقين وخاتم النبيين محمد عبدك ورسولك
امام الخير ورسول الرحمة اللهم ابعثه مقاما محمودا يغبطه فيه الاولون والاخرون
اللهم صل على محمد وعلى ال محمد كما صليت على ابرهيم انك حميد مجيد وبارك على محمد وعلى
ال محمد كما باركت على ابرهيم وال ابرهيم انك حميد مجيد وكان الحسن البصري يقول من
اراد ان يشرب بالكاس الاوفى من حوض المصطفى فليقل اللهم صل على محمد وعلى اله واصحابه
واولاده وازواجه وذريته واهل بيته واصهاره وانصاره واشياعه ومحبيه وامته
وعلينا معهم اجمعين يا ارحم الراحمين وعن طاوس عن ابن عباس انه كان يقول اللهم تقبل
شفاعة محمد الكبرى وارفع درجته العليا واته سوله في الاخرة والاولى كما اتيت ابرهيم
وموسى وعن وهيب بن الورد انه كان يقول في دعايه اللهم اعط محمدا افضل ما سالك
لنفسه واعط محمدا افضل ما سالك له احد من خلقك واعط محمدا افضل ما انت مسوول

له الى يوم القيمة وعن ابن مسعود انه كان يقول اذا صليتم على النبي عليه السلام فاحسنوا
الصلاة عليه فانكم لا تدرون لعل ذلك يعرض عليه وقولوا اللهم اجعل صلواتك
ورحمتك وبركاتك على سيد المرسلين وامام المتقين وخاتم النبيين محمد عبدك ورسولك
امام الخير وقايد الخير ورسول الرحمة اللهم ابعثه مقاما محمودا يغبطه فيه
الاولون والاخرون اللهم صل على محمد وعلى ال محمد كما صليت على ال ابرهيم انك حميد مجيد
اللهم بارك على محمد وعلى ال محمد كما باركت على ال ابرهيم انك حميد مجيد وما يوثر في تطويل
الصلاة وتكثير الثنا عن اهل البيت وغيرهم كثير وقوله والسلام كما قد علمتم هو ما
علمهم في التشهد من قوله السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى
عباد الله الصالحين وفي تشهد علي عليه السلام السلام على نبي الله السلام على انبيا الله
ورسله السلام على رسول الله السلام على محمد بن عبد الله السلام علينا وعلى المومنين والمومنات
من غاب منهم ومن شهد اللهم اغفر لمحمد وتقبل شفاعته واغفر لاهل بيته واغفر لي
ولوالدي وما ولدا وارحمهما السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام عليك ايها
النبي ورحمة الله وبركاته هذا في الحديث عن علي الدعا للنبي بالغفران

فصل

في فضيلة الصلاة على النبي والتسليم عليه والدعا له ∴ حدثنا احمد بن محمد الشيخ الصالح
من كتابه ثنا القاضي يونس بن مغيث ثنا ابو بكر بن معاوية ثنا النسائي اخبرنا سويد بن
نصر اخبرنا عبد الله عن حيوة بن شريح قال اخبرني كعب بن علقمة انه سمع عبد الرحمن بن
جبير مولى نافع انه سمع عبد الله بن عمرو يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
اذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول وصلوا علي فانه من صلى علي صلى الله عليه عشرا
ثم سلوا لي الوسيلة فانها منزلة في الجنة لا تنبغي الا لعبد من عباد الله وارجوا ان اكون
انا هو فمن سال لي الوسيلة حلت عليه الشفاعة وروى انس بن مالك ان النبي صلى الله عليه
وسلم قال من صلى علي صلاة صلى الله عليه عشر صلوات وحط عنه عشر خطيات ورفع
له عشر درجات وعن انس عنه عليه السلام ان جبريل ناداني فقال من صلى عليك صلاة صلى
الله عليه عشرا ورفعه عشر درجات ومن رواية عبد الرحمن بن عوف عنه عليه السلام

لقيت جبريل فقال لي اني ابشرك ان الله يقول من سلم عليك سلمت عليه ومن صلى عليك
صليت عليه ونحوه من رواية ابي هريرة ومالك بن اوس بن الحدثان وعبد الله بن ابي
طلحة وعن زيد بن الحباب سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول من قال اللهم صل على محمد
وانزله المنزل المقرب عندك يوم القيمة وجبت له شفاعتي وعن ابن مسعود
اولى الناس بي يوم القيمة اكثرهم علي صلاة وعن ابي هريرة عنه عليه السلام من
صلى علي في كتاب لم تزل الملايكة تستغفر له ما بقي اسمي في ذلك الكتاب وعن عامر
ابن ربيعة سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول من صلى علي صلاة صلت عليه الملايكة
ما صلى علي فليقلل من ذلك عبد او ليكثر وعن ابي بن كعب كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم اذا ذهب ربع الليل قام فقال يا ايها الناس اذكروا الله جاءت الراجفة
تتبعها الرادفة جا الموت بما فيه فقال ابي بن كعب يا رسول الله اني اكثر الصلاة
عليك فكم اجعل لك من صلاتي قال ما شئت قال الربع قال ما شئت وان زدت فهو خير
قال النصف قال ما شئت وان زدت فهو خير قال الثلثين قال ما شئت وان زدت فهو
خير قال يا رسول الله فاجعل صلاتي كلها لك قال اذا تكفى ويغفر ذنبك وعن
ابي طلحة دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم فرايت من بشره وطلاقته ما لم اره قط
فسالته فقال وما يمنعني وقد خرج جبريل انفا فاتاني ببشارة من ربي ان الله تعالى
بعثني اليك ابشرك انه ليس احد من امتك يصلي عليك الا صلى الله وملايكته عليه
بها عشرا وعن جابر بن عبد الله قال قال النبي صلى الله عليه وسلم من قال حين يسمع الندا اللهم
رب هذه الدعوة التامة والصلاة القايمة ات محمدا الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاما
محمودا الذي وعدته حلت عليه الشفاعة يوم القيمة وعن سعد بن ابي وقاص من قال
حين يسمع المؤذن وانا اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله
رضيت بالله ربا وبمحمد رسولا وبالاسلام دينا غفر له وروى ابن وهب ان النبي صلى الله عليه
وسلم قال من سلم علي عشرا فكانما اعتق رقبة وفي بعض الاثار ليردن علي اقوام ما اعرفهم
الا بكثرة صلاتهم علي وفي اخر ان انجاكم يوم القيمة من اهوالها ومواطنها اكثركم علي

صلاة وعن ابي بكر الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم امحق للذنوب من الما البارد للنار والسلام عليه افضل من عتق الرقاب ∴ **فصل** في ذم من لم يصل على النبي صلى الله عليه وسلم واثمه ∴ حدثنا القاضي الشهيد ابو علي رحمه الله ثنا ابو الفضل بن خيرون وابو الحسين الصيرفي قالا ثنا ابو يعلى ثنا السنجي ثنا محمد بن محبوب ثنا ابو عيسى ثنا احمد بن ابرهيم الدورقي ثنا ربعي بن ابرهيم عن عبد الرحمن بن اسحق عن سعيد بن ابي سعيد عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رغم انف رجل ذكرت عنده فلم يصل علي ورغم انف رجل دخل رمضان ثم انسلخ قبل ان يغفر له ورغم انف رجل ادرك عنده ابواه الكبر فلم يدخلاه الجنة قال عبد الرحمن واظنه قال او احدهما وفي حديث اخر ان النبي صلى الله عليه وسلم صعد المنبر فقال امين ثم صعد فقال امين ثم صعد فقال امين فساله معاذ عن ذلك فقال ان جبريل صلى الله عليه وسلم اتاني فقال يا محمد من سميت بين يديه فلم يصل عليك فمات فدخل النار فابعده الله قل امين فقلت امين وقال فيمن ادرك رمضان فلم يقبل منه فمات مثل ذلك ومن ادرك ابويه او احدهما فلم يبرهما فمات مثله وعن علي ابن ابي طالب عنه عليه السلام انه قال البخيل الذي ذكرت عنده فلم يصل علي وعن جعفر ابن محمد عن ابيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذكرت عنده فلم يصل علي اخطي به طريق الجنة وعن علي بن ابي طالب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان البخيل كل البخيل من ذكرت عنده فلم يصل علي وعن ابي هريرة قال ابو القسم صلى الله عليه وسلم ايما قوم جلسوا مجلسا ثم تفرقوا قبل ان يذكروا الله ويصلوا على النبي صلى الله عليه وسلم كانت عليهم من الله ترة ان شا عذبهم وان شا غفر لهم وعن ابي هريرة من نسي الصلاة علي نسي طريق الجنة وعن قتادة عنه عليه السلام من الجفا ان اذكر عند الرجل فلا يصلي علي وعن جابر عنه عليه السلام ما جلس قوم مجلسا ثم تفرقوا على غير صلاة على النبي صلى الله عليه وسلم الا تفرقوا عن انتن من ريح الجيفة وعن ابي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يجلس قوم مجلسا لا يصلون فيه على النبي صلى الله عليه وسلم الا كان عليهم حسرة وان دخلوا الجنه لما يرون من الثواب حكى ابو عيسى الترمذي عن بعض اهل العلم قال

اذا صلى الرجل على النبي صلى الله عليه وسلم مرة في المجلس اجزا عنه ما كان في ذلك المجلس ∴ **فصل** في تخصيصه عليه السلام بتبليغ صلاة من صلى عليه او سلم من الانام ∴ حدثنا القاضي ابو عبد الله التميمي ثنا الحسين بن محمد ثنا ابو عمر الحافظ ثنا ابن عبد المومن ثنا ابن داسة ثنا ابو داود ثنا ابن عوف ثنا المقري ثنا حيوة عن ابي صخر حميد بن زياد عن يزيد بن عبد الله بن قسيط عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من احد يسلم علي الا رد الله علي روحي حتى ارد عليه السلام وذكر ابو بكر بن ابي شيبة عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى علي عند قبري سمعته ومن صلى علي نائيا بلغته وعن ابن مسعود ان لله ملائكة سياحين في الارض يبلغوني عن امتي السلام ونحوه عن ابي هريرة وعن ابن عمر اكثروا من السلام على نبيكم كل جمعة فانه يوتى به منكم في كل جمعة وفي رواية فان احدا لا يصلي علي الا عرضت صلاته علي حين يفرغ منها وعن الحسن عنه عليه السلام حيثما كنتم فصلوا علي فان صلاتكم تبلغني وعن ابن عباس ليس احد من امة محمد عليه السلام يسلم عليه ويصلي عليه الا بلغه وذكر بعضهم ان العبد اذا صلى على النبي صلى الله عليه وسلم عرض عليه اسمه وعن الحسن بن علي اذا دخلت المسجد فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تتخذوا بيتي عيدا ولا تتخذوا بيوتكم قبورا وصلوا علي حيث كنتم فان صلاتكم تبلغني حيثما كنتم وفي حديث اوس اكثروا علي من الصلاة يوم الجمعة فان صلاتكم معروضة علي وعن سليمن بن سحيم رايت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فقلت يا رسول الله هولاء الذين ياتونك فيسلمون عليك اتفقه سلامهم قال نعم وارد عليهم وعن ابن شهاب بلغنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اكثروا من الصلاة علي في الليلة الزهرا واليوم الازهر فانهما يوديان عنكم وان الارض لا تاكل اجساد الانبيا وما من مسلم يصلي علي الا حملها ملك حتى يوديها الي ويسميه حتى انه ليقول ان فلانا يقول كذا وكذا ∴ **فصل** في الاختلاف في الصلاة على غير النبي صلى الله عليه وسلم وسائر الانبيا عليهم السلام ∴ قال القاضي وفقه الله عامة اهل العلم متفقون على جواز الصلاة على غير النبي صلى الله عليه وسلم ∴

وروي عن ابن عباس انه لا يجوز الصلاة على غير النبي صلى الله عليه وسلم وروي عنه
لا ينبغي الصلاة على احد الا النبيين وقال سفين يكره ان يصلى الا على نبي ووجدت
بخط بعض شيوخي مذهب مالك انه لا يجوز ان يصلى على احد من الانبيا سوى محمد عليه السلام
وهذا غير معروف من مذهبه وقد قال مالك في المبسوطة ليحيى ابن اسحق اكره الصلاة
على غير الانبيا وما ينبغي لنا ان نتعدى ما امرنا به قال يحيى بن يحيى لست اخذ بقوله ولا
باس بالصلاة على الانبيا كلهم وعلى غيرهم واحتج بحديث ابن عمر وبما جا في تعليم النبي
الصلاة عليه وفيه وعلى ازواجه وعلى اله قالوا والاسانيد عن ابن عباس لينة والصلاة
في لسان العرب بمعنى الترحم والدعا وذلك على الاطلاق حتى يمنع منه حديث صحيح او
اجماع وقد قال تعالى هو الذي يصلي عليكم وملايكته الاية وقال خذ من اموالهم صدقة
تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم الاية وقال اوليك عليهم صلوات من ربهم ورحمة ∴
وقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم صل على ال ابي اوفى وكان اذا اتاه قوم بصدقتهم
قال اللهم صل على ال فلان وفي حديث الصلاة اللهم صل على محمد وعلى ازواجه وذريته ∴
وفي اخر وعلى ال محمد قيل اتباعه وقيل امته وقيل الاتباع هم الرهط والعشيرة وقيل
ال الرجل ولده وقيل قومه وقيل اهله الذين حرمت عليهم الصدقة وفي رواية انس
سيل النبي صلى الله عليه وسلم من ال محمد قال كل تقي ويجي على مذهب الحسن ان المراد بال
محمد محمد نفسه فانه كان يقول في صلاته على النبي صلى الله عليه وسلم اللهم اجعل صلواتك
وبركاتك على ال احمد يريد نفسه لانه كان لا يخل بالفرض ويأتي بالنفل لان الفرض الذي
امر الله به هو الصلاة على محمد نفسه وهذا مثل قوله عليه السلام لقد اوتي مزمارا
من مزامير ال داود يريد من مزامير داود وفي حديث ابي حميد الساعدي في الصلاة
اللهم صل على محمد وازواجه وذريته وفي حديث ابن عمر انه كان يصلي على النبي صلى الله
عليه وسلم وعلى ابي بكر وعمر ذكره مالك في الموطا من رواية يحيى الاندلسي وروى ابن
وهب عن انس بن مالك كنا ندعو لاصحابنا بالغيب فنقول اللهم اجعل منك على فلان
صلوات قوم ابرار الذين يقومون بالليل ويصومون بالنهار قال القاضي والذي

ذهب اليه المحققون واميل اليه ما قاله مالك وسفين رحمهما الله وروي عن
ابن عباس واختاره غير واحد من الفقها والمتكلمين انه لا يصلى على غير الانبيا عند
ذكرهم بل هو شي يختص به الانبيا توقيرا لهم وتعزيزا كما يخص الله تعالى عند
ذكره بالتنزيه والتقديس والتعظيم ولا يشاركه فيه غيره كذلك يجب تخصيص النبي
صلى الله عليه وسلم وساير الانبيا بالصلاة والتسليم ولا يشارك فيه سواهم كما امر
الله به بقوله صلوا عليه وسلموا تسليما ويذكر من سواهم من الايمة وغيرهم
بالغفران والرضا كما قال تعالى يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان
وقال والذين اتبعوهم باحسان رضي الله عنهم وايضا فهو امر لم يكن معروفا في الصدر
الاول كما قال ابو عمران وانما احدثته الرافضة والمتشيعة في بعض الايمة
فشاركوهم عند الذكر لهم بالصلاة وساووهم بالنبي صلى الله عليه وسلم في ذلك وايضا
فان التشبه باهل البدع منهي عنه فتجب مخالفتهم فيما التزموه من ذلك وذكر
الصلاة على الال والازواج مع النبي صلى الله عليه وسلم بحكم التبع والاضافة اليه
لا على التخصيص قالوا وصلاة النبي على من صلى عليه مجراها مجرى الدعا والمواجهة
ليس فيها معنى التعظيم والتوقير قالوا وقد قال تعالى لا تجعلوا دعا الرسول بينكم كدعا
بعضكم بعضا فكذلك يجب ان يكون الدعا له مخالفا لدعا الناس بعضهم لبعض ∴
وهذا اختيار الامام ابي المظفر الاسفرايني من شيوخنا ∴ **فصل في حكم
زيارة قبره عليه السلام وفضيلة من زاره وسلم عليه وكيف يسلم ويدعو** وزيارة
قبره عليه السلام سنة من المسلمين مجتمع عليها وفضيلة مرغب فيها روي عن
ابن عمر قال النبي صلى الله عليه وسلم من زار قبري وجبت له شفاعتي وعن انس بن مالك
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من زارني في المدينة محتسبا كان في جواري
وكنت له شفيعا يوم القيمة وفي حديث اخر من زارني بعد موتي فكانما زارني في حياتي
وكره مالك ان يقال زرنا قبر النبي وقد اختلف في معنى ذلك فقيل كراهة الاسم
لما ورد من قوله عليه السلام لعن الله زوارات القبور وهذا يرده قوله نهيتكم عن

زيارة القبور فزوروها وقوله من زار قبري فقد اطلق اسم الزيارة وقيل لان ذلك
لما قيل ان الزاير افضل من المزور وهذا ايضا ليس بشيء اذ ليس كل زاير بهذه
الصفة وليس عموما وقد ورد في حديث اهل الجنة زيارتهم لربهم ولم يمنع هذا
اللفظ في حقه والاولى عندي ان منعه وكراهة مالك له لاضافته الى قبر النبي صلى الله
عليه وسلم وانه لو قال زرنا النبي لم يكرهه لقوله عليه السلام اللهم لا تجعل قبري
وثنا يعبد بعدي اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور انبيائهم مساجد فحمى
اضافة هذا اللفظ الى القبر والتشبه بفعل اولئك قطعا للذريعة وحسما للباب
والله اعلم قال اسحق بن ابرهيم الفقيه ومما لم يزل من شان من حج المرور
بالمدينة والقصد الى الصلاة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم والتبرك برؤية
روضته ومنبره وقبره ومجلسه وملامس يديه ومواطى قدميه والعمود الذي
كان يستند اليه وينزل جبريل بالوحي فيه عليه وبمن عمره وقصده من الصحابة وايمة
المسلمين والاعتبار بذلك كله وقال ابن ابي فديك سمعت بعض من ادركت يقول
بلغنا ان من وقف عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم فتلا هذه الاية ان الله وملايكته
يصلون على النبي ثم قال صلى الله عليك يا محمد من يقولها سبعين مرة ناداه ملك
صلى الله عليك يا فلان ولم تسقط له حاجة وعن يزيد بن ابي سعيد المهري
قدمت على عمر بن عبد العزيز فلما ودعته قال لي اليك حاجة اذا اتيت المدينة
سترى قبر النبي صلى الله عليه وسلم فاقرئه مني السلام قال غيره وكان يبرد اليه
البريد من الشام قال بعضهم رايت انس بن مالك اتى قبر النبي صلى الله عليه وسلم
فوقف فرفع يديه حتى ظننت انه افتتح الصلاة فسلم على النبي صلى الله عليه
وسلم ثم انصرف قال مالك في رواية ابن وهب اذا سلم على النبي صلى الله عليه وسلم
ودعا يقف ووجهه الى القبر لا الى القبلة ويدنو ويسلم ولا يمس القبر بيده وقال
في المبسوط لا ارى ان يقف عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم يدعو ولكن يسلم ويمضي
قال ابن ابي مليكة من احب ان يقوم وجاه النبي صلى الله عليه وسلم فليجعل القنديل

تعالى

عليه السلام

الذي في القبلة عند القبر على راسه وقال نافع كان ابن عمر يسلم على القبر رايته
مائة مرة او اكثر يجي الى القبر فيقول السلام على النبي السلام على ابي بكر السلام على ابي ثم ينصرف
وفي الموطا من رواية يحيى بن يحيى الليثي انه كان يقف على قبر النبي صلى الله عليه وسلم
فيصلي على النبي وعلى ابي بكر وعمر وعند ابن القسم والقعنبي ويدعو لابي بكر وعمر قال
مالك في رواية ابن وهب يقول المسلم السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته
قال في المبسوط ويسلم على ابي بكر وعمر قال القاضي ابو الوليد الباجي وعندي انه يدعو
للنبي بلفظ الصلاة ولابي بكر وعمر كما في حديث ابن عمر من الخلاف وقال ابن حبيب
ويقول اذا دخل مسجد الرسول باسم الله وسلام على رسول الله عليه السلام السلام علينا
من ربنا وصلى الله وملايكته على محمد اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي ابواب رحمتك
وجنتك واحفظني من الشيطان الرجيم ثم اقصد الى الروضة وهي ما بين القبر والمنبر
فاركع فيها ركعتين قبل وقوفك بالقبر تحمد الله فيهما وتساله تمام ما خرجت اليه والعون
عليه وان كانت ركعتاك في غير الروضة اجزاتاك وفي الروضة افضل وقال عليه السلام
ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة ومنبري على ترعة من ترع الجنة ثم تقف
بالقبر متواضعا متوقرا فتصلي عليه وتثني بما يحضرك وتسلم على ابي بكر وعمر وتدعو لهما
واكثر من الصلاة في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم بالليل والنهار ولا تدع ان تاتي مسجد
قبا وقبور الشهدا قال مالك في كتاب محمد ويسلم على النبي صلى الله عليه وسلم اذا دخل
وخرج يعني في المدينة وفيما بين ذلك قال محمد واذا خرج جعل اخر عهده الوقوف
بالقبر وكذلك من خرج مسافرا وروى ابن وهب عن فاطمة بنت النبي صلى الله عليه
وسلم ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا دخلت المسجد فصل على النبي صلى الله عليه
وسلم وقل اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي ابواب رحمتك واذا خرجت فصل على النبي
صلى الله عليه وسلم وقل اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي ابواب فضلك وفي رواية اخرى
فليسلم مكان فليصل فيه ويقول اذا خرج اللهم اني اسالك من فضلك وفي اخرى اللهم
احفظني من الشيطان الرجيم وعن محمد بن سيرين كان الناس يقولون اذا دخلوا المسجد صلى الله

ورئي واصحابك على
حفص صح

وملايكته على محمد السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته باسم الله دخلنا
وباسم الله خرجنا وعلى الله توكلنا وكانوا يقولون اذا خرجوا مثل ذلك وعن فاطمة
ايضا كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا دخل المسجد قال صلى الله على محمد وسلم ثم ذكر مثل
حديث فاطمة قبل هذا وفي رواية حمد الله وسمى وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم
وذكر مثله وفي رواية باسم الله والسلام على رسول الله وعن غيرها كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذا دخل المسجد قال اللهم افتح لي ابواب رحمتك ويسر لي ابواب
رزقك وعن ابي هريرة اذا دخل احدكم المسجد فليصل على النبي صلى الله عليه وسلم
وليقل اللهم افتح لي وقال مالك في المبسوط وليس يلزم من دخل المسجد وخرج منه
من اهل المدينة الوقوف بالقبر وانما ذلك للغربا وقال فيه ايضا لا باس لمن قدم
من سفر او خرج الى سفر ان يقف على قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فيصلي عليه
ويدعو له ولابي بكر وعمر فقيل له فان ناسا من اهل المدينة لا يقدمون من سفر ولا
يريدونه يفعلون ذلك في اليوم مرة او اكثر وربما وقفوا في الجمعة او في الايام
المرة والمرتين او اكثر عند القبر فيسلمون ويدعون ساعة فقال لم يبلغني هذا عن
احد من اهل الفقه ببلدنا وتركه واسع ولا يصلح اخر هذه الامة الا ما اصلح اولها
ولم يبلغني عن اول هذه الامة وصدرها انهم كانوا يفعلون ذلك ويكره الا لمن جا
من سفر او اراده قال ابن القسم ورايت اهل المدينة اذا خرجوا منها او دخلوها
اتوا القبر فسلموا قال وذلك رايي قال الباجي ففرق بين اهل المدينة والغربا لان
الغربا قصدوا لذلك واهل المدينة مقيمون بها لم يقصدوها من اجل القبر والتسليم
وقد قال عليه السلام اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد بعدي اشتد غضب الله على
قوم اتخذوا قبور انبيايهم مساجد وقال لا تجعلوا قبري عيدا ومن كتاب احمد بن سعيد
الهندي فيمن وقف بالقبر لا يلصق به ولا يمسه ولا يقف عنده طويلا وفي العتبية
يبدا بالركوع قبل السلام في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم واحب مواضع التنفل فيه
مصلى النبي صلى الله عليه وسلم حيث العمود المخلق واما في الفريضة فالتقدم الى الصفوف

والتنفل فيه للغربا احب الي من التنفل في البيوت **فصل فيما يلزم من دخل مسجد**
النبي صلى الله عليه وسلم من الادب سوى ما قدمناه وفضله وفضل الصلاة فيه وفي
مسجد مكة وذكر قبره ومنبره وفضل سكنى المدينة ومكة. قال الله تعالى لمسجد
اسس على التقوى من اول يوم احق ان تقوم فيه روي ان النبي صلى الله عليه وسلم سيل
اي مسجد هو قال مسجدي هذا وهو قول ابن المسيب وزيد بن ثابت وابن عمر ومالك
ابن انس وغيرهم وعن ابن عباس انه مسجد قبا حدثنا هشام بن احمد الفقيه بقراتي
عليه نا الحسين بن محمد الحافظ نا ابو عمر النمري نا ابو محمد بن عبد المومن نا ابو بكر بن
داسه نا ابو داود نا مسدد نا سفين عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن ابي هريرة عن
النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد مسجد الحرام ومسجدي
هذا والمسجد الاقصى وقد تقدمت الاثار في الصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم
عند دخول المسجد وعن عبد الله بن عمرو بن العاصي ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا
دخل المسجد قال اعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم
وقال مالك رحمه الله سمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه صوتا في المسجد فدعا بصاحبه
فقال ممن انت قال رجل من ثقيف قال لو كنت من هاتين القريتين لادبتك ان مسجدنا هذا لا يرفع
فيه الصوت قال محمد بن مسلمة لا ينبغي لاحد ان يعتمد المسجد برفع الصوت ولا بشي
من الاذى وان ينزه عما يكره قال القاضي حكى ذلك كله القاضي اسمعيل في مبسوط
في باب فضل مسجد النبي عليه السلام والعلما كلهم متفقون ان حكم ساير المساجد هذا
الحكم قال القاضي اسمعيل وقال محمد بن مسلمة ويكره في مسجد الرسول صلى الله عليه
وسلم الجهر على المصلين فيما يخلط عليهم صلاتهم وليس مما يخص به المساجد رفع
الصوت قد كره رفع الصوت بالتلبية في مساجد الجماعات الا المسجد الحرام ومسجدنا
وقال ابو هريرة عنه عليه السلام صلاة في مسجدي هذا خير من الف صلاة فيما سواه
الا المسجد الحرام قال القاضي اختلف الناس في معنى هذا الاستثنا على اختلافهم
في المفاضلة بين مكة والمدينة فذهب مالك في رواية اشهب عنه وقاله ابن نافع

صاحبه وجماعة اصحابه الى ان معنى الحديث ان الصلاة في مسجد الرسول افضل من
الصلاة في ساير المساجد بالف صلاة الا المسجد الحرام فان الصلاة في مسجد النبي صلى الله
عليه وسلم افضل من الصلاة فيه بدون الالف واحتجوا بما روي عن عمر بن الخطاب صلاة
في المسجد الحرام خير من مائة صلاة فيما سواه فتاتي فضيلة مسجد الرسول عليه بتسع مائة
وعلى غيره بالف وهذا مبني على تفضيل المدينة على مكة على ما قدمناه وهو قول
عمر بن الخطاب ومالك واكثر المدنيين وذهب اهل مكة والكوفة الى تفضيل مكة وهو
قول عطا وابن وهب وابن حبيب من اصحاب مالك وحكاه الساجي عن الشافعي وحملوا
الاستثناء في الحديث المتقدم على ظاهره وان الصلاة في المسجد الحرام افضل واحتجوا
بحديث عبد الله بن الزبير عن النبي صلى الله عليه وسلم مثل حديث ابي هريرة وفيه
وصلاة في المسجد الحرام افضل من الصلاة في مسجدي هذا بمائة صلاة وروى قتادة
مثله فياتي فضل الصلاة في المسجد الحرام على هذا على الصلاة في ساير المساجد بمائة
الف ولا خلاف ان موضع قبره افضل بقاع الارض قال القاضي ابو الوليد الباجي
الذي يقتضيه الحديث مخالفة حكم مكة لساير المساجد ولا يعلم منه حكمها مع
المدينة وذهب الطحاوي الى ان هذا التفضيل انما هو في صلاة الفرض وذهب مطرف
من اصحابنا الى ان ذلك في النافلة ايضا قال وجمعة خير من جمعة ورمضان خير
من رمضان وقد ذكر عبد الرزاق في تفضيل رمضان بالمدينة وغيرها حديثا نحوه
وقال عليه السلام ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة ومثله عن ابي هريرة
وابي سعيد وزادا ومنبري على حوضي وفي حديث اخر منبري على ترعة من ترع الجنة
قال الطبري فيه معنيان احدهما ان المراد بالبيت بيت سكناه على الظاهر مع انه
روي ما بين حجرتي ومنبري والثاني ان البيت هنا القبر وهو قول زيد بن
اسلم في هذا الحديث كما روي بين قبري ومنبري قال الطبري واذا كان قبره في بيته
اتفقت معاني الروايات ولم يكن بينها خلاف لان قبره في حجرته وهو بيته وقوله
ومنبري على حوضي قيل يحتمل انه منبره بعينه الذي كان في الدنيا وهو اظهر

اظهره والثاني ان يكون له هناك منبر والثالث ان قصد منبره والحضور عنده
لملازمة الاعمال الصالحة يورد الحوض ويوجب الشرب منه قاله الباجي وقوله
روضة من رياض الجنة يحتمل معنيين احدهما انه موجب لذلك وان الدعا والصلاة
فيه يستحق ذلك من الثواب كما قيل الجنة تحت ظلال السيوف والثاني ان تلك البقعة
قد ينقلها الله فتكون في الجنة بعينها قاله الداودي وروى ابن عمر وجماعة من الماوردي
الصحابة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال في المدينة لا يصبر على لاوائها وشدتها احد
الا كنت له شهيدا او شفيعا يوم القيمة وقال فيمن تحمل عن المدينة والمدينة خير
لهم لو كانوا يعلمون وقال انما المدينة كالكير ينفي خبثها وينصع طيبها وقال
لا يخرج احد من المدينة رغبة عنها الا ابدلها الله خيرا منه وروي عنه عليه السلام
من مات في احد الحرمين حاجا او معتمرا بعثه الله يوم القيمة لا حساب عليه ولا
عذاب وفي طريق اخر بعث من الامنين يوم القيمة وعن ابن عمر من استطاع ان يموت عنه صلى الله عليه وسلم
بالمدينة فليمت بها فاني اشفع لمن يموت بها وقال تعالى ان اول بيت وضع للناس للذي
ببكة الى قوله امنا قال بعض المفسرين امنا من النار وقيل كان يامن الطالب من احدث من
حدثا ولجا اليه في الجاهلية وهذا مثل قوله واذ جعلنا البيت مثابة للناس وامنا
على قول بعضهم وحكي ان قوما اتوا سعدون الخولاني بالمنستير فاعلموه ان كتامة
قتلوا رجلا واضرموا عليه النار طول الليل فلم تعمل فيه وبقي ابيض البدن فقال لعله
حج ثلاث حجج قالوا نعم قال حدثت ان من حج حجة ادى فرضه ومن حج ثانية داين
ربه ومن حج ثلاث حجج حرم الله شعره وبشره على النار ولما نظر رسول الله صلى الله
عليه وسلم الى الكعبة قال مرحبا بك من بيت ما اعظمك واعظم حرمتك وفي الحديث
عنه عليه السلام ما من احد يدعو الله عند الركن الاسود الا استجاب الله له وكذلك
عند الميزاب وعنه عليه السلام من صلى خلف المقام ركعتين غفر له ما تقدم من ذنبه وما
تاخر وحشر يوم القيمة من الامنين قرات على القاضي الحافظ رحمه الله حدثك ابي علي
ابو العباس العذري نا ابو اسامة محمد بن احمد بن محمد الهروي نا الحسن بن رشيق سمعنا ابا

الحسن محمد بن الحسن بن راشد سمعت ابا بكر محمد بن ادريس سمعت الحميدي سمعت سفين
ابن عيينة سمعت عمرو بن دينار سمعت ابن عباس يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول ما دعا احد بشيء في هذا الملتزم الا استجيب له قال ابن عباس وانا فما دعوت
الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم الا استجيب
لي وقال عمرو بن دينار وانا فما دعوت الله تعالى بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت
من رسول الله هذا من ابن عباس الا استجيب لي وقال سفين وانا فما دعوت الله بشيء في
هذا الملتزم منذ سمعت هذا من عمرو الا استجيب لي وقال الحميدي وانا فما دعوت
الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من سفين الا استجيب لي وقال محمد بن ادريس
وانا فما دعوت الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من الحميدي الا استجيب لي
وقال ابو الحسن محمد بن الحسن وانا فما دعوت الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا
من محمد بن ادريس الا استجيب لي قال ابو اسامة وما اذكر الحسن بن رشيق قال فيه شيئا
وانا فما دعوت الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من الحسن بن رشيق الا استجيب
لي من امر الدنيا وانا ارجو ان يستجاب لي من امر الاخرة قال العذري وانا فما دعوت
الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من اسامة الا استجيب لي قال ابو علي وانا
فقد دعوت الله فيه باشيا كثيرة استجيب لي بعضها وارجو من سعة فضله ان يستجيب
لي بقيتها قال القاضي ابو الفضل ذكرنا نبذا من هذه النكت في هذا الفصل وان
لم تكن من الباب لتعلقها بالفصل الذي قبله حرصا على تمام الفائدة والله الموفق
للصواب برحمته ∴

القسم الثالث

فيما يجب للنبي صلى الله
عليه وسلم وما يستحيل او يجوز عليه وما يمتنع او يصح من الامور البشرية ان يضاف
اليه ∴ قال الله تعالى وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل افاين مات الأحوال
او قتل الاية وقال ما المسيح بن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل وامه صديقة
كانا ياكلان الطعام وقال وما ارسلنا قبلك من المرسلين الا انهم لياكلون الطعام ويمشون
في الاسواق وقال قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي الاية فمحمد صلى الله عليه وسلم وساير

الانبيا من البشر ارسلوا الى البشر ولولا ذلك لما اطاق الناس مقاومتهم والقبول
عنهم ومخاطبتهم قال الله تعالى ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا اي لما كان الا
في صورة البشر الذين يمكنكم مخالطتهم اذ لا يطيقون مقاومة الملك ومخاطبته الذي
ورويته اذا كان على صورته وقال قل لو كان في الارض ملايكة يمشون مطمئنين لنزلنا
عليهم من السما ملكا رسولا اي لا يمكن في سنة الله ارسال الملك الا لمن هو من جنسه
او من خصه الله تعالى واصطفاه وقواه على مقاومته كالانبيا والرسل فالانبيا
والرسل وسايط بين الله وخلقه يبلغونهم اوامره ونواهيه ووعده ووعيده
ويعرفونهم بما لم يعلموه من امره وخلقه وجلاله وسلطانه وجبروته وملكوته
فظواهرهم واجسادهم وبنيتهم متصفة باوصاف البشر طارئ عليها ما يطرا
على البشر من الاعراض والاسقام والموت والفنا ونعوت الانسانية وارواحهم
وبواطنهم متصفة باعلى من اوصاف البشر متعلقة بالملا الاعلى متشبهة بصفات
الملايكة سليمة من التغير والافات لا يلحقها غالبا عجز البشرية ولا ضعف الانسانية
اذ لو كانت بواطنهم خالصة للبشرية كظواهرهم لما اطاقوا الاخذ عن الملايكة
ورويتهم ومخاطبتهم ومخالتهم كما لا يطيقه غيرهم من البشر ولو كانت اجسامهم بالنفس
وظواهرهم متسمة بنعوت الملايكة وبخلاف صفات البشر لما اطاق البشر ومن
ارسلوا اليه مخالطتهم كما تقدم من قول الله تعالى فجعلوا من جهة الاجسام والظواهر على
مع البشر ومن جهة الارواح والبواطن مع الملايكة كما قال عليه السلام لو كنت متخذا
من امتي خليلا لاتخذت ابا بكر خليلا ولكن اخوة الاسلام لكن صاحبكم خليل الرحمن
وكما قال تنام عيناي ولا ينام قلبي وقال اني لست كهيئتكم اني اظل يطعمني ربي
ويسقيني فبواطنهم منزهة عن الافات مطهرة من النقايص والاعتلالات وهذه
جملة لن تكتفي بمضمونها كل همة بل الاكثر تحتاج الى بسط وتفصيل على ما ناتي به بعد
هذا في البابين بعون الله وهو حسبي ونعم الوكيل ∴

الباب الاول

فيما
يختص بالامور الدينية والكلام في عصمة نبينا وساير الانبيا صلوات الله عليهم ∴

قال القاضي أبو الفضل رضي الله عنه اعلم ان الطواري من التغييرات والآفات
على آحاد البشر لا تخلو ان تطرأ على جسمه او على حواسه بغير قصد واختيار
كالامراض والاسقام او تطرأ بقصد واختيار وكله في الحقيقة عمل وفعل ولكن
جرى رسم المشايخ بتفصيله الى ثلاثة انواع عقد بالقلب وقول باللسان وعمل
بالجوارح وجميع البشر تطرأ عليهم الآفات والتغييرات بالاختيار وبغير الاختيار
في هذه الوجوه كلها والنبي صلى الله عليه وسلم وان كان من البشر ويجوز على جبلته ما
يجوز على جبلة البشر فقد قامت البراهين القاطعة وتمت كلمة الاجماع على خروجه
عنهم وتنزيهه عن كثير من الآفات التي تقع على الاختيار وعلى غير الاختيار كما سنبينه
ان شاء الله فيما نأتي به من التفاصيل.

فصل في حكم عقد قلب النبي من وقت نبوته. اعلم منحنا الله واياك توفيقه ان ما تعلق بطريق التوحيد والعلم بالله
وصفاته والايمان به وبما اوحي اليه فعلى غاية المعرفة ووضوح العلم واليقين والانتفاء
عن الجهل بشيء من ذلك او الشك او الريب فيه والعصمة من كل ما يضاد المعرفة
بذلك واليقين هذا ما وقع اجماع المسلمين عليه ولا يصح بالبراهين الواضحة ان
يكون في عقود الانبياء سواه ولا يعترض على هذا بقول ابرهيم عليه السلام قال
بلى ولكن ليطمئن قلبي اذ لم يشك ابرهيم في اخبار الله تعالى له باحياء الموتى ولكن
اراد طمانينة القلب وترك المنازعة لمشاهدة الاحياء فحصل له العلم الاول بوقوعه
واراد العلم الثاني بكيفيته ومشاهدته الوجه الثاني ان ابرهيم عليه السلام انما
اراد اختبار منزلته عند ربه وعلم اجابته دعوته بسؤال ذلك من ربه ويكون قوله
اولم تؤمن اي تصدق بمنزلتك مني وخلتك واصطفائك الوجه الثالث انه سال
زيادة يقين وقوة طمانينة وان لم يكن في الاول شك اذ العلوم الضرورية
والنظرية قد تتفاضل في قوتها وطريان الشكوك على الضروريات ممتنع ومجوز
في النظريات فاراد الانتقال من النظر والخبر الى المشاهدة والترقي من علم اليقين
الى عين اليقين فليس الخبر كالمعاينة ولهذا قال سهل ابن عبد الله سال كشف

غطاء العيان ليزداد بنور اليقين تمكنا في حاله الوجه الرابع انه لما احتج على
المشركين بان ربه يحيي ويميت طلب ذلك من ربه ليصح احتجاجه عيانا الوجه
الخامس قول بعضهم هو سؤال على طريق الادب المراد اقدرني على احياء الموتى وقوله
ليطمئن قلبي من هذه الامنية الوجه السادس انه ارى من نفسه الشك وما شك
لكن ليجاوب فيزداد قربة وقول نبينا عليه السلام نحن احق بالشك من ابرهيم نفي
لان يكون ابرهيم شك وابعاد للخواطر الضعيفة ان تظن هذا بابرهيم اي نحن موقنون
بالبعث واحياء الله الموتى فلو شك ابرهيم لكنا اولى بالشك منه اما على طريق الادب
او ان يريد امته الذين يجوز عليهم الشك او على طريق التواضع والاشفاق ان حملت قصة
ابرهيم على اختبار حاله او زيادة يقينه فان قلت فما معنى قوله فان كنت في شك
مما انزلنا اليك فاسأل الذين يقرؤون الكتاب من قبلك الآيتين فاحذر ثبت الله قلبك
ان يخطر ببالك ما ذكره فيه بعض المفسرين عن ابن عباس او غيره من اثبات شك للنبي
صلى الله عليه وسلم فيما اوحي اليه وانه من البشر فمثل هذا لا يجوز عليه جملة بل قد قال
ابن عباس لم يشك النبي ولم يسأل ونحوه عن ابن جبير والحسن وحكى قتادة ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال ما اشك ولا اسأل وعامة المفسرين على هذا واختلفوا في
معنى الآية فقيل المراد قل يا محمد للشاك ان كنت في شك الآية قالوا وفي السورة نفسها
ما دل على هذا التاويل قوله قل يا ايها الناس ان كنتم في شك من ديني الآية وقيل المراد
بالخطاب العرب وغير النبي صلى الله عليه وسلم كما قال لئن اشركت ليحبطن عملك الآية
الخطاب له والمراد غيره ومثله فلا تك في مرية مما يعبد هؤلاء ونظيره كثير قال
بكر بن العلاء الا تراه يقول ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله وهو عليه السلام كان
المكذب فيما يدعوا اليه فكيف يكون ممن كذب به فهذا كله يدل ان المراد بالخطاب
غيره ومثل هذه الآية قوله الرحمن فاسأل به خبيرا المأمور هاهنا غير النبي صلى الله
عليه وسلم ليسأل النبي والنبي عليه السلام هو الخبير المسؤول لا المستخبر السائل وقال
ان هذا الشك الذي امر غير النبي بسؤال الذين يقرؤون الكتاب انما هو فيما قصه من

أخبار الأمم لا بما دعا اليه من التوحيد والشريعة ومثل هذا قوله تعالى واسأل
من ارسلنا من قبلك من رسلنا الاية المراد به المشركون والخطاب مواجهة للنبي
صلى الله عليه وسلم قاله القتبي وقيل معناه سلنا عمن ارسلنا من قبلك فحذف
الخافض وتم الكلام ثم ابتدأ أجعلنا من دون الرحمن الى آخر الاية على طريق الانكار
اي ما جعلنا حكاه مكي وقيل امر النبي صلى الله عليه وسلم ان يسأل الانبياء ليلة الاسرا
عن ذلك فكان اشد يقينا من ان يحتاج الى السؤال فروي انه قال لا اسأل قد اكتفيت
قاله ابن زيد وقيل اسأل امم من ارسلنا هل جاؤهم بغير التوحيد وهو معنى قول مجاهد
والسدي والضحاك وقتادة والمراد بهذا والذي قبله اعلامه بما بعثت به الرسل
وانه تعالى لم يأذن في عبادة غيره لاحد ردا على مشركي العرب وغيرهم في قولهم انما
نعبدهم ليقربونا الى الله زلفى وكذلك قوله تعالى والذين آتيناهم الكتاب يعلمون انه منزل
من ربك بالحق فلا تكونن من الممترين اي في علمهم بانك رسول الله وان لم يقروا بذلك
وليس المراد به شكه فيما ذكر في اول الاية وقد يكون ايضا على مثل ما تقدم اي
قل يا محمد لمن امترى في ذلك لا تكونن من الممترين بدليل قوله اول الاية افغير الله ابتغي
حكما الاية وان النبي صلى الله عليه وسلم يخاطب بذلك غيره وقيل هو تقرير كقوله أأنت
قلت للناس اتخذوني وامي الهين وقد علم انه لم يقل وقيل معناه ما كنت في شك فسل
تزدد طمانينة وعلما الى علمك ويقينك وقيل ان كنت تشك فيما شرفناك وفضلناك
به فسلهم عن صفتك في الكتب ونشر فضائلك وحكي عن ابي عبيدة ان المراد ان كنت في
شك من غيرك فيما انزلنا فان قيل فما معنى قوله حتى اذا استيأس الرسل وظنوا انهم قد
كذبوا على قراءة التخفيف قلنا المعنى في ذلك ما قالته عائشة معاذ الله ان تظن ذلك
الرسل بربها وانما معنى ذلك ان الرسل لما استيأسوا ظنوا ان من وعدهم النصر من
اتباعهم كذبوهم وعلى هذا اكثر المفسرين وقيل ان الضمير في ظنوا عائد على الاتباع
والامم لا على الانبياء والرسل وهو قول ابن عباس والنخعي وابن جبير وجماعة من العلماء وبهذا
المعنى قرأ مجاهد كذبوا بالفتح فلا تشغل بالك من شاذ التفسير بسواه مما لا يليق بمنصب

العلماء فكيف بالانبياء وكذلك ما ورد في حديث السيرة ومبتدإ الوحي من قوله
لخديجة لقد خشيت على نفسي ليس معناه الشك فيما آتاه الله بعد رؤية الملك
ولكن لعله خشي ان لا تحتمل قوته مقاومة الملك واعباء الوحي فينخلع قلبه او تزهق
نفسه هذا على ما ورد في الصحيح انه قاله بعد لقائه الملك واعلام الله تعالى له بالنبوة
لاول ما عرضت عليه من العجائب وسلم عليه الحجر والشجر وبدأته المنامات والتباشير
كما روي في بعض طرق هذا الحديث ان ذلك كان اولا في المنام ثم اري في اليقظة مثل
ذلك تأنيسا له عليه السلام لئلا يفجأه الامر مشاهدة ومشافهة فلا يحتمله لاول
حاله بنية البشرية وفي الصحيح عن عائشة اول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه
وسلم من الوحي الرؤيا الصادقة قالت ثم حبب اليه الخلاء وقالت الى ان جاءه الحق
وهو في غار حراء الحديث وعن ابن عباس مكث النبي صلى الله عليه وسلم بمكة خمس عشرة
سنة يسمع الصوت ويرى الضوء سبع سنين ولا يرى شيئا وثماني سنين يوحى اليه
وقد روى ابن اسحق عن بعضهم ان النبي صلى الله عليه وسلم قال وذكر جواره بغار حراء
قال فجاءني وانا نائم فقال اقرأ فقلت ما اقرأ وذكر نحو حديث عائشة في غطه له واقرائه
اقرأ باسم ربك السورة قال فانصرف عني وهببت من نومي كانما صورت في قلبي ولم يكن
ابغض الي من شاعر او مجنون ثم قلت لا تحدث عني قريش بهذا ابدا لأعمدن الى حالق من
الجبل فلاطرحن نفسي منه فلاقتلنها فبينا انا عامد لذلك اذ سمعت مناديا من السماء
يا محمد انت رسول الله وانا جبريل فرفعت رأسي فاذا جبريل على صورة رجل وذكر الحديث
فقد بين في هذا ان قوله لما قال وقصده ما قصد انما كان قبل لقاء جبريل عليهما السلام
وقبل اعلام الله له بالنبوة واظهاره اصطفاءه له بالرسالة ومثله حديث عمرو
ابن شرحبيل انه عليه السلام قال لخديجة اني اذا خلوت وحدي سمعت نداء وقد
خشيت والله ان يكون هذا لامر ومن رواية حماد بن سلمة ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال لخديجة اني لاسمع صوتا واخشى ان يكون بي جنون وعلى هذا يتأول لو صح قوله في
بعض هذه الاحاديث ان الابعد شاعر او مجنون والفاظا يفهم منها معاني الشك

فى تصحيح ما رآه وانه كان ذلك فى ابتدا امره وقبل لقا الملك له واعلام الله انه رسوله
فليف وبعض هذه الالفاظ لا تصح طرقها واما بعد اعلام الله تعالى له ولقايه
الملك فلا يصح فيه ريب ولا يجوز عليه شك فيما القى اليه وقد روى ابن اسحق عن
شيوخه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يرقى بمكة من العين قبل ان ينزل عليه فلما
نزل عليه القران اصابه نحو ما كان يصيبه فقالت خديجة اوجه اليك من يرقيك قال
اما الآن فلا وحديث خديجة واختبارها امر جبريل بكشف راسها الحديث انما ذلك
فى حق خديجة لتتحقق صحة نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وان الذى ياتيه ملك
ويزول الشك عنها لا انها فعلت ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم وليختبر هو حاله بذلك
بل قد ورد فى حديث عبد الله بن يحيى بن عروة عن هشام عن ابيه عن عايشة ان ورقة
امر خديجة ان تختبر الامر بذلك وفى حديث اسمعيل بن ابى حكيم انها قالت لرسول الله
صلى الله عليه وسلم يا ابن عم هل تستطيع ان تخبرني بصاحبك اذا جاءك قال نعم فلما
جاء جبريل اخبرها فقالت له اجلس الى شقى وذكر الحديث الى اخره وفيه فقالت ما
هذا بشيطان هذا الملك يا ابن عم فاثبت وابشر وامنت به فهذا يدلك انها
مستثبتة بما فعلته لنفسها ومستظهرة لايمانها لا للنبى صلى الله عليه وسلم وقول
معمر فى فترة الوحى فحزن النبى صلى الله عليه وسلم فيما بلغنا حزنا غدا منه مرارا كى
يتردى من شواهق الجبال لا يقدح فى هذا الاصل لقول معمر عنه فيما بلغنا ولم يسنده
ولا ذكر رواته ولا من حدث به ولا ان النبى صلى الله عليه وسلم قاله ولا يعرف مثل
هذا الا من جهة النبى صلى الله عليه وسلم مع انه قد يحمل على انه كان اول الامر كما
ذكرناه او انه فعل ذلك لما احرجه من تكذيب من بلغه كما قال تعالى فلعلك باخع
نفسك على اثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث ويصح معنى هذا التاويل حديث
رواه شريك عن عبد الله عن جابر بن عبد الله ان المشركين لما اجتمعوا بدار الندوة
للتشاور فى شان النبى صلى الله عليه وسلم واتفق رايهم على ان يقولوا انه ساحر اشتد
ذلك عليه وتزمل فى ثيابه وتدثر فيها فاتاه جبريل فقال يا ايها المزمل يا ايها

المدثر او خاف ان الفترة لامر او سبب منه فخشى ان تكون عقوبة من ربه
ففعل ذلك بنفسه ولم يرد بعد شرع بالنهى عن ذلك فيعترض به ونحو هذا
فرار يونس عليه السلام خشية تكذيب قومه له لما وعدهم به من العذاب
وقول الله تعالى فى يونس فظن ان لن نقدر عليه معناه ان لن نضيق
عليه قال مكى طمع فى رحمة الله وان لا يضيق عليه مسلكه فى خروجه وقيل
حسن ظنه بمولاه انه لا يقضى عليه العقوبة وقيل نقدر عليه ما اصابه وقد
قرئ نقدر عليه بالتشديد وقيل نواخذه بغضبه وذهابه وقال ابن زيد معناه
افظن ان لن نقدر عليه على الاستفهام ولا يليق ان يظن بنبى ان يجهل صفة من صفات
ربه وكذلك قوله اذ ذهب مغاضبا الصحيح مغاضبا لقومه لكفرهم وهو قول
ابن عباس والضحاك وغيرهما لا لربه اذ مغاضبة الله معاداة له ومعاداة
الله كفر لا يليق بالمومنين فكيف بالانبيا وقيل مستحييا من قومه ان يسموه بالكذب
او يقتلوه كما ورد فى الخبر وقيل مغاضبا لبعض الملوك فيما امره به من التوجه الى
امر امره الله به على لسان نبى اخر فقال له يونس غيرى اقوى عليه منى فعزم عليه
فخرج لذلك مغاضبا وقد روى عن ابن عباس ان ارسال يونس ونبوته انما كان
بعد ان نبذه الحوت واستدل من الاية بقوله فنبذناه بالعرا وهو سقيم وانبتنا
عليه شجرة من يقطين وارسلناه ويستدل ايضا بقوله ولا تكن كصاحب الحوت وذكر
القصة ثم قال فاجتباه ربه فجعله من الصالحين فتكون هذه القصة اذا قبل نبوته
فان قيل فما معنى قوله عليه السلام انه ليغان على قلبى فاستغفر الله كل يوم ماية مرة
وفى طريق فى اليوم اكثر من سبعين مرة فاحذر ان يقع ببالك ان يكون هذا الغين
وسوسة او ريبا وقع فى قلبه عليه السلام بل اصل الغين فى هذا ما يتغشى القلب
ويغطيه قاله ابو عبيد واصله من غين السما وهو اطباق الغيم عليها وقال غيره الغين
شى يغشى القلب ولا يغطيه كل التغطية كالغيم الرقيق الذى يعرض فى الهوا ولا يمنع
ضوء الشمس وكذلك لا يفهم من الحديث انه يغان على قلبه ماية مرة او اكثر من سبعين

في اليوم اذ ليس يقتضيه لفظه الذي ذكرناه وهو اكثر الروايات وانما هذا عدد
للاستغفار لا للغين فيكون المراد بهذا الغين اشارة الى غفلات قلبه وفترات نفسه
وسهوها عن مداومة الذكر ومشاهدة الحق بما كان صلى الله عليه وسلم دفع اليه
من مقاساة البشر وسياسة الامة ومعاناة الاهل ومقاومة الولي والعدو
ومصلحة النفس وكلفه من اعباء اداء الرسالة وحمل الامانة وهو في كل هذا في
طاعة ربه وعبادة خالقه ولكن لما كان صلى الله عليه وسلم ارفع الخلق عند الله مكانة
واعلاهم درجة واتمهم به معرفة وكانت حاله عند خلوص قلبه وخلو همته
وتفرده بربه واقباله بكليته عليه ومقامه هنالك ارفع حاليه راى عليه
السلام حال فترته عنها وشغله بسواها غضا من علي حاله وخفضا من رفيع مقامه
فاستغفر الله من ذلك هذا اولى وجوه الحديث واشهرها والى معنى ما اشرنا اليه مال
كثير من الناس وحام حوله فقارب ولم يرد وقد قربنا غامض معناه وكشفنا
للمستفيد محياه وهو مبني على جواز الفترات والغفلات والسهو في غير طريق البلاغ
على ما سياتي وذهبت طائفة من ارباب القلوب ومشيخة المتصوفة ممن قال بتنزيه
النبي صلى الله عليه وسلم عن هذا جملة واجله ان يجوز عليه في حال سهو او فترة الى ان
معنى الحديث ما يهم خاطره ويغم فكره من امر امته عليه السلام لاهتمامه بهم
وكثرة شفقته عليهم فيستغفر لهم قالوا وقد يكون الغين هاهنا على قلبه السكينة
التي تغشاه لقوله تعالى فانزل الله سكينته عليه ويكون استغفاره عليه السلام
عندها اظهارا للعبودية والافتقار وقال ابن عطا استغفاره وفعله هذا
تعريف للامة يحملهم على الاستغفار قال غيره ويستشعرون الحذر ولا يركنون
الى الامن وقد يحتمل ان تكون هذه الاغانة حالة خشية واعظام يغشى قلبه فيستغفر
حينئذ شكرا لله وملازمة لعبوديته كما قال في ملازمة العبادة افلا اكون عبدا
شكورا وعلى هذه الوجوه الاخيرة يحمل ما روي في بعض طرق هذا الحديث عنه عليه
السلام انه ليغان على قلبي في اليوم اكثر من سبعين مرة فاستغفر الله **فان قلت**

فما معنى قوله تعالى لمحمد عليه السلام ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين
وقوله لنوح عليه السلام فلا تسألن ما ليس لك به علم اني اعظك ان تكون من الجاهلين
فاعلم انه لا يلتفت في ذلك الى قول من قال في اية نبينا عليه السلام لا تكونن ممن يجهل ان الله
لو شاء لجمعهم على الهدى وفي اية نوح لا تكونن ممن يجهل ان وعد الله حق لقوله وان وعدك لا تكونن
الحق اذ فيه اثبات الجهل بصفة من صفات الله وذلك لا يجوز على الانبياء والمقصود
وعظهم ان لا يتشبهوا في امورهم بسمات الجاهلين كما قال اني اعظك وليس في اية منها
دليل على كونهم على تلك الصفة التي نهاهم عن الكون عليها فكيف واية نوح قبلها فلا
تسألن ما ليس لك به علم فحمل ما بعدها على ما قبلها اولى لان مثل هذا قد يحتاج الى ابتداء
اذن وقد تجوز اباحة السؤال فيه فنهاه الله ان يسأله عما طوى عنه علمه واكنه من غيبه
من السبب الموجب لهلاك ابنه ثم اكمل الله نعمته عليه باعلامه ذلك بقوله انه ليس من أهلك
انه عمل غير صالح حكى معناه مكي كذلك امر نبينا في الاية الاخرى بالتزام الصبر على اعراض
قومه ولا يحرج عند ذلك فيقارب حال الجاهل بشدة التحسر حكاه ابو بكر بن فورك
وقيل معنى الخطاب لامة محمد اي فلا تكونوا من الجاهلين حكاه ابو محمد مكي وقال مثله في
القرآن كثير فبهذا الفصل وجب القول بعصمة الانبياء منه بعد النبوة قطعا **فان قلت**
فاذا قررت عصمتهم من هذا وانه لا يجوز عليهم شيء من ذلك فما معنى اذا وعيد الله لنبينا
عليه السلام على ذلك ان فعله وتحذيره منه لقوله لئن اشركت ليحبطن عملك الاية وقوله
ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك الاية وقوله اذا لاذقناك ضعف الحياة
الاية وقوله لاخذنا منه باليمين وقوله وان تطع اكثر من في الارض يضلوك عن سبيل الله
وقوله فان يشا الله يختم على قلبك وقوله وان لم تفعل فما بلغت رسالاته وقوله اتق الله
ولا تطع الكافرين والمنافقين فاعلم وفقنا الله واياك انه عليه السلام لا يصح ولا يجوز
عليه ان لا يبلغ وان يخالف امر ربه ولا ان يشرك ولا ان يتقول على الله ما لا يجب او يفتري عليه
او يضل او يختم على قلبه او يطيع الكافرين لكن الله امره بالمكاشفة والبيان في البلاغ
للمخالفين وان ابلاغه ان لم يكن بهذه السبيل فكانه ما بلغ وطيب نفسه وقوى قلبه بقوله انه

والله يعصمك من الناس كما قال لموسى وهرون لا تخافا ليشتد بصايرهم في الابلاغ واظهار
دين الله ويذهب عنهم خوف العدو المضعف للنفس واما قوله ولو تقول علينا بعض
الاقاويل الاية وقوله اذا لاذقناك ضعف الحياة فمعناه ان هذا جزاء من نعل
هذا وجزاؤك لو كنت ممن يفعله ولذلك قوله وان تطع اكثر من في الارض فالمراد غيره
كما قال ان تطيعوا الذين كفروا الاية وقوله فان يشا الله يختم على قلبك ولين اشركت
ليحبطن عملك وما اشبهه فالمراد غيره وان هذه حال من اشرك والنبي صلى الله عليه وسلم
لا يجوز عليه هذا وقوله اتق الله ولا تطع الكافرين فليس فيه انه اطاعهم والله ينهاه
عما يشا ويامره بما يشا كما قال ولا تطرد الذين يدعون ربهم الاية وما كان طردهم عليه
السلام ولا كان من الظالمين **فصل** واما عصمتهم من هذا الفن قبل النبوة فللناس
فيه خلاف والصواب انهم معصومون قبل النبوة من الجهل بالله وصفاته والتشكك
في شي من ذلك وقد تعاضدت الاخبار والاثار بتنزيههم عن هذه النقيصة منذ
ولدوا ونشاتهم على التوحيد والايمان بل على اشراق انوار المعارف ونفحات الطاف
السعادة كما نبهنا عليه في الباب الثاني من القسم الاول من كتابنا هذا ولم ينقل احد من
اهل الاخبار ان احدا نبي واصطفي ممن عرف بكفر واشراك قبل ذلك ومستند هذا
الباب النقل وقد استدل بعضهم بان القلوب تنفر عمن كانت هذه سبيله وانا اقول
ان قريشا قد رمت نبينا بكل ما افترته وعير كفار الامم انبياها بكل ما امكنها
واختلقته مما نص الله عليه او نقلته الينا الرواة ولم نجد في شي من ذلك تعييرا
لواحد منهم برفضه الهته وتقريعه بذمه بترك ما كان قد جامعهم عليه ولو كان
هذا لكانوا بذلك مبادرين وبتلونه في معبوده محتجين ولكان توبيخهم له بنهيهم
عما كان يعبد قبل افظع واقطع في الحجة من توبيخه بنهيهم عن تركهم الهتهم وما كان يعبد
اباؤهم من قبل ففي اطباقهم على الاعراض عنه دليل على انهم لم يجدوا سبيلا اليه اذ لو كان
لنقل وكما سكتوا عنه كما لم يسكتوا عن تحويل القبلة وقالوا ما ولاهم عن قبلتهم التي
كانوا عليها كما حكاه الله عنهم وقد استدل القاضي القشيري على تنزيههم عن هذا

بقوله تعالى واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك الاية وبقوله واذ اخذ الله
ميثاق النبيين الى قوله لتؤمنن به ولتنصرنه قال فطهره في الميثاق وبعيد ان ياخذ منه الميثاق قبل خلقه
ثم ياخذ ميثاق النبيين بالايمان به ونصره
قبل مولده بدهور ويجوز عليه الشرك او غيره من الذنوب هذا ما لا يجوزه الا
ملحد هذا معنى كلامه وكيف يكون ذلك وقد اتاه جبريل وشق قلبه صغيرا واستخرج
منه علقة وقال هذا حظ الشيطان منك ثم غسله وملاه حكمة وايمانا كما
تظاهرت به اخبار المبدا ولا يشتبه عليك بقول ابرهيم في الكوكب والقمر والشمس
هذا ربي فانه قد قيل كان هذا في سن الطفولية وابتدا الاستدلال وقبل لزوم
التكليف وذهب معظم الحذاق من العلما والمفسرين الى انه انما قال ذلك مبكتا
لقومه ومستدلا عليهم وقيل معناه الاستفهام الوارد مورد الانكار والمراد
افهذا ربي قال الزجاج قوله هذا ربي اي على قولكم كما قال اين شركاي اي عندكم
ويدل على انه لم يعبد شيا من ذلك ولا اشرك قط بالله طرفة عين قول الله
تعالى عنه اذ قال لابيه وقومه ما تعبدون ثم قال افرايتم ما كنتم تعبدون انتم
واباؤكم الاقدمون فانهم عدو لي الا رب العالمين وقال اذ جاء ربه بقلب سليم اي من
الشرك وقوله واجنبني وبني ان نعبد الاصنام **فان قلت** فما معنى قوله لين
لم يهدني ربي لاكونن من القوم الضالين قيل انه ان لم يؤيدني بمعونته اكن مثلكم
في ضلالتكم وعبادتكم على معنى الاشفاق والحذر والا فهو معصوم في الازل من
الضلال فان قلت فما معنى قوله وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من ارضنا
او لتعودن في ملتنا ثم قال بعد عن الرسل قد افترينا على الله كذبا ان عدنا في
ملتكم بعد اذ نجانا الله منها فلا يشكل عليك لفظة العود وانها تقتضي انهم انما
يعودون الى ما كانوا فيه من ملتهم فقد تاتي هذه اللفظة في كلام العرب لغير ما ليس
له ابتدا بمعنى الصيرورة كما جا في حديث الجهنميين عادوا حمما ولم يكونوا قبل
كذلك ومثله قول الشاعر فعادا بعد ابوالا وماكانا قبل ذلك **فان قلت**

فما معنى قوله ووجدك ضالا فهدى فليس هو من الضلال الذي هو الكفر قيل ضالا
عن النبوة فهداك اليها قاله الطبري وقيل وجدك بين اهل الضلال فعصمك من
ذلك وهداك للايمان والى ارشادهم ونحوه عن السدي وغير واحد وقيل
ضالا عن شريعتك اي لا تعرفها فهداك اليها والضلال ههنا التحير ولهذا كان عليه
السلام يخلو بغار حرا في طلب ما يتوجه به الى ربه ويتشرع به حتى هداه الله الى
الاسلام قال معناه القشيري وقيل لا تعرف الحق فهداك اليه وهذا مثل قوله وعلمك
ما لم تكن تعلم قاله علي بن عيسى قال ابن عباس لم تكن له ضلالة معصية وقيل هدى اي
بين امرك بالبراهين وقيل وجدك ضالا بين مكة والمدينة فهداك الى المدينة وقيل
المعنى وجدك فهدى بك ضالا وعن جعفر بن محمد ووجدك ضالا عن محبتي لك في الازل
اي لا تعرفها فمننت عليك بمعرفتي وقرا الحسن بن علي ووجدك ضال فهدى اي اهتدى
بك وقال ابن عطا ووجدك ضالا اي محبا لمعرفتي والضال المحب كما قال انك لفي ضلالك
القديم اي محبتك القديمة ولم يريدوا ها هنا في الدين اذ لو قالوا ذلك في نبي الله لكفروا
ومثله عند هذا قوله انا لنراها في ضلال مبين اي محبة بينة وقال الجنيد ووجدك
متحيرا في بيان ما انزل اليك فهداك لبيانه لقوله وانزلنا اليك الذكر الاية وقيل وجدك
لم يعرفك احد بالنبوة حتى اظهرك فهدى بك السعدا ولا اعلم احدا قال من المفسرين
فيها ضالا عن الايمان وكذلك في قصة موسى عليه السلام قوله فعلتها اذا وانا من
الضالين اي من المخطئين الفاعلين شيئا بغير قصد قاله ابن عرفة وقال الازهري
معناه من الناسين وقد قيل ذلك في قوله ووجدك ضالا فهدى اي ناسيا كما قال
تعالى ان تضل احداهما **وان قلت** ما معنى قوله ما كنت تدري ما الكتاب ولا
الايمان فالجواب ان السمرقندي قال معناه ما كنت تدري قبل الوحي ان تقرا القران ولا
كيف تدعو الخلق الى الايمان وقال بكر القاضي نحوه قال ولا الايمان الذي هو الفرايض
والاحكام قال فكان قبل مومنا بتوحيده ثم نزلت الفرايض التي لم يكن يدريها قبل
فزاد بالتكليف ايمانا وكذلك الحديث الذي يرويه عثمن بن ابي شيبة بسنده عن جابر

ان النبي صلى الله عليه وسلم كان قد يشهد مع المشركين مشاهدهم فسمع ملكين
خلفه احدهما يقول لصاحبه اذهب حتى تقوم خلفه فقال الاخر كيف اقوم خلفه
وعهده باستلام الاصنام فلم يشهدهم بعد فهذا حديث انكره احمد بن حنبل
جدا وقال هذا موضوع او شبيه بالموضوع وقال الدارقطني يقال ان عثمن
وهم في اسناده والحديث بالجملة منكر غير متفق على اسناده فلا يلتفت اليه
والمعروف عن النبي صلى الله عليه وسلم خلافه عند اهل العلم من قوله بغضت الي الاصنام
وقوله في قصة بحيرا حين استحلف النبي صلى الله عليه وسلم باللات والعزى اذ
لقيه بالشام في سفرته مع عمه ابي طالب وهو صبي وراى فيه علامات النبوة فاختبره
بذلك فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لا تسلني بهما فوالله ما ابغضت شيا قط
بغضهما فقال له بحيرا فبالله الا ما اخبرتني عما اسلك عنه فقال سل عما بدا
لك وكذلك المعروف من سيرته عليه السلام وتوفيق الله له انه كان قبل نبوته يخالف
المشركين في وقوفهم بمزدلفة في الحج فكان يقف هو بعرفة لانه كان موقف
ابرهيم عليه السلام

فصل

قال القاضي ابو الفضل رضي الله عنه قد بان
مما قدمنا عقود الانبيا في التوحيد والايمان والوحي وعصمتهم في ذلك على ما بيناه
فاما ما عدا هذا الباب من عقود قلوبهم فجماعها انها مملوة علما ويقينا على
الجملة وانها قد احتوت من المعرفة والعلم بامور الدين والدنيا ما لا شي فوقه
ومن طالع الاخبار واعتنى بالحديث وتامل ما قلناه وجده وقد قدمنا منه في
حق نبينا في الباب الرابع اول قسم من هذا الكتاب ما ينبه على ما وراه الا ان
احوالهم في هذه المعارف تختلف فاما ما تعلق منها بامر الدنيا فلا يشترط في حق
الانبيا العصمة من عدم معرفة الانبيا ببعضها او اعتقادها على خلاف ما هي عليه
ولا وصم عليهم فيه اذ هممهم متعلقة بالاخرة وانبايها وامر الشريعة وقوانينها
وامور الدنيا تضادها بخلاف غيرهم من اهل الدنيا الذين يعلمون ظاهرا من الحياة
الدنيا وهم عن الاخرة هم غافلون كما سنبين هذا في الباب الثاني ان شا الله ولكنه لا يقال

انهم لا يعلمون شيا من امر الدنيا فان ذلك يودي الى الغفله والبله وهم المنزهون
عنه بل قد ارسلوا الى اهل الدنيا وقلدوا سياستهم وهدايتهم والنظر في
مصالح دينهم ودنياهم وهذا لا يكون مع عدم العلم بامور الدنيا بالكليه واحوال
الانبيا وسيرهم في هذا الباب معلومه ومعرفتهم بذلك كله مشهورة واما
ان كان هذا العقد مما يتعلق بالدين فلا يصح من النبي الا العلم به ولا يجوز عليه جهله
جملة لانه لا يخلو ان يكون حصل عنده ذلك عن وحي من الله فهو ما لا يصح الشك
منه فيه على ما قدمناه فكيف الجهل بل حصل له العلم اليقين او يكون فعل ذلك
باجتهاده فيما لم ينزل عليه فيه شي على القول بتجويز وقوع الاجتهاد منه في ذلك
على قول المحققين وعلى مقتضى حديث ام سلمة اني انما اقضي بينكم براي فيما لم ينزل
علي فيه خرجه الثقات وكقصة اسرى بدر والاذن للمتخلفين على راي بعضهم
فلا يكون ايضا ما يعتقده مما يثمره اجتهاده الا حقا وصحيحا هذا هو الحق الذي
لا يلتفت الى خلاف من خالف فيه لا على القول بتصويب المجتهدين الذي هو الحق
والصواب عندنا ولا على القول الاخر بان الحق في طرف واحد لعصمة النبي صلى الله عليه
وسلم من الخطا في الاجتهاد في الشرعيات ولان القول في تخطية المجتهدين انما هو بعد
استقرار الشرع ونظر النبي عليه السلام واجتهاده انما هو فيما لم ينزل عليه فيه شي
ولم يشرع له قبل هذا فيما عقد عليه صلى الله عليه وسلم قلبه واما ما لم يعقد
عليه قلبه من امر النوازل الشرعية فقد كان لا يعلم منها اولا الا ما علمه الله شيا
فشيا حتى استقر علم جملتها عنده اما بوحي من الله او اذن ان يشرع في ذلك ويحكم
بما اراه الله وقد كان ينتظر الوحي في كثير منها ولكنه لم يمت حتى استفرغ علم
جميعها عنده عليه السلام وتقررت معارفها لديه على التحقيق ورفع الشك والريب
وانتفاء الجهل وبالجملة فلا يصح منه الجهل بشي من تفاصيل الشرع الذي امر بالدعوة
اليه اذ لا تصح دعوته الى ما لا يعلمه واما ما تعلق بعقده من ملكوت السموات
والارض وخلق الله وتعيين اسمايه الحسنى واياته الكبرى وامور الاخرة واشراط

الساعة واحوال السعدا والاشقيا وعلم ما كان ويكون مما لم يعلمه الا بوحي
فعلى ما تقدم من انه معصوم فيه لا ياخذه فيما اعلم منه شك ولا ريب بل هو فيه
على غاية اليقين لكنه لا يشترط له العلم بجميع تفاصيل ذلك وان كان عنده من علم
ذلك ما ليس عند جميع البشر لقوله اني لا اعلم الا ما علمني ربي ولقوله ولا
خطر على قلب بشر ولا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين وقول موسى للخضر هل
اتبعك على ان تعلمني مما علمت رشدا وقوله صلى الله عليه وسلم اسالك باسمايك
الحسنى ما علمت منها وما لم اعلم وقوله اسالك بكل اسم سميت به نفسك او استاثرت
به في علم الغيب عندك وقد قال تعالى وفوق كل ذي علم عليم قال زيد بن اسلم وغيره حتى
ينتهي العلم الى الله تعالى وهذا ما لا خفا به اذ معلوماته تعالى لا يحاط بها ولا منتهى
لها هذا حكم عقد النبي في التوحيد والشرع والمعارف والامور الدينية

فصل

واعلم ان الامة مجمعة على عصمة النبي من الشيطان وكفايته منه لا في جسمه بانواع
الاذى ولا على خاطره بالوساوس وقد اخبرنا القاضي الحافظ ابو علي رحمه الله نا
ابو الفضل بن خيرون العدل نا ابو بكر البرقاني وغيره نا ابو الحسن الدارقطني نا اسمعيل
الصفار نا عباس الترقفي نا محمد بن يوسف نا سفين عن منصور عن سالم بن ابي
الجعد عن مسروق عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما منكم من احد الا وكل الله به قرينه من الجن وقرينه من الملايكة قالوا واياك
يا رسول الله قال واياي ولكن الله تعالى اعانني عليه فاسلم زاد غيره عن منصور
فلا يامرني الا بخير وعن عايشة بمعناه روي فاسلم بضم الميم اي فاسلم انا منه
وصحح بعضهم هذه الرواية ورجحها وروي فاسلم يعني القرين انه انتقل عن حال
كفره الى الاسلام فصار لا يامر الا بخير كالملك وهو ظاهر الحديث ورواه بعضهم
فاستسلم قال القاضي ابو الفضل رضي الله عنه فاذا كان هذا حكم شيطانه
وقرينه المسلط على بني ادم فكيف بمن بعد منه ولم يلزم صحبته ولا اقدر على
الدنو منه وقد جات الاثار بتصدي الشياطين له في غير موطن رغبة في اطفا نوره

وإماتة نفسه وإدخال شغل عليه إذ يئسوا من إغوائه فانقلبوا خاسرين
كتعرضه له في صلاته فأخذه النبي صلى الله عليه وسلم وأسره ففي الصحاح قال
أبو هريرة عنه عليه السلام إن الشيطان عرض لي قال عبد الرزاق في صورة هر فشد
علي يقطع علي الصلاة فأمكنني الله منه فذعته ولقد هممت أن أوثقه إلى سارية
حتى تصبحوا تنظرون إليه فذكرت قول أخي سليمن رب اغفر لي وهب لي ملكا الآية فرده
الله خاسئا وفي حديث أبي الدرداء عنه عليه السلام إن عدو الله إبليس جاءني بشهاب
من نار ليجعله في وجهي والنبي صلى الله عليه وسلم في الصلاة وذكر تعوذه بالله منه
ولعنه له ثم أردت أخذه وذكر نحوه وقال لأصبح موثقا يتلاعب به ولدان أهل المدينة
وكذلك في حديث الإسراء وطلب عفريت له بشعلة نار فعلمه جبريل ما يتعوذ به منه
ذكره في الموطأ ولما لم يقدر على أذاه بمباشرته تسبب بالتوسط إلى عداه كقضيته
مع قريش في الائتمار بقتل النبي صلى الله عليه وسلم وتصوره في صورة الشيخ النجدي
ومرة أخرى في غزوة يوم بدر في صورة سراقة بن مالك وهو قوله تعالى وإذ
زين لهم الشيطان أعمالهم الآية ومرة ينذر بشأنه عند بيعة العقبة وكل هذا فقد
كفاه الله أمره وعصمه ضره وشره وقد قال عليه السلام إن عيسى عليه السلام
كفي من لمسه فجاء ليطعن بيده في خاصرته حين ولد فطعن في الحجاب وقال عليه السلام
حين لد في مرضه وقيل له خشينا أن تكون بك ذات الجنب فقال إنها من الشيطان
ولم يكن الله ليسلطه علي **فإن قيل** فما معنى قوله تعالى وإما ينزغنك من الشيطان
نزغ فاستعذ بالله الآية فقد قال بعض المفسرين إنها راجعة إلى قوله وأعرض عن الجاهلين
ثم قال وإما ينزغنك من الشيطان نزغ أي يستخفنك غضب يحملك على ترك الإعراض
عنهم فاستعذ بالله وقيل النزغ هنا الفساد كما قال تعالى من بعد أن نزغ الشيطان
بيني وبين إخوتي وقيل ينزغنك يغرينك ويحركنك والنزغ أدنى الوسوسة فأمره
الله تعالى أنه متى تحرك عليه غضب على عدوه أو رام الشيطان من إغرائه به وخواطر
أدنى وساوسه ما لم يجعل له سبيل إليه أن يستعيذ منه فيكفى أمره ويكون سبب

تمام عصمته إذ لم يسلط عليه بأكثر من التعرض له ولم يجعل قدرة عليه وقد قيل
في هذه الآية غير هذا وكذلك لا يصح أن يتصور له الشيطان في صورة الملك
ويلبس عليه لا في أول الرسالة ولا بعدها والاعتماد في ذلك دليل المعجزة بل لا يشك
النبي أن ما يأتيه من الله الملك ورسوله حقيقة إما بعلم ضروري يخلقه الله له
أو ببرهان يظهره لديه لتتم كلمة ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته **فإن قيل** فما معنى قوله وما
أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته الآية فاعلم
أن للناس في معنى هذه الآية أقاويل منها السهل والوعث والسمين والغث وأولى
ما يقال فيها ما عليه الجمهور من المفسرين أن التمني هاهنا التلاوة وإلقاء الشيطان
فيها إشغاله بخواطر وأذكار من أمور الدنيا للتالي حتى يدخل عليه الوهم والنسيان
فيما تلاه أو يدخل غير ذلك على أفهام السامعين من التحريف وسوء التأويل ما يزيله
الله وينسخه ويكشف لبسه ويحكم الله آياته وسيأتي الكلام على هذه الآية بعد
بأشبع من هذا إن شاء الله وقد حكى السمرقندي إنكار قول من قال بتسلط الشيطان
على ملك سليمن وغلبته عليه وأن مثل هذا لا يصح وقد ذكرنا قصة سليمن مبينة
بعد هذا ومن قال إن الجسد هو الولد الذي ولد له وقال أبو محمد مكي في قصة أيوب
وقوله أني مسني الشيطان بنصب وعذاب إنه لا يجوز لأحد أن يتأول أن الشيطان هو
الذي أمرضه وألقى الضر في بدنه ولا يكون ذلك إلا بفعل الله وأمره ليبتليهم
ويثيبهم قال مكي وقيل إن الذي أصابه الشيطان ما وسوس به إلى أهله **فإن قلت**
فما معنى قوله تعالى عن يوشع وما أنسانيه إلا الشيطان وقوله عن يوسف فأنساه
الشيطان ذكر ربه وقول نبينا عليه السلام حين نام عن الصلاة يوم الوادي إن
هذا واد به شيطان وقول موسى عليه السلام في وكزته هذا من عمل الشيطان فاعلم
أن هذا الكلام قد يرد في جميع هذا على مورد مستمر كلام العرب في وصفهم كل قبيح من
شخص أو فعل بالشيطان أو فعله كما قال تعالى كأنه رؤوس الشياطين وقال صلى الله
عليه وسلم فليقاتله فإنما هو شيطان وأيضا فإن قول يوشع لا يلزمنا الجواب

عنه اذ لم تثبت له في ذلك الوقت نبوة مع موسى قال الله تعالى واذ قال موسى
لفتاه والمروي انه انما نبئ بعد موت موسى وقيل قبيل موته وقول موسى كان
قبل نبوته بدليل القران وقصة يوسف قد ذكر انها كانت قبل نبوته وقد قال
المفسرون في قوله فانساه الشيطان ذكر ربه احد صاحبي السجن وربه الملك اي
انساه ان يذكر للملك شان يوسف عليه السلام وايضا فان مثل هذا من فعل الشيطان
ليس فيه تسلط على يوسف ويوشع بوساوس ونزغ وانما هو بشغل خواطرهما
بامور اخر وتذكيرهما من امورهما ما ينسيهما ما نسيا واما قوله عليه السلام
ان هذا واد به شيطان فليس فيه ذكر تسلطه عليه ولا وسوسته له بل ان كان
بمقتضى ظاهره فقد بين امر ذلك الشيطان بقوله ان الشيطان اتى بلالا فلم يزل
يهديه كما يهدى الصبي حتى نام فاعلم ان تسلط الشيطان في ذلك الوادي
انما كان على بلال الموكل بكلاءة الفجر هذا ان جعلنا قوله ان هذا واد به شيطان
تنبيها على سبب النوم عن الصلاة واما ان جعلناه تنبيها على سبب الرحيل عن الوادي
وعلة لترك الصلاة به وهو دليل مساق حديث زيد بن اسلم فلا اعتراض به في هذا
الباب لبيانه وارتفاع اشكاله **فصل** واما اقواله عليه السلام فقامت الدلائل
الواضحة بصحة المعجزة على صدقه واجمعت الامة فيما كان طريقه البلاغ انه
معصوم فيه من الاخبار عن شيء منها بخلاف ما هو به لا قصدا او عمدا ولا سهوا
او غلطا اما تعمد الخلف في ذلك فمنتف بدليل المعجزة القائمة مقام قول الله صدق عبدي
فيما قال اتفاقا وباطباق اهل الملة اجماعا واما وقوعه على جهة الغلط في ذلك
فبهذه السبيل عند الاستاذ ابي اسحق الاسفرايني ومن قال بقوله ومن جهة الاجماع
فقط وورود الشرع بانتفاء ذلك وعصمة النبي لا من مقتضى المعجزة نفسها عند
القاضي ابي بكر الباقلاني ومن وافقه لاختلاف بينهم في مقتضى دليل المعجزة لا نطول
بذكره فنخرج عن غرض الكتاب فلنعتمد على ما وقع عليه اجماع المسلمين انه لا يجوز عليه
خلف في القول في ابلاغ الشريعة والاعلام بما اخبر به عن ربه وما اوحاه اليه من وحيه

لى

لا على وجه العمد ولا على غير عمد ولا في حالي الرضا والسخط والصحة والمرض
وفي حديث عبد الله بن عمرو قلت يا رسول الله اكتب كل ما اسمع منك قال نعم قلت في
الرضى والغضب قال نعم فاني لا اقول في ذلك كله الا حقا ولنزد ما اشرنا اليه من
دليل المعجزة عليه بيانا فنقول اذا قامت المعجزة على صدقه وانه لا يقول الا حقا ولا
يبلغ عن الله الا صدقا وان المعجزة قائمة مقام قول الله له صدقت فيما تذكره عني
وهو يقول اني رسول الله اليكم لابلغكم ما ارسلت به اليكم وابين لكم ما نزل عليكم
وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى وقد جاءكم الرسول بالحق من ربكم وما اتاكم
الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا فلا يصح ان يوجد منه في هذا الباب خبر
بخلاف مخبره على اي وجه كان فلو جوزنا الغلط والسهو لما تميز لنا من غيره ولا اختلط
الحق بالباطل والمعجزة مشتملة على تصديقه جملة واحدة من غير خصوص فتنزيه
النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك كله واجب برهانا واجماعا كما قاله ابو اسحق الاسفرايني
فصل وقد توجهت هاهنا لبعض الطاعنين سؤالات منها ما روي من ان
النبي صلى الله عليه وسلم لما قرا سورة والنجم وقال افرايتم اللات والعزى ومناة الثالثة
الاخرى قال تلك الغرانيق العلا وان شفاعتها لترتجى ويروى ترتضى وفي رواية
ان شفاعتها لترتجى وانها لمع الغرانيق العلى وفي اخرى والغرانقة العلى تلك الشفاعة
ترتجى فلما ختم السورة سجد وسجد معه المسلمون والكفار لما سمعوه اثنى على الهتهم وما
وقع في بعض الروايات ان الشيطان القاها على لسانه وان النبي عليه السلام كان تمنى ان لو
نزل عليه شيء يقارب بينه وبين قومه وفي رواية اخرى ان لا ينزل عليه شيء ينفرهم عنه
وذكر هذه القصة وان جبريل جاءه فعرض عليه السورة فلما بلغ الكلمتين قال له ما
جئتك بهاتين فحزن لذلك النبي صلى الله عليه وسلم فانزل الله تسلية له وما ارسلنا
من قبلك من رسول ولا نبي الاية وقوله وان كادوا ليفتنونك الاية فاعلم اكرمك
الله ان لنا في الكلام على مشكل هذا الحديث ماخذين احدهما في توهين اصله والثاني على
تسليمه اما الماخذ الاول فيكفيك ان هذا الحديث لم يخرجه احد من اهل الصحة ولا

رواه ثقة بسند سليم متصل وانما اولع به وبمثله المفسرون والمؤرخون
المولعون بكل غريب المتلقفون من الصحف كل صحيح وسقيم وصدق القاضي بكر بن
العلاء المالكي حيث قال لقد بلي الناس ببعض اهل الاهوا والتفسير وتعلق بذلك الملحدون
مع ضعف نقلته واضطراب رواياته وانقطاع إسناده واختلاف كلماته فقائل
يقول انه في الصلاة واخر يقول قالها في نادي قومه حين انزلت عليه السورة واخر
يقول قالها وقد اصابته سنة واخر يقول بل حدثت نفسه فسها واخر يقول ان
الشيطان قالها على لسانه وان النبي صلى الله عليه وسلم لما عرضها على جبريل قال ما هكذا
اقراتك واخر يقول بل اعلمهم الشيطان ان النبي صلى الله عليه وسلم قراها فلما بلغ النبي ذلك
قال والله ما هكذا انزلت الى غير ذلك من اختلاف الرواة ومن حكيت هذه الحكاية
عنه من المفسرين والتابعين لم يسندها احد منهم ولا رفعها الى صاحب واكثر الطرق
عنهم فيها ضعيفة واهية والمرفوع فيه حديث شعبة عن ابي بشر عن سعيد بن جبير
عن ابن عباس فيما احسب الشك في الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم كان بمكة وذكر
القصة قال ابو بكر البزار هذا الحديث لا نعلمه يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم باسناد
متصل يجوز ذكره الا هذا ولم يسنده عن شعبة الا امية بن خالد وغيره يرسله عن
سعيد بن جبير وانما يعرف عن الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس فقد بين لك ابو بكر
رحمه الله انه لا يعرف من طريق يجوز ذكره سوى هذا وفيه من الضعف ما نبه عليه
مع وقوع الشك فيه كما ذكرناه الذي لا يوثق به ولا حقيقة معه واما حديث الكلبي
فمما لا تجوز الرواية عنه ولا ذكره لقوة ضعفه وكذبه كما اشار اليه البزار رحمه
الله والذي منه في الصحيح ان النبي صلى الله عليه وسلم قرا والنجم وهو بمكة فسجد معه
المسلمون والمشركون والجن والانس هذا توهينه من طريق النقل واما من جهة المعنى
فقد قامت الحجة واجمعت الامة على عصمته صلى الله عليه وسلم ونزاهته عن مثل هذه
الرذيلة اما من تمنيه ان ينزل عليه مثل هذا من مدح الهة غير الله وهو كفر او ان يتسور
عليه الشيطان ويشبه عليه القران حتى يجعل فيه ما ليس منه ويعتقد النبي صلى الله

بعض

عليه وسلم ان من القران ما ليس منه حتى ينبهه جبريل عليه السلام وذلك كله ممتنع
في حقه عليه السلام او يقول ذلك النبي من قبل نفسه عمدا وذلك كفر او سهوا وهو
معصوم من هذا كله وقد قررنا بالبرهان والاجماع عصمته عليه السلام من جريان
الكفر على قلبه او لسانه لا عمدا ولا سهوا او ان يتشبه عليه ما يلقيه الملك مما
يلقي الشيطان او يكون للشيطان عليه سبيل او ان يتقول على الله لا عمدا ولا سهوا ما
لم ينزل عليه وقد قال تعالى ولو تقول علينا بعض الاقاويل الاية وقال اذا لاذقناك
ضعف الحياة وضعف الممات الاية ووجه ثان وهو استحالة هذه القصة نظرا وعرفا
وذلك ان هذا الكلام لو كان كما روي لكان بعيد الالتيام متناقض الاقسام ممتزج المدح
بالذم متخاذل التاليف والنظم ولما كان النبي صلى الله عليه وسلم ولا من بحضرته من المسلمين
وصناديد المشركين ممن يخفى عليه ذلك وهذا لا يخفى على ادنى متامل فكيف بمن رجح حلمه
واتسع في باب البيان ومعرفة فصيح الكلام علمه ووجه ثالث انه قد علم من عادة
المنافقين ومعاندي المشركين وضعفة القلوب والجهلة من المسلمين نفورهم لاول وهلة
وتخليط العدو على النبي صلى الله عليه وسلم لاقل فتنة وتعييرهم المسلمين والشماتة
بهم الفينة بعد الفينة وارتداد من في قلبه مرض ممن اظهر الاسلام لادنى شبهة
ولم يحك احد في هذه القصة شيئا سوى هذه الرواية الضعيفة الاصل ولو كان
ذلك لوجدت قريش بها على المسلمين الصولة ولاقامت بها اليهود عليهم الحجة كما
فعلوا مكابرة في قصة الاسرا حتى كانت في ذلك لبعض الضعفا ردة وكذلك
ما روي في قصة القضية ولا فتنة اعظم من هذه البلية لو وجدت ولا تشغيب
للمعادي حينئذ اشد من هذه الحادثة لو امكنت فما روي عن معاند فيها كلمة ولا عن
مسلم بسببها بنت شفة فدل على بطلها واجتثاث اصلها ولا شك في ادخال بعض
شياطين الانس او الجن هذا الحديث على بعض مغفلي المحدثين ليلبس به على ضعفا المسلمين
ووجه رابع ذكر الرواة لهذه القضية ان فيها نزلت وان كادوا ليفتنونك الايتين وهاتان
الايتان تردان الخبر الذي رووه لان الله تعالى ذكر انهم كادوا يفتنونه حتى يفتري وانه

قال ح

والشماتة

لولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم فمضمون هذا ومفهومه أن الله عصمه من أن يفترى
وثبته حتى لم يركن إليهم قليلا فكيف كثيرا وهم يروون في أخبارهم الواهية أنه
زاد على الركون والافتراء بمدح آلهتهم وأنه قال عليه السلام افتريت على الله وقلت
ما لم يقل وهذا ضد مفهوم الآية وهي تضعف الحديث لو صح فكيف ولا صحة
له وهذا مثل قوله في الآية الأخرى ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمت طائفة منهم
أن يضلوك وما يضلون إلا أنفسهم وما يضرونك من شيء وقد روي عن ابن عباس كل
ما في القرآن كاد فهو ما لا يكون قال الله تعالى يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار ولم
يذهب وأكاد أخفيها ولم يفعل قال القشيري القاضي ولقد طالبه قريش وثقيف
إذ مر بآلهتهم أن يقبل بوجهه إليها ووعدوه الإيمان به إن فعل فما فعل ولا كان
ليفعل قال ابن الأنباري ما قارب الرسول ولا ركن وقد ذكرت في معنى الآية تفاسير
أخر ما ذكرنا من نص الله على عصمة رسوله يرد سفسافها فلم يبق في الآية إلا أن الله
امتن على رسوله بعصمته وتثبيته مما كاده به الكفار وراموا من فتنته
ومرادنا من ذلك تنزيهه وعصمته صلى الله عليه وسلم وهو مفهوم الآية وأما
المأخذ الثاني فهو مبني على تسليم الحديث لو صح وقد أعاذنا الله من صحته ولكن على
كل حال فقد أجاب عن ذلك أئمة المسلمين بأجوبة منها الغث والسمين فمنها ما
روى قتادة ومقاتل أن النبي صلى الله عليه وسلم أصابته سنة عند قراءته هذه السورة
فجرى هذا الكلام على لسانه بحكم النوم وهذا لا يصح إذ لا يجوز على النبي مثله
في حالة من أحواله ولا يخلقه الله على لسانه ولا يستولي الشيطان عليه في نوم ولا يقظة
لعصمته في هذا الباب من جميع العمد والسهو وفي قول الكلبي أن النبي صلى الله عليه
وسلم حدث نفسه فقال ذلك الشيطان على لسانه وفي رواية ابن شهاب عن أبي بكر بن
عبد الرحمن قال وسها فلما أخبر بذلك قال إنما ذلك من الشيطان وكل هذا لا يصح أن
يقوله عليه السلام لا سهوا ولا قصدا ولا يتقوله الشيطان على لسانه وقيل لعل النبي
صلى الله عليه وسلم قاله أثناء تلاوته على تقدير التقرير والتوبيخ للكفار كقول إبراهيم

ولم يذهبها صح

إبراهيم هذا ربي على أحد التأويلات وكقوله بل فعله كبيرهم هذا بعد السكت
وبيان الفصل بين الكلامين ثم رجع إلى تلاوته وهذا ممكن مع بيان الفصل وقرينة
تدل على المراد وأنه ليس من المتلو وهو أحد ما ذكره القاضي أبو بكر ولا يعترض في هذا
بما روي أنه كان في الصلاة فقد كان الكلام قبل فيها غير ممنوع والذي يظهر ويترجح
في تأويله عنده وعند غيره من المحققين على تسليمه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان كما
أمره ربه يرتل القرآن ترتيلا ويفصل الآي تفصيلا في قراءته كما رواه الثقات عنه
فيمكن ترصد الشيطان لتلك السكتات ودسه فيها ما اختلقه من تلك الكلمات محاكيا
نغمة النبي صلى الله عليه وسلم بحيث يسمعه من دنا إليه من الكفار فظنوها من قول النبي
صلى الله عليه وسلم وأشاعوها ولم يقدح ذلك عند المسلمين لحفظ السورة قبل ذلك
على ما أنزلها الله وتحققهم من حال النبي في ذم الأوثان وعيبها ما عرف منه ويكون ما
روي من حزن النبي صلى الله عليه وسلم لهذه الإشاعة والشبهة وسبب هذه الفتنة
وقد قال الله تعالى وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الآية فمعنى تمنى تلا قال الله
تعالى لا يعلمون الكتاب إلا أماني أي تلاوة وقوله فينسخ الله ما يلقي الشيطان أي يذهبه
ويزيل اللبس به ويحكم آياته وقيل معنى الآية هو ما يقع للنبي صلى الله عليه وسلم من السهو إذا
قرأ فينتبه لذلك ويرجع عنه وهذا نحو قول الكلبي في الآية أنه حدث نفسه وقال
إذا تمنى أي حدث نفسه وفي رواية أبي بكر بن عبد الرحمن نحوه وهذا السهو في القراءة إنما
يصح فيما ليس طريقه تغيير المعاني وتبديل الألفاظ وزيادة ما ليس من القرآن بل السهو
عن إسقاط آية منه أو كلمة ولكنه لا يقر على هذا السهو بل ينبه عليه ويذكر به
للحين على ما سنذكره في حكم ما يجوز عليه من السهو وما لا يجوز ومما يظهر في تأويله
أيضا أن مجاهدا روى هذه القصة والغرانقة العلى فإن سلمنا القصة قلنا لا يبعد أن
هذا كان قرآنا والمراد بالغرانقة العلى وإن شفاعتهن لترتجى الملائكة على هذه الرواية وبهذا
فسر الكلبي الغرانقة أنها الملائكة وذلك أن الكفار كانوا يعتقدون الأوثان والملائكة
بنات الله كما حكى الله عنهم ورد عليهم في هذه السورة بقوله ألكم الذكر وله الأنثى فأنكر

صوابه موسى

خ ومن حكى محمد بن عقبة في مغازيه نحو هذا وقال إن المسلمين لم يسمعوها وإنما ألقى الشيطان ذلك في أسماع المشركين وقلوبهم

خ أن

الله كل هذا من قولهم ورجا الشفاعة من الملايكة صحيح فلما تاوله المشركون
على ان المراد بهذا الذكر الهتهم ولبس عليهم الشيطان ذلك وزينه في قلوبهم والقاه
اليهم نسخ الله ما القى الشيطان واحكم اياته ورفع تلاوة تلك اللفظتين اللتين
وجد الشيطان بهما سبيلا للتلبيس كما نسخ كثير من القران ورفعت تلاوته وكان في
انزال الله تعالى لذلك حكمة ليضل به من يشا ويهدي من يشا وما يضل به الا الفاسقين
وليجعل ما يلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم وان الظالمين
لفي شقاق بعيد وليعلم الذين اوتوا العلم انه الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت له
قلوبهم الاية وقيل ان النبي صلى الله عليه وسلم لما قرا هذه السورة وبلغ ذكر اللات
والعزى ومناة الثالثة الاخرى خاف الكفار ان ياتي بشي من ذمها فسبقوا الى مدحها
بتلك الكلمتين ليخلطوا في تلاوة النبي صلى الله عليه وسلم ويشنعوا عليه على عادتهم
وقولهم لا تسمعوا لهذا القران والغوا فيه لعلكم تغلبون ونسب هذا الفعل الى الشيطان
لحمله لهم عليه واشاعوا ذلك واذاعوه وان النبي صلى الله عليه وسلم قاله فحزن لذلك
من كذبهم وافترايهم عليه فسلاه الله بقوله وما ارسلنا من قبلك الاية وبين للناس
الحق من ذلك من الباطل وحفظ القران واحكم اياته ودفع ما لبس به العدو كما ضمنه
تعالى من قوله انا نحن نزلنا الذكر الاية ومن ذلك ما روي من قصة يونس عليه السلام
انه وعد قومه العذاب عن ربه فلما تابوا كشف عنهم العذاب فقال لا ارجع اليهم
كذابا ابدا فذهب مغاضبا فاعلم اكرمك الله ان ليس في خبر من الاخبار الوارده
في هذا الباب ان يونس قال لهم ان الله مهلككم وانما فيه انه دعا عليهم بالهلاك
والدعا ليس بخبر يطلب صدقه من كذبه لكنه قال لهم ان العذاب مصبحكم وقت
كذا وكذا فكان ذلك كما قال ثم رفع الله عنهم العذاب وتداركهم قال الله تعالى الا
قوم يونس لما امنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي الاية وروي في الاخبار انهم راوا دلايل
العذاب ومخايله قاله ابن مسعود وقال سعيد بن جبير غشاهم العذاب كما يغشى الثوب
القبر فان قلت فما معنى ما روي من ان عبد الله بن ابي سرح كان يكتب لرسول الله صلى الله

عليه وسلم ثم ارتد مشركا وصار الى قريش فقال لهم اني كنت اصرف محمدا حيث اريد
كان يملي علي عزيز حكيم فاقول او عليم حليم فيقول نعم كل صواب وفي حديث اخر فيقول
له النبي صلى الله عليه وسلم اكتب كذا فيقول اكتب كذا فيقول اكتب كيف شيت
ويقول اكتب عليما حكيما فيقول اكتب سميعا بصيرا فيقول له اكتب كيف شيت وفي
الصحيح عن انس ان نصرانيا كان يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم بعد ما اسلم ثم ارتد وكان
يقول ما يدري محمد الا ما كتبت له فاعلم ثبتنا الله واياك على الحق ولا جعل للشيطان
وتلبيسه الحق بالباطل الينا سبيلا ان مثل هذه الحكاية اولا لا توقع في قلب مومن ريبا
اذ هي حكاية عمن ارتد وكفر بالله ونحن لا نقبل خبر المسلم المتهم فكيف بكافر
افترى هو ومثله على الله ورسله بما هو اعظم من هذا والعجب لسليم العقل يشغل
بمثل هذه الحكاية سره وقد صدرت من كافر عدو مبغض للدين مفتر على الله ورسوله
ولم يرد عن احد من المسلمين ولا ذكر احد من الصحابة انه شاهد ما قاله وافتراه على
نبي الله وانما يفتري الكذب الذين لا يومنون بايات الله واوليك هم الكاذبون
ولو كانت صحيحة لما كان فيها قدح ولا توهيم للنبي صلى الله عليه وسلم فيما اوحي
اليه ولا جواز للنسيان والغلط عليه والتحريف فيما بلغه ولا طعن في نظم القران
وانه من عند الله اذ ليس فيه لو صح اكثر من ان الكاتب قال له عليم حكيم او كتبه
فقال له النبي صلى الله عليه وسلم كذلك هو فسبقه لسانه او قلمه لكلمة او كلمتين
مما نزل على الرسول قبل اظهار الرسول لها اذ كان ما تقدم مما املاه الرسول يدل عليها
ويقتضي وقوعها بقوة قدرة الكاتب على الكلام ومعرفته به وجودة حسه وفطنته
كما يتفق ذلك للعارف اذا سمع البيت ان يسبق الى قافيته او مبتدا الكلام الحسن الى ما
يتم به ولا يتفق ذلك في جملة الكلام كما لا يتفق ذلك في اية ولا سورة وكذلك قوله
عليه السلام ان صح كل صواب فقد يكون هذا فيما كان من مقاطع الاي وجهان وقرايتان
انزلتا جميعا على النبي صلى الله عليه وسلم فاملى احداهما وتوصل الكاتب بفطنته ومعرفته
بمقتضى الكلام الى الاخرى فذكرها للنبي كما قدمناه فصوبها له النبي صلى الله عليه وسلم

ثم احكم الله من ذلك ما احكم ونسخ ما نسخ كما قد وجد ذلك في بعض مقاطع الاي
مثل قوله ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم وهذه
قراءة الجمهور وقد قرأ جماعة فانك انت الغفور الرحيم وليست من المصحف
وكذلك كلمات جاءت على وجهين في غير المقاطع قرأ بهما معا الجمهور وثبتتا
في المصحف مثل وانظر الى العظام كيف ننشرها وننشزها ويقص الحق ويقض الحق
وكل هذا لا يوجب ريبا ولا يسبب للنبي صلى الله عليه وسلم غلطا ولا وهما وقد قيل
ان هذا يحتمل ان يكون فيما كتبه عن النبي صلى الله عليه وسلم الى الناس غير القرآن فيصف
الله ويسميه في ذلك كيف شاء ∴ **فصل** هذا القول فيما طريقه البلاغ واما
ما ليس سبيله سبيل البلاغ من الاخبار التي لا مستند لها الى الاحكام ولا اخبار المعاد
ولا تضاف الى وحي بل في امور الدنيا واحوال نفسه فالذي يجب تنزيه النبي صلى الله
عليه وسلم عن ان يقع خبره في شيء من ذلك بخلاف مخبره لا عمدا ولا سهوا ولا غلطا
وانه معصوم من ذلك في حال رضاه وفي حال سخطه وجده ومزحه وصحته ومرضه
ودليل ذلك اتفاق السلف واجماعهم عليه وذلك انا نعلم من دين الصحابة وعادتهم
مبادرتهم الى تصديق جميع احواله والثقة بجميع اخباره في اي باب كانت وعن اي شيء وقعت
وانه لم يكن لهم توقف ولا تردد في شيء منها ولا استثبات عن حاله عند ذلك هل وقع
فيها سهو ام لا ولما احتج ابن ابي الحقيق اليهودي على عمر حين اجلاهم من خيبر باقرار
رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم واحتج عليه عمر بقوله صلى الله عليه وسلم كيف بك
اذا اخرجت من خيبر فقال اليهودي كانت هزيلة من ابي القاسم فقال عمر كذبت يا عدو
الله وايضا فان اخباره وآثاره وسيره وشمائله معتنى بها مستقصى تفاصيلها
ولم يرد في شيء منها استدراكه عليه السلام لغلط في قول قاله او اعترافه بوهم في
شيء اخبر به ولو كان ذلك لنقل كما نقل من قصته عليه السلام رجوعه عما اشار به
على الانصار في تلقيح النخل وكان ذلك رايا لا خبرا وغير ذلك من الامور التي ليست
من هذا الباب كقوله والله لا احلف على يمين فارى غيرها خيرا منها الا فعلت الذي حلفت

عليه ولقربت عن يميني وقوله انكم تختصمون الي الحديث وقوله اسق يا زبير حتى
يبلغ الماء الجدر كما سنبين كل ما في هذا من مشكل في هذا الباب والذي يليه ان شاء الله
مع اشباهها وايضا فان الكذب متى عرف من احد في شيء من الاخبار بخلاف ما هو على
اي وجه كان استريب بخبره واتهم في حديثه ولم يقع قوله في النفوس موقعا ولهذا ما
ترك المحدثون والعلماء الحديث عمن عرف بالوهم والغفلة وسوء الحفظ وكثرة الغلط
مع ثقته وايضا فان تعمد الكذب في امور الدنيا معصية والاكثار منه كبيرة
باجماع مسقط للمروءة وكل هذا مما ينزه عنه منصب النبوة والمرة الواحدة منه مما
يستبشع ويستشنع مما يخل بصاحبها ويزري بقائلها لاحقة بذلك واما فيما لا يقع
هذا الموقع فان عددناها من الصغائر فهل تجري على حكمها في الخلاف مختلف فيه
والصواب تنزيه النبوة عن قليله وكثيره سهوه وعمده اذ عمدة النبوة البلاغ والا
علام والتبيين وتصديق ما جاء به النبي وتجويز شيء من هذا قادح في ذلك ومشكك
فيه مناقض للمعجزة فلنقطع عن يقين بانه لا يجوز على الانبياء خلف في القول في وجه
من الوجوه لا بقصد ولا بغير قصد ولا نتسامح مع من تسامح في تجويز ذلك عليهم حال
السهو فيما ليس طريقه البلاغ نعم وبانه لا يجوز عليهم الكذب قبل النبوة ولا الاتسام
به في امورهم واحوال دنياهم لان ذلك كان يزري ويريب بهم وينفر القلوب عن
تصديقهم بعد وانظر احوال اهل عصر النبي صلى الله عليه وسلم من قريش وغيرها من
الامم وسؤالهم عن حاله في صدق لسانه وما عرفوا به من ذلك واعترفوا به مما عرف
واتفق النقل على عصمة نبينا صلى الله عليه وسلم منه قبل وبعد وقد ذكرنا من الآثار
فيه في الباب الثاني اول الكتاب ما يبين لك صحة ما اشرنا اليه ∴ **فصل** فان
قلت فما معنى قوله عليه السلام في حديث السهو الذي حدثنا به الفقيه ابو اسحاق ابراهيم
ابن جعفر ثنا القاضي ابو الاصبغ بن سهل ثنا حاتم بن محمد ثنا ابو عبد الله بن الفخار ثنا ابو عيسى
ثنا عبيد الله ثنا يحيى عن مالك عن داود بن الحصين عن ابي سفيان مولى ابن ابي احمد انه قال
سمعت ابا هريرة يقول صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة العصر فسلم في ركعتين فقام

ذو اليدين فقال يا رسول الله أقصرت الصلاة أم نسيت فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم كل ذلك لم يكن وفي الرواية الأخرى ما قصرت وما نسيت الحديث بقصته فأخبر
بنفي الحالتين وأنها لم تكن وقد كان أحد ذلك كما قال ذو اليدين قد كان بعض ذلك له ح
يا رسول الله .. فاعلم وفقنا الله وإياك أن للعلماء في ذلك أجوبة بعضها بصدد
الإنصاف ومنها ما هو بنية التعسف والاعتساف وها أنا أقول أما على القول بتجويز
الوهم والغلط فيما ليس طريقه من القول البلاغ وهو الذي زيفناه من القولين فلا اعتراض
بهذا الحديث وشبهه وأما على مذهب من يمنع السهو والنسيان في أفعاله جملة
ويرى أنه في مثل هذا عامد لصورة النسيان ليسن فهو صادق في خبره لأنه لم ينس
ولا قصرت ولكنه على هذا القول تعمد هذا الفعل في هذه الصورة ليسنه لمن اعتراه
مثله وهو قول مرغوب عنه نذكره في موضعه وأما على إحالة السهو عليه في الأقوال
وتجويز السهو عليه فيما ليس طريقه القول كما سنذكره ففيه أجوبة منها أن النبي صلى الله
عليه وسلم أخبر عن اعتقاده وضميره أما إنكار القصر فحق وصدق باطنا وظاهرا وأما
النسيان فأخبر صلى الله عليه وسلم عن اعتقاده وأنه لم ينس في ظنه فكأنه قصد الخبر بهذا
عن ظنه وإن لم ينطق به وهذا صدق أيضا ووجه ثان أن قوله ولم أنس راجع إلى السلام أي
أني سلمت قصدا وسهوت عن العدد أي لم أسه في نفس السلام وهذا محتمل وفيه بعد
ووجه ثالث وهو أبعدها ما ذهب إليه بعضهم وإن احتمله اللفظ من قوله كل ذلك لم
يكن أي لم يجتمع القصر والنسيان بل كان أحدهما ومفهوم اللفظ خلافه مع الرواية
الأخرى الصحيحة وهو قوله ما قصرت الصلاة وما نسيت هذا ما رأيت فيه لأئمتنا ..
وكل من هذه الوجوه محتمل اللفظ على بعد بعضها وتعسف الآخر منها قال القاضي أبو الفضل
رضي الله عنه والذي أقول ويظهر لي أنه أقرب من هذه الوجوه كلها أن قوله لم أنس إنكار
للفظ الذي نفاه عن نفسه وأنكره على غيره بقوله بئس ما لأحدكم أن يقول نسيت آية كذا وكذا
ولكنه نُسّي وبقوله في بعض روايات الحديث الآخر لست أنسى ولكن أُنسّى فلما قال له السائل
أقصرت الصلاة أم نسيت أنكر قصرها كما كان ونسيانه هو من قبل نفسه وأنه إن كان

جرى شيء من ذلك فقد نُسّي حتى سأل غيره فتحقق أنه نُسّي وأجري عليه ذلك ليسن
فقوله على هذا لم أنس ولم تقصر وكل ذلك لم يكن صدق وحق لم تقصر ولم ينس
حقيقة ولكنه نُسّي ووجه آخر استثرته من كلام بعض المشايخ وذلك أنه قال
إن النبي صلى الله عليه وسلم كان يسهو ولا ينسى ولذلك نفى عن نفسه النسيان قال لأن
النسيان غفلة وآفة والسهو إنما هو شغل قال فكان النبي صلى الله عليه وسلم يسهو في
صلاته ولا يغفل عنها وكان يشغله عن حركات الصلاة ما في الصلاة شغلا بها لا غفلة
عنها فهذا إن تحقق على هذا المعنى لم يكن في قوله ما قصرت ولا نسيت خلف في قول
وأما قصة كلمات إبراهيم عليه السلام المذكورة في الحديث أنها كذباته الثلاث المنصوصة
في القرآن منها اثنتان قوله إني سقيم وبل فعله كبيرهم هذا وقوله للملك إنها أختي .. فاعلم
أكرمك الله أن هذه كلها خارجة عن الكذب لا في القصد ولا في غيره وهي داخلة في باب المعاريض
التي فيها مندوحة عن الكذب أما قوله إني سقيم فقال الحسن وغيره معناه سأسقم أي إن
كل مخلوق معرض لذلك فاعتذر لقومه من الخروج معهم إلى عيدهم بهذا وقيل بل سقيم
بما قُدّر علي من الموت وقيل سقيم القلب بما أشاهده من كفركم وعنادكم وقيل بل كانت
الحمى تأخذه عند طلوع نجم معلوم فلما اعتذر بعادته وكل هذا ليس فيه كذب بل هو خبر رآه ح
صحيح صدق وقيل بل عرّض بسقم حجته عليهم وضعف ما أرادوا بيانه لهم من جهة
النجوم التي كانوا يشتغلون بها وأنه أثناء نظره في ذلك وقبل استقامة حجته عليهم
في حال سقم ومرض حال مع أنه لم يشك هو ولا ضعف إيمانه ولكنه ضعف في عليه السلام ح
استدلاله عليهم وسقم نظره كما يقال حجة سقيمة ونظر معلول حتى ألهمه الله
باستدلاله وصحة حجته عليهم بالكوكب والشمس والقمر ما نصه الله وقدمنا بيانه وق
وأما قوله بل فعله كبيرهم هذا الآية فإنه علق خبره بشرط نطقه كأنه قال إن
كان ينطق فهو فعله على طريق التبكيت لقومه وهذا صدق أيضا ولا خلف فيه وأما
قوله أختي فقد بين في الحديث فإنك أختي في الإسلام وهو صدق والله تعالى يقول وقال ح
إنما المؤمنون إخوة فإن قلت فهذا النبي صلى الله عليه وسلم قد سماها كذبات وقال لم

يكذب ابرهيم الا ثلاث كذبات وقال في حديث الشفاعة ويذكر كذباته فمعناه انه لم يتكلم بكلام صورته صورة الكذب وان كان حقا في الباطن الا هذه الكلمات ولما كان مفهوم ظاهرها خلاف باطنها اشفق ابرهيم عليه السلام من مواخذته بها واما الحديث كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا اراد غزوة ورى بغيرها فليس فيه خلف في القول انما هو ستر مقصده لئلا ياخذ عدوه حذره وكتم وجه ذهابه بذكر السؤال عن موضع اخر والبحث عن اخباره والتعريض بذكره لا انه يقول تجهزوا الى غزوة كذا خلاف مقصده فهذا لم يكن والاول ليس فيه خبر يدخله الخلف فان قلت فما معنى قول موسى عليه السلام وقد سئل اي الناس اعلم فقال انا اعلم فعتب الله عليه ذلك اذ لم يرد العلم اليه الحديث وفيه قال بل عبد بمجمع البحرين اعلم منك وهذا خبر قد انبا الله انه ليس كذلك فاعلم انه وقع في هذا الحديث من بعض طرقه الصحيحة عن ابن عباس هل تعلم احدا اعلم منك فاذا كان جوابه على علمه فهو خبر حق وصدق ولا خلف فيه ولا شبهة وعلى الطريق الاخر فمحمله على ظنه ومعتقده كما لو صرح به لان حاله في النبوة والاصطفا تقتضي ذلك فيكون اخباره بذلك ايضا عن اعتقاده وحسبانه صدقا لا خلف فيه وقد يريد بقوله انا اعلم بما تقتضيه وظايف النبوة من علوم التوحيد وامور الشريعة وسياسة الامة ويكون الخضر اعلم منه بامور اخر مما لا يعلمه احد الا باعلام الله من علوم غيبه كالقصص المذكورة في خبرهما فكان موسى اعلم على الجملة بما تقدم وهذا اعلم على الخصوص بما اعلم ويدل عليه قوله تعالى وعلمناه من لدنا علما وعتب الله ذلك عليه فيما قاله العلما انكار هذا القول عليه لانه لم يرد العلم اليه كما قالت الملايكة لا علم لنا الا ما علمتنا او لانه لم يرض قوله شرعا وذلك والله اعلم لئلا يقتدي به فيه من لم يبلغ كماله في تزكية نفسه وعلو درجته من امته فيهلك لما تضمنه من مدح الانسان نفسه ويورثه ذلك من الكبر والعجب والتعاطي والدعوى وان نزه عن هذه الرذايل الانبيا فغيرهم بمدرجة سبيلها ودرك ليلها الا من عصمه الله فالتحفظ منها اولى لنفسه وليقتدى به ولهذا قال عليه السلام تحفظا من مثل هذا مما قد علم به انا سيد ولد ادم

ولا فخر وهذا الحديث احدى حجج القايلين بنبوة الخضر لقوله فيه انا اعلم من موسى ولا يكون الولي اعلم من النبي واما الانبيا فيتفاضلون في المعارف وبقوله وما فعلته عن امري فدل انه بوحي ومن قال انه ليس بنبي قال يحتمل ان يكون فعله بامر نبي اخر وهذا يضعف لانه ما علمنا انه كان في زمن موسى عليه السلام نبي غيره الا اخاه هارون وما نقل احد من اهل الاخبار في ذلك شيا يعول عليه واذا جعلنا اعلم منك على العموم وانما هو على الخصوص وفي قضايا معينة لم يحتج الى اثبات نبوة الخضر ولهذا قال بعض الشيوخ كان موسى اعلم من الخضر فيما اخذ عن الله والخضر اعلم فيما دفع اليه من موسى وقال اخر انما الجي موسى الى الخضر للتاديب لا للتعليم

فصل

واما ما يتعلق بالجوارح من الاعمال ولا يخرج من جملتها القول باللسان فيما عدا الخبر الذي وقع فيه الكلام ولا الاعتقاد بالقلب فيما عدا التوحيد وما قدمناه من معارفه المختصة به فاجمع المسلمون على عصمة الانبيا من الفواحش والكباير الموبقات ومستند الجمهور في ذلك الاجماع الذي ذكرناه وهو مذهب القاضي ابي بكر ومنعها غيره بدليل العقل مع الاجماع وهو قول الكافة واختاره الاستاذ ابو اسحق وكذلك لا خلاف انهم معصومون من كتمان الرسالة والتقصير في التبليغ لان كل ذلك تقتضي العصمة منه المعجزة مع الاجماع على ذلك من الكافة واما الصغاير فجوزها جماعة من السلف وغيرهم على الانبيا وهو مذهب ابي جعفر الطبري وغيره من الفقها والمحدثين والمتكلمين وسنورد بعد هذا ما احتجوا به وذهبت طايفة اخرى الى الوقف وقالوا العقل لا يحيل وقوعها منهم ولم يات في الشرع قاطع باحد الوجهين وذهبت طايفة اخرى من المحققين من الفقها والمتكلمين الى عصمتهم من الصغاير كعصمتهم من الكباير قالوا لاختلاف الناس في الصغاير وتعيينها من الكباير واشكال ذلك وقول ابن عباس وغيره ان كل ما عصي الله به فهو كبيرة وانه انما سمي منها الصغير بالاضافة الى ما هو اكبر منه ومخالفة الباري في اي امر كان يجب كونه كبيرة قال القاضي ابو محمد عبد الوهاب لا يمكن ان يقال في معاصي الله صغيرة الا على معنى انها تغتفر

قال القاضي ابو الفضل رحمه الله تعالى

باجتناب الكبائر ولا يكون لها حكم مع ذلك بخلاف الكبائر اذ لم يتب منها فلا
يحبطها شي والمشية في العفو عنها الى الله وهو قول القاضي ابي بكر وجماعة ائمة الاشعرية وكثير من ائمة الفقهاء وقال بعض ائمتنا ولا يجب على القولين ان يختلف انهم
معصومون عن تكرار الصغائر وكثرتها اذ يلحقها ذلك بالكبائر ولا في صغيرة ادت
الى ازالة الحشمة واسقطت المروة واوجبت الازراء والخساسة فهذا ايضا مما
يعصم عنه الانبيا اجماعا لان مثل هذا يحط منصب المتسم به ويزري بصاحبه
وينفر القلوب عنه والانبيا منزهون عن ذلك بل يلحق بهذا ما كان من قبيل المباح فادى
الى مثله لخروجه بما ادى اليه عن اسم المباح الى الحظر وقد ذهب بعضهم الى عصمتهم
من مواقعة المكروه قصدا وقد استدل بعض الائمة على عصمتهم من الصغائر بالمصير
الى امتثال افعالهم واتباع اثارهم وسيرهم مطلقا وجمهور الفقها على ذلك من اصحاب
مالك والشافعي وابي حنيفة من غير التزام قرينة بل مطلقا عند بعضهم وان
اختلفوا في حكم ذلك وحكى ابن خويزمنداد وابو الفرج عن مالك التزام ذلك
وجوبا وهو قول الابهري وابن القصار واكثر اصحابنا وقول اكثر اهل العراق وابن
سريج والاصطخري وابن خيران من الشافعية واكثر الشافعية على ان ذلك ندب وذهبت
طائفة الى الاباحة وقيد بعضهم الاتباع فيما كان من الامور الدينية وعلم به مقصد
القربة ومن قال بالاباحة في افعاله لم يقيد قال فلو جوزنا عليهم الصغائر لم يمكن
الاقتداء بهم في افعالهم اذ ليس كل فعل من افعاله يتميز مقصده به من القربة او
الاباحة او الحظر او المعصية ولا يصح ان يؤمر المرء بامتثال امر لعله معصية
لا سيما على من يرى تقديم الفعل على القول اذا تعارضا من الاصوليين ونزيد هذا حجة
بان نقول من جوز الصغائر ومن نفاها عن نبينا عليه السلام مجمعون على انه لا يقر على
منكر من قول او فعل وانه متى راى شيا فسكت عنه صلى الله عليه وسلم دل على جوازه
فكيف يكون هذا حاله في حق غيره ثم تجوز وقوعه منه في نفسه وعلى هذا الماخذ تجب
عصمتهم من مواقعة المكروه كما قيل واذ الحظر او الندب على الاقتدا بفعله ينافي

الزجر والنهي عن فعل المكروه وايضا فقد علم من دين الصحابة قطعا الاقتدا بافعال
النبي صلى الله عليه وسلم كيف توجهت وفي كل فن كالاقتدا باقواله فقد نبذوا خواتيمهم حين نبذ خاتمه وخلعوا نعالهم حين خلع واحتجاجهم برؤية ابن عمر اياه
جالسا لقضا حاجته مستقبلا بيت المقدس واحتج غير واحد منهم في غير شي مما بابه
العبادة او العادة بقوله رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعله وقال هلا اخبرتيها
اني اقبل وانا صائم وقالت عائشة محتجة كنت افعله انا ورسول الله وغضب عليه
السلام على الذي اخبر بمثل هذا عنه فقال يحل الله لرسوله ما يشا وقال اني لاخشاكم
لله واعلمكم بحدوده والاثار في هذا اعظم من ان نحيط عليها لكنه يعلم من مجموعها
على القطع اتباعهم افعاله واقتداؤهم بها ولو جوزوا عليه المخالفة في شي منها لما اتسق
هذا ولنقل عنهم وظهر بحثهم عن ذلك ولما انكر عليه السلام على الاخر قوله واعتذاره
بما ذكرنا واما المباحات فجائز وقوعها منهم اذ ليس فيها قدح بل هي ماذون فيها وايديهم كايدي غيرهم مسلطة عليها الا انهم بما خصوا به من رفيع المنزلة وشرحت له
صدورهم من انوار المعرفة واصطفوا به من تعلق بالهم بالله والدار الاخرة لا ياخذون
من المباحات الا الضرورات مما يتقوون به على سلوك طريقهم وصلاح دينهم وضرورة
دنياهم وما اخذ على هذا السبيل التحق طاعة وصار قربة كما بينا منه اول الكتاب
طرفا في خصال نبينا عليه السلام فبان لك عظيم فضل الله على نبينا وعلى سائر انبيائه عليهم
السلام بان جعل افعالهم قربات وطاعات بعيدة عن وجه المخالفة ورسم المعصية

فصل وقد اختلف في عصمتهم من المعاصي قبل النبوة فمنعها قوم وجوزها
اخرون والصحيح ان شا الله تنزيههم من كل عيب وعصمتهم من كل ما يوجب الريب فكيف
والمسئلة تصورها كالممتنع فان المعاصي والنواهي انما تكون بعد تقرر الشرع وقد اختلف
الناس في حال نبينا عليه السلام قبل ان يوحى اليه هل كان متبعا لشرع قبله ام لا فقال
جماعة لم يكن متبعا لشي وهذا قول الجمهور فالمعاصي على هذا القول غير موجودة ولا
معتبرة في حقه حينئذ اذ الاحكام الشرعية انما تتعلق بالاوامر والنواهي وتقرر الشريعة

تعلق بالهم

ثم اختلفت حجج القائلين بهذه المقالة عليها فذهب سيف السنة ومقتدى فرق الأمة القاضي أبو بكر إلى أن طريق العلم بذلك النقل وموارد الخبر من طريق السمع ∴ وحجته أنه لو كان ذلك لنقل ولما أمكن كتمه وستره في العادة إذ كان من مهم أمره وأولى ما اهتبل به من سيرته ولفخر به أهل تلك الشريعة ولاحتجوا به عليه ولم يؤثر شيء من ذلك جملة وذهبت طائفة إلى امتناع ذلك عقلا قالوا لأنه يبعد أن يكون متبوعا من عرف تابعا وبنوا هذا على التحسين والتقبيح وهي طريقة غير سديدة واستناد ذلك إلى النقل كما تقدم للقاضي أبي بكر أولى وأظهر وقالت فرقة أخرى بالوقف في أمره عليه السلام وترك قطع الحكم عليه بشيء في ذلك إذ لم يحل الوجهين منها العقل ولا استبان عندها في أحدهما طريق النقل وهو مذهب أبي المعالي وقالت فرقة ثالثة إنه كان عاملا بشرع من قبله ثم اختلفوا هل يتعين ذلك الشرع أم لا فوقف بعضهم عن تعيينه وأحجم وجسر بعضهم على التعيين وصمم ثم اختلفت هذه المعينة فيمن كان يتبع فقيل نوح وقيل إبراهيم وقيل موسى وقيل عيسى صلوات الله عليهم فهذه جملة المذاهب في هذه المسألة والأظهرها فيها ما ذهب إليه القاضي أبو بكر وأبعدها مذاهب المعينين إذ لو كان شيء من ذلك لنقل كما قدمناه ولم يخف جملة ولا حجة لهم في أن عيسى آخر الأنبياء فلزمت شريعته من جاء بعدها إذ لم يثبت عموم دعوة عيسى بل الصحيح أنه لم تكن لنبي دعوة عامة إلا لنبينا عليه السلام ولا حجة أيضا للآخر في قوله تعالى أن اتبع ملة إبراهيم حنيفا وللآخرين في قوله شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا فمحمل هذه الآية على اتباعهم في التوحيد كقوله أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده وقد سمى تعالى فيهم من لم يبعث ولم تكن له شريعة تخصه كيوسف بن يعقوب على قول من يقول أنه ليس برسول وقد سمى الله تعالى جماعة منهم في هذه الآية وشرائعهم مختلفة لا يمكن الجمع بينها فدل على أن المراد ما اجتمعوا عليه من التوحيد وعبادة الله تعالى وبعد هذا فهل يلزم من قال بمنع الاتباع هذا القول في سائر الأنبياء غير نبينا أو يخالفون بينهم أما من منع الاتباع عقلا فيطرد أصله في كل رسول بلا مرية وأما من مال إلى النقل فأين ما تصور

ابن الطيب

له وتقرر اتبعه ومن قال بالوقف فعلى أصله ومن قال بوجوب الاتباع لمن قبله يلتزمه بمساق حجته في كل نبي ∴

فصل هذا حكم ما تكون المخالفة فيه من الأعمال عن قصد وهو ما يسمى معصية ويدخل تحت التكليف وأما ما يكون بغير قصد وتعمد كالسهو والنسيان في الوظائف الشرعية مما تقرر الشرع بعدم تعلق الخطاب به وترك المؤاخذة عليه فأحوال الأنبياء في ترك المؤاخذة به وكونه ليس بمعصية لهم مع أممهم سواء ثم ذلك على نوعين ما طريقه البلاغ وتقرير الشرع وتعلق الأحكام وتعليم الأمة بالفعل وأخذهم باتباعه فيه وما هو خارج عن هذا مما يختص بنفسه أما الأول فحكمه عند جماعة من العلماء حكم السهو في القول في هذا الباب وقد ذكرنا الاتفاق على امتناع ذلك في حق النبي صلى الله عليه وسلم وعصمته من جوازه عليه قصدا أو سهوا فكذلك قالوا الأفعال في هذا الباب لا يجوز طرو المخالفة فيها لا عمدا ولا سهوا لأنها بمعنى القول من جهة التبليغ والأداء وطرو هذه العوارض عليها يوجب التشكيك وتسبب المطاعن واعتذروا عن أحاديث السهو بتوجيهات نذكرها بعد هذا وإلى هذا مال أبو إسحاق وذهب الأكثر من الفقهاء والمتكلمين إلى أن المخالفة في الأفعال البلاغية والأحكام الشرعية سهوا وعن غير قصد منه جائز عليه كما تقرر من أحاديث السهو في الصلاة وفرقوا بين ذلك وبين الأقوال البلاغية لقيام المعجزة على الصدق في القول ومخالفة ذلك تناقضها وأما السهو في الأفعال فغير مناقض لها ولا قادح في النبوة بل غلطات الفعل وغفلات القلب من سمات البشر كما قال عليه السلام إنما أنا بشر أنسى كما تنسون فإذا نسيت فذكروني نعم بل حالة النسيان والسهو هنا في حقه عليه السلام سبب إفادة علم وتقرير شرع كما قال عليه السلام إني لأنسى أو أنسى لأسن بل قد روي لست أنسى ولكن أنسى لأسن وهذه الحالة زيادة له في التبليغ وتمام عليه في النعمة بعيدة عن سمات النقص وأغراض الطعن فإن القائلين بتجويز ذلك يشترطون أن الرسل لا تقر على السهو والغلط بل ينبهون عليه ويعرفون حكمه بالفور على قول بعضهم وهو الصحيح وقبل انقراضهم على قول الآخرين وأما ما ليس طريقه البلاغ ولا بيان الأحكام

طرد

من افعاله عليه السلام وما اختص به من امور دينه واذكار قلبه مما لم يفعله ليتّبع
فيه فالاكثر من طبقات علماء الامة على جواز السهو والغلط عليه فيها ولحوق الفترات
والغفلات بقلبه وذلك بما كلفه من مقاساة الخلق وسياسات الامة ومعاناة
الاهل وملاحظة الاعداء ولكن ليس على سبيل التكرار ولا الاتصال بل على سبيل الندور
كما قال عليه السلام انه ليغان على قلبي فاستغفر الله وليس في هذا شي يحط من رتبته
ويناقض معجزته وذهبت طايفة الى منع السهو والنسيان والغفلات والفترات
في حقه عليه السلام جملة وهو مذهب جماعة المتصوفة واصحاب علم القلوب والمقا
مات ولهم في هذه الاحاديث مذاهب نذكرها بعد هذا ان شا الله :. **فصل**
في الكلام على الاحاديث المذكور فيها السهو منه عليه السلام . قد قدمنا في الفصول قبل
هذا ما يجوز فيه عليه السهو عليه السلام وما يمتنع واحلناه في الاخبار جملة وفي الاقوال
الدينية قطعا واجزنا وقوعه في الافعال الدينية على الوجه الذي رتبناه واشرنا الى ما
ورد في ذلك ونحن نبسط القول فيه :. الصحيح من الاحاديث الواردة في سهوه عليه
السلام في الصلاة ثلثة احاديث اولها حديث ذي اليدين في السلام من اثنتين الثاني
حديث ابن بحينة في القيام من اثنتين الثالث حديث ابن مسعود ان النبي صلى الله عليه وسلم
صلى الظهر خمسا وهذه الاحاديث مبنية على السهو في الفعل الذي قررناه وحكمة
الله فيه ليستن به اذ البلاغ بالفعل اجلى منه بالقول وارفع للاحتمال وشرطه انه
لا يقر على هذا السهو بل يشعر به ليرتفع الالتباس وتظهر فايدة الحكمة فيه كما قدمناه
وان النسيان والسهو في الفعل في حقه عليه السلام غير مضاد للمعجزة ولا قادح في
التصديق وقد قال عليه السلام انما انا بشر انسى كما تنسون واذا نسيت فذكروني وقال
رحم الله فلانا لقد اذكرني كذا وكذا اية كنت اسقطتهن ويروى انسيتهن وقال
عليه السلام اني لانسى او انسّى لاسن قيل هذا اللفظ شك من الراوي وقد روي اني لا انسى
ولكن انسّى لاسن وذهب ابن نافع وعيسى ابن دينار انه ليس بشك وان معناه التقسيم اي
انسى انا او ينسيني الله قال القاضي ابو الوليد الباجي يحتمل ما قاله ان يريد اني انسى في اليقظة

في مقابلة

احاديث السهو
في الصلاة ثلاثة اطرافها

وانسّى في النوم او انسى على سبيل عادة البشر من الذهول عن الشي والسهو او انسّى مع
اقبالي عليه وتفرغي له فاضاف احد النسيانين الى نفسه اذ كان له بعض السبب فيه
ونفى الاخر عن نفسه اذ هو كالمضطر وذهبت طايفة من اصحاب المعاني والكلام — فيه ع
على الحديث الى ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يسهو في الصلاة ولا ينسى لان النسيان
ذهول وغفلة وافة قال والنبي صلى الله عليه وسلم منزه عنها والسهو شغل فكان عليه
السلام يسهو في صلاته ويشغله عن حركات الصلاة ما في الصلاة شغلا بها لا غفلة عنها
واحتج بقوله في الرواية الاخرى اني لا انسى وذهبت طايفة الى منع هذا كله عنه وقالوا
ان سهوه عليه السلام كان عمدا وقصدا ليسن وهذا قول مرغوب عنه متناقض المقاصد
لا يحلى منه بطايل لانه كيف يكون متعمدا ساهيا في حال ولا حجة لهم في قولهم انه امر بتعمد
صورة النسيان ليسن لقوله اني لانسى او انسّى وقد اثبت احد الوصفين ونفى مناقضة
التعمد والقصد وقال انما انا بشر مثلكم انسى كما تنسون وقد مال الى هذا عظيم من
المحققين من ايمتنا وهو ابو المظفر الاسفرايني ولم يرتضه غيره منهم ولا ارتضيه
ولا حجة لهاتين الطايفتين في قوله اني لا انسى ولكن انسّى اذ ليس فيه حكم النسيان الجملة وانما — نفى ع
فيه نفي لفظه وكراهة لقبه كقوله بيسما لاحدكم ان يقول نسيت اية كذا ولكنه نسّي
او نفي الغفلة وقلة الاهتمام بامر الصلاة عن قلبه لكن شغل بها عنها ونسي بعضها
ببعضها كما ترك الصلاة يوم الخندق حتى خرج وقتها وشغل بالتحرز من العدو عنها
فشغل بطاعة عن طاعة وقيل ان الذي ترك يوم الخندق اربع صلوات الظهر والعصر
والمغرب والعشا وبه احتج من ذهب الى جواز تاخير الصلاة في الخوف اذا لم يتمكن من ادايها
الى وقت الامن وهو مذهب الشاميين والصحيح ان حكم صلاة الخوف كان بعد هذا
فهو ناسخ له فان قلت فما تقول في نومه عليه السلام عن الصلاة يوم الوادي وقد
قال ان عيني تنامان ولا ينام قلبي فاعلم ان للعلما عن ذلك اجوبة منها ان المراد بان هذا
حكم قلبه عند نومه وعينيه في غالب الاوقات وقد يندر منه غير ذلك ويصحح هذا
التاويل قوله عليه السلام في الحديث نفسه ان الله قبض ارواحنا وقول بلال انما العيث

كما يندر
من غيره خلا
عادته ح اصل

على أن نومه مثلها قط ولكن مثل هذا إنما يكون منه لأمر يريده من إثبات حكم وتأسيس
سنة وإظهار شرع وكما قال في الحديث الآخر لو شاء الله لأيقظنا ولكن أراد أن تكون
لمن بعدكم الثاني أن قلبه لا يستغرقه النوم حتى يكون منه الحدث فيه لما روي أنه
كان محروسا وأنه كان ينام حتى ينفخ وحتى يسمع غطيطه ثم يصلي ولا يتوضأ وحديث
ابن عباس المذكور فيه وضوؤه عند قيامه من النوم فيه نومه مع أهله فلا يمكن الاحتجاج
به على وضوئه بمجرد النوم إذ لعل ذلك لملامسة الأهل أو لحدث آخر فكيف وفي آخر
الحديث نفسه ثم نام حتى سمعت غطيطه ثم أقيمت الصلاة فصلى ولم يتوضأ وقيل لا
ينام قلبه من أجل أنه يوحى إليه في النوم وليس في قصة الوادي إلا نوم عينيه عن رؤية
الشمس وليس هذا من فعل القلب وقد قال عليه السلام إن الله قبض أرواحنا ولو شاء لردها
إلينا في حين غير هذا فإن قيل فلولا عادته من استغراق النوم لما قال لبلال اكلأ لنا
الصبح فقيل في الجواب إنه كان من شأنه عليه السلام التغليس بالصبح ومراعاة أول
الفجر لا تصح ممن نامت عينه إذ هو ظاهر يدرك بالجوارح الظاهرة فوكل بلالا بمراعاة
أوله ليعلمه بذلك كما لو شغل بشغل غير النوم عن مراعاته فإن قيل فما معنى نهيه
عليه السلام عن القول نسيت وقد قال عليه السلام إني أنسى كما تنسون فإذا نسيت
فذكروني وقال لقد أذكرني كذا وكذا آية كنت أنسيتها ∴ فاعلم أكرمك الله أنه لا
تعارض في هذه الألفاظ أما نهيه عن أن يقال نسيت آية كذا فمحمول على ما نسخ نقله
من القرآن أي إن الغفلة في هذا لم تكن منه ولكن الله اضطره إليها ليمحو ما يشاء ويثبت
وما كان من سهو أو غفلة من قبله تذكرها صلح أن يقال فيه أنسى وقد قيل إن هذا منه
صلى الله عليه وسلم على طريق الاستحباب أن يضيف الفعل إلى خالقه والآخر على طريق
الجواز لاكتساب العبد فيه وإسقاطه عليه السلام لما أسقط من هذه الآيات جائز عليه
بعد بلاغ ما أمر ببلاغه وتوصيله إلى عباده ثم يستذكرها من أمته أو من قبل
نفسه إلا ما قضى الله نسخه ومحوه من القلوب وترك استذكاره وقد يجوز أن
ينسى النبي صلى الله عليه وسلم ما هذا سبيله كرة ويجوز أن ينسيه منه قبل البلاغ

ما لا يغير نظما ولا يخلط حكما مما لا يدخل خللا في الخبر ثم يذكره إياه ويستحيل
دوام نسيانه له لحفظ الله كتابه وتكليفه بلاغه ∴

فصل في الرد على من أجاز عليهم الصغائر والكلام على ما احتجوا به من ذلك ∴

اعلم أن المجوزين للصغائر
على الأنبياء من الفقهاء والمحدثين ومن شايعهم على ذلك من المتكلمين احتجوا على ذلك
بظواهر كثيرة من القرآن والحديث إن التزموا ظواهرها أفضت بهم إلى تجويز الكبائر
وخرق الإجماع وما لا يقول به مسلم فكيف وكل ما احتجوا به مما اختلف المفسرون
في معناه وتقابلت الاحتمالات في مقتضاه وجاءت أقاويل فيها للسلف بخلاف
ما التزموه من ذلك فإذا لم يكن مذهبهم إجماعا وكان الخلاف فيما احتجوا به قديما
وقامت الدلالة على خطإ قولهم وصحة غيره وجب تركه والمصير إلى ما صح وها
نحن نأخذ في النظر فيها إن شاء الله فمن ذلك قوله تعالى لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم
ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر وقوله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات
وقوله ووضعنا عنك وزرك الذي أنقض ظهرك وقوله عفا الله عنك لم
أذنت لهم وقوله لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم ∴
وقوله عبس وتولى أن جاءه الأعمى الآية ∴ وما قص من قصص غيره من الأنبياء كقوله وعصى
آدم ربه فغوى وقوله فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء الآية وقوله عنه ربنا
ظلمنا أنفسنا الآية وقوله عن يونس سبحانك إني كنت من الظالمين وما ذكر من
قصته وقصة داود وقوله وظن داود أنما فتناه فاستغفر ربه وخر راكعا
وأناب إلى قوله مآب وقوله ولقد همت به وهم بها وما قص من قصته مع
إخوته وقوله عن موسى فوكزه موسى فقضى عليه قال هذا من عمل الشيطان وقول النبي صلى الله
عليه وسلم في دعائه اغفر لي ما قدمت وأخرت وأسررت وأعلنت ونحوه من
أدعيته عليه السلام وذكر الأنبياء في الموقف ذنوبهم في حديث الشفاعة وقوله
إنه ليغان على قلبي فأستغفر الله وفي حديث أبي هريرة إني لأستغفر الله وأتوب إليه في
اليوم أكثر من سبعين مرة وقوله عن نوح وإلا تغفر لي الآية وقد كان قال الله له

ولا تخاطبني في الذين ظلموا انهم مغرقون وقال عن ابرهيم والذي اطمع ان يغفر لي
خطيئتي يوم الدين وقوله عن موسى تبت اليك وقوله ولقد فتنا سليمن الى ما اشبه
هذه الظواهر فاما احتجاجهم بقوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر
فهذا قد اختلف فيه المفسرون فقيل المراد ما كان قبل النبوة وبعدها وقيل المراد
ما وقع لك من ذنب وما لم يقع اعلمه انه مغفور له وقيل ما كان قبل النبوة والمتاخر
عصمتك بعدها حكاه احمد بن نصر وقيل المراد بذلك امته عليه السلام وقيل المراد
ما كان عن سهو وغفلة وتاويل حكاه الطبري واختاره القشيري وقيل ما تقدم
من ذنب لابيك ادم وما تاخر من ذنوب امتك حكاه السمرقندي والسلمي عن ابن عطاء
ومثله والذي قبله يتاول قوله فاستغفر لذنبك وللمومنين والمومنات قال مكي
مخاطبة النبي صلى الله عليه وسلم ها هنا هي مخاطبة لامته وقيل ان النبي صلى الله عليه
وسلم لما امر ان يقول وما ادري ما يفعل بي ولا بكم سر بذلك الكفار فانزل الله ليغفر
لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر الاية وبمال المومنين في الاية الاخرى بعدها
قاله ابن عباس فمقصد الاية انك مغفور لك غير مواخذ بذنب ان لو كان قال بعضهم
المغفرة ها هنا تبرية من العيوب واما قوله ووضعنا عنك وزرك الذي انقض ظهرك
فقيل ما سلف من ذنبك قبل النبوة وهو قول ابن زيد والحسن ومعنى قول قتادة
وقيل معناه انه حفظ قبل نبوته منها وعصم ولولا ذلك لاثقلت ظهره حكى معناه
السمرقندي وقيل المراد بذلك ما اثقل ظهره من اعباء الرسالة حتى بلغها حكاه
الماوردي والسلمي وقيل حططنا عنك ثقل ايام الجاهلية حكاه مكي وقيل ثقل شغل
سرك وحيرتك وطلب شريعتك حتى شرعنا ذلك لك حكى معناه القشيري وقيل
معناه خففنا عليك ما حملت بحفظنا لما استحفظت وحفظ عليك ومعنى انقض
اي كاد ينقضه فيكون المعنى على من جعل ذلك لما قبل النبوة اهتمام النبي صلى الله عليه
وسلم بامور فعلها قبل نبوته وحرمت عليه بعد النبوة فعدها اوزارا وثقلت عليه
واشفق منها او يكون الوضع عصمة الله له وكفايته من ذنوب لو كانت لانقضت

ظهره او يكون من ثقل الرسالة او ما ثقل عليه وشغل قلبه من امور الجاهلية
واعلام الله تعالى له بحفظ ما استحفظه من وحيه ∴ واما قوله عفا الله عنك
لم اذنت لهم فامر لم يتقدم للنبي صلى الله عليه وسلم فيه من الله تعالى نهي فيعد معصية
ولا عده الله عليه معصية بل لم يعده اهل العلم معاتبة وغلطوا من ذهب الى
ذلك قال نفطويه وقد حاشاه الله من ذلك بل كان مخيرا في امرين قالوا وقد
كان له ان يفعل ما شا فيما لم ينزل عليه فيه وحي فكيف وقد قال الله له فاذن لمن شئت
منهم فلما اذن لهم اعلمه الله بما لم يطلع عليه من سرهم انه لو لم ياذن لهم لقعدوا
وانه لا حرج عليه فيما فعل وليس عفا ها هنا بمعنى غفر بل كما قال النبي صلى الله عليه
وسلم عفا الله لكم عن صدقة الخيل والرقيق ولم تجب عليهم قط اي لم يلزمكم ذلك
ونحوه للقشيري قال وانما يقول العفو لا يكون الا عن ذنب من لم يعرف كلام العرب
قال ومعنى عفا الله عنك اي لم يلزمك ذنبا قال الداودي روي انها تكرمة قال
مكي هو استفتاح كلام اصلحك الله واعزك وحكى السمرقندي ان معناه عافاك واما
قوله في اسارى بدر ما كان لنبي ان يكون له اسرى الايتين فليس فيه الزام ذنب للنبي صلى الله
عليه وسلم بل فيه بيان ما خص به وفضل من بين الانبيا فكانه قال ما كان هذا لنبي غيرك
كما قال عليه السلام احلت لي الغنايم ولم تحل لنبي قبلي فان قيل فما معنى قوله
تريدون عرض الدنيا الاية قيل المعنى بالخطاب لمن اراد ذلك منهم وتجرد غرضه
لعرض الدنيا وحده والاستكثار منها وليس المراد بهذا النبي صلى الله عليه وسلم ولا
علية اصحابه بل قد روي عن الضحاك انها نزلت حين انهزم المشركون يوم بدر واشتغل الناس
بالسلب وجمع الغنايم عن القتال حتى خشي عمر ان يعطف عليهم العدو ثم قال تعالى
لولا كتاب من الله سبق فاختلف المفسرون في معنى الاية فقيل معناها لولا انه سبق مني
ان لا اعذب احدا الا بعد النهي لعذبتكم فهذا ينفي ان يكون امر الاسرى معصية وقيل
المعنى لولا ايمانكم بالقران وهو الكتاب السابق فاستوجبتم به الصفح لعوقبتم على الغنايم
ويزاد هذا القول تفسيرا وبيانا بان يقال لولا ما كنتم مومنين بالقران وكنتم ممن

احلت لهم الغنايم لعوقبتم كما عوقب من تعدى وقيل لولا انه سبق في اللوح
المحفوظ انها حلال لكم لعوقبتم فهذا كله ينفي الذنب والمعصية لان من فعل ما
احل له لم يعص قال الله تعالى فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا وقيل بل كان عليه السلام
قد خير في ذلك وقد روي عن علي رضي الله عنه قال جا جبريل عليه السلام الى
النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر فقال خير اصحابك في الاسارى ان شاووا القتل
وان شاووا الفدا على ان يقتل منهم عام المقبل مثلهم فقالوا الفدا ويقتل منا
وهو دليل على صحة ما قلناه وانهم لم يفعلوا الا ما اذن لهم فيه لكن بعضهم مال الى
اضعف الوجهين مما كان الاصلح غيره من الاثخان والقتل فعوتبوا على ذلك وبين
لهم ضعف اختيارهم وتصويب اختيار غيرهم وكلهم غير عصاة ولا مذنبين والى
نحو هذا اشار الطبري وقوله عليه السلام في هذه القضية لو نزل من السما عذاب
ما نجا منه الا عمر اشارة الى هذا من تصويب رايه وراي من اخذ ماخذه في اعزاز
الدين واظهار كلمته وابادة عدوه وان هذه القضية لو استوجبت عذابا نجا منه
عمر ومثله وعين عمر لانه اول من اشار بقتلهم ولكن الله لم يقدر عليهم في ذلك
عذابا لحله لهم فيما سبق وقال الداودي والخبر بهذا لا يثبت ولو ثبت لما جاز ان
يظن ان النبي صلى الله عليه وسلم حكم بما لا نص فيه ولا دليل من نص ولا جعل الامر اليه
فيه وقد نزهه الله عن ذلك وقال القاضي بكر بن العلا اخبر الله نبيه
في هذه الاية ان تاويله وافق ما كتبه له من احلال الغنايم والفدا وقد كان
قبل هذا فادوا في سرية عبد الله بن جحش التي قتل فيها ابن الحضرمي بالحكم بن كيسان
وصاحبه فما عتب الله ذلك عليهم وذلك قبل بدر بازيد من عام فهذا كله يدل
على ان فعل النبي صلى الله عليه وسلم في شان الاسرى كان على تاويل وبصيرة وعلى ما تقدم قبل
مثله فلم ينكره الله عليهم لكن الله تعالى اراد لعظم امر بدر وكثرة اسراها
والله اعلم اظهار نعمته وتاكيد منته بتعريفهم ما كتبه في اللوح المحفوظ من حل ذلك
لهم لا على وجه عتاب وانكار وتذنيب هذا معنى كلامه واما قوله عبس وتولى

الايات فليس فيه اثبات ذنب له عليه السلام بل اعلام الله ان ذلك المتصدى
له ممن لا يتزكى وان الصواب والاولى كان لو كشف لك حال الرجلين الاقبال على
الاعمى وفعل النبي صلى الله عليه وسلم لما فعل وتصديه لذلك الكافر كان طاعة لله
وتبليغا عنه واستيلافا له كما شرعه الله له لا معصية ومخالفة له وما قصه الله
عليه من ذلك اعلام بحال الرجلين وتوهين امر الكافر عنده والاشارة الى الاعراض
عنه بقوله وما عليك الا يزكى وقيل المراد بعبس وتولى الكافر الذي كان مع النبي
صلى الله عليه وسلم قاله ابو تمام واما قصة ادم عليه السلام وقوله فاكلا
منها بعد قوله ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين وقوله الم انهكما
عن تلكما الشجرة وتصريحه تعالى بالمعصية بقوله تعالى وعصى ادم ربه فغوى اي جهل
وقيل اخطا فان الله تعالى قد اخبر بعذره بقوله ولقد عهدنا الى ادم من قبل فنسي
ولم نجد له عزما قال ابن زيد نسي عداوة ابليس له وما عهد الله اليه من ذلك
بقوله ان هذا عدو لك ولزوجك الاية وقيل نسي ذلك بما اظهر لهما وقال ابن
عباس انما سمي الانسان انسانا لانه عهد اليه فنسي وقيل لم يقصد المخالفة
استحلالا لها ولكنهما اغترا بحلف ابليس لهما اني لكما لمن الناصحين وتوهما ان احدا
لا يحلف بالله حانثا وقد روي عذر ادم بمثل هذا في بعض الاثار وقال ابن
جبير حلف بالله لهما حتى غرهما والمومن يخدع وقد قيل نسي ولم ينو المخالفة
فلذلك قال ولم نجد له عزما اي قصدا للمخالفة واكثر المفسرين على ان العزم هنا
الحزم والصبر وقيل كان عند اكله سكران وهذا فيه ضعف لان الله وصف خمر
الجنة انها لا تسكر فاذا كان ناسيا لم تكن معصية وكذلك ان كان ملبسا عليه غالطا
اذ الاتفاق على خروج الناسي والساهي عن حكم التكليف وقال الشيخ ابو بكر بن فورك
وغيره انه يمكن ان يكون ذلك قبل النبوة ودليل ذلك قوله تعالى وعصى ادم ربه
فغوى ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى فذكر ان الاجتبا والهداية كانا بعد
العصيان وقيل بل اكلها متاولا وهو لا يعلم انها الشجرة التي نهي عنها لانه تاول

نهى الله عن شجرة مخصوصة لا على الجنس ولهذا قيل إنما كانت التوبة من ترك
التحفظ لا من المخالفة وقيل تأول أن الله لم ينهه عنها نهي تحريم فإن قيل تعلق كل
حال فقد قال تعالى وعصى آدم ربه وقال فتاب عليه وقوله في حديث ويذكر
ذنبه وإني نهيت عن أكل الشجرة فعصيت فسيأتي الجواب عنه وعن أشباهه مجملا
آخر هذا الفصل إن شاء الله. وأما قصة يونس فقد مضى الكلام على بعضها آنفا
وليس في قصة يونس نص على ذنب وإنما فيه أبق وذهب مغاضبا وقد تكلمنا
عليه وقيل إنما نقم الله عليه خروجه عن قومه فارا من نزول العذاب وقيل بل
لما وعدهم العذاب ثم عفا عنهم قال والله لا ألقاهم بوجه كذاب أبدا وقيل بل
كانوا يقتلون من كذب فخاف ذلك وقيل ضعف عن حمل أعباء الرسالة. وقد تقدم
الكلام أنه لم يكذبهم وهذا كله ليس فيه نص على معصية إلا على قول مرغوب
عنه وقوله أبق إلى الفلك المشحون قال المفسرون تباعد وأما قوله إني كنت من الظالمين
فالظلم وضع الشيء في غير موضعه فهذا اعتراف منه عند بعضهم بذنبه فإما
أن يكون لخروجه عن قومه بغير إذن ربه أو لضعفه عما حمله أو لدعائه بالعذاب
على قومه وقد دعا نوح بهلاك قومه فلم يؤاخذ وقال الواسطي في معناه نزه
ربه عن الظلم وأضاف الظلم إلى نفسه اعترافا واستحقاقا ومثل هذا قول آدم وحوا
ربنا ظلمنا أنفسنا إذ كانا السبب في وضعهما غير الموضع الذي أنزلا فيه وإخراجهما
من الجنة وإنزالهما إلى الأرض وأما قصة داود عليه السلام فلا يجب أن يلتفت إلى ما
سطره فيها الأخباريون عن أهل الكتاب الذين بدلوا وغيروا ونقله بعض المفسرين
ولم ينص الله على شيء من ذلك ولا ورد في حديث صحيح والذي نص الله عليه قوله
وظن داود أنما فتناه إلى قوله وحسن مآب وقوله فيه أواب فمعنى فتناه أي
اختبرناه وأواب قال قتادة مطيع وهذا التفسير أولى قال ابن عباس وابن مسعود ما
زاد داود على أن قال للرجل انزل لي عن امرأتك واكفلنيها فعاتبه الله على ذلك
ونبهه عليه وأنكر عليه شغله بالدنيا وهذا الذي ينبغي أن يعول عليه من أمره وقد

الشفاعة

قصة يونس عليه السلام

قصة داود عليه السلام

قيل خطبها على خطبته وقيل بل أحب بقلبه أن يستشهد وحكى السمرقندي أن ذنبه
الذي استغفر منه قوله لأحد الخصمين لقد ظلمك فظلمه بقول خصمه وأما ما
أضيف في الأخبار إلى داود من ذلك فذهب أحمد بن نصر وأبو تمام وغيرهما من
المحققين قال الداودي ليس في قصة داود وأوريا خبر يثبت ولا يظن بنبي
محبة قتل مسلم. وأما قصة يوسف وإخوته فليس على يوسف منها تعقب وأما
إخوته فلم تثبت نبوتهم فيلزم الكلام على أفعالهم وذكر الأسباط وعدهم في
القرآن عند ذكر الأنبياء قال المفسرون يريد من نبئ من أبناء الأسباط وقد قيل إنهم
كانوا حين فعلوا بيوسف ما فعلوه صغار الأسنان ولهذا لم يميزوا يوسف حين
اجتمعوا به ولهذا قالوا أرسله معنا غدا نرتع ونلعب وإن ثبتت لهم نبوة
فبعد هذا والله أعلم وأما قوله تعالى فيه ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى
برهان ربه فعلى مذهب كثير من الفقهاء والمحدثين أن هم النفس لا يؤاخذ به
وليس سيئة لقوله عليه السلام عن ربه إذا هم عبدي بسيئة فلم يعملها كتبت
له حسنة فلا معصية في همه إذا وأما على مذهب المحققين من الفقهاء والمتكلمين
فإن الهم إذا وطنت عليه النفس سيئة وأما ما لم توطن عليه النفس من همومها
وخواطرها فهو المعفو عنه. وهذا هو الحق فيكون إن شاء الله هم يوسف من
هذا ويكون قوله وما أبرئ نفسي الآية أي ما أبرئها من هذا الهم أو يكون ذلك
منه على طريق التواضع والاعتراف بمخالفة النفس لما زكي قبل وبرئ فكيف وقد حكى
أبو حاتم عن أبي عبيدة أن يوسف لم يهم وأن الكلام فيه تقديم وتأخير أي ولقد
همت به ولولا أن رأى برهان ربه لهم بها وقد قال الله تبارك وتعالى عن المرأة
ولقد راودته عن نفسه فاستعصم وقال تعالى كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء
وقال وغلقت الأبواب وقالت هيت لك قال معاذ الله إنه ربي أحسن مثواي
الآية قيل في ربي الله وقيل الملك وقيل هم بها أي بزجرها ووعظها وقيل هم
بها أي غمها امتناعه عنها وقيل هم بها نظر إليها وقيل هم بضربها ودفعها وقيل

قصة يوسف عليه السلام

خبر موسى عليه السلام

هذا انه كان قبل نبوته. وقد ذكر بعضهم ما زال النسا يملن الى يوسف ميل شهوة
حتى نباه الله فالقى عليه هيبة النبوة فشغلت هيبته كل من راه عن حسنه. ولما
خبر موسى مع قتيله الذي وكزه فقد نص الله تعالى انه من عدوه قيل كان من القبط
الذين على دين فرعون ودليل السورة في هذا كله انه قبل نبوة موسى وقال قتادة
وكزه بالعصا ولم يتعمد قتله فعلى هذا لا معصية في ذلك وقوله هذا من عمل
الشيطان وقوله ظلمت نفسي فاغفر لي قال ابن جريج قال ذلك من اجل انه لا ينبغي لنبي
ان يقتل حتى يومر وقال النقاش لم يقتله عن عمد مريدا للقتل وانما وكزه
وكزة يريد بها دفع ظلمه قال وقد قيل ان هذا كان قبل النبوة وهو مقتضى التلاوة
وقوله تعالى في قصته وفتناك فتونا اي ابتليناك ابتلا بعد ابتلا قيل في هذه القصة
وما جرى له مع فرعون وقيل القاوه في التابوت واليم وغير ذلك وقيل معناه اخلصناك
اخلاصا قاله ابن جبير ومجاهد من قولهم فتنت الفضة في النار اذا خلصتها واصل الفتنة
معنى الاختبار واظهار ما بطن الا انه استعمل في عرف الشرع في اختبار ادى الى ما يكره
وكذلك ما روي في الصحيح من ان ملك الموت جاه فلطم عينه ففقاها الحديث
ليس فيه ما يحكم على موسى عليه السلام بالتعدي وفعل ما لا يجب له اذ هو ظاهر الامر
بين الوجه جايز الفعل لان موسى دافع عن نفسه من اتاه لاتلافها وقد تصور له في
صورة ادمي ولا يمكن انه علم حينيذ انه ملك الموت فدافعه عن نفسه مدافعة ادت
الى ذهاب تلك العين الصورة التي تصور له فيها الملك امتحانا من الله فلما جاه بعد واعلمه
الله انه رسوله اليه استسلم وللمتقدمين والمتاخرين على هذا الحديث اجوبة هذا
اسدها عندي وهو تاويل شيخنا الامام ابي عبد الله المازري وقد تاوله قديما ابن
عايشة وغيره على صكه ولطمه بالحجة وفقي عين حجته وهو كلام مستعمل في هذا
الباب في اللغة معروف. واما قصة سليمن وما حكى اهل التفسير من ذنبه وقوله ولقد
فتنا سليمن فمعناه ابتلينا وابتلاؤه ما حكي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لاطوفن
الليلة على مائة امراة او تسع وتسعين كلهن ياتين بفارس يجاهد في سبيل الله

قصة سليمان عليه السلام

الله فقال له صاحبه قل ان شا الله فلم يقل فلم تحمل منهن الا امراة واحدة
جات بشق رجل قال النبي صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لو قال ان شا الله لجا هدوا
في سبيل الله قال اصحاب المعاني والشق هو الجسد الذي القي على كرسيه حين عرض عليه
وهي عقوبته ومحنته وقيل بل مات فالقي على كرسيه ميتا وقيل ذنبه حرصه على
ذلك وتمنيه وقيل لانه لم يستثن لما استغرقه من الحرص وغلب عليه من التمني وقيل عقوبته
ان سلب ملكه وذنبه ان احب بقلبه ان يكون الحق لاختانه على خصمهم وقيل اوخذ
بذنب قارفه بعض نسايه. ولا يصح ما نقله الاخباريون من تشبه الشيطان به وتسلطه
على ملكه وتصرفه في امته بالجور في حكمه لان الشياطين لا يسلطون على مثل هذا وقد
عصم الانبيا من مثله وان سيل لم لم يقل سليمن في القصة المذكورة ان شا الله. فعنه
اجوبة احدها ما روي في الحديث الصحيح انه نسي ان يقولها وذلك لينفذ مراد الله
تعالى والثاني انه لم يسمع صاحبه وشغل عنه. وقوله هب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي
لم يفعل هذا سليمن غيرة على الدنيا ولا نفاسة بها ولكن مقصده في ذلك على ما ذكره
المفسرون ان لا يسلط عليه احد كما سلط عليه الشيطان الذي سلبه اياه مدة امتحانه على
قول من قال ذلك وقيل بل اراد ان تكون له من الله فضيلة وخاصة يختص بها كاختصاص
غيره من انبيا الله ورسله بخواص منه وقيل ليكون ذلك دليلا وحجة على نبوته كالانة
الحديد لابيه واحيا الموتى لعيسى واختصاص محمد بالشفاعة ونحو هذا. واما قصة
نوح عليه السلام فظاهرة العذر وانه اخذ فيها بالتاويل وظاهر اللفظ لقوله تعالى
واهلك فطلب مقتضى هذا اللفظ واراد علم ما طوي عنه من ذلك لا انه شك في وعد
الله فبين الله عليه انه ليس من اهله الذين وعده بنجاتهم لكفره وعمله الذي هو
غير صالح وقد اعلمه انه مغرق الذين ظلموا ونهاه عن مخاطبته فيهم فاوخذ بهذا
التاويل وعتب عليه واشفق هو من اقدامه على ربه لسواله ما لم ياذن له في السوال فيه
وكان نوح فيما حكاه النقاش لا يعلم بكفر ابنه وقيل في الاية غير هذا وكل هذا لا يقضي
على نوح بمعصية سوى ما ذكرناه من تاويله واقدامه بالسوال فيما لم يوذن له فيه

قصة نوح عليه السلام

ولا نهي عنه وما روي في الصحيح أن نبيا قرصته نملة فحرق قرية النمل فأوحى الله
إليه أن قرصتك نملة أحرقت أمة من الأمم تسبح فليس في هذا الحديث أن هذا
الذي أتى معصية بل فعل ما رآه مصلحة وصوابا بقتل من يؤذي جنسه ويمنع المنفعة
بما أباح الله ألا ترى أن هذا النبي كان نازلا تحت الشجرة فلما آذته النملة تحول برحله
عنها مخافة تكرر الأذى عليه وليس فيما أوحى الله إليه ما يوجب معصية بل ندبه إلى
احتمال الصبر وترك التشفي كما قال تعالى ولئن صبرتم لهو خير للصابرين إذ ظاهر فعله
إنما كان لأجل أنها آذته هو في خاصته فكان انتقاما لنفسه وقطع مضرة يتوقعها من
بقية النمل هناك ولم يأت في كل هذا أمر نهي عنه فيعصى به ولا نص فيما أوحى الله إليه
بذلك ولا بالتوبة والاستغفار منه والله أعلم

فصل

فإن قلت فإذا نفيت
عنهم صلوات الله عليهم الذنوب والمعاصي بما ذكرته من اختلاف المفسرين وتأويل
المحققين فما معنى قوله تعالى وعصى آدم ربه فغوى وما تكرر في القرآن والحديث
الصحيح من اعتراف الأنبياء بذنوبهم وتوبتهم واستغفارهم وبكائهم على ما سلف
منهم وإشفاقهم وهل يشفق ويستغفر ويتاب من لا شيء فاعلم وفقنا الله وإياك
أن درجة الأنبياء في الرفعة والعلو والمعرفة بالله وسنته في عباده وعظم سلطانه
وقوة بطشه مما يحملهم على الخوف منه جل جلاله والإشفاق من المؤاخذة بما لا يؤا
خذ به غيرهم وأنهم في تصرفهم بأمور لم ينهوا عنها ولا أمروا بها ثم أوخذوا
عليها وعوتبوا بسببها أو حذروا من المؤاخذة بها وأتوها على وجه التأويل أو السهو
أو تزيد من أمور الدنيا المباحة خائفون وجلون وهي ذنوب بالإضافة إلى علي
منصبهم ومعاص بالنسبة إلى كمال طاعتهم لا أنها كذنوب غيرهم ومعاصيهم فإن
الذنب مأخوذ من الشيء الدنيء الرذل ومنه ذنب كل شيء آخره وأذناب الناس رذالهم
فكأن هذه أدنى أفعالهم وأسوأ ما يجري من أحوالهم لتطهيرهم وتنزيههم وعمارة بوا
طنهم وظواهرهم بالعمل الصالح والكلم الطيب والذكر الظاهر والخفي والخشية
لله وإعظامه في السر والعلانية وغيرهم يتلوث من الكبائر والقبائح والفواحش ما

تكون بالإضافة إليها هذه الهنات في حقه كالحسنات كما قيل حسنات الأبرار
سيئات المقربين أي يرونها بالإضافة إلى علي أحوالهم كالسيئات وكذلك العصيان
الترك والمخالفة فعلى مقتضى اللفظة كيف ما كانت من سهو أو تأويل فهي مخالفة
وترك وقوله فغوى أي جهل أن تلك الشجرة هي التي نهي عنها والغي الجهل وقيل أخطأ
ما طلب من الخلود إذ أكلها وخابت أمنيته وهذا يوسف عليه السلام قد أوخذ
بقوله لأحد صاحبي السجن اذكرني عند ربك فأنساه الشيطان ذكر ربه فلبث في
السجن بضع سنين قيل أنسي يوسف ذكر الله وقيل أنسي صاحبه أن يذكره لسيده
الملك قال النبي صلى الله عليه وسلم لولا كلمة يوسف ما لبث في السجن ما لبث قال
ابن دينار لما قال ذلك يوسف قيل له اتخذت من دوني وكيلا لأطيلن حبسك
فقال يا رب أنسى قلبي كثرة البلوى وقال بعضهم يؤاخذ الأنبياء بمثاقيل الذر لمكانتهم
عنده ويجاوز عن سائر الخلق لقلة مبالاته بهم في أضعاف ما أتوا به من سوء الأدب
وقد قال المحتج للفرقة الأولى على سياق ما قلناه إذا كان الأنبياء يؤاخذون بهذا مما لا
يؤاخذ به غيرهم من السهو والنسيان وما ذكرته وحالهم أرفع فحالهم إذا في هذا
أسوأ حالا من غيرهم فاعلم أكرمك الله أنا لا نثبت لك المؤاخذة في هذا على
حد مؤاخذة غيرهم بل نقول إنهم يؤاخذون بذلك في الدنيا ليكون ذلك زيادة لهم
في درجاتهم ويبتلون بذلك ليكون استشعارهم له سببا لمنماة رتبهم كما قال ثم
اجتباه ربه فتاب عليه وهدى وقال لداود فغفرنا له ذلك الآية وقال بعد
قول موسى تبت إليك إني اصطفيتك على الناس وقال بعد ذكر فتنة سليمن وإنابته
فسخرنا له الريح إلى وحسن مآب وقال بعض المتكلمين زلات الأنبياء في الظاهر زلات وفي
الحقيقة كرامات وزلف وأشار إلى نحو مما قدمناه وأيضا فلينبه غيرهم من
البشر منهم أو ممن ليس في درجتهم بمؤاخذتهم بذلك فيستشعروا الحذر ويعتقدوا
المحاسبة ليلتزموا الشكر على النعم ويعدوا الصبر على المحن بملاحظة ما وقع بأهل هذا
النصاب الرفيع المعصوم فكيف بمن سواهم ولهذا قال صالح المري ذكر داود بسطة

بسطه للتوابين قال ابن عطا لم يكن ما نص الله من قصة صاحب الحوت نقصا له
ولكن استزادة من نبينا عليه السلام وايضا فيقال لهم فانكم ومن وافقكم تقولون
بغفران الصغاير باجتناب الكباير ولا خلاف بعصمة الانبيا من الكباير فما جوزتم من وقوع
الصغاير عليهم هي مغفورة على هذا فما معنى المواخذة بها اذا عندكم وخوف الانبيا وتوبتهم
منها وهي مغفورة لو كانت فما اجابوا به فهو جوابنا عن المواخذة بافعال السهو والتا
ويل وقد قيل ان كثرة استغفار النبي صلى الله عليه وسلم وتوبته وغيره من الانبيا
على وجه ملازمة الخضوع والعبودية والاعتراف بالتقصير شكرا لله على نعمه كما قال
عليه السلام وقد امن من المواخذة بما تقدم وما تاخر افلا اكون عبدا شكورا وقال اني
اخشاكم لله واعلمكم بما اتقي قال الحرث بن اسد خوف الملايكة والانبيا خوف اعظام
وتعبد لله لانهم امنون وقيل فعلوا ذلك ليقتدي بهم وتستن بهم اممهم كما
قال عليه السلام لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وايضا فان التوبة
والاستغفار معنى اخر لطيفا اشار اليه بعض العلما وهو استدعا محبة الله قال
الله تعالى ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين فاحداث الرسل والانبيا الاستغفار
والتوبة والانابة والاوبة في كل حين استدعا لمحبة الله والاستغفار فيه معنى
التوبة وقد قال الله لنبيه بعد ان غفر له ما تقدم وما تاخر من ذنبه لقد تاب الله
على النبي والمهاجرين والانصار الاية وقال فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا

فصل قد استبان لك ايها الناظر بما قررناه ما هو الحق من عصمته عليه
السلام عن الجهل بالله وصفاته او كونه على حالة تنافي العلم بشي من ذلك كله جملة
بعد النبوة عقلا واجماعا وقبلها سمعا ونقلا ولا بشي مما قرره من امور الشرع
واداه عن ربه من الوحي قطعا عقلا وشرعا وعصمته عن الكذب وخلف القول
منذ نباه الله وارسله قصدا او غير قصد واستحالة ذلك عليه شرعا واجماعا
ونظرا وبرهانا وتنزيهه عنه قبل النبوة قطعا وتنزيهه عن الكباير اجماعا وعن
الصغاير تحقيقا وعن استدامة السهو والغفلة واستمرار الغلط والنسيان عليه

فيما شرعه للامة وعصمته في كل حالاته من رضى وغضب وجد ومزح مما يجب
عليك ان تتلقاه باليمين وتشد عليه يد الضنين وتقدر هذه الفصول حق قدرها
وتعلم عظيم فايدتها وخطرها فان من يجهل ما يجب للنبي او يجوز او يستحيل عليه ولا
يعرف صور احكامه لا يامن ان يعتقد في بعضها خلاف ما هي عليه ولا ينزهه عما
لا يجب ان يضاف اليه فيهلك من حيث لا يدري ويسقط في هوة الدرك الاسفل
من النار اذ ظن الباطل به واعتقاد ما لا يجوز عليه يحل بصاحبه دار البوار ولهذا
ما احتاط عليه السلام على الرجلين اللذين راياه ليلا وهو معتكف في المسجد مع صفية
ثم قال لهما ان الشيطان يجري من ابن ادم مجرى الدم واني خشيت ان يقذف في قلوبكما شيا
فتهلكا هذه اكرمك الله احدى فوايد ما تكلمنا عليه في هذه الفصول ولعل جاهلا
لا يعلم بجهله اذا سمع شيا منها يرى ان الكلام فيها جملة من فضول العلم وان السكوت
اولى وقد استبان لك انه متعين للفايدة التي ذكرناها وفايدة ثانية يضطر اليها
في اصول الفقه وتنبني عليها مسايل من الفقه لا تتعد ويتخلص بها من تشغيب مختلفي
الفقها في عدة منها وهي الحكم في اقوال النبي صلى الله عليه وسلم وافعاله وهو باب عظيم
واصل كبير من اصول الفقه ولا بد من بنايه على صدق النبي في اخباره وبلاغه وانه لا يجوز
عليه السهو فيه وعصمته من المخالفة في افعاله عمدا وبحسب اختلافهم في وقوع الصغا
وقع خلاف في امتثال الفعل بسط بيانه في كتب ذلك العلم فلا نطول به وفايدة
ثالثة يحتاج اليها الحاكم والمفتي فيمن اضاف الى النبي صلى الله عليه وسلم شيا من هذه الامور
ووصفه بها فمن لم يعرف ما يجوز وما يمتنع عليه وما وقع الاجماع فيه والخلاف كيف
يصمم في الفتيا في ذلك ومن اين يدري هل ما قاله فيه نقص او مدح فاما ان يجتري
على سفك دم مسلم حرام او يسقط حقا ويضيع حرمة للنبي عليه السلام وبسبيل هذا
ما قد اختلف ارباب الاصول وايمة العلما والمحققين في عصمة الملايكة

فصل في القول في عصمة الملايكة اجمع المسلمون ان الملايكة مومنون فضلا واتفق
ايمة المسلمين ان حكم المرسلين منهم حكم النبيين سوا في العصمة مما ذكرنا عصمتهم منه

للنوابس وانهم في حقوق الانبيا والتبليغ اليهم كالانبيا مع الامم واختلفوا في غير
المرسلين منهم فذهبت طائفة الى عصمة جميعهم عن المعاصي واحتجوا بقوله تعالى
لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يومرون وبقوله وما منا الا له مقام
معلوم وانا لنحن الصافون وانا لنحن المسبحون وبقوله ومن عنده لا يستكبرون
عن عبادته ولا يستحسرون وبقوله ان الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته
الايه وقوله كرام بررة ولا يمسه الا المطهرون ونحوه من السمعيات وذهبت
طايفة الى ان هذا خصوص للمرسلين منهم والمقربين واحتجوا باشيا ذكرها اهل
الاخبار والتفاسير نحن نذكرها ان شا الله بعد ونبين الوجه فيها ان شا الله
والصواب عصمة جميعهم وتنزيه نصابهم الرفيع عن جميع ما يحط من رتبهم
ومنزلتهم عن جليل مقدارهم ورايت بعض شيوخنا اشار الى ان لا حاجة بالفقيه
الى الكلام في عصمتهم وانا اقول ان للكلام في ذلك ما للكلام في عصمة الانبيا من
الفوايد التي ذكرناها سوى فايدة الكلام في الاقوال والافعال فهي ساقطة هاهنا
فمما احتج به من لم يوجب عصمة جميعهم قصة هاروت وماروت وما ذكر
فيها اهل الاخبار ونقلة المفسرين وما روي عن علي وابن عباس في خبرهما وابتلايهما
فاعلم اكرمك الله ان هذه الاخبار لم يرو منها شي لا سقيم ولا صحيح عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس هو شيا يوخذ بقياس والذي منه في القران
اختلف المفسرون في معناه وانكر ما قال بعضهم فيه كثير من السلف كما سنذكره وهذه
الاخبار من كتب اليهود وافتراتهم كما نصه الله اول الايات من افترايهم بذلك على سليمن وتكفيرهم
اياه وقد انطوت القصة على شنع عظيمة وها نحن نخبر في ذلك ما يكشف غطا هذه
الاشكالات ان شا الله فاختلف اولا في هاروت وماروت هل هما ملكان او انسان
وهل هما المراد بالملكين ام لا وهل القراة ملكين او ملكين وهل ما في قوله وما
انزل وما يعلمان من احد نافية او موجبة فاكثر المفسرين ان الله امتحن الناس بالملكين
لتعليم السحر وتبيينه وان عمله كفر فمن تعلمه كفر ومن تركه امن قال الله تعالى

انما نحن فتنة فلا تكفر وتعليمهما الناس تعليم انذار اي يقولان لمن جا يطلب تعلمه
لا تفعلوا كذا فانه يفرق بين المرء وزوجه ولا تتخيلوا بكذا فانه سحر فلا تكفروا
فعلى هذا فعل الملكين طاعة وتصرفهما فيما امرا به ليس بمعصية وهي لغيرهما فتنة
وروى ابن وهب عن خالد بن ابي عمران انه ذكر عنده هاروت وماروت وانهما يعلمان السحر
فقال نحن ننزههما عن هذا فقرا بعضهم وما انزل على الملكين فقال خالد لم
ينزل عليهما فهذا خالد على جلالته وعلمه نزههما عن تعليم السحر الذي قد ذكر غيره
انهما ماذون لهما في تعليمه بشريطة ان يبينا انه كفر وانه امتحان من الله وابتلا
فكيف لا ينزههما عن كباير المعاصي والكفر المذكورة في تلك الاخبار وقول خالد لم ينزل
يريد ان ما نافية وهو قول ابن عباس قال مكي وتقدير الكلام وما كفر سليمن يريد بالسحر
الذي افتعلته عليه الشياطين واتبعتهم في ذلك اليهود وما انزل على الملكين قال
مكي هما جبريل وميكايل ادعى اليهود عليهما المجي به كما ادعوا على سليمن فاكذبهم الله
في ذلك ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر ببابل هاروت وماروت
قيل هما رجلان تعلماه قال الحسن هاروت وماروت علجان من اهل بابل وقرا
وما انزل على الملكين بكسر اللام وتكون ما ايجابا على هذا وكذلك قراة عبد الرحمن بن
ابزى بكسر اللام ولكنه قال الملكان هنا داود وسليمن وتكون ما نفيا على ما تقدم
وقيل كانا ملكين من بني اسرايل فمسخهما الله حكاه السمرقندي والقراة بكسر اللام
شاذة فحمل الاية على تقدير ابي محمد مكي حسن ينزه الملايكة ويذهب عنهم الرجس
ويطهرهم تطهيرا وقد وصفهم الله بانهم مطهرون وكرام بررة ولا يعصون الله
ما امرهم ومما يذكرونه من قصة ابليس وانه كان من الملايكة ورييسا فيهم ومن خزان
الجنة الى اخر ما حكوه وانه استثناه من الملايكة وانه ابو الجن كما ادم ابو الانس
وهو قول الحسن وقتادة وابن زيد وقال شهر بن حوشب كان من الجن الذين طردهم
الملايكة في الارض حين افسدوا والاستثنا من غير الجنس شايع في كلام العرب سايغ وقد
قال الله تعالى ما لهم به من علم الا اتباع الظن ومما روي في الاخبار ان خلقا من الملايكة

قصوا الله تعالى لحرقوا وامروا ان يسجدوا لآدم فابوا فحرقوا ثم آخرون كذلك
حتى سجد له من ذكر الله الا ابليس في اخبار لا اصل لها تردها صحاح الاخبار فلا
نشتغل بها ⁂ **الباب الثاني** فيما يخصهم في الامور
الدينوية ويطرأ عليهم من العوارض البشرية ⁂ قد قدمنا انه عليه السلام وسائر
الانبياء والرسل من البشر وان جسمه وظاهره خالص للبشر يجوز عليه من الآفات والتغيرات
والآلام والاسقام وتجرع كاس الحمام ما يجوز على البشر وهذا كله ليس بنقيصة
فيه لان الشيء انما يسمى ناقصا بالاضافة الى ما هو اتم منه واكمل من نوعه وقد كتب الله
على اهل هذه الدار فيها يحيون وفيها يموتون ومنها يخرجون وخلق جميع البشر بمدرجة
الغير فقد مرض عليه السلام واشتكى واصابه الحر والقر وادركه الجوع والعطش
ولحقه الغضب والضجر وناله الاعيا والتعب ومسه الضعف والكبر وسقط
فجحش شقه وشجه الكفار وكسروا رباعيته وسقي السم وسحر وتداوى واحتجم وتنشر
وتعوذ ثم قضى نحبه فتوفي صلى الله عليه وسلم ولحق بالرفيق الاعلى وتخلص من دار الامتحان
والبلوى وهذه سمات البشر التي لا محيص عنها واصاب غيره من الانبياء ما هو اعظم منها
فقتلوا قتلا ورموا في النار ووشروا بالمياشير ومنهم من وقاه الله ذلك في بعض
الاوقات ومنهم من عصمه الله كما عصم بعد نبينا من الناس فلئن لم يكف نبينا ربه يد
ابن قميئة يوم احد ولا حجبه عن عيون عداه عند دعوته اهل الطائف فلقد اخذ
على عيون قريش عند خروجه الى ثور وامسك عنه سيف غورث وحجر ابي جهل وفرس
سراقة ولئن لم يقه من سحر ابن الاعصم فلقد وقاه ما هو اعظم من سم اليهودية
وهكذا سائر انبيائه مبتلى ومعافى وذلك من تمام حكمته ليظهر شرفهم في هذه
المقامات ويبين امرهم ويتم كلمته فيهم وليحقق بامتحانهم بشريتهم ويرتفع
الالتباس عن اهل الضعف فيهم لئلا يضلوا بما يظهر من العجائب على ايديهم ضلال
النصارى بعيسى وليكون في محنهم تسلية لاممهم ووفور لاجورهم عند ربهم تماما
على الذي احسن اليهم قال بعض المحققين وهذه الطوارئ والتغييرات المذكورة انما

تختص باجسامهم البشرية المقصود بها مقاومة البشر ومعاناة بني آدم لمشاكلة
الجنس واما بواطنهم فمنزهة غالبا عن ذلك معصومة منه متعلقة بالملأ الاعلى
والملائكة لاخذها عنهم وتلقيها الوحي منهم قال وقد قال عليه السلام ان عيني
تنامان ولا ينام قلبي وقال اني لست كهيئتكم اني ابيت يطعمني ربي ويسقيني
وقال لست انسى ولكن انسى ليستن بي فاخبر ان سره وروحه وباطنه بخلاف جسمه
وظاهره وان الآفات التي تحل ظاهره من ضعف وجوع وسهر ونوم لا يحل منها
شيء باطنه بخلاف غيره من البشر في حكم الباطن لان غيره اذا نام استغرق النوم جسمه
وقلبه وهو عليه السلام في نومه حاضر القلب كما هو في يقظته حتى قد جاء في بعض
الآثار انه كان محروسا من الحدث في نومه لكون قلبه يقظان كما ذكرناه وكذلك
غيره اذا جاع ضعف لذلك جسمه وخارت قوته فبطلت بالكلية جملته وهو عليه
السلام قد اخبر انه لا يعتريه ذلك وانه بخلافهم بقوله لست كهيئتكم اني ابيت
يطعمني ربي ويسقيني وكذلك اقول انه في هذه الاحوال كلها من وصب ومرض وسحر
وغضب لم يجر على باطنه ما يخل به ولا فاض منه على لسانه وجوارحه ما يليق به كما
يعتري غيره من البشر مما نأخذ بعد في بيانه ⁂ **فصل** فان قلت فقد جاءت
الاخبار الصحيحة انه عليه السلام سحر كما حدثنا الشيخ ابو محمد العتابي بقراءتي عليه
نا حاتم بن محمد نا ابو الحسن علي بن خلف نا محمد بن احمد نا محمد بن يوسف نا البخاري
نا عبيد بن اسمعيل نا ابو اسامة عن هشام بن عروة عن ابيه عن عائشة قالت سحر رسول الله
صلى الله عليه وسلم حتى انه ليخيل اليه انه فعل الشيء وما فعله وفي اخرى حتى كان
يخيل اليه انه كان ياتي النساء ولا ياتيهن الحديث واذا كان هذا من التباس الامر على
المسحور فكيف حال النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك وكيف جاز عليه وهو معصوم ⁂
فاعلم وفقنا الله واياك ان هذا حديث صحيح متفق عليه وقد طعنت فيه الملحدة
وتذرعت به لسخف عقولها وتلبيسها على امثالها الى التشكيك في الشرع وقد نزه الله
الشرع والنبي عما يدخل في امره لبسا وانما السحر مرض من الامراض وعارض من العلل

لا

يجوز عليه كأنواع الأمراض مما لا ينكر ولا يقدح في نبوته وأما ما ورد أنه كان
يخيل إليه أنه فعل الشيء ولا يفعله فليس في هذا ما يدخل عليه داخلة في شيء من
تبليغه أو شريعته أو يقدح في صدقه لقيام الدليل والإجماع على عصمته من
هذا وإنما هذا فيما يجوز طروه عليه في أمر دنياه التي لم يبعث بسببها ولا فضل من امور ح
أجلها وهو فيها عرضة للآفات كسائر البشر فغير بعيد أن يخيل إليه من أمورها
ما لا حقيقة له ثم ينجلي عنه كما كان وأيضا فقد فسر هذا الفصل الحديث الآخر
من قوله حتى يخيل إليه أنه يأتي أهله ولا يأتيهن وقد قال سفين وهذا أشد ما يكون
من السحر ولم يأت في خبر منها أنه نقل عنه في ذلك قول بخلاف ما كان أخبر أنه
فعله ولم يفعله وإنما كانت خواطر وتخيلات وقد قيل إن المراد بالحديث أنه
كان يتخيل الشيء أنه فعله وما فعله لكنه تخييل لا يعتقد صحته فتكون اعتقاداته
كلها على السداد وأقواله على الصحة هذا ما وقفنا عليه لأئمتنا من الأجوبة عن هذا
الحديث مع ما أوضحناه من معنى كلامهم وزدناه بيانا من تلويحاتهم وكل وجه منها مقنع منها ح
لكنه قد ظهر لي في الحديث تأويل أجلى وأبعد من مطاعن ذوي الأضاليل يستفاد
من نفس الحديث وهو أن عبد الرزاق قد روى هذا الحديث عن ابن المسيب وعروة بن
الزبير وقال فيه عنهما سحر يهود بني زريق رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعلوه
في بئر حتى كاد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينكر بصره ثم دله الله تعالى على ما
صنعوا فاستخرجه من البئر وذكر عن عطا الخراساني عن يحيى بن يعمر حبس رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن عائشة سنة فبينا هو نائم أتاه ملكان فقعد أحدهما عند رأسه
والآخر عند رجليه الحديث قال عبد الرزاق حبس رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن عائشة خاصة سنة حتى أنكر بصره فقد استبان لك من مضمون هذه الروايات
أن السحر إنما تسلط على ظاهره وجوارحه لا على قلبه واعتقاده وعقله وأنه إنما أثر وطعامه ح
في بصره وحبسه عن وطء نسائه ويكون معنى قوله يخيل إليه أنه يأتي أهله ولا يأتيهن
أي يظهر له من نشاطه ومتقدم عادته القدرة على النساء فإذا دنا منهن أصابته أخذة
السحر

السحر فلم يقدر على إتيانهن كما يعتري من أخذ واعترض ولعله لمثل هذا أشار
سفين بقوله وهذا أشد ما يكون من السحر ويكون قول عائشة في الرواية الأخرى
إنه ليخيل إليه أنه فعل الشيء وما فعله من باب ما اختل من بصره كما ذكر في الحديث
فيظن أنه رأى شخصا من بعض أزواجه أو شاهد فعلا من غيره ولم يكن على ما يخيل
إليه لما أصابه في بصره وضعف نظره لا لشيء طرأ عليه في ميزه وإذا كان هذا
لم يكن فيما ذكر من إصابة السحر له وتأثيره فيه ما يدخل لبسا ولا يجد به
الملحد المعترض أنسا **فصل** هذه حاله في جسمه فأما أحواله في أمور الدنيا
فنحن نسبرها على أسلوبها المتقدم بالعقد والقول والفعل أما العقد منها فقد
يعتقد في أمور الدنيا الشيء على وجه ويظهر خلافه أو يكون منه على شك أو ظن
بخلاف أمور الشرع كما حدثنا أبو بحر سفين بن العاصي وغير واحد سماعا وقراءة قالوا
نا أبو العباس أحمد بن عمر نا أبو العباس الرازي نا أبو أحمد بن عمرويه نا ابن سفين نا
مسلم نا عبد الله بن الرومي وعباس العنبري وأحمد المعقري قالوا نا النضر بن
محمد حدثني عكرمة أبو النجاشي نا رافع بن خديج قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثنا ع قدم ح
المدينة وهم يأبرون النخل فقال ما تصنعون قالوا كنا نصنعه قال لعلكم لو لم تفعلوا
كان خيرا فتركوه فنفضت فذكروا ذلك له فقال إنما أنا بشر إذا أمرتكم بشيء من
دينكم فخذوا به وإذا أمرتكم بشيء من رأي فإنما أنا بشر وفي رواية أنس أنتم أعلم بأمر
دنياكم وفي حديث آخر إنما ظننت ظنا فلا تؤاخذوني بالظن وفي حديث ابن عباس
في قصة الخرص فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما أنا بشر فما حدثتكم عن الله
فهو حق وما قلت فيه من قبل نفسي فإنما أنا بشر أخطئ وأصيب وهذا على ما قررناه
فيما قاله من قبل نفسه في أمور الدنيا وظنه من أحوالها لا ما قاله من قبل نفسه
واجتهاده في شرع شرعه وسنة سنها وكما حكى ابن إسحق أنه عليه السلام لما نزل
بأدنى مياه بدر قال له الحباب بن المنذر أهذا منزل أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدمه
أو هو الرأي والحرب والمكيدة قال لا بل هو الرأي والحرب والمكيدة قال فإنه

فانه ليس بمنزل انهض حتى نأتي ادنا ماء القوم فننزله ثم نغور ما وراه من القلب
فنشرب ولا يشربون فقال اشرت بالراي وفعل ما قاله وقد قال له الله وشاورهم
في الامر واراد مصالحة بعض عدوه على ثلث تمر المدينة فاستشار الانصار فلما اخبر
وه برايهم رجع عنه فمثل هذا واشباهه من امور الدنيا التي لا مدخل فيها لعلم
ديانة ولا اعتقادها ولا تعليمها يجوز عليه فيه ما ذكرنا اذ ليس في هذا كله
نقيصة ولا محطة وانما هي امور اعتيادية يعرفها من جربها وجعلها همه وشغل
نفسه بها والنبي مشحون القلب بمعرفة الربوبية ولكن هذا انما يكون في بعض
الامور ويجوز في النادر وفيما سبيله التدقيق في حراسة الدنيا واستثمارها لا
في الكثير المؤذن بالبله والغفلة وقد تواتر بالنقل عنه عليه السلام من المعرفة
بامور الدنيا ودقائق مصالحها وسياسة فرق اهلها ما هو معجز في البشر مما
قد نبهنا عنه في باب معجزاته من هذا الكتاب ∴ **فصل** واما ما يعتقد في
امور احكام البشر الجارية على يديه وقضاياهم ومعرفة المحق من المبطل وعلم
المصلح من المفسد فبهذه السبيل لقوله عليه السلام انما انا بشر وانكم تختصمون
الي ولعل بعضكم ان يكون الحن بحجته من بعض فاقضي له على نحو مما اسمع منه فمن قضيت
له من حق اخيه بشيء فلا ياخذ منه شيئا فانما اقطع له قطعة من النار ∴ حدثنا
الفقيه ابو الوليد رحمه الله نا الحسين بن محمد الحافظ نا ابو عمر نا ابو محمد نا ابو بكر
نا ابو داود نا محمد بن كثير نا سفين عن هشام بن عروة عن ابيه عن زينب بنت
ام سلمة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث وفي رواية الزهري عن
عروة فلعل بعضكم ان يكون ابلغ من بعض فاحسب انه صادق فاقضي له وتجري
احكامه عليه السلام على الظاهر وموجب غلبات الظن بشهادة الشاهد ويمين
الحالف ومراعاة الاشبه ومعرفة العفاص والوكاء مع مقتضى حكمة الله في
ذلك فانه تعالى لو شاء لاطلعه على سرائر عباده ومخبآت ضمائر امته فتولى الحكم
بينهم بمجرد يقينه وعلمه دون حاجة الى اعتراف او بينة او يمين او شبهة ولكن

علمه

عن أم سلمة

خامس عشر

لما امر الله امته باتباعه والاقتدا به في افعاله واحواله وقضاياه وسيره وكان
هذا لو كان مما يختص بعلمه ويؤثره الله به لم يكن للامة سبيل الى الاقتدا به في شي من
ذلك ولا قامت حجة بقضية من قضاياه لاحد في شريعته لانا لا نعلم ما اطلع عليه
هو في تلك القضية لحكمه هو اذا اذ ذاك بالمكنون من اعلام الله له بما اطلعه عليه
من سرائرهم وهذا ما لا تعلمه الامة فاجرى الله احكامه على ظواهرهم التي يستوي
في ذلك هو وغيره من البشر ليتم اقتدا امته به في تعيين قضاياه وتنزيل احكامه
وياتون ما اتوا من ذلك على علم ويقين من سنته اذ البيان بالفعل اوقع منه بالقول
وارفع لاحتمال اللفظ وتاويل المتاول وكان حكمه على الظاهر اجلى في البيان واوضح
في وجوه الاحكام واكثر فائدة لموجبات التشاجر والخصام وليقتدي بذلك
كله حكام امته ويستوثق بما يؤثر عنه وينضبط قانون شريعته وطي ذلك عنه
من علم الغيب الذي استاثر به عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من
رسول فيعلمه منه بما شاء ويستاثر بما شاء ولا يقدح هذا في نبوته ولا يفصم
عروة من عصمته ∴ **فصل** واما اقواله عليه السلام الدنيوية من اخباره
عن احواله واحوال غيره وما يفعله او فعله فقد قدمنا ان الخلف فيها ممتنع عليه
في كل حال وعلى اي وجه من عمد او سهو او صحة او مرض او رضى او غضب وانه
معصوم منه صلى الله عليه وسلم هذا فيما طريقه الخبر المحض مما يدخله الصدق
والكذب فاما المعاريض الموهم ظاهرها خلاف باطنها فجائز ورودها منه
في الامور الدنيوية لا سيما لقصد المصلحة كتوريته عن وجه مغازيه لئلا ياخذ
العدو حذره وكما روي من ممازحته ودعابته لبسط امته وتطييب قلوب
المومنين من صحابته وتاكيدا في تحببهم ومسرة نفوسهم كقوله لاحملنك على ابن الناقة
وقوله للمراة التي سالته عن زوجها اهو الذي بعينيه بياض وهذا كله صدق لان
كل جمل ابن ناقة وكل انسان بعينيه بياض وقد قال عليه السلام اني لامزح ولا اقول
الا حقا هذا كله فيما بابه الخبر فاما ما بابه غير الخبر مما صورته صورة الامر والنهي

يفصم

بلغ

في الامور الدنيوية فلا يصح منه ايضا ولا يجوز عليه أن يامر احدا بشيء او ينهى
احدا عن شيء وهو يبطن خلافه وقد قال عليه السلام ما كان لنبي ان تكون له
خائنة الاعين فكيف ان تكون له خيانة قلب فان قلت فما معنى اذا قوله تعالى في قصة
زيد واذ تقول للذي انعم الله عليه وانعمت عليه امسك عليك زوجك الاية ∴
فاعلم اكرمك الله ولا تسترب في تنزيه النبي صلى الله عليه وسلم عن هذا الظاهر
وان يامر زيدا بامساكها وهو يحب تطليقه اياها كما ذكر عن جماعة من المفسرين
واصح ما في هذا ما حكاه اهل التفسير عن علي بن حسين ان الله تعالى كان اعلم نبيه ان
زينب ستكون من ازواجه فلما شكاها اليه زيد قال له امسك عليك زوجك
واتق الله واخفى في نفسه ما اعلمه الله به من انه سيتزوجها مما الله مبديه ومظهره
بتمام التزويج وتطليق زيد لها وروى نحوه عمرو بن فايد عن الزهري قال نزل جبريل
على النبي صلى الله عليه وسلم يعلمه ان الله يزوجه زينب بنت جحش وذلك الذي اخفى
في نفسه ويصحح هذا قول المفسرين في قوله بعد هذا وكان امر الله مفعولا اي
لا بد لك ان تتزوجها ويوضح هذا ان الله لم يبد من امره معها غير زواجه لها فدل
انه الذي اخفاه عليه السلام مما كان اعلمه به تعالى وقوله تعالى في القصة ما كان
على النبي من حرج فيما فرض الله له سنة الله الاية فدل انه لم يكن عليه حرج في الامر
قال الطبري ما كان الله ليؤثم نبيه فيما احل مثال فعله لمن قبله من الرسل
قال الله سنة الله في الذين خلوا من قبل اي من النبيين فيما احل لهم ولو كان على ما
روي في حديث قتادة من وقوعها من قلب النبي صلى الله عليه وسلم عندما اعجبته ومحبته
طلاق زيد لها لكان فيه اعظم الحرج وما لا يليق به من مد عينيه لما نهي عنه من
زهرة الحياة الدنيا ولكان هذا نفس الحسد المذموم الذي لا يرضاه ولا يتسم به الاتقيا
فكيف سيد الانبيا قال القشيري وهذا اقدام عظيم من قايله وقلة معرفة
بحق النبي صلى الله عليه وسلم وبفضله وكيف يقال راها فاعجبته وهي بنت عمته ولم
يزل يراها منذ ولدت ولا كان النسا يحتجبن منه عليه السلام وهو زوجها لزيد ∴
وانما

وانما جعل الله طلاق زيد لها وتزويج النبي صلى الله عليه وسلم اياها لازالة حرمة
التبني وابطال سنته كما قال ما كان محمد ابا احد من رجالكم وقال لكيلا يكون على المومنين
حرج في ازواج ادعيايهم ونحوه لابن فورك وقال ابو الليث السمرقندي فان
قيل فما الفايدة في امر النبي صلى الله عليه وسلم لزيد بامساكها فهو ان الله اعلم نبيه انها
زوجته فنهاه النبي عن طلاقها اذ لم تكن بينهما الفة واخفى في نفسه ما اعلمه الله
به فلما طلقها زيد خشي قول الناس يتزوج امراة ابنه فامره الله بزواجها ليباح مثل
ذلك لامته كما قال تعالى لكي لا يكون على المومنين حرج في ازواج ادعيايهم وقد
قيل كان امره لزيد بامساكها قمعا للشهوة ورد النفس عن هواها وهذا اذا جوزنا
عليه انه راها فجاة واستحسنها ومثل هذا لا نكرة فيه لما طبع عليه ابن ادم من
استحسانه للحسن ونظرة الفجاة معفو عنها ثم قمع نفسه عنها وامر زيدا بامساكها
وانما تنكر تلك الزيادات التي في القصة والتعويل والاولى ما ذكرناه عن علي بن حسين
وحكاه السمرقندي وهو قول ابن عطا وصححه واستحسنه القاضي القشيري واخشيته
عليه السلام من الناس كانت من ارجاف المنافقين واليهود وتشغيبهم على المسلمين بقولهم
تزوج زوجة ابنه بعد نهيه عن نكاح حلايل الابنا كما كان فعتبه الله على هذا ونزهه
عن الالتفات اليهم فيما احله لهم كما عتبه على مراعاة رضى ازواجه في سورة التحريم
بقوله لم تحرم ما احل الله لك الاية كذلك قوله له هاهنا وتخشى الناس والله
احق ان تخشاه وقد روي عن الحسن وعايشة لو كتم رسول الله شيا لكتم هذه الاية لما فيها
من عتبه وابدا ما اخفاه ∴ **فصل** فان قلت قد تقررت عصمته عليه السلام في
اقواله في جميع احواله وانه لا يصح منه فيها خلف ولا اضطراب في عمد ولا سهو
ولا صحة ولا مرض ولا جد ولا مزح ولا رضى ولا غضب ولكن ما معنى الحديث في
وصيته عليه السلام الذي حدثنا به القاضي الشهيد ابو علي رحمه الله قال نا القاضي ابو الوليد
نا ابو ذر نا ابو محمد وابو الهيثم وابو اسحق قالوا نا محمد بن يوسف نا محمد بن اسمعيل
نا علي بن عبد الله نا عبد الرزاق اخبرنا معمر عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس

قال لما حضر رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي البيت رجال فقال النبي صلى الله عليه
وسلم هلموا اكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده فقال بعضهم ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قد غلبه الوجع الحديث وفي رواية ايتوني اكتب لكم كتابا لن تضلوا بعدي
ابدا فتنازعوا فقالوا ما له أهجر استفهموه فقال دعوني فان الذي انا فيه خير
وفي بعض طرقه ان النبي صلى الله عليه وسلم يهجر وفي رواية هجر ويروى أهجرا وفيه — ويروى أهجر صح
فقال عمر ان النبي قد اشتد به الوجع وعندنا كتاب الله حسبنا وكثر اللغط فقال
قوموا عني وفي رواية واختلف اهل البيت واختصموا فمنهم من يقول قربوا يكتب لكم
رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابا ومنهم من يقول ما قال عمر قال ائمتنا في هذا
الحديث النبي صلى الله عليه وسلم غير معصوم من الامراض وما يكون من عوارضها من شدة
وجع وغشي ونحوه مما يطرأ على جسمه معصوم ان يكون منه من القول اثناء ذلك ما يطعن
في معجزته ويؤدي الى فساد في شريعته من هذيان واختلال في كلام وعلى هذا لا يصح
ظاهر رواية من روى في الحديث هجر اذ معناه هذى يقال هجر هجرا اذا هذى واهجر
هجرا اذا افحش واهجر تعدية هجر وانما الاصح والاولى أهجر على طريق الانكار على من
قال لا يكتب وهكذا روايتنا فيه في صحيح البخاري من رواية جميع الرواة في حديث
الزهري المتقدم وفي حديث محمد بن سلام عن ابن عيينة وكذا ضبطه الاصيلي بخطه في
كتابه وغيره من الطرق وكذا رويناه عن مسلم في حديث سفين وعن غيره وقد تحمل عليه — هذه صح
رواية من رواه هجر على حذف الف الاستفهام والتقدير أهجر او ان يحمل قول القائل
هجر او أهجر دهشة من قائل ذلك وحيرة لعظيم ما شاهد من حال الرسول صلى الله
عليه وسلم وشدة وجعه وهول المقام الذي اختلف فيه عليه والامر الذي هم
بالكتاب فيه حتى لم يضبط هذا القائل لفظه واجرى الهجر مجرى شدة الوجع
لا انه اعتقد انه يجوز عليه الهجر كما حملهم الاشفاق على حراسته والله يقول
والله يعصمك من الناس ونحو هذا واما على رواية أهجرا وهي رواية ابي اسحق المستملي
في الصحيح في حديث ابن جبير عن ابن عباس من رواية قتيبة فقد يكون هذا راجعا

خامس عس

الى المختلفين عنده صلى الله عليه وسلم ومخاطبة لهم من بعضهم اي جئتم باختلافكم
على رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين يديه هجرا ومنكرا من القول والهجر بضم الها
الفحش في المنطق وقد اختلف العلما في معنى هذا الحديث وكيف اختلفوا بعد امره
لهم عليه السلام ان يأتوه بالكتاب فقال بعضهم اوامر النبي صلى الله عليه وسلم يفهم
ايجابها من ندبها من اباحتها بقرائن فلعل قد ظهر من قرائن قوله عليه السلام لبعضهم
ما فهموا انه لم يكن منه عزمة بل امر رده الى اختيارهم وبعضهم لم يفهم
ذلك فقال استفهموه فلما اختلفوا كف عنه ولما رأوه من صواب رأي — إذ لم تكن عزمة صح
عمر ثم هؤلاء قالوا ويكون امتناع عمر اما اشفاقا على النبي صلى الله عليه وسلم
من تكليفه في تلك الحال املاء الكتاب وان تدخل عليه مشقة من ذلك كما قال ان
النبي اشتد به الوجع وقيل خشي عمر ان يكتب امورا يعجزون عنها فيحصلون في — صلى الله عليه وسلم صح
الحرج بالمخالفة ورأى ان الارفق بالامة في تلك الامور سعة الاجتهاد وحكم
النظر وطلب الصواب فيكون المصيب والمخطئ مأجورا وقد علم عمر تقرر الشريعة
وتأسيس الملة وان الله قال اليوم اكملت لكم دينكم وقوله عليه السلام اوصيكم
بكتاب الله وعترتي وقول عمر حسبنا كتاب الله رد على من نازعه لا على امر النبي
صلى الله عليه وسلم وقد قيل ان عمر خشي تطرق المنافقين ومن في قلبه مرض لما
كتب في ذلك الكتاب في الخلوة وان يتقولوا في ذلك الاقاويل كادعاء الرافضة
الوصية وغير ذلك وقالت طائفة اخرى ان معنى الحديث ان النبي صلى الله عليه
وسلم كان مجيبا في هذا الكتاب لما طلب منه لا انه ابتدأ بالامر به بل اقتضاه
منه بعض اصحابه فاجاب رغبتهم وكره ذلك غيرهم للعلل التي ذكرناها واستدل
في مثل هذه القصة بقول العباس لعلي انطلق بنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فان كان الامر فينا علمناه وكراهة علي هذا وقوله والله لا افعل الحديث
واستدل بقوله دعوني فان الذي انا فيه خير اي الذي انا فيه خير من ارسال الامر
وترككم وكتاب الله وان تدعوني مما طلبتم وذكر ان الذي طلب كتابة امر الخلافة

بعده وتعيين ذلك. **فصل** فان قيل فما وجه حديثه ايضا الذي حدثناه
الفقيه ابو محمد الخشني بقراءتي عليه ثنا ابو علي الطبري ثنا عبد الغافر الفارسي ثنا
ابو احمد الجلودي ثنا ابرهيم بن سفين ثنا مسلم بن الحجاج ثنا قتيبة ثنا ليث عن سعيد
ابن ابي سعيد عن سالم مولى النصريين قال سمعت ابا هريرة يقول سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول اللهم انما محمد بشر يغضب كما يغضب البشر واني قد اتخذت
عندك عهدا لن تخلفنيه فايما مؤمن اذيته او سببته او جلدته فاجعلها له
كفارة وقربة تقربه بها اليك يوم القيمة وفي رواية فايما احد دعوت عليه
دعوة وفي رواية ليس لها باهل وفي رواية فايما رجل من المسلمين سببته او لعنته
او جلدته فاجعلها له زكاة وصلاة ورحمة. وكيف يصح ان يلعن النبي صلى الله عليه
وسلم من لا يستحق اللعن ويسب من لا يستحق السب ويجلد من لا يستحق الجلد او يفعل
مثل ذلك عند الغضب وهو معصوم من هذا كله. فاعلم شرح الله صدرك ان
قوله اولا ليس لها باهل اي عندك يا رب في باطن امره فان حكمه عليه السلام
على الظاهر كما قال وللحكمة التي ذكرناها فحكم عليه السلام بجلده او ادبه بسبه او لعنه
بما اقتضاه عنده حال ظاهره ثم دعا عليه السلام لشفقته على امته وراُفته ورحمته
للمؤمنين التي وصفه الله بها وحذره ان يتقبل فيمن دعا عليه دعوته ان يجعل دعاءه
ولعنه له رحمة فهو معنى قوله ليس لها باهل لا انه عليه السلام يحمله الغضب ويستفزه
الضجر لان يفعل مثل هذا بمن لا يستحقه من مسلم وهذا معنى صحيح ولا يفهم من
قوله اغضب كما يغضب البشر ان الغضب حمله على ما لا يجب بل يجوز ان يكون المراد
بهذا ان الغضب لله حمله على معاقبته بلعنه او سبه وانه مما كان يحتمل ويجوز
عفوه عنه او كان مما خير بين المعاقبة فيه او العفو عنه وقد يحمل انه خرج مخرج
الاشفاق وتعليم امته الخوف والحذر من تعدي حدود الله وقد يحمل ما ورد من دعائه
هنا ومن دعواته على غير واحد في غير موطن على غير العقد والقصد بل بما جرت به
عادة العرب وليس المراد بها الاجابة لقوله تربت يمينك ولا اشبع الله بطنه
وعترى

عليه السلام

وعقرى حلقى وغيرها من دعواته وقد ورد في صفته في غير حديث انه عليه
السلام لم يكن فحاشا ولا لعانا وكان يقول لاحدنا عند المعتبة ما له ترب جبينه
فيكون حمل الحديث على هذا المعنى ثم اشفق عليه السلام من موافقة امثالها اجابة
فعاهد ربه كما قال في الحديث ان يجعل ذلك للمقول له زكاة ورحمة وقربة وقد
يكون ذلك اشفاقا على المدعو عليه وتانيسا له لئلا يلحقه من استشعار الخوف والحذر
من لعن النبي صلى الله عليه وسلم وتقبله ما يحمله على الياس والقنوط وقد يكون ذلك
سؤالا منه لربه لمن جلده او سبه على حق وبوجه صحيح ان يجعل ذلك له كفارة لما
اصاب وتمحية لما اجترم وان تكون عقوبته له في الدنيا سبب العفو والغفران كما جاء
في الحديث الاخر ومن اصاب من ذلك شيا فعوقب به فهو له كفارة فان قلت
فما معنى حديث الزبير وقول النبي صلى الله عليه وسلم له حين تخاصمه مع الانصاري في شراج
الحرة اسق يا زبير حتى يبلغ الكعبين فقال له الانصاري ان كان ابن عمتك يا رسول الله
فتلون وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال اسق يا زبير ثم احبس الما حتى يبلغ
الجدر الحديث فالجواب ان النبي صلى الله عليه وسلم منزه ان يقع بنفس مسلم منه
في هذه القصة امر يريب ولكنه صلى الله عليه وسلم ندب الزبير اولا الى الاقتصار على
بعض حقه على طريق التوسط والصلح فلما لم يرض بذلك الاخر ولج وقال ما لا يجب
استوفى النبي صلى الله عليه وسلم للزبير حقه ولهذا ترجم البخاري على هذا الحديث
باب اذا اشار الامام بالصلح فابى حكم عليه بالحكم وذكر في اخر الحديث فاستوعى
رسول الله صلى الله عليه وسلم حينئذ حقه للزبير وقد جعل المسلمون هذا اصلا في
قضيته وفيه الاقتدا به صلى الله عليه وسلم في كل ما فعله في حال غضبه ورضاه
وانه وان نهى ان يقضي القاضي وهو غضبان فانه في حكمه في حال الغضب والرضى
سوا لكونه فيهما معصوما وغضب النبي صلى الله عليه وسلم في هذا انما كان لله تعالى لا
لنفسه كما جا في الحديث الصحيح وكذلك الحديث في اقادته عكاشة من نفسه لم يكن
لتعد حمله الغضب عليه بل وقع في الحديث نفسه ان عكاشة قال له وضربتني بالقضيب

ولا أدري أعمداً أم أردت ضرب الناقة فقال النبي صلى الله عليه وسلم أعيذك يا عكاشة
أن يتعمدك رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذلك في حديثه الآخر مع الأعرابي حين
طلب عليه السلام الاقتصاص منه فقال الأعرابي قد عفوت عنك وكان النبي صلى الله عليه
وسلم ضربه بالسوط لتعلقه بزمام الناقة مرة بعد أخرى والنبي صلى الله عليه وسلم
ينهاه ويقول له تدرك حاجتك وهو يأبى فضربه بعد ثلاث مرات وهذا منه
عليه السلام لمن لم يقف عند نهيه صواب وموضع أدب لكنه عليه السلام أشفق
إذ كان حق نفسه من الأمر حتى عفا عنه. وأما حديث سواد بن عمرو أتيت النبي صلى الله
عليه وسلم وأنا متخلق فقال ورس ورس حط حط وغشيني بقضيب في يده في بطني
فأوجعني قلت القصاص يا رسول الله فكشف لي عن بطنه فإنما ضربه عليه السلام لمنكر
رآه به ولعله لم يرد بضربه بالقضيب إلا تنبيهه فلما كان منه إيجاع لم يقصده طلب
التحلل منه على ما قدمناه.

فصل

وأما أفعاله عليه السلام الدنياوية فحكمه فيها
من توقي المعاصي والمكروهات ما قدمناه ومن جواز السهو والغلط في بعضها ما ذكرناه
وكله غير قادح في النبوة بل إن هذا فيها على الندور إذ عامة أفعاله على السداد
والصواب بل أكثرها أو كلها جارية مجرى العبادات والقرب على ما بيناه إذ كان عليه السلام
لا يأخذ منها لنفسه إلا ضرورته وما يقيم رمق جسمه وفيه مصلحة ذاته التي بها
يعبد ربه ويقيم شريعته ويسوس أمته وما كان فيما بينه وبين الناس من ذلك فبين
معروف يصنعه أو بر يوسعه أو كلام حسن يقوله أو يسمعه أو تألف شارد أو قهر
معاند أو مداراة حاسد وكل هذا لاحق بصالح أعماله منتظم في زاكي وظائف
عباداته وقد كان يخالف في أفعاله الدنياوية بحسب اختلاف الأحوال ويعد للأمور
أشباهها فيركب في تصرفه لما قرب الحمار وفي أسفاره الراحلة ويركب البغلة في
معارك الحرب دليلاً على الثبات ويركب الخيل ويعدها ليوم الفزع وإجابة الصارخ
وكذلك في لباسه وسائر أحواله بحسب اعتبار مصالحه ومصالح أمته وكذلك يفعل
الفعل من أمور الدنيا مساعدة لأمته وسياسة وكراهية لخلافها وإن كان قد رأى
غيره خيراً منه كما يترك الفعل لهذا وقد يرى فعله خيراً منه وقد يفعل هذا في
الأمور الدينية مما له الخيرة في أحد وجهيه كخروجه من المدينة لأحد وكان مذهبه
التحصن بها وتركه قتل المنافقين وهو على يقين من أمرهم مؤالفة لغيرهم ورعاية للمؤمنين
من قرابتهم وكراهة لأن يقول الناس إن محمداً يقتل أصحابه كما جاء في الحديث وتركه
بناء الكعبة على قواعد إبراهيم مراعاة لقلوب قريش وتعظيمهم لتغييرها وحذراً من
نفار قلوبهم لذلك وتحريك متقدم عداوتهم للدين وأهله فقال لعائشة في
الحديث الصحيح لولا حدثان قومك بالكفر لأتممت البيت على قواعد إبراهيم
ويفعل الفعل ثم يتركه لكون غيره خيراً منه كانتقاله من أدنى مياه بدر إلى أقربها للعدو من
قريش وكقوله لو استقبلت من أمري ما استدبرت ما سقت الهدي ويبسط وجهه
للكافر والعدو رجاء استئلافه ويصبر للجاهل ويقول إن من شرار الناس من اتقاه
الناس لشره ويبذل الرغائب ليحبب إليه شريعته ودين ربه ويتولى في منزله ما
يتولاه الخادم من مهنته ويتسمت في ملائه حتى لا يبدو منه شيء من أطرافه وحتى
كأن على رؤوس جلسائه الطير ويتحدث مع جلسائه بحديث أولهم ويتعجب مما يتعجبون
منه ويضحك مما يضحكون منه قد وسع الناس بشره وعدله لا يستفزه الغضب
ولا يقصر عن الحق ولا يبطن على جلسائه يقول ما كان لنبي أن تكون له خائنة الأعين.
فإن قلت فما معنى قوله لعائشة في الداخل بئس ابن العشيرة فلما دخل ألان له
القول وضحك معه فلما سألته عن ذلك قال إن من شر الناس من اتقاه الناس لشره
وكيف جاز أن يظهر له خلاف ما يبطن به ويقول في ظهره ما قال فالجواب أن فعله
عليه السلام كان استئلافاً لمثله وتطييباً لنفسه ليتمكن إيمانه ويدخل في الإسلام
بسببه أتباعه ويراه مثله فينجذب بذلك إلى الإسلام ومثل هذا على الوجه قد خرج
من حد مداراة الدنيا إلى السياسة الدينية وقد كان يستألفهم بأموال الله العريضة
فكيف بالكلمة اللينة قال صفوان لقد أعطاني وهو أبغض الخلق إلي فما زال يعطيني حتى
صار أحب الخلق إلي وقوله بئس ابن العشيرة هو غير غيبة بل هو تعريف ما علمه منه

حديث بريرة هنا

لمن لم يعلم ليحذر حاله ويحترز منه ولا يوثق بجانبه كل الثقة لا سيما وكان مطاعا
متبوعا ومثل هذا اذا كان لضرورة ودفع مضرة لم يكن غيبة بل كان جائزا بل واجبا
في بعض الاحيان كعادة المحدثين في تجريح الرواة والمزكين في الشهود فان قيل فما معنى
المعضل الوارد في حديث بريرة من قوله عليه السلام لعايشة وقد اخبرته ان موالي بريرة
ابوا بيعها الا ان يكون لهم الولاء فقال لها عليه السلام اشتريها واشترطي لهم الولاء
ففعلت ثم قام خطيبا فقال ما بال اقوام يشترطون شروطا ليست في كتاب الله
كل شرط ليس في كتاب الله فهو باطل والنبي صلى الله عليه وسلم قد امرها بالشرط لهم
وعليه باعوا ولولاه والله اعلم لما باعوها من عايشة كما لم يبيعوها قبل حتى شرطوا ذلك
عليها ثم ابطله عليه السلام وهو قد حرم الغش والخديعة ∴ فاعلم اكرمك الله
ان النبي صلى الله عليه وسلم منزه عما يقع في بال الجاهل من هذا ولتنزيه النبي عن ذلك
ما قد انكر قوم هذه الزيادة قوله اشترطي لهم الولاء وليست في اكثر طرق الحديث
ومع ثباتها فلا اعتراض بها اذ يقع لهم بمعنى عليهم قال الله تعالى اولئك لهم اللعنة
وقال وان اساتم فلها فعلى هذا اشترطي عليهم الولاء لك ويكون قيام النبي صلى الله عليه
وسلم ووعظه لما سلف لهم من شرط الولاء لانفسهم قبل ذلك **ووجه ثان** ان
قوله عليه السلام اشترطي لهم الولاء ليس على معنى الامر لكن على معنى التسوية والاعلام
بان شرطه لهم لا ينفعهم بعد بيان النبي لهم قبل ان الولاء لمن اعتق وكانه قال اشترطي
او لا تشترطي فانه شرط غير نافع والى هذا ذهب الداودي وغيره وتوبيخ النبي
صلى الله عليه وسلم لهم وتقريعهم على ذلك يدل على علمهم به قبل **هذا الوجه
الثالث** ان معنى قوله اشترطي لهم الولاء اي اظهري لهم حكمه وبيني عندهم سنته
ان الولاء انما هو لمن اعتق ثم بعد هذا قام هو صلى الله عليه وسلم مبينا ذلك وموبخا على
مخالفة ما تقدم منه فيه فان قيل فما معنى فعل يوسف عليه السلام باخيه اذ جعل السقاية
في رحله واخذه باسم سرقتها وما جرى على اخوته في ذلك وقوله انكم لسارقون ولم يسرقوا
فاعلم اكرمك الله ان الآية تدل ان فعل يوسف كان عن امر الله لقوله تعالى كذلك

كدنا ليوسف ما كان لياخذ اخاه في دين الملك الا ان يشاء الله فاذا كان ذلك
فلا اعتراض به كان فيه ما فيه وايضا فان يوسف كان اعلم اخاه باني انا اخوك فلا تبتئس
فكان ما جرى عليه بعد هذا من وفقه ورغبته وعلى يقين من عقبى الخيرة وازاحة السوء
والمضرة عنه بذلك واما قوله ايتها العير انكم لسارقون فليس من قول يوسف فيلزم
عليه جواب لحل شبهه ولعل قائله ان حسن له التاويل كاينا من كان ظن على صورة
الحال ذلك وقد قيل قال ذلك لفعلهم قبل بيوسف وبيعهم له وقيل غير هذا
ولا يلزمنا ان نقول لانبياء ما لم يات انهم قالوه حتى يطلب الخلاص منه ولا يلزم الاعتذار
عن زلات غيرهم **فصل** فان قيل فما الحكمة في اجراء الامراض وشدتها عليه وعلى
غيره من الانبياء على جميعهم السلام وما الوجه فيما ابتلاهم الله به من البلاء وامتحانهم بما
امتحنوا به كايوب ويعقوب ودانيال ويحيى وزكريا وعيسى وابرهيم ويوسف وغيرهم صلوات
الله عليهم وهم خيرته من خلقه واحباؤه واصفياؤه فاعلم وفقنا الله واياك ان افعال
الله تعالى كلها عدل وكلماته جميعها صدق ولا مبدل لكلماته يبتلي عباده كما قال لننظر
كيف تعملون وليبلوكم ايكم احسن عملا ولنعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو اخباركم
فامتحانه اياهم بضروب المحن زيادة في مكانتهم ورفعة في درجاتهم واسباب لاستخراج
حالات الصبر والرضى والشكر والتسليم والتوكل والتفويض والدعاء والتضرع منهم وتاكيد
لبصايرهم في رحمة للممتحنين والشفقة على المبتلين وليتسلوا في المحن بما جرى عليهم
ويقتدوا بهم في الصبر ومحو لهنات فرطت منهم او غفلات سلفت لهم ليلقوا الله
تعالى طيبين مهذبين وليكون اجرهم اكمل وثوابهم اوفر واجزل حدثنا القاضي
ابو علي الحافظ ثنا ابو الحسين الصيرفي وابو الفضل بن خيرون قالا ثنا ابو يعلى البغدادي ثنا
ابو علي السنجي ثنا محمد بن محبوب ثنا ابو عيسى الترمذي ثنا قتيبة ثنا حماد بن زيد عن عاصم
ابن بهدلة عن مصعب بن سعد عن ابيه قال قلت يا رسول الله اي الناس اشد بلاء قال
الانبياء ثم الامثل فالامثل يبتلى الرجل على حسب دينه فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه
يمشي على الارض ما عليه خطيئة وكما قال تعالى وكاين من نبي قاتل معه ربيون كثير الآيات

بلغ

البلاء وعن ابي هريرة ما نزال البلاء بالمؤمن في نفسه وولده وماله حتى يلقى الله
وما عليه خطيئة وعن انس عنه عليه السلام اذا اراد الله بعبده الخير عجل له
العقوبة في الدنيا واذا اراد الله بعبده الشر امسك عنه بذنبه حتى يوافي به يوم
القيمة وفي حديث اخر اذا احب الله عبدا ابتلاه ليسمع تضرعه وحكى السمرقندي ان
كل من كان اكرم على الله كان بلاؤه اشد كي يتبين فضله ويستوجب الثواب كما روي
عن لقمن انه قال يا بني الذهب والفضة يختبران بالنار والمؤمن يختبر بالبلاء وقد حكي ان
ابتلاء يعقوب بيوسف كان سببه التفاته في صلاته اليه ويوسف نايم محبة له وقيل
اجتمع يوما هو وابنه يوسف على اكل حمل مشوي وهما يضحكان وكان لهم جار يتيم (الحمل الحرو في الصغ)
فشم ريحه واشتهاه وبكى وبكت جدة له عجوز لبكايه وبينهما جدار ولا علم عند
يعقوب وابنه فعوقب يعقوب بالبكاء اسفا على يوسف الى ان سالت حدقتاه وا
بيضت عيناه من الحزن فلما علم بذلك كان بقية حياته يامر مناديا ينادي على
الامر من كان مفطرا فليتغد عند ال يعقوب وعوقب يوسف بالمحنة التي نص الله عليها (سطحه)
وقد روي عن الليث ان سبب بلاء ايوب انه مع اهل قريته على ملكهم فكلموه في (دخل)
ظلمه واغلظوا له الا ايوب فانه رفق به مخافة على زرعه فعاقبه الله ببلايه
ومحنة سليمن لما ذكرناه من نيته في كون الحق في جنبة اصهاره او للعمل بالمعصية
في داره ولا علم عنده وهذه فايدة شدة المرض والوجع بالنبي صلى الله عليه وسلم قالت
عايشة رضي الله ما رايت الوجع على احد اشد منه على رسول الله صلى الله عليه وسلم (عنها)
وعن عبد الله ما رايت النبي صلى الله عليه في مرضه يوعك وعكا شديدا فقلت انك
لتوعك وعكا شديدا قال اجل اني اوعك كما يوعك رجلان منكم قلت ذلك ان
لك الاجر مرتين قال اجل ذلك كذلك وفي حديث ابي سعيد ان رجلا وضع يده على
النبي صلى الله عليه وسلم فقال والله ما اطيق اضع يدي عليك من شدة حماك فقال
النبي صلى الله عليه وسلم انا معاشر الانبيا يضاعف لنا البلاء ان كان النبي ليبتلى بالقمل (ليبتلى)
بالقمل حتى يقتله وان كان النبي ليبتلى بالفقر وان كانوا ليفرحون بالبلاء كما تفرحون

بالرخاء وعن انس عنه صلى الله عليه وسلم ان عظم الجزاء مع عظم البلاء وان الله اذا
احب قوما ابتلاهم فمن رضي فله الرضا ومن سخط فله السخط وقد قال المفسرون
في قوله تعالى من يعمل سوءا يجز به ان المسلم يجزى بمصايب الدنيا فتكون له كفارة
وروي هذا عن عايشة وابي ومجاهد وقال ابو هريرة عنه عليه السلام من يرد (منه)
الله به خيرا يصب منه وقال في رواية عايشة ما من مصيبة تصيب المسلم
الا كفر الله بها عنه حتى الشوكة يشاكها وقال في رواية ابي سعيد ما يصيب المسلم (المومن)
من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا اذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها الا كفر الله بها
من خطاياه وفي حديث ابن مسعود ما من مسلم يصيبه اذى الا حات الله عنه خطاياه
كما تحت ورق الشجر وحكمة اخرى اودعها الله في الامراض لاجسامهم وتعاقب الاوجاع
عليها وشدتها عند مماتهم لتضعف قوى نفوسهم فيسهل خروجها عند قبضهم وتخف
عنهم مؤنة النزع وشدة السكرات لتقدم المرض وضعف الجسم والنفس لذلك
خلاف موت الفجاة واخذه كما يشاهد من اختلاف احوال الموتى في الشدة واللين وا
الصعوبة والسهولة وقد قال عليه السلام مثل المومن مثل خامة الزرع تفيئها
الريح هكذا وهكذا وفي رواية ابي هريرة من حيث اتتها الريح تكفاها فاذا اسكنت
اعتدلت وكذلك المومن يكفا بالبلاء ومثل الكافر كمثل الارزة صما معتدلة حتى
يقصمها الله معناه ان المومن مرزا مصاب بالبلاء والامراض راض بتصريفه بين
اقدار الله منطاع لذلك برضاه وقلة تسخطه كطاعة خامة الزرع وانقيادها (لين جانبه)
للرياح وتمايلها لهبوبها وترنحها من حيث ما اتتها فاذا ازاح الله عن المومن
رياح البلاء واعتدل صحيحا كما اعتدلت خامة الزرع عند سكون رياح الجو
رجع الى شكر ربه ومعرفته نعمته عليه برفع بلايه منتظرا رحمته وثوابه
عليه فاذا كان بهذه السبيل لم يصعب عليه مرض الموت ولا نزوله ولا اشتدت
عليه سكراته ونزعه لعادته بما تقدمه من الالام ومعرفته ما له فيها من الاجر وتوطينه
نفسه على المصايب ورقتها وضعفها بتوالي المرض او شدته والكافر بخلاف

هذا معافى في غالب حاله ممتع بصحة جسمه كالأرزة الصماء حتى إذا أراد الله
هلاكه قصمه لحينه على غرة وأخذه بغتة من غير لطف ولا رفق فكان موته أشد
عليه حسرة ومقاساة نزعه مع قوة نفسه وصحة جسمه أشد ألما وعذابا ولعذاب
الآخرة أشد كانجعاف الأرزة وكما قال تعالى فأخذناهم بغتة وهم لا يشعرون
وكذلك عادة الله في أعدائه كما قال تعالى فكلا أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه
حاصبا ومنهم من أخذته الصيحة الآية ففجأ جميعهم بالموت على عتو وغفلة
وصبحهم به على غير استعداد بغتة ولهذا ما كره السلف موت الفجاة ومنه في حديث
إبراهيم كانوا يكرهون أخذة كأخذة الأسف أي الغضب يريدون موت الفجاة وحكمة
ثانية أن الأمراض نذير الممات وبقدر شدتها شدة الخوف من نزول الموت فيستعد
من أصابته وعلم تعاهدها له للقاء ربه ويعرض عن دار الدنيا الكثيرة الأنكاد
ويكون قلبه معلقا بالمعاد فيتنصل من كل ما يخشى تباعته من قبل الله وقبل العباد
ويؤدي الحقوق إلى أهلها وينظر فيما يحتاج إليه من وصية فيمن يخلفه أو أمر يعهده
وهذا نبينا صلى الله عليه وسلم المغفور له ما تقدم وما تأخر قد طلب التنصل
في مرضه ممن كان له عليه مال أو حق في بدن وأقاد من نفسه وماله وأمكن من
القصاص منه على ما ورد في حديث الفضل وحديث الوفاة وأوصى بالثقلين بعده
كتاب الله وعترته وبالأنصار عيبته ودعا إلى الكتاب لئلا تضل أمته بعده
إما في النص على الخلافة أو الله أعلم بمراده ثم رأى الإمساك عنه أفضل وخيرا وهكذا
سيرة عباد الله المؤمنين وأوليائه المتقين وهذا كله تحرمه غالبا الكفار لإملاء
الله لهم ليزدادوا إثما وليستدرجهم من حيث لا يعلمون قال الله تعالى ما ينظرون
إلا صيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون فلا يستطيعون توصية ولا إلى أهلهم يرجعون
ولذلك قال عليه السلام في رجل مات فجأة سبحان الله كأنه على غضب المحروم من حرم — صلى الله عليه وسلم
وصيته وقال موت الفجاة راحة للمؤمن وأخذة أسف للكافر أو الفاجر وذلك
لأن الموت يأتي المؤمن وهو غالبا مستعد له منتظر لحلوله فهان أمره عليه كيف

ما جاء وأفضى إلى راحته من نصب الدنيا وأذاها كما قال عليه السلام مستريح و
مستراح منه ويأتي الكافر والفاجر منيته على غير استعداد ولا أهبة ولا مقدمات
منذرة مزعجة بل تأتيهم بغتة فتبهتهم فلا يستطيعون ردها ولا هم ينظرون فـ
كان الموت أشد شيء عليه وفراق الدنيا أفظع أمر صدمه وأكره شيء له وإلى هذا
المعنى أشار عليه السلام بقوله من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله
كره الله لقاءه

بلغ المقابلة

القسم الرابع

في تصرف وجوه الأحكام فيمن تنقصه أو سبه عليه السلام

قال القاضي أبو الفضل رضي الله عنه قد تقدم من الكتاب والسنة وإجماع
الأمة ما يجب من الحقوق للنبي صلى الله عليه وسلم وما يتعين له من بر وتوقير وتعظيم
وإكرام وبحسب هذا حرم الله أذاه في كتابه وأجمعت الأمة على قتل متنقصه من
المسلمين وسابه قال الله تعالى إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة
وأعد لهم عذابا مهينا وقال والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم وقال الله تعالى
وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا إن ذلكم كان
عند الله عظيما وقال تعالى في تحريم التعريض له يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا
وقولوا انظرنا واسمعوا الآية وذلك أن اليهود كانوا يقولون راعنا يا محمد — لعنهم الله
أي أرعنا سمعك واسمع منا ويعرضون بالكلمة يريدون الرعونة فنهى الله المؤمنين
عن التشبه بهم وقطع الذريعة بنهي المؤمنين عنها لئلا يتوصل بها الكافر والمنافق إلى سبه — الذريعة
والاستهزاء به وقيل بل لما فيها من مشاركة اللفظ لأنها عند اليهود بمعنى اسمع
لا سمعت وقيل بل لما فيها من قلة الأدب وعدم توقير النبي صلى الله عليه وسلم وتعظيمه
لأنها في لغة الأنصار بمعنى ارعنا نرعك فنهوا عن ذلك إذ مضمنه أنهم لا يرعونه إلا
برعايته لهم وهو عليه السلام واجب الرعاية بكل حال وهذا هو عليه السلام
قد نهى عن التكني بكنيته فقال تسموا باسمي ولا تكنوا بكنيتي صيانة لنفسه وحماية
عن أذاه إذ كان صلى الله عليه وسلم استجاب لرجل نادى يا أبا القسم فقال لم أعنك إنما دعوت

هذا فهي حينئذ عن التكني بكنيته لئلا يتاذى باجابة دعوة غيره ممن لم يدعه
ويجد بذلك المنافقون والمستهزئون ذريعة الى اذاه والازرا به فينادونه
فاذا التفت قالوا انما اردنا هذا لسواه تعنيتا له واستخفافا بحقه على عادة المجان
والمستهزئين فحمى عليه السلام حمى اذاه بكل وجه فحمل محققو العلما نهيه عن هذا
على مدة حياته واجازوه بعد وفاته لارتفاع العلة وللناس في هذا الحديث
مذاهب ليس هذا موضعها وما ذكرناه هو مذهب الجمهور والصواب ان شا الله
وان ذلك على طريق تعظيمه وتوقيره وعلى سبيل الندب والاستحباب لا على التحريم
ولذلك لم ينه عن اسمه لانه قد كان منع من ندايه به بقوله لا تجعلوا دعا الرسول
بينكم كدعا بعضكم بعضا وانما كان المسلمون يدعونه يا رسول الله ويا نبي الله وقد
يدعوه بكنيته يا ابا القسم بعضهم في بعض الاحوال وقد روى انس عنه عليه السلام
ما يدل على كراهة التسمي باسمه وتنزيهه عن ذلك اذا لم يوقر فقال تسمون اولادكم
محمدا ثم تلعنونهم وروي ان عمر كتب الى اهل الكوفة لا يسمى احد باسم النبي صلى الله عليه
وسلم حكاه ابو جعفر الطبري والصواب جواز هذا كله بعده عليه السلام بدليل
اطباق الصحابة على ذلك وقد سمى جماعة منهم ابنه محمدا وكناه بابي القسم وروي
ان النبي صلى الله عليه وسلم اذن في ذلك لعلي رضي الله عنه وقد اخبر عليه السلام
ان ذلك اسم المهدي وكنيته وقد فصلت الكلام في هذا القسم على بابين كما قدمناه

الباب الاول

فيما هو في حقه عليه السلام سب او نقص
من تعريض او نص اعلم وفقنا الله واياك ان جميع من سب النبي صلى الله عليه وسلم
او عابه او الحق به نقصا في نفسه او نسبه او دينه او خصلة من خصاله او عرض
به او شبهه بشي على طريق السب له او الازرا عليه او التصغير لشانه او الغض
منه والعيب له فهو ساب له والحكم فيه حكم الساب يقتل كما نبينه ولا
نستثني فصلا من فصول هذا الباب على هذا المقصد ولا نمتري فيه تصريحا كان
او تلويحا وكذلك من لعنه او دعا عليه او تمنى مضرة له او نسب اليه ما لا يليق

يليق بمنصبه على طريق الذم او عبث في جهته العزيزة بسخف من الكلام وهجر
ومنكر من القول وزور او عيره بما جرى من البلا والمحنة عليه او غمصه
ببعض العوارض البشرية الجايزة والمعهودة لديه وهذا كله اجماع من العلما
وايمة الفتوى من لدن الصحابة رضوان الله عليهم الى هلم جرا قال ابو بكر بن المنذر
المنذر اجمع عوام اهل العلم على ان من سب النبي صلى الله عليه وسلم يقتل
وممن قال ذلك مالك بن انس والليث واحمد واسحق وهو مذهب الشافعي قال
القاضي ابو الفضل وهو مقتضى قول ابي بكر الصديق رضي الله عنه ولا تقبل
توبته عند هولا وبمثله قال ابو حنيفة واصحابه والثوري واهل الكوفة والا
وزاعي في المسلم لكنهم قالوا هي ردة وروى مثله الوليد بن مسلم عن مالك وحكى الطبري
مثله عن ابي حنيفة واصحابه فيمن تنقصه صلى الله عليه وسلم او بري منه او كذبه وقال
سحنون فيمن سبه ذلك ردة كالزندقة وعلى هذا وقع الخلاف في استتابته وتكفيره
وهل قتله حد او كفر كما سنبينه في الباب الثاني ان شا الله ولا نعلم خلافا في استباحة
دمه بين علما الامصار وسلف الامة وقد ذكر غير واحد الاجماع على قتله وتكفيره
واشار بعض الظاهرية وهو ابو محمد علي بن احمد الفارسي الى الخلاف في تكفير المستخف به
والمعروف ما قدمناه قال محمد بن سحنون اجمع العلما ان شاتم النبي صلى الله عليه
وسلم المتنقص له كافر والوعيد جار عليه بعذاب الله له وحكمه عند الامة القتل
ومن شك في كفره وعذابه كفر واحتج ابرهيم بن حسين بن خالد الفقيه في مثل هذا بقتل
خالد بن الوليد مالك بن نويرة بقوله عن النبي صلى الله عليه وسلم صاحبكم وقال ابو سليمن
الخطابي لا اعلم احدا من المسلمين اختلف في وجوب قتله اذا كان مسلما وقال ابن القسم
عن مالك في كتاب ابن سحنون والمبسوط والعتبية وحكاه مطرف عن مالك في كتاب ابن حبيب
من سب النبي صلى الله عليه وسلم قتل ولم يستتب قال ابن القسم في العتبية من سبه او
شتمه او عابه او تنقصه فانه يقتل وحكمه عند الامة القتل كالزنديق وقد فرض
الله توقيره وبره وفي المبسوط عن عثمان بن كنانة من شتم النبي صلى الله عليه وسلم من المسلمين

قتل أو صلب حيا ولم يستتب والإمام مخير في صلبه حيا أو قتله ومن رواية أبي
المصعب وابن أبي أويس سمعنا مالكا يقول من سب رسول الله صلى الله عليه وسلم أو شتمه
أو عابه أو تنقصه قتل مسلما كان أو كافرا ولا يستتاب وفي كتاب محمد أخبرنا أصحاب مالك
أنه قال من سب النبي صلى الله عليه وسلم أو غيره من النبيين من مسلم أو كافر قتل ولم يستتب
وقال أصبغ يقتل على كل حال أسر ذلك أو أظهره ولا يستتاب لأن توبته لا تعرف
وقال عبد الله بن الحكم من سب النبي صلى الله عليه وسلم من مسلم أو كافر قتل ولم يستتب
وحكى الطبري مثله عن أشهب عن مالك وروى ابن وهب عن مالك من قال إن رداء النبي صلى
الله عليه وسلم ويروى زر النبي وسخ أراد به عيبه قتل وقال بعض علمائنا أجمع العلماء
على أن من دعا على نبي من الأنبياء بالويل أو بشيء من المكروه أنه يقتل بلا استتابة وأفتى
أبو الحسن القابسي فيمن قال في النبي الجمال يتيم أبي طالب بالقتل وأفتى أبو محمد بن أبي زيد بقتل
رجل سمع قوما يتذاكرون صفة النبي صلى الله عليه وسلم إذ مر بهم رجل قبيح الوجه
واللحية فقال لهم تريدون تعرفون صفته هي في صفة هذا المار في خلقه ولحيته قال
ولا تقبل توبته وقد كذب لعنه الله وليس يخرج من قلب سليم الإيمان وقال أحمد بن
أبي سليمان صاحب سحنون من قال إن النبي صلى الله عليه وسلم كان أسود يقتل وقال في رجل
قيل له لا وحق رسول الله فقال فعل الله برسول الله كذا وكذا وذكر كلاما قبيحا
فقيل له ما تقول يا عدو الله فقال أشد من كلامه الأول ثم قال إنما أردت برسول الله
العقرب فقال ابن أبي سليمان للذي سأله اشهد عليه وأنا شريكك يريد في قتله وثواب
ذلك قال حبيب بن الربيع لأن ادعاءه التأويل في لفظ صراح لا يقبل لأنه امتهان وهو
غير معزر لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولا موقر له فوجب إباحة دمه وأفتى أبو عبد الله
ابن عتاب في عشار قال أد واشك إلى النبي وقال إن سألت أو جهلت فقد جهل وسأل النبي
بالقتل وأفتى فقهاء الأندلس بقتل ابن حاتم المتفقه الطليطلي وصلبه بما شهد عليه به
من استخفافه بحق النبي صلى الله عليه وسلم وتسميته إياه أثناء مناظرته باليتيم وختن حيدرة
وزعمه أن زهده لم يكن قصدا ولو قدر على الطيبات أكلها إلى أشباه لهذا وأفتى فقهاء

القيروان وأصحاب سحنون بقتل إبراهيم الفزاري وكان شاعرا متفننا في كثير من العلوم وكان
ممن يحضر مجلس القاضي أبي العباس بن طالب للمناظرة فرفعت عليه أمور منكرة من هذا
الباب في الاستهزاء بالله وأنبيائه ونبينا عليه السلام فأحضر له القاضي يحيى بن عمر
وغيره من الفقهاء وأمر بقتله وصلبه فطعن بالسكين وصلب منكسا ثم أنزل وأحرق بالنار
وحكى بعض المؤرخين أنه لما رفعت خشبته وزالت عنها الأيدي استدارت وحولته عن
القبلة فكان آية للجميع وكبر الناس وجاء كلب فولغ في دمه فقال يحيى بن عمر صدق رسول الله
صلى الله عليه وسلم أنه قال لا يلغ الكلب في دم مسلم وقال القاضي أبو عبد الله بن المرابط
من قال إن النبي صلى الله عليه وسلم هزم أستتيب فإن تاب وإلا قتل لأنه تنقص إذ لا
يجوز ذلك عليه في خاصته إذ هو على بصيرة من أمره ويقين من عصمته وقال حبيب
ابن ربيع القروي مذهب مالك وأصحابه أن من قال فيه عليه السلام ما فيه نقص قتل
دون استتابة وقال ابن عتاب الكتاب والسنة موجبان أن من قصد النبي صلى الله عليه
وسلم بأذى أو نقص معرضا أو مصرحا وإن قل فقتله واجب فهذا الباب كله مما
عده العلماء سبا أو تنقصا يجب قتل قائله لم يختلف في ذلك متقدمهم ولا متأخرهم وإن
اختلفوا في حكم قتله على ما أشرنا إليه ونبينه بعد وكذلك أقول حكم من غمصه
أو عيره برعاية الغنم أو السهو أو النسيان أو السحر أو ما أصابه من جرح أو هزيمة لبعض جيوشه
أو أذى من عدوه أو شدة من زمانه أو بالميل إلى نسائه فحكم هذا كله لمن قصد
به نقصه القتل وقد مضى من مذاهب العلماء في ذلك ويأتي ما يدل عليه ::

فصل في

الحجة في إيجاب قتل من سبه أو عابه عليه السلام فمن القرآن لعنه تعالى لمؤذيه في الدنيا والآخرة
وقرانه تعالى أذاه بأذاه ولا خلاف في قتل من سب الله تعالى وأن اللعن إنما يستوجبه
من هو كافر وحكم الكافر القتل فقال إن الذين يؤذون الله ورسوله الآية وقال في
قاتل المؤمن مثل ذلك فمن لعنته في الدنيا القتل قال الله تعالى ملعونين أينما ثقفوا أخذوا
وقتلوا تقتيلا وقال في المحاربين وذكر عقوبتهم ذلك لهم خزي في الدنيا وقد يقع القتل
بمعنى اللعن قال الله تعالى قتل الخراصون وقاتلهم الله أي لعنهم الله ولأنه فرق بين أذاهما

واذى المومنين ما دون القتل من الضرب والنكال فكان حكم موذي الله ونبيه اشد من
ذلك وهو القتل وقال تعالى فلا وربك لا يومنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم الاية
فسلب اسم الايمان عن من وجد في صدره حرجا من قضايه ولم يسلم له ومن تنقصه
فقد نا قض هذا فقال تعالى يا ايها الذين امنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي
الى قوله ان تحبط اعمالكم ولا يحبط العمل الا الكفر والكافر يقتل وقال الله تعالى واذا
جاوك حيوك بما لم يحيك به الله ثم قال حسبهم جهنم يصلونها فبيس المصير وقال
تعالى ومنهم الذين يوذون النبي ويقولون هو اذن ثم قال والذين يوذون رسول الله لهم
عذاب اليم وقال تعالى ولين سالتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب الى قوله قد كفرتم
بعد ايمانكم قال اهل التفسير كفرتم بقولكم في رسول الله صلى الله عليه وسلم واما الاجماع
فقد ذكرناه واما الاثار فحدثنا الشيخ ابو عبد الله احمد بن محمد بن غلبون عن الشيخ
ابي ذر الهروي اجازة نا ابو الحسن الدارقطني وابو عمر بن حيويه قالا نا محمد بن نوح
نا عبد العزيز بن محمد بن الحسن بن زبالة نا عبد الله بن موسى بن جعفر عن علي بن موسى عن
ابيه عن جده عن محمد بن علي بن الحسين عن ابيه عن الحسين بن علي عن ابيه ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال من سب نبيا فاقتلوه ومن سب اصحابي فاضربوه وفي الحديث الصحيح
امر النبي صلى الله عليه وسلم بقتل كعب بن الاشرف وقوله من لكعب بن الاشرف فانه يوذي
الله ورسوله ووجه اليه من قتله غيلة دون دعوة خلاف غيره من المشركين وعلل
باذاه له فدل ان قتله اياه لغير الاشراك بل للاذى وكذلك قتل ابا رافع قال البرا وكان
يوذي رسول الله صلى الله عليه وسلم ويعين عليه وكذلك امره يوم الفتح بقتل ابن
خطل وجاريتيه اللتين كانتا تغنيان بسبه عليه السلام وفي حديث اخر ان رجلا كان يسبه فقال من يكفيني عدوي فقال
خالد انا فبعثه النبي صلى الله عليه وسلم فقتله وكذلك لم يقتل جماعة ممن كان يوذيه
من الكفار ويسبه كالنضر بن الحرث وعقبة بن ابي معيط وعهد بقتل جماعة منهم
قبل الفتح وبعده فقتلوا الا من بادر باسلامه قبل القدرة عليه وقد روى البزار
عن ابن عباس ان عقبة بن ابي معيط نادى يا معشر قريش ما لي اقتل من بينكم صبرا فقال

فقال له النبي صلى الله عليه وسلم بكفرك وافترايك على رسول الله صلى الله عليه
وسلم وذكر عبد الرزاق ان النبي صلى الله عليه وسلم سبه رجل فقال من يكفيني عدوي
فقال الزبير انا فبارزه فقتله الزبير وروى ايضا ان امراة كانت تسبه عليه
السلام فقال من يكفيني عدوي فخرج اليها خالد بن الوليد فقتلها وروى ان رجلا
كذب على النبي صلى الله عليه وسلم فبعث عليا والزبير اليه ليقتلاه وروى ابن قانع
ان رجلا جا الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله سمعت ابي يقول فيك
قولا قبيحا فقتلته فلم يشق ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم وبلغ المهاجر بن ابي
امية امير اليمن لابي بكر رضي الله عنه ان امراة هناك في الردة غنت بسب النبي
صلى الله عليه وسلم فقطع يدها ونزع ثنيتها فبلغ ابا بكر ذلك فقال له لولا ما فعلت
لامرتك بقتلها لان حد الانبيا ليس يشبه الحدود وعن ابن عباس هجت امراة من
خطمة النبي صلى الله عليه وسلم فقال من لي بها فقال رجل من قومها انا يا رسول الله
فنهض فقتلها فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم فقال لا ينتطح فيها عنزان وعن ابن عباس بذلك
ان اعمى كانت له ام ولد تسب النبي صلى الله عليه وسلم فيزجرها فلا تنزجر فلما كانت
ذات ليلة جعلت تقع في النبي صلى الله عليه وسلم وتشتمه فقتلها واعلم النبي بذلك
فاهدر دمها وفي حديث ابي برزة الاسلمي كنت يوما جالسا عند ابي بكر الصديق رضي الله عنه
فغضب على رجل من المسلمين وحكى القاضي اسمعيل وغير واحد من الايمة في هذا
الحديث انه سب ابا بكر ورواه النساي اتيت ابا بكر وقد اغلظ لرجل فرد
عليه فقلت يا خليفة رسول الله دعني اضرب عنقه فقال اجلس فليس ذلك لاحد
الا لرسول الله صلى الله عليه وسلم قال القاضي ابو محمد بن نصر ولم يخالف عليه
احد فاستدل الايمة بهذا الحديث على قتل من اغضب النبي صلى الله عليه وسلم بكل
ما اغضبه او اذاه او سبه ومن ذلك كتاب عمر بن عبد العزيز الى عامله بالكوفة
وقد استشاره في قتل رجل سب عمر رضي الله عنه فكتب عمر اليه انه لا يحل قتل
امري مسلم بسب احد من الناس الا رجلا سب رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن

سبه فقد حل دمه وسأل الرشيد مالكاً في رجل شتم النبي صلى الله عليه وسلم وذكر
له أن فقهاء العراق أفتوه بجلده فغضب مالك وقال يا أمير المؤمنين ما بقاء الأمة
بعد نبيها من شتم الأنبياء قتل ومن شتم أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم جلد قال
القاضي أبو الفضل كذا وقع في هذه الحكاية ورواها غير واحد من أصحاب مناقب مالك
ومؤلفي أخباره وغيرهم ولا أدري من هؤلاء الفقهاء بالعراق الذين أفتوا الرشيد بما ذكره
وقد ذكرنا مذهب العراقيين بقتله ولعلهم ممن لا يشتهر بعلم أو من لا يوثق بفتواه
أو يميل به هواه أو يكون ما قاله يحمل على غير السب فيكون الخلاف هل هو سب أو غير
سب أو يكون رجع وتاب عن سبه فلم يقتله لمالك على أصله وإلا فالإجماع على قتل
من سبه كما قدمناه ويدل على قتله من جهة النظر والاعتبار أن من سبه أو تنقصه
عليه السلام فقد ظهرت علامة مرض قلبه وبرهان سوء طويته وكفره ولهذا ما حكم
له كثير من العلماء بالردة وهي رواية الشاميين عن مالك والأوزاعي وقول الثوري
وأبي حنيفة والكوفيين فقتله والقول الآخر أنه دليل على الكفر فيقتل حداً وإن
لم يحكم له بالكفر إلا أن يكون متمادياً على قوله غير منكر له ولا مقلع عنه فهذا
كافر وقوله إما صريح كفر كالتكذيب ونحوه أو كلمات الاستهزاء والذم فاعترافه بها
وترك توبته عنها دليل استحلاله لذلك وهو كفر أيضاً فهذا كافر بلا خلاف
قال الله تعالى في مثله يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد
إسلامهم قال أهل التفسير هي قولهم إن كان ما يقول محمد حقاً لنحن شر من الحمير وقيل بل
قول بعضهم ما مثلنا ومثل محمد إلا قول القائل سمن كلبك يأكلك ولئن رجعنا
إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل وقد قيل إن قائل مثل هذا إن كان مستتراً
به إن حكمه حكم الزنديق يقتل ولأنه قد غير دينه وقد قال عليه السلام من
غير دينه فاضربوا عنقه ولأن لحكم النبي صلى الله عليه وسلم في الحرمة مزية على أمته
وساب الحر من أمته يحد فكانت العقوبة لمن سبه عليه السلام القتل لعظيم قدره وشفوف
منزلته على غيره ۞ **فصل** فإن قلت فلم لم يقتل النبي صلى الله عليه وسلم اليهودي

الذي قال له السام عليكم وهذا دعاء عليه ولا قتل الآخر الذي قال له إن هذه لقسمة
ما أريد بها وجه الله وقد تأذى النبي صلى الله عليه وسلم من ذلك وقال قد أوذي
موسى بأكثر من هذا فصبر ولا قتل المنافقين الذين كانوا يؤذونه في أكثر الأحيان
فاعلم وفقنا الله وإياك أن النبي صلى الله عليه وسلم كان أول الإسلام يستألف
عليه الناس ويميل قلوبهم إليه ويحبب إليهم الإيمان ويزينه في قلوبهم ويداريهم ويقول
لأصحابه إنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا منفرين ويقول يسروا ولا تعسروا وسكنوا
ولا تنفروا ويقول لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه وكان صلى الله عليه
وسلم يداري الكفار والمنافقين ويجمل صحبتهم ويغضي عنهم ويحتمل من أذاهم
ويصبر على جفاهم ما لا يجوز لنا اليوم الصبر عليه وكان يرفقهم بالعطاء والإحسان
وبذلك أمره الله فقال تعالى ولا تزال تطلع على خائنة منهم إلا قليلاً منهم فاعف
عنهم واصفح إن الله يحب المحسنين وقال ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك
وبينه عداوة كأنه ولي حميم وذلك لحاجة الناس للتألف أول الإسلام وجمع الكلمة
عليه فلما استقر وأظهره الله على الدين كله قتل من قدر عليه واشتهر أمره كفعله
بابن خطل ومن عهد بقتله يوم الفتح ومن أمكنه قتله غيلة من يهود وغيرهم
أو غلبة ممن لم ينظمه قبل سلك صحبته والانخراط في جملة مظهري الإيمان به ممن
كان يؤذيه كابن الأشرف وأبي رافع والنضر وعقبة وكذلك نذر دم جماعة سواهم
ككعب بن زهير وابن الزبعرى وغيرهما ممن آذاه حتى ألقوا بأيديهم ولقوه مسلمين
وبواطن المنافقين مستترة وحكمه عليه السلام على الظاهر وأكثر تلك الكلمات
إنما كان يقولها القائل منهم خفية ومع أمثاله ويحلفون عليها إذا نميت وينكرونها
ويحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر فكان مع هذا يطمع في فيئتهم ورجوعهم
إلى الإسلام وتوبتهم فيصبر عليه السلام على هناتهم وجفوتهم كما صبر أولو العزم من
الرسل حتى فاء كثير منهم باطناً كما فاء ظاهراً وأخلص سراً كما أخلص جهراً ونفع الله
بعد ذلك بكثير منهم وقام منهم للدين وزراء وأعوان وحماة وأنصار كما جاءت

به الأخبار وبهذا أجاب بعض أئمتنا رحمهم الله عن هذا السؤال وقال لعله لم
يثبت عنده عليه السلام من أقوالهم ما رفع وإنما نقله الواحد ومن لم يصل رتبة
الشهادة في هذا الباب من صبي أو عبد أو امرأة والدماء لا تستباح إلا بعدلين
وعلى هذا يحمل أمر اليهود في السلام وأنهم لووا به ألسنتهم ولم يبينوه ألا ترى
كيف نبهت عليه عائشة ولو كان صرح بذلك لم تنفرد بعلمه ولهذا نبه النبي صلى الله
عليه وسلم على فعلهم وقلة صدقهم في سلامهم وخيانتهم في ذلك ليا بألسنتهم وطعنا
في الدين فقال إن اليهود إذا سلم أحدهم فإنما يقول السام عليكم فقولوا عليكم
وكذلك قال بعض أصحابنا البغداديين إن النبي صلى الله عليه وسلم لم يقتل المنافقين
بعلمه فيهم ولم يأت أنه قامت بينة على نفاقهم فلذلك تركهم وأيضا فإن الأمر
كان سرا وباطنا وظاهرهم الإسلام والإيمان وإن كان من أهل الذمة بالعهد والجوار
والناس قريب عهدهم بالإسلام لم يتميز بعد الخبيث من الطيب وقد شاع عن المذكو
رين في العرب كون من يتهم بالنفاق من جملة المؤمنين وصحابة سيد المرسلين وأنصار
الدين بحكم ظاهرهم فلو قتلهم النبي صلى الله عليه وسلم لنفاقهم وما يبدر منهم
وعلمه بما أسروا في أنفسهم لوجد المنفر ما يقول ولارتاب الشارد وأرجف المعاند
وارتاع من صحبة النبي صلى الله عليه وسلم والدخول في الإسلام غير واحد ولزعم الزاعم
وظن العدو الظالم إنما كان القتل للعداوة وطلب أخذ الترة وقد رأيت معنى ما حررته
منسوبا إلى مالك بن أنس رحمه الله ولهذا قال عليه السلام لا يتحدث الناس أن محمدا
يقتل أصحابه وقال أولئك الذين نهاني الله عن قتلهم وهذا بخلاف إجراء الأحكام
الظاهرة عليهم من حدود الزنا والقتل وشبهه لظهورها واستواء الناس في علمها
وقد قال محمد بن المواز لو أظهر المنافقون نفاقهم لقتلهم النبي صلى الله عليه وسلم وقاله
القاضي أبو الحسن بن القصار وقال قتادة في تفسير قوله تعالى لئن لم ينته المنافقون
والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها إلا
قليلا ملعونين أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلا سنة الله الآية قال معناه إذا

أظهروا النفاق وحكى محمد بن مسلمة في المبسوط عن زيد بن أسلم أن قوله تعالى يا أيها
النبي جاهد الكفار والمنافقين نسخت ما كان قبلها وقال بعض مشايخنا لعل القائل
هذه قسمة ما أريد بها وجه الله وقوله اعدل لم يفهم النبي صلى الله عليه وسلم الطعن
عليه والتهمة له وإنما رآها من وجه الغلط في الرأي وأمور الدنيا والاجتهاد في
مصالح أهلها فلم ير ذلك سبا ورأى أنه من الأذى الذي له العفو عنه والصبر عليه
فلذلك لم يعاقبه وكذلك يقال في اليهود إذ قالوا السام عليكم ليس فيه صريح
سب ولا دعاء إلا بما لا بد منه من الموت الذي لا بد من لحاقه جميع البشر وقيل بل
المراد تسأمون دينكم والسأم والسآمة الملال وهذا دعاء على سآمة الدين ليس
بصريح سب ولهذا ترجم البخاري على هذا الحديث باب إذا عرض الذمي
أو غيره بسب النبي صلى الله عليه وسلم قال بعض علمائنا وليس هذا بتعريض بالسب وإنما
هو تعريض بالأذى قال القاضي أبو الفضل قد قدمنا أن الأذى والسب في حقه عليه
السلام سواء وقال القاضي أبو محمد بن نصر مجيبا عن هذا الحديث ببعض ما تقدم
ثم قال ولم يذكر في الحديث هل كان هذا اليهودي من أهل العهد والذمة أو الحرب
ولا يترك موجب الأدلة للأمر المحتمل والأولى في ذلك كله والأظهر من هذه الو
جوه مقصد الاستئلاف والمداراة على الدين لعلهم يؤمنون ولذلك ترجم
البخاري على حديث القسمة والخوارج باب من ترك قتال الخوارج للتألف ولئلا
ينفر الناس عنه ولما ذكرنا معناه عن مالك وقررناه قبل وقد صبر لهم عليه السلام
على سحره وسمه وهو أعظم من سبه إلى أن نصره الله عليهم وأذن له في قتل من عينه
منهم وإنزالهم من صياصيهم وقذف في قلوبهم الرعب وكتب على من شاء منهم
الجلاء وأخرجهم من ديارهم وخرب بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين وكاشفهم
بالسب فقال يا إخوة القردة والخنازير وحكم فيهم سيوف المؤمنين وأجلاهم عن
جوارهم فإن قلت فقد جاء في الحديث الصحيح عن عائشة أنه عليه السلام ما
انتقم لنفسه في شيء يؤتى إليه قط إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم لله فاعلم

أن هذا لا يقتضي أنه لم ينتقم ممن سبه أو آذاه وكذبه فإن هذه من حرمات الله
التي انتقم لها وإنما يكون ما لا ينتقم له فيما تعلق بسوء أدب أو معاملة من القول
والفعل بالنفس والمال مما لم يقصد فاعله به أذاه لكن مما جبلت عليه الأعراب
من الجفاء والجهل أو جبل عليه البشر من الشفقة كجبذ الأعرابي بإزاره حتى أثر في عنقه
وكرفع صوت الآخر عنده وكجحد الأعرابي شراءه منه فرسه التي شهد فيها خزيمة وكما
كان من تظاهر زوجيه عليه وأشباه هذا مما يحسن الصفح عنه أو يكون هذا مما آذاه
به كافر رجا بعد ذلك إسلامه كعفوه عن اليهودي الذي سحره وعن الأعرابي الذي
أراد قتله وعن اليهودية التي سمته وقد قيل قتلها ومثل هذا مما يبلغه من أذى أهل
الكتاب والمنافقين فصفح عنهم رجاء استئلافهم واستئلاف غيرهم كما قررناه قبل
وبالله التوفيق. **فصل** تقدم الكلام في قتل القاصد لسبه والإزراء به
وغمصه بأي وجه كان من ممكن أو محال فهذا وجه بين لا إشكال فيه. الوجه الثاني
لاحق به في البيان والجلاء وهو أن يكون القائل لما قال في جهته عليه السلام غير قاصد
للسب والإزراء ولا معتقد له ولكنه تكلم في جهته عليه السلام بكلمة الكفر
من لعنه أو سبه أو تكذيبه أو إضافة ما لا يجوز عليه أو نفي ما يجب له مما هو في
حقه عليه السلام نقيصة مثل أن ينسب إليه إتيان كبيرة أو مداهنة في تبليغ
الرسالة أو في حكم بين الناس أو يغض من مرتبته أو شرف نسبه أو وفور علمه أو
زهده أو تكذيب بما اشتهر من أمور أخبر بها عليه السلام وتواتر الخبر بها عنه عن
قصد لرد خبره أو يأتي بسفه من القول وقبيح من الكلام ونوع من السب في جهته وإن
ظهر بدليل حاله أنه لم يعتمد ذمه ولم يقصد سبه إما لجهالة حملته على ما
قاله أو لضجر أو سكر اضطره إليه أو قلة مراقبة وضبط للسانه وعجرفة وتهور
في كلامه فحكم هذا الوجه حكم الوجه الأول القتل دون تلعثم إذ لا يعذر أحد في
الكفر بالجهالة ولا بدعوى زلل اللسان ولا بشيء مما ذكرناه إذا كان عقله في فطرته
سليما إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان وبهذا أفتى الأندلسيون على ابن حاتم

حاتم في نفيه الزهد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي قدمناه وقال محمد بن
سحنون في المأسور يسب النبي صلى الله عليه وسلم في أيدي العدو يقتل إلا أن يعلم
تنصره أو إكراهه وعن أبي محمد بن أبي زيد لا يعذر بدعوى زلل اللسان في مثل هذا
وأفتى أبو الحسن القابسي فيمن شتم النبي صلى الله عليه وسلم في سكره يقتل لأنه يظن
به أنه يعتقد هذا ويفعله في صحوه وأيضا فإنه حد لا يسقطه السكر كالقذف
والقتل وسائر الحدود لأنه أدخله على نفسه لأن من شرب الخمر على علم من زوال
عقله بها وإتيان ما ينكر منه فهو كالعامد لما يكون بسببه وعلى هذا ألزمناه
الطلاق والعتاق والقصاص والحدود ولا يعترض على هذا بحديث حمزة وقوله
للنبي صلى الله عليه وسلم وهل أنتم إلا عبيد لأبي قال فعرف النبي صلى الله عليه وسلم
أنه ثمل فانصرف لأن الخمر كانت حينئذ غير محرمة فلم يكن في جناياتها إثم وكان
حكم ما يحدث عنها معفوا عنه كما يحدث من النوم وشرب الدواء المأمون.
فصل الوجه الثالث أن يقصد إلى تكذيبه فيما قاله وأتى به أو ينفي نبوته أو
رسالته أو وجوده أو يكفر به انتقل بقوله ذلك إلى دين آخر غير ملته أم لا فهذا
كافر بإجماع يجب قتله ثم ينظر فإن كان مصرحا بذلك كان حكمه أشبه بحكم المرتد وقوي
الخلاف في استتابته وعلى القول الآخر لا يسقط القتل عنه توبته لحق النبي صلى الله
عليه وسلم إن كان ذكره بنقيصة فيما قاله من كذب أو غيره وإن كان مستسرا بذلك
فحكمه حكم الزنديق لا تسقط قتله التوبة عندنا كما سنبينه قال أبو حنيفة وأصحابه
من برئ من محمد أو كذب به فهو مرتد حلال الدم إلا أن يرجع وقال ابن القاسم في
المسلم إذا قال إن محمدا ليس بنبي أو لم يرسل أو لم ينزل عليه قرآن وإنما هو شيء تقوله
يقتل قال ومن كفر برسول الله صلى الله عليه وسلم وأنكره من المسلمين فهو بمنزلة المرتد
وكذلك من أعلن بتكذيبه أنه كالمرتد يستتاب وكذلك قال فيمن تنبأ وزعم أنه يوحى
إليه وقاله سحنون وقال ابن القاسم دعا إلى ذلك سرا أو جهرا قال أصبغ وهو كالمرتد
لأنه قد كفر بكتاب الله مع الفرية على الله وقال أشهب في يهودي تنبأ أو زعم أنه أرسل إلى

وقال

الناس أو قال بعد نبيكم نبي انه يستتاب ان كان معلنا بذلك فان تاب والا قتل وذلك
لانه مكذب للنبي صلى الله عليه وسلم في قوله لا نبي بعدي مفتر على الله في دعواه
عليه الرسالة والنبوة وقال محمد بن سحنون من شك في حرف مما جاء به محمد صلى الله عليه
وسلم عن الله فهو كافر جاحد وقال من كذب النبي صلى الله عليه وسلم كان حكمه عند
الامة القتل وقال احمد بن ابي سليمان صاحب سحنون من قال ان النبي صلى الله عليه وسلم
اسود قتل لم يكن عليه السلام باسود وقال نحوه ابو عثمان الحداد قال لو قال انه
مات قبل ان يلتحي او انه كان بتاهرت ولم يكن بتهامة قتل لان هذا نفي قال
حبيب بن ربيع تبديل صفته ومواضعه كفر المظهر له كافر وفيه الاستتابة والمسر
له زنديق يقتل دون استتابة ∴ **فصل** الوجه الرابع ان ياتي من الكلام بمجمل ويلفظ
من القول بمشكل يمكن حمله على النبي صلى الله عليه وسلم او غيره او يتردد في المراد به من
سلامته من المكروه او شره فهاهنا متردد النظر وحيرة العبر ومظنة اختلاف
المجتهدين ووقفة استبراء المقلدين ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة
فمنهم من غلب حرمة النبي صلى الله عليه وسلم وحمى حمى عرضه فجسر على القتل ومنهم
من عظم حرمة الدم ودرأ الحد بالشبهة لاحتمال القول وقد اختلف ائمتنا في رجل
أغضبه غريمه فقال له صل على النبي محمد فقال له الطالب لا صلى الله على من صلى عليه
فقيل لسحنون هل هو كمن شتم النبي صلى الله عليه وسلم او الملائكة الذين يصلون
عليه قال لا اذا كان على ما وصفت من الغضب لانه لم يكن مضمرا للشتم وقال
ابو اسحق البرقي واصبغ بن الفرج لا يقتل لانه انما شتم الناس وهذا نحو قول سحنون
لانه لم يعذره بالغضب في شتم النبي صلى الله عليه وسلم ولكنه لما احتمل الكلام عنده
ولم تكن معه قرينة تدل على شتم النبي صلى الله عليه وسلم او شتم الملائكة صلوات
الله عليهم ولا مقدمة يحمل عليها كلامه بل القرينة تدل على ان مراده الناس
غير هؤلاء لاجل قول الاخر له صل على النبي فحمل قوله وسبه لمن يصلي عليه الان لاجل
امر الاخر له بهذا عند غضبه هذا معنى قول سحنون وهو مطابق لعلة صاحبيه
وذهب

وذهب الحرث بن مسكين القاضي وغيره في مثل هذا الى القتل وتوقف ابو الحسن القابسي
في قتل رجل قال كل صاحب فندق قرنان ولو كان نبيا مرسلا فامر بشده بالقيود والتضييق
عليه حتى تستفهم البينة عن جملة الفاظه وما يدل على مقصده هل اراد اصحاب
الفنادق الان فمعلوم انه ليس فيهم نبي مرسل فيكون امره اخف قال ولكن ظاهر
لفظه العموم لكل صاحب فندق من المتقدمين والمتاخرين وقد كان فيمن تقدم من الانبياء
والرسل من اكتسب المال قال ودم المسلم لا يقدم عليه الا بامر بين وما ترد اليه التاويلات
لا بد من اعمال النظر فيه هذا معنى كلامه وحكي عن ابي محمد بن ابي زيد رحمه الله
فيمن قال لعن الله العرب ولعن الله بني اسرائيل ولعن الله بني آدم وذكر انه لم يرد الانبياء
وانما اردت الظالمين منهم ان عليه الادب بقدر اجتهاد السلطان وكذلك افتى
فيمن قال لعن الله من حرم المسكر وقال لم اعلم من حرمه وفيمن لعن حديث لا يبع
حاضر لباد ولعن ما جاء به انه ان كان يعذر بالجهل وعدم معرفة السنن فعليه
الادب الوجيع وذلك ان هذا لم يقصد بظاهر حاله سب الله ولا سب رسوله وانما
لعن من حرمه من الناس على نحو فتوى سحنون واصحابه في المسئلة المتقدمة ومثل
هذا ما يجري في كلام سفهاء الناس من قول بعضهم لبعض يا ابن الف خنزير ويا ابن مائة كلب
وشبهه من هجر القول ولا شك انه يدخل في مثل هذا العدد من ابائه واجداده
جماعة من الانبياء ولعل بعض هذا العدد منقطع الى آدم عليه السلام فينبغي الزجر
عنه وتبيين ما جهل قائله منه وشدة الادب فيه ولو علم انه قصد سب من في
ابائه من الانبياء على علم لقتل وقد يضيق القول في نحو هذا لو قال لرجل هاشمي لعن
الله بني هاشم وقال اردت الظالمين منهم او قال لرجل من ذرية النبي صلى الله عليه
وسلم قولا قبيحا في ابائه او من نسله او ولده على علم منه انه من ذرية النبي صلى الله عليه
وسلم ولم تكن قرينة في المسئلتين تقتضي تخصيص بعض ابائه واخراج النبي صلى الله عليه
وسلم ممن سبه منهم وقد رايت لابي موسى بن مناس فيمن قال لرجل لعنك الله الى آدم انه ان ثبت ذلك عليه قتل وقد كان اختلف شيوخنا فيمن قال لشاهد شهد عليه بشيء
ثم قال له تتهمني فقال له الاخر الانبياء يتهمون فكيف انت فكان شيخنا ابو اسحق

ابن جعفر يرى قتله لبشاعة ظاهر اللفظ وكان القاضي ابو محمد بن منصور يتوقف
عن القتل لاحتمال اللفظ عنده ان يكون خبرا عمن اتهمهم من الكفار وافتى فيها قاضي
قرطبة ابو عبد الله بن الحاج بنحو من هذا وشدد القاضي ابو محمد تصفيده واطال
سجنه ثم استحلفه بعد على تكذيب ما شهد به عليه اذ دخل في شهادة بعض
من شهد عليه وهن ثم اطلقه وشاهدت شيخنا القاضي ابا عبد الله بن عيسى ايام
قضائه اتي برجل هاتر رجلا اسمه محمد ثم قصد الى كلب فضربه برجله وقال له
قم يا محمد فانكر الرجل ان يكون قال ذلك وشهد عليه لفيف من الناس فامر به الى السجن
وتقصى عن حاله وهل يصحب من يستراب بدينه فلما لم يجد ما يقوي الريبة باعتقاده
ضربه بالسوط واطلقه

فصل الوجه الخامس الا يقصد نقصا ولا يذكر
عيبا ولا سبا لكنه ينزع بذكر بعض اوصافه او يستشهد ببعض احواله عليه السلام
الجائزة في الدنيا على طريق ضرب المثل والحجة لنفسه او لغيره او على التشبه به او
عند هضيمة نالته او غضاضة لحقته ليس على طريق التاسي وطريق التحقيق بل
على مقصد الترفيع لنفسه او لغيره او سبيل التمثيل وعدم التوقير لنبيه عليه السلام
او قصد الهزل والتندير بقوله كقول القائل ان قيل في السوء فقد قيل في النبي
او ان كذبت فقد كذب الانبياء او ان اذنبت فقد اذنبوا او انا اسلم من
السنة الناس ولم يسلم منهم انبياء الله ورسله او صبرت كما صبر اولوا العزم
من الرسل او كصبر ايوب او قد صبر نبي الله من عداه وحلم على اكثر مما صبرت وكقول
المتنبي ∴ انا في امة تداركها الله غريب كصالح في ثمود ∴
ونحوه من اشعار المتعجرفين في القول المتساهلين في الكلام كقول المعري
كنت موسى وافته بنت شعيب غير ان ليس فيكما من فقير
على ان اخر البيت شديد داخل في باب الازراء والتحقير بالنبي عليه السلام وتفضيل (عند تدبره صح)
حال غيره عليه وكذلك قوله ∴
لولا انقطاع الوحي بعد محمد قلنا محمد من ابيه بديل

هو مثله في الفضل الا انه لم ياته برسالة جبريل
فصدر البيت الثاني من هذا الفصل لتشبيهه غير النبي في فضله بالنبي والعجز محتمل (شديد)
لوجهين احدهما ان هذه الفضيلة نقصت الممدوح والاخر استغناؤه عنها وهذه
اشد ونحو منه قول الاخر واذا ما رفعت راياته صفقت بين جناحي جبرين
وقول الاخر من اهل العصر فر من الخلد واستجار بنا فصبر الله قلب رضوان
وكقول حسان المصيصي من شعراء الاندلس في محمد بن عباد المعروف بالمعتمد ووزيره (في)
ابي بكر بن زيدون كان ابا بكر ابو بكر الرضى وحسان حسان وانت محمد
الى امثال هذا وانما اكثرنا بشاهدها مع استثقالنا لحكايتها لتعريف امثلتها (بها ح / لتعريف)
ولتساهل كثير من الناس في ولوج هذا الباب الضنك واستخفافهم هذا العبء (فادح)
وقلة علمهم بعظيم ما فيه من الوزر وكلامهم منه بما ليس لهم به علم وتحسبونه هينا
وهو عند الله عظيم لا سيما الشعراء واشدهم فيه تصريحا وللسانه تسريحا
ابن هاني الاندلسي وابن سليمان المعري بل قد خرج كثير من كلامهما الى حد الاستخفاف (زعما)
والنقص وصريح الكفر وقد اجبنا عنه وغرضنا الان الكلام في هذا الفصل
الذي سقنا امثلته فان هذه كلها وان لم تتضمن سبا ولا اضافت الى الملائكة
والانبياء نقصا ولست اعني عجزي بيتي المعري ولا قصد قائلها ازراء وغضا فما وقر
النبوة ولا عظم الرسالة ولا عزر حرمة الاصطفاء ولا عزز حظوة الكرامة حتى
شبه من شبه في كرامة نالها او معرة قصد الانتفاء منها او ضرب مثل لتطييب
مجلسه او اغلاء في وصف لتحسين كلامه بمن عظم الله خطره وشرف قدره والزم
توقيره وبره ونهى عن جهر القول له ورفع الصوت عنده فحق هذا ان درئ
عنه القتل الادب والسجن وقوة تعزيره بحسب شنعة مقاله ومقتضى قبح ما
نطق به ومالوف عادته لمثله او ندوره وقرينة كلامه او ندمه على ما سبق منه ولم
يزل المتقدمون ينكرون مثل هذا ممن جاء به وقد انكر الرشيد على ابي نواس قوله
∴ فان يك باقي سحر فرعون فيكم فان عصا موسى بكف خصيب ∴

وقال له يا ابن اللخنا انت المستهزئ بعصى موسى وامر باخراجه عن عسكره من ليلته
وذكر القتيبي ان مما اخذ عليه ايضا وكفر فيه او قارب قوله في محمد الامين وتشبيهه
اياه بالنبي صلى الله عليه وسلم تنازع الاحمدان الشبه فاشتبها خلقا وخلقا كما قد
الشراكان

وقد انكروا ايضا عليه قوله كيف لا يدنيك من امل من رسول الله من نفره
لان حق الرسول وموجب تعظيمه وانافة منزلته ان يضاف اليه ولا يضاف. فالحكم (هو)
في امثال هذا ما بسطناه في طريق الفتيا على هذا المنهج جاءت فتيا امام مذهبنا (في مثال ح)
مالك بن انس رحمه الله واصحابه ففي النوادر من رواية ابن ابي مريم عنه في رجل عير رجلا
بالفقر فقال تعيرني بالفقر وقد رعى النبي صلى الله عليه وسلم فقال مالك قد عرض بذكر
النبي صلى الله عليه وسلم في غير موضعه ارى ان يؤدب قال ولا ينبغي لاهل الذنوب اذا
عوتبوا ان يقولوا قد اخطات الانبيا قبلنا وقال عمر بن عبد العزيز لرجل انظر لنا كاتبا
يكون ابوه عربيا فقال كاتب له قد كان ابو النبي كافرا فقال جعلت هذا مثلا فعزله
وقال لا تكتب لي ابدا وقد كره سحنون ان يصلى على النبي صلى الله عليه وسلم عند التعجب
الا على طريق الثواب والاحتساب توقيرا له وتعظيما كما امرنا الله. وسيل القابسي
عن رجل قال لرجل قبيح كانه وجه نكير ولرجل عبوس كانه وجه مالك الغضبان
فقال اي شي اراد بهذا ونكير احد فتاني القبر وهما ملكان فما الذي اراد
اروع دخل عليه حين راه من وجهه ام عاف النظر اليه لدمامة خلقه فان
كان هذا فهو شديد لانه جرى مجرى التحقير والتهوين فهو اشد عقوبة وليس
فيه تصريح بالسب للملك وانما السب واقع على المخاطب وفي الادب بالسوط
والسجن نكال للسفها قال واما ذاكر مالك خازن النار فقد جفا الذي ذكره عند
ما انكر من عبوس الاخر الا ان يكون المعبس له يد فيرهب بعبسته فيشبهه القائل (كان صح)
على طريق الذم لهذا في فعله ولزومه في ظلمه صفة مالك الملك المطيع لربه في
فعله فيقول كانه لله يغضب غضب مالك فيكون اخف وما كان ينبغي له التعرض

المعرض

لمثل هذا ولو كان اثنى على العبوس بعبسته واحتج بصفة مالك كان اشد ويعاقب
المعاقبة الشديدة وليس في هذا ذم للملك ولو قصد ذمه لقتل وقال
ابو الحسن ايضا في شاب معروف بالخير قال لرجل شيا فقال له الرجل اسكت فانك
امي فقال الشاب اليس كان النبي اميا فشنع عليه مقاله وكفره الناس واشفق
الشاب مما قال واظهر الندم عليه فقال ابو الحسن اما اطلاق الكفر عليه فخطا لكنه (القابسي)
مخطي في استشهاده بصفة النبي صلى الله عليه وسلم وكون النبي اميا اية له وكون
هذا اميا نقيصة فيه وجهالة ومن جهالته احتجاجه بصفة النبي صلى الله عليه
وسلم لكنه اذا استغفر وتاب واعترف ولجا الى الله فيترك لان قوله لا ينتهي
الى حد القتل وما طريقه الادب فطوع فاعله بالندم عليه يوجب الكف عنه ونزلت
ايضا مسالة استفتى فيها بعض قضاة الاندلس شيخنا القاضي ابا محمد بن منصور
رحمه الله في رجل تنقصه اخر بشي فقال انما تريد نقصي بقولك وانا بشر (رجل ح)
وجميع البشر يلحقهم النقص حتى النبي صلى الله عليه وسلم فافتاه باطالة سجنه وا
يجاع ادبه اذ لم يقصد السب وكان بعض فقها الاندلسيين افتى بقتله

فصل

الوجه السادس ان يقول القائل ذلك حاكيا عن غيره واثرا له عن سواه
فهذا ينظر في صورة حكايته وقرينة مقالته ويختلف الحكم باختلاف ذلك على
اربعة وجوه الوجوب والندب والكراهة والتحريم فان كان اخبر على وجه الشهاده
والتعريف بقايله والانكار والاعلام بقوله والتنفير منه والتجريح له فهذا مما ينبغي
امتثاله ويحمد فاعله وكذلك ان حكاه في كتاب او مجلس على طريق الرد له والنقض على
قايله والفتيا بما يلزمه وهذا منه ما يجب ومنه ما يستحب ومنه ما يستحب بحسب
حالات الحاكي لذلك والمحكي عنه فان القايل لذلك ممن تصدى لان يوخذ عنه العلم (كان صح)
او رواية الحديث او يقطع بحكمه او شهادته او فتياه في الحقوق وجب على سامعه
الاشادة بما سمع منه والتنفير للناس عنه والشهادة عليه بما قاله ووجب على
من بلغه ذلك من ايمة المسلمين انكاره وبيان كفره وفساد قوله لقطع ضرره عن

المسلمين وقياماً بحق سيد المرسلين وكذلك إن كان ممن يعظ العامة أو يؤدب
الصبيان فإن من هذه سريرته لا يؤمن على إلقاء ذلك في قلوبهم فيتأكد في هؤلاء
الإيجاب لحق النبي عليه السلام ولحق شريعته وإن لم يكن القائل بهذه السبيل فالقيام
بحق النبي صلى الله عليه وسلم واجب وحماية عرضه متعين ونصرته عن الأذى
حياً وميتاً مستحق على كل مؤمن لكنه إذا قام بهذا من ظهر به الحق وفصلت به
القضية وبان به الأمر سقط عن الباقي الفرض وبقي الاستحباب في تكثير الشهادة عليه
وعضد التحذير منه وقد أجمع السلف على بيان حال المتهم في الحديث فكيف بمثل
هذا وقد سئل أبو محمد بن أبي زيد عن الشاهد يسمع مثل هذا في حق الله أيسعه أن
لا يؤدي شهادته قال إن رجا نفاذ الحكم بشهادته فليشهد وكذلك إن علم أن الحاكم
لا يرى القتل بما شهد به ويرى الاستتابة والأدب فليشهد ويلزمه ذلك ذكر صح
وأما الإباحة لحكاية قوله لغير هذين المقصدين فلا أرى لها مدخلاً في الباب فليس
التفكه بعرض النبي صلى الله عليه وسلم والتمضمض بسوء ذكره لأحد لا ذاكراً ولا
آثراً لغير غرض شرعي بمباح وأما للأغراض المتقدمة فمتردد بين الإيجاب والا
ستحباب وقد حكى الله تعالى مقالات المفترين عليه وعلى رسله في كتابه على وجه
الإنكار لقولهم والتحذير من كفرهم والوعيد عليه والرد عليهم بما تلاه الله علينا
في محكم كتابه وكذلك وقع من أمثاله في أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم
الصحيحة على الوجوه المتقدمة وأجمع السلف والخلف من أئمة الهدى على حكايات
مقالات الكفرة والملحدين في كتبهم ومجالسهم ليبينوها للناس وينقضوا شبهها
عليهم وإن كان ورد لأحمد بن حنبل إنكار لبعض هذا على الحارث بن أسد فقد صنع
أحمد مثله في رده على الجهمية والقائلين بالمخلوق وهذه الوجوه السائغة الحكاية
فأما ما ذكراطر عنها فأما ذكرها على غير هذا من حكاية سبه والإزراء بمنصبه على وجه الحكايات
والأسمار والطرف وأحاديث الناس ومقالاتهم في الغث والسمين ومضاحك
المجان ونوادر السخفاء والخوض في قيل وقال وما لا يعني فكل هذا ممنوع وبعضه أشد

في المنع والعقوبة من بعض فما كان من قائله الحاكي له على غير قصد أو معرفة بمقدار
ما حكاه أو لم تكن عادته أو لم يكن الكلام من البشاعة حيث هو ولم يظهر على الشناعة
حاكيه استحسانه واستصوابه زجر عن ذلك ونهي عن العود إليه وإن قوم ببعض الأ
دب فهو مستوجب له وإن كان لفظه من البشاعة حيث هو كان الأدب أشد
وقد حكي أن رجلاً سأل مالكاً عمن يقول القرآن مخلوق فقال مالك كافر فاقتلوه فقال ان
إنما حكيته عن غيري فقال مالك إنما سمعناه منك وهذا من مالك رحمه الله
على طريق الزجر والتغليظ بدليل أنه لم ينفذ قتله وإن اتهم هذا الحاكي فيما حكاه
أنه اختلقه ونسبه إلى غيره أو كانت تلك عادة له أو ظهر استحسانه لذلك او
أو كان مولعاً بمثله والاستخفاف له أو التحفظ لمثله وطلبه ورواية أشعار
هجوه عليه السلام وسبه فحكم هذا حكم الساب نفسه يؤاخذ بقوله ولا تنفعه
نسبته إلى غيره فيبادر بقتله ويعجل إلى الهاوية أمه وقد قال أبو عبيد القاسم
بن سلام فيمن حفظ شطر بيت مما هجي به النبي صلى الله عليه وسلم فهو كفر وقد ذكر
بعض من ألف في الإجماع إجماع المسلمين على تحريم رواية ما هجي به النبي صلى الله
عليه وسلم وكتابه وقراءته وتركه متى وجد دون محو ورحم الله أسلافنا
المتقين المتحرزين لدينهم فقد أسقطوا من أحاديث المغازي والسير ما كان
هذا سبيله وتركوا روايته إلا أشياء ذكروها يسيرة وغير مستبشعة على
نحو الوجوه الأول ليروا نقمة الله من قائلها وأخذه المفتري عليه بذنبه وهذا
أبو عبيد القاسم بن سلام رحمه الله قد تحرى فيما اضطر إلى الاستشهاد به من أهاجي
أشعار العرب في كتبه فكنى عن اسم المهجو بوزن اسمه استبراء لدينه وتحفظاً من
المشاركة في ذم أحد بروايته أو نشره فكيف بما يتطرق إلى عرض سيد البشر صلى الله
عليه وسلم **فصل** الوجه السابع أن يذكر ما يجوز على النبي صلى الله عليه وسلم
أو يختلف في جوازه عليه وما يطرأ من الأمور البشرية به ويمكن إضافتها إليه
أو يذكر ما امتحن به وصبر في ذات الله على شدته من مقاساة أعدائه وأذاهم له

ومعرفة ابتدا احواله وسيرته وما لقيه من بوس زمنه ومر عليه من معاناة عيشته
كل ذلك على طريق الرواية ومذاكرة العلم ومعرفة ما صحت منه العصمة للانبيا
وما يجوز عليهم فهذا فن خارج عن هذه الفنون الستة اذ ليس فيه غمص ولا
نقص ولا ازرا ولا استخفاف لا في ظاهر اللفظ ولا في مقصد اللافظ لكن يجب
ان يكون الكلام فيه مع اهل العلم وفهما طلبة الدين ممن يفهم مقاصده ويحققون   اهل
فوايده ونجنب ذلك من عساه لا يفقهه او يخشى به فتنته فقد كره بعض   ولا يفقهه صح
السلف تعليم النسا سورة يوسف لما انطوت عليه من تلك القصص لضعف
معرفتهن ونقص عقلهن وادراكهن فقد قال عليه السلام مخبرا عن نفسه باستيجاره
لرعاية الغنم في ابتدا حاله وقال ما من نبي الا وقد رعى الغنم واخبرنا الله بذلك عن
موسى عليه السلام وهذا لا غضاضة فيه جملة واحدة لمن ذكره على وجهه بخلاف
من قصد به الغضاضة والتحقير بل عادة في العرب نعم في ذلك للانبيا حكمة بالغة   كانت صح
وتدريج الله تعالى لهم الى كرامته وتدريبهم برعايتها لسياسة اممهم من خليقته   جميع صح
بما سبق لهم من الكرامة في الازل ومتقدم العلم وكذلك قد ذكر الله يتمه وعيلته
على طريق المنة والتعريف بكرامته له فذكر الذاكر لها على وجه تعريف حاله والخبر
عن مبتداه والتعجب من منح الله قبله وعظيم منته عنده ليس فيه غضاضة
بل فيه دلالة على نبوته وصحة دعوته اذ اظهره الله تعالى بعد هذا بل فيه
دلالة على نبوته وصحة دعوته على صناديد العرب ومن ناواه من اشرافهم شيا
فشيا ونمى امره حتى قهرهم وتمكن من مقاليدهم واستباحة ممالك كثير من الامم   ملك صح
غيرهم باظهار الله تعالى له وتاييده بنصره وبالمومنين والف بين قلوبهم وامداده
بالملايكة المسومين ولو كان ابن ملك او ذا اشياع متقدمين لحسب كثير من
الجهال ان ذلك موجب ظهوره ومقتضى علوه ولهذا قال هرقل حين سال ابا
سفين عنه هل في ابايه من ملك ثم قال ولو كان في ابايه ملك لقلنا رجل يطلب   بن صح
ملك ابيه واذا اليتم من صفته واحدى علاماته في الكتب المتقدمة واخبار

الامم السالفة وكذا وقع ذكره في كتاب ارميا وبهذا وصفه ابن ذي يزن لعبد
المطلب وبحيرا لابي طالب وكذلك اذا وصف بانه امي كما وصفه الله به فهي
مدحة له وفضيلة ثابتة فيه وقاعدة معجزته اذ معجزته العظمى من القران
العظيم انما هي متعلقة بطريق المعارف والعلوم مع ما منح صلى الله عليه وسلم
وفضل به من ذلك كما قدمناه في القسم الاول ووجود مثل ذلك من رجل لم يقرا
ولم يكتب ولم يدارس ولا لقن مقتضى العجب ومنتهى العبر ومعجزة البشر وليس
في ذلك نقيصة اذ المطلوب من الكتابة والقراة المعرفة وانما هي الة لها وا
سطة موصلة اليها غير مرادة في نفسها فاذا حصلت الثمرة والمطلوب استغنى عن
الواسطة والسبب والامية في غيره نقيصة لانها سبب الجهالة وعنوان الغباوة
فسبحان من باين من امره من امر غيره وجعل شرفه فيما فيه محطة سواه وحياته فيما فيه   أمره صح
هلاك من عداه هذا شق قلبه واخراج حشوته كان تمام حياته وغاية قوة نفسه
وثبات روعه وهو فيمن سواه منتهى هلاكه وحتم موته وفنايه وهلم جرى الى ساير
ما روي من اخباره وسيره وتقلله من الدنيا ومن الملبس والمطعم والمركب وتواضعه
ومهنته نفسه في اموره وخدمته بيته زهدا ورغبة عن الدنيا وتسوية بين حقيرها
وخطيرها لسرعة فنا امورها وتقلب احوالها كل هذا من فضايله وماثره وشرفه
كما ذكرناه فمن اورد شيا منها مورده وقصد بها مقصده كان حسنا ومن اورد
ذلك على غير وجهه وعلم منه بذلك سو مقصده لحق بالفصول التي قدمناها
وكذلك ما ورد من اخباره واخبار ساير الانبيا عليهم السلام في الاحاديث
مما في ظاهره اشكال يقتضي امورا لا تليق بهم بحال وتحتاج الى تاويل وتردد احتمال
فلا يجب ان يتحدث منها الا بالصحيح ولا يروى منها الا المعلوم الثابت ورحم الله
مالكا فلقد كره التحدث بمثل ذلك من الاحاديث الموهمة للتشبيه والمشكلة المعنى
وقال ما يدعو الناس الى التحدث بمثل هذا فقيل له ان ابن عجلان يحدث بها فقال لم
يكن من الفقها وليت الناس وافقوه على ترك الحديث بها وساعدوه على طيها فاكثرها ليس

حتى عمل. وقد حكي عن جماعة من السلف بل عنهم على الجملة أنهم كانوا يكرهون
الكلام فيما ليس تحته عمل، والنبي صلى الله عليه وسلم أوردها على قوم عرب يفهمون
كلام العرب على وجهه وتصرفاتهم في حقيقته ومجازه واستعارته وبليغه
وإيجازه، فلم تكن في حقهم مشكلة، ثم جاء من غلبت عليه العجمة وداخلته الأمية
فلا يكاد يفهم من مقاصد العرب إلا نصها وصريحها ولا يتحقق إشاراتها إلى
غرض الإيجاز ووحيها وتبليغها وتلويحها، فتفرقوا في تأويلها شذر مذر، فمنهم من
آمن به ومنهم من كفر. فأما ما لا يصح من هذه الأحاديث فواجب أن لا يذكر منها شيء
في حق الله تعالى ولا في حق أنبيائه ولا يتحدث بها ولا يتكلف الكلام في معانيها، والصواب
طرحها وترك الشغل بها، إلا أن يذكر على وجه التعريف بأنها ضعيفة المقاد واهية
الإسناد. وقد أنكر الأشياخ على أبي بكر بن فورك تكلفه في مشكله الكلام على أحاديث
ضعيفة موضوعة لا أصل لها أو منقولة عن أهل الكتاب الذين يلبسون الحق بالباطل،
كان يكفيه طرحها ويغنيه عن الكلام عليها التنبيه على ضعفها، إذ المقصود بالكلام
على مشكل ما فيها إزالة اللبس بها واجتثاثها من أصلها، وطرحها أكشف للبس وأشفى للنفس.

فصل ومما يجب على المتكلم فيما يجوز على النبي وما لا يجوز، والذاكر
من حالاته ما قدمناه في الفصل قبل هذا على طريق المذاكرة والتعليم، أن يلتزم في كلامه
عند ذكره عليه السلام وذكر تلك الأحوال الواجب من توقيره وتعظيمه، ويراقب حال
لسانه ولا يهمله، ويظهر عليه علامات الأدب عند ذكره، فإذا ذكر ما قاساه
من الشدائد ظهر عليه الإشفاق والارتماض والغيظ على عدوه ومودة الفداء للنبي
صلى الله عليه وسلم لو قدر عليه والنصرة له لو أمكنته، وإذا أخذ في أبواب العصمة
وتكلم على مجاري أعماله وأقواله عليه السلام تحرى أحسن اللفظ وأدب العبارة ما أمكنه،
واجتنب بشيع ذلك، وهجر من العبارة ما يقبح كلفظة الجهل والكذب والمعصية،
فإذا تكلم في الأقوال قال هل يجوز عليه الخلف في القول والإخبار بخلاف ما وقع
سهوا أو غلطا أو نحوه من العبارة، ويتجنب لفظة الكذب جملة واحدة. وإذا تكلم

على العلم قال هل يجوز ألا يعلم إلا ما علم، وهل يمكن ألا يكون عنده علم من بعض
الأشياء حتى يوحى إليه، ولا يقول بجهل لقبح اللفظ وبشاعته. وإذا تكلم في الأفعال
قال هل يجوز منه المخالفة في بعض الأوامر والنواهي ومواقعة الصغائر، فهو أولى
وآدب من قوله هل يجوز أن يعصي أو يذنب أو يفعل كذا وكذا من أنواع المعاصي،
فهذا من حق توقيره عليه السلام وما يجب له من تعزير وإعظام. وقد رأيت بعض
العلماء لم يتحفظ من هذا فقبح منه ولم أستصوب عبارته فيه، ووجدت بعض
الجائرين قوله لأجل ترك تحفظه في العبارة ما لم يقله، وشنع عليه بما يأباه ويكفر
قائله. وإذا كان مثل هذا بين الناس مستعملا في آدابهم وحسن معاشرتهم وخطابهم
فاستعماله في حقه عليه السلام أوجب والتزامه آكد، فجودة العبارة تقبح الشيء أو
تحسنه، وتحريرها وتهذيبها يعظم الأمر أو يهونه، ولهذا قال عليه السلام إن من البيان
لسحرا. فأما ما أورده على جهة النفي عنه والتنزيه فلا حرج في تسريح العبارة وتصريحها
فيه كقوله لا يجوز عليه الكذب جملة ولا إتيان الكبائر بوجه ولا الجور في الحكم على حال،
ولكن مع هذا يجب ظهور توقيره وتعظيمه وتعزيره عند ذكره مجردا، فكيف عند ذكر
مثل هذا. وقد كان السلف تظهر عليهم حالات شديدة عند مجرد ذكره كما قدمناه
في القسم الثاني، وكان بعضهم يلتزم مثل ذلك عند تلاوة آي من القرآن حكى الله فيها
مقال عداه ومن كفر بآياته وافترى عليه الكذب، فكان يخفض بها صوته إعظاما
لربه وإجلالا له وإشفاقا من التشبه بمن كفر به.

الباب الثاني في

حكم سابه وشانئه ومتنقصه ومؤذيه وعقوبته وذكر استتابته ووراثته

قد قدمنا ما هو سب وأذى في حقه عليه السلام، وذكرنا إجماع العلماء على قتل فاعل ذلك
وقائله أو تخيير الإمام في قتله أو صلبه على ما ذكرناه وقررنا الحجج عليه. وبعد فاعلم
أن مشهور مذهب مالك وأصحابه وقول السلف وجمهور العلماء قتله حدا لا كفرا
إن أظهر التوبة منه، ولهذا لا تقبل عندهم توبته ولا تنفعه استقالته ولا فيئته كما قدمناه
قبل، وحكمه حكم الزنديق ومسر الكفر في هذا القول، وسواء كانت توبته على هذا بعد

القدرة عليه والشهادة على قوله او جا تايبا من قبل نفسه لانه حد وجب لا تسقطه
التوبة كساير الحدود قال الشيخ ابو الحسن القابسي رحمه الله اذا اقر بالسب وتاب
منه واظهر التوبة قتل بالسب لانه هو حده وقال ابو محمد بن ابي زيد مثله واما
ما بينه وبين الله تعالى فتوبته تنفعه وقال ابن سحنون من شتم النبي صلى الله عليه وسلم
من الموحدين ثم تاب عن ذلك لم تزل توبته عنه القتل وكذلك قد اختلف في الزنديق اذا
جا تايبا فحكى القاضي ابو الحسن بن القصار في ذلك قولين قال من شيوخنا من قال اقتله باقراره
لانه كان يقدر على ستر نفسه فلما اعترف خفنا انه خشي الظهور عليه فبادر
لذلك ومنهم من قال اقبل توبته لاني استدل على صحتها بمجيه فكانا وقفنا على
باطنه بخلاف من اسرته البينة قال القاضي ابو الفضل وهذا قول اصبغ ومسلة ساب
النبي صلى الله عليه وسلم اقوى لا يتصور فيها الخلاف على الاصل المتقدم لانه حق متعلق
للنبي ولامته بسببه لا تسقطه التوبة كساير حقوق الادميين والزنديق اذا تاب
بعد القدرة عليه فعند مالك والليث واسحق واحمد لا تقبل توبته وعند الشافعي
تقبل واختلف فيه عن ابي حنيفة وابي يوسف وحكى ابن المنذر عن علي بن ابي طالب رضي
الله عنه يستتاب قال محمد بن سحنون ولم يزل القتل عن المسلم بالتوبة من سبه عليه
السلام لانه لم ينتقل من دين الى غيره وانما فعل شيا حده عندنا القتل لا عفو
فيه لاحد كالزنديق لانه لم ينتقل من ظاهر الى ظاهر وقال القاضي ابو محمد بن نصر
محتجا لسقوط اعتبار توبته والفرق بينه وبين من سب الله تعالى على مشهور
القول باستتابته ان النبي صلى الله عليه وسلم بشر والبشر جنس تلحقهم المعرة الا من
اكرمه الله بنبوته والباري تعالى منزه عن جميع المعايب قطعا وليس من جنس
تلحق المعرة بجنسه وليس سبه عليه السلام كالارتداد المقبول فيه التوبة لان الارتداد
معنى ينفرد به المرتد لا حق فيه لغيره من الادميين فقبلت توبته ومن سب النبي
تعلق فيه حق لادمي فكان كالمرتد يقتل حين ارتداده او يقذف فان توبته لا تسقط
عنه حد القتل والقذف وايضا فان توبة المرتد اذا قبلت لا تسقط ذنوبه من زنا

وسرقة وغيرها ولم يقتل ساب النبي لكفره لكن لمعنى يرجع الى تعظيم حرمته وزوال
المعرة به وذلك لا تسقطه التوبة قال القاضي ابو الفضل يريد والله اعلم
لان سبه لم يكن بكلمة تقتضي الكفر ولكن بمعنى الازراء والاستخفاف او لان
بتوبته واظهار انابته ارتفع عنه اسم الكفر ظاهرا والله اعلم بسريرته وبقي حكم
السب عليه وكلام شيوخنا هاولاء مبني على القول بقتله حدا لا كفرا وهو
يحتاج الى تفصيل واما على رواية الوليد بن مسلم عن مالك ومن وافقه على ذلك ممن
ذكرناه وقال به من اهل العلم فقد صرحوا انه ردة قالوا ويستتاب منها فان تاب
نكل وان ابى قتل فحكم له بحكم المرتد مطلقا في هذا الوجه والوجه الاول اشهر
واظهر لما قدمناه ونحن نبسط الكلام فيه فنقول من لم يره ردة فهو يوجب القتل
فيه حدا وانما نقول ذلك مع فصلين اما مع انكاره ما شهد عليه به او اظهاره الاقلاع
والتوبة عنه فنقتله حدا لثبات كلمة الكفر عليه في حق النبي صلى الله عليه وسلم وتحقيره
ما عظم الله من حقه واجرينا حكمه في ميراثه وغير ذلك حكم الزنديق اذا ظهر عليه
وانكر او تاب فان قيل فكيف تثبتون عليه الكفر ويشهد عليه بكلمة الكفر ولا تحكمون
عليه بحكمه من الاستتابة وتوابعها قلنا نحن وان اثبتنا له حكم الكافر في القتل فلا
نقطع عليه بذلك لاقراره بالتوحيد والنبوة وانكاره ما شهد به عليه او زعمه ان
ذلك كان منه وهلا او معصية وانه مقلع عن ذلك نادم عليه ولا يمتنع اثبات
بعض احكام الكفر على بعض الاشخاص وان لم تثبت له خصايصه كقتل تارك الصلاة
واما من علم انه سبه معتقدا لاستحلاله فلا شك في كفره بذلك وكذلك
ان كان سبه في نفسه كفرا كتكذيبه او تكفيره ونحوه فهذا مما لا اشكال فيه ويقتل
وان تاب منه لانا لا نقبل توبته ونقتله بعد التوبة حدا لقوله ومتقدم كفره
وامره بعد الى الله المطلع على صحة اقلاعه العالم بسره وكذلك من لم يظهر التوبة
واعترف بما شهد به عليه وصمم عليه فهذا كافر بقوله وباستحلاله هتك حرمة
الله وحرمة نبيه يقتل كافرا بلا خلاف فعلى هذه التفصيلات خذ كلام العلماء

كافرا

صلى الله عليه وسلم

ويتبين مختلف عباراتهم في الاحتجاج عليها واجراء اختلافهم في الموارثه وغيرها على ترتيبها
ليصح لك مقاصدهم ان شا الله **فصل** اذا قلنا بالاستتابة حيث تصح فا
لاختلاف فيها على الاختلاف في توبة المرتد اذ لا فرق وقد اختلف السلف في وجوبها
وصورتها ومدتها فذهب جمهور اهل العلم الى ان المرتد يستتاب وحكى ابن القصار
انه اجماع من الصحابة على تصويب قول عمر في الاستتابة ولم ينكره واحد منهم
وهو قول عثمان وعلي وابن مسعود وبه قال عطا بن ابي رباح والنخعي والثوري ومالك
واصحابه والاوزاعي والشافعي واحمد واسحق واصحاب الراي وذهب طاوس وعبيد
بن عمير والحسن في احدى الروايتين عنه انه لا يستتاب وقاله عبد العزيز بن ابي سلمة
وذكره عن معاذ وانكره سحنون عن معاذ وحكاه الطحاوي عن ابي يوسف وهو
قول اهل الظاهر قالوا وتنفعه توبته عند الله ولكن لا يدرا القتل عنه لقوله صلى الله
عليه وسلم فاقتلوه وحكي ايضا عن عطا ان كان ممن ولد في الاسلام لم يستتب ويستتاب
الاسلامي وجمهور العلما على ان المرتد والمرتدة في ذلك سوا وروي عن علي لا تقتل المرتدة
وتسترق وقاله عطا وقتادة وروي عن ابن عباس لا يقتل النسا في الردة وبه قال
ابو حنيفة قال مالك والحر والعبد والذكر والانثى في ذلك سوا واما مدتها فمذهب
الجمهور وروي عن عمر انه يستتاب ثلاثة ايام يحبس فيها وقد اختلف فيه عن
عمر وهو احد قولي الشافعي وقول احمد واسحق واستحسنه مالك وقال لا ياتي
الاستظهار الا بخير وليس عليه جماعة الناس قال الشيخ ابو محمد بن ابي زيد يريد في الاستينا
ثلاثا وقال مالك ايضا الذي اخذ به في المرتد قول عمر يحبس ثلاثة ايام ويعرض عليه كل
يوم فان تاب والا قتل وقال ابو الحسن بن القصار في تاخيره ثلاثا روايتان عن مالك هل
ذلك واجب او مستحب واستحسن الاستتابة والاستينا ثلاثا اصحاب الراي وروي
عن ابي بكر الصديق انه استتاب امراة فلم تتب فقتلها وقاله الشافعي مرة فقال
ان لم يتب مكانه قتل واستحسنه المزني وقال الزهري يدعى الى الاسلام ثلاث مرات فان
ابى قتل وروي عن علي يستتاب شهرين وقال النخعي يستتاب ابدا وبه اخذ الثوري ما رجيت

توبته وحكى ابن القصار عن ابي حنيفة انه يستتاب ثلاث مرات في ثلاثة ايام او ثلاث
جمع كل يوم او جمعة مرة وفي كتاب محمد عن ابن القسم يدعى المرتد الى الاسلام ثلاث
مرات فان ابى ضربت عنقه واختلف على هذا هل يهدد او يشدد عليه ايام الاستتابة
ليتوب ام لا فقال مالك ما علمت في الاستتابة تجويعا ولا تعطيشا ويؤتى من الطعام
بما لا يضره وقال اصبغ يخوف ايام الاستتابة بالقتل ويعرض عليه الاسلام وفي
كتاب ابي الحسن الطابثي يوعظ في تلك الايام ويذكر بالجنة ويخوف بالنار قال اصبغ واي
المواضع حبس فيها من السجون مع الناس او وحده اذا استوثق منه سوا ويوقف ماله
اذا خيف ان يتلفه على المسلمين ويطعم منه ويسقى وكذلك يستتاب ابدا كلما رجع
وارتد وقد استتاب النبي صلى الله عليه وسلم نبهان الذي ارتد اربع مرات او خمسا
قال ابن وهب عن مالك يستتاب ابدا كلما رجع وهو قول الشافعي واحمد وقاله ابن القسم
وقال اسحق يقتل في الرابعة وقال اصحاب الراي ان لم يتب في الرابعة قتل دون استتابة
وان تاب ضرب ضربا وجيعا ولم يخرج من السجن حتى يظهر عليه خشوع التوبة قال
ابن المنذر ولا نعلم احدا اوجب على المرتد في المرة الاولى ادبا اذا رجع وهو على مذهب
مالك والشافعي والكوفي **فصل** هذا حكم من ثبت عليه ذلك بما يجب ثبوته
من اقرار او عدول لم يدفع فيهم فاما من لم تتم الشهادة عليه بما شهد عليه الواحد
او اللفيف من الناس او ثبت لكن احتمل ولم يكن صريحا وكذلك ان تاب على القول بقبول توبته
فهذا يدرا عنه القتل ويتسلط عليه اجتهاد الامام بقدر شهرة حاله وقوة الشهادة
عليه وضعفها وكثرة السماع عنه وصورة حاله من التهمة في الدين والنبز بالسفه وا
لمجون فمن قوي امره اذاقه من شديد النكال من التضييق في السجن والشد في القيود الى الغاية
التي هي منتهى طاقته مما لا يمنعه القيام لضرورته ولا يقعده عن صلاته وهو حكم من
وجب عليه القتل لكن وقف عن قتله لمعنى اوجبه وتربص به لاشكال وعائق اقتضاه
امره وحالات الشدة في نكاله تختلف بحسب اختلاف حاله وقد روى الوليد عن مالك
والاوزاعي انها ردة فاذا تاب نكل ولمالك في العتبية وكتاب محمد من رواية اشهب

اذا تاب المرتد فلا عقوبة عليه. وقاله سحنون وافتى ابو عبد الله بن عتاب فيمن
سب النبي صلى الله عليه وسلم فشهد عليه شاهدان عدل احدهما بالادب الموجع والتنكيل
والسجن الطويل حتى تظهر توبته وقال القابسي في مثل هذا ومن كان اقصى امره القتل فعاق
عائق اشكل في القتل لم ينبغ ان يطلق من السجن ويستطال سجنه ولو كان فيه من المدة
ما عسى ان يقيم ويحمل عليه من القيد ما يطيق. وقال في مثله ممن اشكل امره يشد في
القيود شدا ويضيق عليه في السجن حتى ينظر فيما يجب عليه. وقال في مسئلة اخرى مثلها
ولا تهراق الدماء الا بالامر الواضح. وفي الادب بالسوط والسجن نكال للسفهاء ويعاقب عقوبة
شديدة فاما ان لم يشهد عليه سوى شاهدين فاثبت من عداوتهما او جرحتهما ما
اسقطهما عنه ولم يسمع ذلك من غيرهما فامره اخف لسقوط الحكم عنه وكانه لم
يشهد عليه الا ان يكون ممن يليق به ذلك ويكون الشاهدان من اهل التبريز فاسقطهما بعداوة
فهو وان لم ينفذ الحكم عليه بشهادتهما فلا يدفع الظن صدقهما وللحاكم هنا في تنكيله موضع
اجتهاده والله ولي الارشاد.

فصل هذا حكم المسلم. فاما الذمي اذا صرح
بسبه او عرض او استخف بقدره او وصفه بغير الوجه الذي كفر به فلا خلاف
عندنا في قتله ان لم يسلم. لانا لم نعطه الذمة او العهد على هذا. وهو قول عامة
العلماء الا ابا حنيفة والثوري واتباعهما من اهل الكوفة فانهم قالوا لا يقتل وما
هو عليه من الشرك اعظم. ولكن يؤدب ويعزر. واستدل بعض شيوخنا على قتله بقوله
وان نكثوا ايمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم الاية ويستدل ايضا عليه بقتل
النبي صلى الله عليه وسلم لابن الاشرف واشباهه ولانا لم نعاهدهم ولم نعطهم الذمة
على هذا ولا يجوز لنا ان نفعل ذلك معهم فاذا اتوا ما لم يعطوا عليه العهد ولا الذمة فقد
نقضوا ذمتهم وصاروا كفارا اهل حرب يقتلون بكفرهم. وايضا فان ذمتهم لا تسقط حدود
الاسلام عنهم من القطع في سرقة اموالهم والقتل لمن قتلوه منهم وان كان ذلك حلالا
عندهم. فكذلك سبهم للنبي صلى الله عليه وسلم يقتلون به. ووردت لاصحابنا
ظواهر تقتضي الخلاف اذا ذكره الذمي بالوجه الذي كفر به ستقف عليها من كلام ابن

القسم وابن سحنون بعد وحكى ابو المصعب الخلاف فيها عن اصحابه المدنيين واختلفوا
اذا سبه ثم اسلم فقيل يسقط اسلامه قتله لان الاسلام يجب ما قبله بخلاف
المسلم اذا سبه ثم تاب لانا نعلم باطنه الكافر في بغضه له وتنقصه بقلبه لكنا
منعناه من اظهاره فلم يزدنا ما اظهره الا مخالفة للامر ونقضا للعهد فاذا رجع عن
دينه الاول الى الاسلام سقط ما قبله قال الله تعالى قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم
ما قد سلف والمسلم بخلافه اذ كان ظننا بباطنه حكم ظاهره وخلاف ما بدا منه
الان فلم نقبل بعد رجوعه ولا استنمنا الى باطنه اذ قد بدت سرائره وما ثبت عليه من
الاحكام باقية لم يسقطها شيء وقيل لا يسقط اسلام الذمي الساب قتله لانه
حق للنبي صلى الله عليه وسلم وجب عليه لانتهاكه حرمته وقصده الحاق النقيصة
والمعرة به فلم يكن رجوعه الى الاسلام بالذي يسقطه كما وجب عليه من حقوق المسلمين
من قبل اسلامه من قتل وقذف واذا كنا لا نقبل توبة المسلم فان لا نقبل توبة الكافر
اولى قال مالك في كتاب ابن حبيب والمبسوط وابن القسم وابن الماجشون وابن عبد الحكم
واصبغ فيمن شتم نبينا من اهل الذمة او احدا من الانبياء عليهم السلام قتل الا ان يسلم
وقاله ابن القسم في العتبية وعند محمد وابن سحنون وقال سحنون واصبغ لا يقال له اسلم
ولا لا تسلم ولكن ان اسلم فذلك له توبة. وفي كتاب محمد اخبرنا اصحاب مالك انه قال
من سب رسول الله صلى الله عليه وسلم او غيره من النبيين من مسلم او كافر قتل ولم
يستتب وروي عن مالك الا ان يسلم الكافر وقد روى ابن وهب عن ابن عمر ان
راهبا تناول النبي صلى الله عليه وسلم فقال ابن عمر فهلا قتلتموه وروى عيسى عن ابن
القسم في ذمي قال ان محمدا لم يرسل الينا انما ارسل اليكم وانما نبينا موسى او عيسى ونحو
هذا لا شيء عليهم لان الله اقرهم على مثله واما ان سبه فقال ليس بنبي او لم يرسل
او لم ينزل عليه قران وانما هو شيء تقوله او نحو هذا فيقتل قال ابن القسم واذا قال
النصراني ديننا خير من دينكم انما دينكم دين الحمير ونحو هذا من القبيح او سمع المؤذن
يقول اشهد ان محمدا رسول الله فقال كذلك يعطيكم الله ففي هذا الادب الموجع

صلى الله عليه

والسجن الطويل قال وأما إن شتم النبي شتماً يعرف فإنه يقتل إلا أن يسلم قاله
مالك غير مرة ولم يقل يستتاب قال ابن القسم ومحمل قوله عندي إن أسلم طائعاً
وقال ابن سحنون في سؤالات سليمن بن سالم في اليهودي يقول للمؤذن إذا تشهد كذبت
يعاقب العقوبة الموجعة مع السجن الطويل وفي النوادر من رواية سحنون عنه من
شتم الأنبياء من اليهود والنصارى بغير الوجه الذي به كفروا ضربت عنقه إلا أن
يسلم قال محمد بن سحنون فإن قيل لم قتلته في سب النبي صلى الله عليه وسلم ومن دينه
سبه وتكذيبه قيل لأنا لم نعطهم العهد على ذلك ولا على قتلنا وأخذ أموالنا فإذا
قتل واحداً منا قتلناه وإن كان من دينه استحلاله فكذلك إظهاره لسب نبينا صلى الله عليه وسلم قال
سحنون كما لو بذل لنا أهل الحرب الجزية على إقرارهم على سبه لم يجز لنا ذلك في قول
قائل كذلك ينتقض عهد من سب منهم ويحل لنا دمه وكما لم يحصن الإسلام من سبه
من القتل كذلك لا تحصنه الذمة قال القاضي أبو الفضل ما ذكره ابن سحنون عن نفسه
وعن أبيه مخالف لقول ابن القسم فيما خفف عقوبتهم فيه مما به كفروا فتأمله ويدل عليه
أنه خلاف ما روي عن المدنيين في ذلك فحكى أبو المصعب الزهري قال أتيت بنصراني
قال والذي اصطفى عيسى على محمد فاختلف علي فيه فضربته حتى قتلته أو عاش يوماً وليلة
وأمرت من جر برجله وطرح على مزبلة فأكلته الكلاب وسئل أبو المصعب عن نصراني
قال عيسى خلق محمداً فقال يقتل وقال ابن القسم سألنا مالكاً عن نصراني بمصر شهد
عليه أنه قال مسكين محمد يخبركم أنه في الجنة ما له لم ينفع نفسه إذ كانت الكلاب تأكل
ساقيه لو قتلوه استراح منه الناس قال مالك أرى أن تضرب عنقه قال ولقد هممت
أن لا أتكلم فيها ثم رأيت أنه لا يسعني الصمت قال ابن كنانة في المبسوطة من شتم النبي
صلى الله عليه وسلم من اليهود والنصارى فأرى للإمام أن يحرقه بالنار وإن شاء قتله
ثم حرق جثته وإن شاء أحرقه بالنار حياً إذا تهافت في سبه ولقد كتب إلى مالك
من مصر وذكر مسألة ابن القسم المتقدمة قال فأمرني مالك فكتبت بأن يقتل وأن تضرب
عنقه فكتبت ثم قلت يا أبا عبد الله وأكتب ثم يحرق بالنار فقال إنه لحقيق بذلك وما

أولاه به فكتبته بيدي بين يديه فما أنكره ولا عابه ونفذت الصحيفة بذلك
فقتل وحرق وأفتى عبيد الله بن يحيى وابن لبابة في جماعة سلف أصحابنا الأندلسيين
بقتل نصرانية استهلت بنفي الربوبية ونبوة عيسى لله وتكذيب محمد في النبوة
وبقبول إسلامها ودرء القتل عنها به قال غير واحد من المتأخرين منهم القابسي وابن
الكاتب وقال أبو القسم بن الجلاب في كتابه من سب الله ورسوله من مسلم أو كافر قتل ولا
يستتاب وحكى القاضي أبو محمد في الذمي يسب روايتين في درء القتل عنه
بإسلامه وقال ابن سحنون وحد القذف وشبهه من حقوق العباد لا يسقط عن
الذمي بإسلامه وإنما يسقط عنه بإسلامه حدود الله فأما حد القذف فحق للعباد
كان ذلك لنبي أو غيره فأوجب على الذمي إذا قذف النبي صلى الله عليه وسلم ثم أسلم حد
القذف ولكن انظر ماذا يجب عليه هل حد القذف في حق النبي صلى الله عليه وسلم وهو
القتل لزيادة حرمة النبي على غيره أم هل يسقط القتل بإسلامه ويحد ثمانين
فتأمله **فصل** في ميراث من قتل بسب النبي صلى الله عليه وسلم فذهب
سحنون إلى أنه لجماعة المسلمين من قبل أن شتم النبي كفر يشبه كفر الزندقة
وقال أصبغ ميراثه لورثته من المسلمين إن كان مستسراً بذلك وإن كان مظهراً له
مستهلاً به فميراثه للمسلمين ويقتل على كل حال ولا يستتاب قال أبو الحسن القابسي
إن قتل وهو منكر للشهادة فالحكم في ميراثه على ما أظهر من إقراره يعني لورثته
والقتل حد ثبت عليه ليس من الميراث في شيء وكذلك لو أقر بالسب وأظهر التوبة
لقتل إذ هو حده وحكمه في ميراثه وسائر أحكامه حكم الإسلام ولو أقر بالسب وتمادى
عليه وأبى التوبة منه فقتل على ذلك كان كافراً وميراثه للمسلمين ولا يغسل ولا
يصلى عليه ولا يكفن وتستر عورته ويوارى كما يفعل بالكفار وقول الشيخ أبي
الحسن في المجاهر المتمادي بين لا يمكن الخلاف فيه لأنه كافر مرتد غير تائب ولا
مقلع وهو مثل قول أصبغ وكذلك في كتاب ابن سحنون في الزنديق يتمادى على
قوله ومثله لابن القسم في العتبية ولجماعة من أصحاب مالك في كتاب ابن حبيب فيمن

اعتذر لكفره مثله قال ابن القسم وحكمه حكم المرتد لا يرثه ورثته من المسلمين
ولا من اهل الدين الذي اذا ارتد اليه ولا تجوز وصاياه ولا عتقه وقاله اصبغ
قتل على ذلك او مات عليه وقال ابو محمد بن ابي زيد وانما يختلف في ميراث الزنديق
الذي يستهل بالتوبة فلا تقبل منه فاما المتمادي فلا خلاف انه لا يورث وقال
ابو محمد فيمن سب الله تعالى ثم مات ولم تعدل عليه بينة او لم تقبل انه يصلى عليه
وروى اصبغ عن ابن القسم في كتاب ابن حبيب فيمن كذب برسول الله صلى الله عليه وسلم
او اعلن دينا مما يفارق به الاسلام ان ميراثه للمسلمين وقال بقول مالك ان ميراث
المرتد للمسلمين ولا يرثه ورثته ربيعة والشافعي وابو ثور وابن ابي ليلى واختلف
فيه عن احمد وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه وابن مسعود وابن المسيب والحسن
والشعبي وعمر بن عبد العزيز والحكم والاوزاعي والليث واسحق وابو حنيفة يرثه
ورثته من المسلمين وقيل ذلك فيما كسبه قبل ارتداده وما يكسبه في الارتداد
فللمسلمين وتفصيل ابي الحسن في باقي جوابه في باقي جوابه حسن بين وهو راي اصبغ
وخلاف قول سحنون واختلفا فيما على قولي مالك في ميراث الزنديق فمرة ورثه
ورثته من المسلمين قامت عليه بذلك بينة فانكرها او اعترف او اعترف بذلك
واظهر التوبة وقاله اصبغ ومحمد بن مسلمة وغير واحد من اصحابه لانه مظهر للاسلام
بانكاره او توبته وحكمه حكم المنافقين الذين كانوا على عهد رسول الله صلى
الله عليه وسلم وروى ابن نافع عنه في العتبية وكتاب محمد ان ميراثه لجماعة المسلمين
لان ماله تبع لدمه وقال ايضا به جماعة من اصحابه وقاله اشهب والمغيرة
وعبد الملك ومحمد بن سحنون وذهب ابن القاسم في العتبية الى انه ان اعترف بما شهد
به عليه وتاب فقتل فلا يورث وان لم يقر حتى قتل او مات ورث قال وكذلك
كل من اسر كفرا فانهم يتوارثون بوراثة الاسلام وسئل ابو القسم بن الكاتب عن النصراني
يسب النبي صلى الله عليه وسلم فيقتل هل يرثه اهل دينه ام المسلمون فاجاب انه
للمسلمين ليس على جهة الميراث لانه لا توارث بين اهل ملتين ولكن لانه من فيئهم

لنقضه العهد هذا معنى قوله واختصاره

الباب الثالث

بلغت المقابلة

في حكم من سب الله تعالى وملائكته وانبيائه وكتبه وآل النبي صلى الله عليه وسلم
وازواجه وصحبه لا خلاف ان ساب الله تعالى من المسلمين كافر حلال الدم
واختلف في استتابته فقال ابن القسم في المبسوط وفي كتاب سحنون ومحمد ورواه ابن
القسم عن مالك في كتاب اسحق بن يحيى من سب الله تعالى من المسلمين قتل ولم يستتب
الا ان يكون افترى على الله بارتداده الى دين دان به واظهره فيستتاب وان لم يظهره
لم يستتب وقال في المبسوطة مطرف وعبد الملك مثله وقال المخزومي ومحمد بن
مسلمة وابن ابي حازم لا يقتل المسلم بالسب حتى يستتاب وكذلك اليهودي والنصراني
فان تابوا قبل منهم وان لم يتوبوا قتلوا ولا بد من الاستتابة وذلك كله كالردة
وهو الذي حكاه القاضي ابن نصر عن المذهب وافتى ابو محمد بن ابي زيد فيما حكي عنه في
رجل لعن رجلا ولعن الله فقال انما اردت ان العن الشيطان فزل لساني فقال
يقتل بظاهر كفره ولا يقبل عذره واما فيما بينه وبين الله فمعذور واختلف
فقهاء قرطبة في مسألة هارون بن حبيب اخي عبد الملك الفقيه وكان ضيق الصدر
كثير التبرم وكان قد شهد عليه بشهادات منها انه قال عند استقلاله من
مرض لقيت في مرضي هذا ما لو قتلت ابا بكر وعمر لم استوجب هذا كله
فافتى ابراهيم بن حسين بن خالد بقتله وان مضمن قوله تجوير لله تعالى وتظلم منه
والتعريض فيه كالتصريح وافتى اخوه عبد الملك ابن حبيب وابراهيم بن حسين بن
عاصم وسعيد بن سليمن القاضي بطرح القتل عنه الا ان القاضي راى عليه
التثقيل في الحبس والشدة في الادب لاحتمال كلامه وصرفه الى التشكي فوجه
من قال في ساب الله بالاستتابة انه كفر وردة محضة لم يتعلق بها حق
لغير الله فاشبه قصد الكفر بغير سب الله واظهار الانتقال الى دين اخر من
الاديان المخالفة للاسلام ووجه ترك استتابته انه لما ظهر منه ذلك
بعد اظهار الاسلام قبل اتهمناه وظننا ان لسانه لم ينطق به الا وهو معتقد له

اذ تنصّل فيه بعد القدرة عليه فحكمه حكم الزنديق ولم تقبل توبته واذا انتقل
من دين الى آخر واظهر السبّ بمعنى الارتداد فهذا قد اعلم انه خلع ربقة
الاسلام من عنقه بخلاف الاول المتمسك به وحكم هذا حكم المرتد يستتاب
على مشهور مذاهب اكثر العلماء وهو مذهب مالك واصحابه على ما بيّناه قبل
وذكرنا الخلاف في فصوله

فصل وامّا من اضاف الى الله تعالى ما لا يليق
به ليس على طريق السبّ ولا الردة وقصد الكفر ولكن على طريق التأويل والاجتهاد
والخطأ المفضي الى الهوى والبدعة من تشبيه او نعت بجارحة او نفي صفة
كمال فهذا مما اختلف السلف والخلف في تكفير قائله ومعتقده واختلف قول
مالك واصحابه في ذلك ولم يختلفوا في قتالهم اذا تحيّزوا فئة وانهم يستتابون
فان تابوا والا قتلوا وانما اختلفوا في المنفرد منهم فاكثر قول مالك واصحابه
ترك القول بتكفيرهم وترك قتلهم والمبالغة في عقوبتهم واطالة سجنهم حتى
يظهر اقلاعهم وتستبين توبتهم كما فعل عمر بصبيغ وهذا قول محمد بن المواز
في الخوارج وعبد الملك بن الماجشون وقول سحنون في جميع اهل الاهواء وبه
فسّر قول مالك في الموطأ وما رواه عن عمر بن عبد العزيز وجدّه وعمّه من قولهم
في القدرية يستتابون فان تابوا والا قتلوا وقال عيسى عن ابن القسم في اهل الاهواء
من الاباضية والقدرية وشبههم ممن خالف الجماعة من اهل البدع والتحريف لتأويل
كتاب الله تعالى يستتابون اظهروا ذلك او اسرّوه فان تابوا والا قتلوا وميراثهم
لورثتهم وقال مثله ايضا ابن القسم في كتاب محمد في اهل القدر وغيرهم قال واستتابتهم
ان يقال لهم اتركوا ما انتم عليه ومثله في المبسوط في الاباضية والقدرية وساير اهل
البدع قال وهم مسلمون وانما قتلوا لرأيهم السوء وبهذا عمل عمر بن عبد العزيز قال
ابن القسم من قال ان الله لم يكلم موسى تكليما استتيب فان تاب والا قتل وابن حبيب
وغيره من اصحابنا يرى تكفيرهم وتكفير امثالهم من الخوارج والقدرية والمرجئة وقد
روي ايضا عن سحنون مثله فيمن قال ليس لله كلام انه كافر واختلفت الروايات عن

مالك فاطلق في رواية الشاميين ابي مسهر ومروان بن محمد الطاطري الكفر
عليهم وقد شوور في زواج القدري فقال لا تزوجه قال الله ولعبد مومن خير
من مشرك وروي عنه ايضا اهل الاهواء كلهم كفار وقال من وصف شيئا من ذات
الله تعالى واشار الى شيء من جسده يد او سمع او بصر قطع ذلك منه لانه شبّه
الله بنفسه وقال فيمن قال القران مخلوق كافر فاقتلوه وقال ايضا في رواية ابن نافع
يجلد ويوجع ضربا ويحبس حتى يتوب وفي رواية بشر بن بكر التنّيسي عنه يقتل
ولا تقبل توبته قال القاضي ابو عبد الله البرنكاني والقاضي ابو عبد الله التستري
من ائمة العراقيين جوابه مختلف يقتل المستبصر الداعية وعلى هذا الخلاف اختلف
قوله في اعادة الصلاة خلفهم وحكى ابن المنذر عن الشافعي لا يستتاب القدري واكثر
اقوال السلف تكفيرهم وممن قال به الليث وابن عيينة وابن لهيعة روي عنهم ذلك
فيمن قال بخلق القران وقاله ابن المبارك والاودي ووكيع وحفص بن غياث وابو اسحق
الفزاري ومسلم وعلي بن عاصم في آخرين وهو من قول اكثر المحدثين والفقها والمتكلمين
فيهم وفي الخوارج والقدرية واهل الاهواء المضلة واصحاب البدع المتأولين
وهو قول احمد بن حنبل وكذلك قالوا في الواقفة والشاكّة في هذه الاصول وممن عنه
معنى القول الآخر بترك تكفيرهم علي بن ابي طالب وابن عمر والحسن البصري وهو راي جماعة
من الفقها النظار والمتكلمين واحتجوا بتوريث الصحابة والتابعين ورثة اهل حروراء
ومن عرف بالقدر ممن مات منهم ودفنهم في مقابر المسلمين وجري احكام الاسلام
عليهم قال اسمعيل القاضي وانما قال مالك في القدرية وساير اهل البدع يستتابون
فان تابوا والا قتلوا لانه من الفساد في الارض كما قال في المحارب ان راى الامام قتله
وان لم يقتل قتله وفساد المحارب انما هو في الاموال ومصالح الدنيا وان كان قد يدخل
ايضا في امر الدين من سبيل الحج والجهاد وفساد اهل البدع معظمه على الدين وقد يدخل
في امر الدنيا بما يلقون بين المسلمين من العداوة

فصل في تحقيق القول في اكفار
المتأولين قد ذكرنا مذاهب السلف في اكفار اصحاب البدع والاهوا المتأولين ممن

قال قولا يؤدي به مساقه إلى الكفر هو إذا وقف عليه لا يقول بما يؤدي به قوله إليه
وعلى اختلافهم اختلف الفقهاء والمتكلمون في ذلك فمنهم من صوب التكفير الذي قال به
الجمهور من السلف ومنهم من أباه ولم ير إخراجهم من سواد المؤمنين وهو قول أكثر
الفقهاء والمتكلمين وقالوا هم فساق عصاة ضلال ونورثهم من المسلمين ونحكم لهم
بأحكامهم ولهذا قال سحنون لا إعادة على من صلى خلفهم قال وهو قول جميع أصحاب
مالك المغيرة وابن كنانة وأشهب قال لأنه مسلم وذنبه لم يخرجه من الإسلام واضطرب
آخرون في ذلك ووقفوا عن القول بالتكفير أو ضده واختلاف قولي مالك في ذلك
وتوقفه عن إعادة الصلاة خلفهم منه وإلى نحو من هذا ذهب القاضي أبو بكر إمام
أهل التحقيق والحق وقال إنها من المعوصات إذ القوم لم يصرحوا باسم الكفر وإنما
قالوا قولا يؤدي إليه واضطرب قوله في المسألة على نحو اضطراب قول إمامه مالك
ابن أنس حتى قال في بعض كلامه إنهم على رأي من كفرهم بالتأويل لا تحل مناكحتهم
ولا أكل ذبائحهم ولا الصلاة على ميتهم ويختلف في موارثتهم على الخلاف في ميراث
المرتد وقال أيضا نورث ميتهم من المسلمين ولا نورثهم من المسلمين وأكثر ميله إلى
ترك التكفير بالمآل وكذلك اضطرب فيه قول شيخه أبي الحسن الأشعري وأكثر
قوله ترك التكفير وأن الكفر خصلة واحدة وهو الجهل بوجود الباري تعالى وقال
مرة من اعتقد أن الله جسم أو المسيح أو بعض من يلقاه في الطرق فليس بعارف به وهو
كافر ولمثل هذا ذهب أبو المعالي رحمه الله في أجوبته لأبي محمد عبد الحق وكان سأله
عن المسألة فاعتذر له بأن الغلط فيها يصعب لأن إدخال كافر في الملة أو إخراج مسلم
عنها عظيم في الدين وقال غيرهما من المحققين الذي يجب الاحتراز من التكفير في أهل
التأويل فإن استباحة دماء المصلين الموحدين خطر والخطأ في ترك ألف كافر أهون
من الخطأ في سفك محجمة من دم مسلم واحد وقد قال عليه السلام فإذا قالوها يعني
الشهادة عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله والعصمة مقطوع
بها مع الشهادة ولا ترتفع ويستباح خلافها إلا بقاطع ولا قاطع من شرع ولا قياس

عليه والفاظ الأحاديث الواردة في الباب معرضة للتأويل فما جاء منها في التصريح
بكفر القدرية وقوله لا سهم لهم في الإسلام وتسميته الرافضة بالشرك وإطلاق اللعنة
عليهم وكذلك في الخوارج وغيرهم من أهل الأهواء فقد يحتج بها من يقول بالتكفير وقد
يجيب الآخر عنها بأنه قد ورد مثل هذه الألفاظ في الحديث في غير الكفرة على طريق
التغليظ وكفر دون كفر وإشراك دون إشراك وقد ورد مثله في الزنا وعقوق
الوالدين والزوج وغير معصية وإذا كان محتملا للأمرين فلا يقطع على أحدهما إلا
بدليل قاطع وقوله في الخوارج هم من شر البرية وهذه صفة الكفار وقال شر قتيل
تحت أديم السماء طوبى لمن قتلهم أو قتلوه وقال فإذا وجدتموهم فاقتلوهم قتل عاد
وظاهر هذا الكفر لا سيما مع تشبيههم بعاد فيحتج به من يرى تكفيرهم فيقول
له الآخر إنما ذلك من قتلهم لخروجهم على المسلمين وبغيهم عليهم بدليله من الحديث
نفسه يقتلون أهل الإسلام فقتلهم ها هنا حد لا كفر وذكر عاد تشبيه للقتل
وحله لا للمقتول وليس كل من حكم بقتله يحكم بكفره ويعارضه بقول خالد
في الحديث دعني أضرب عنقه يا رسول الله فقال لعله يصلي فإن احتجوا بقوله عليه
السلام يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم فأخبر أن الإيمان لم يدخل قلوبهم وكذلك
قوله يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية ثم لا يعودون إليه حتى يعود السهم على
فوقه وبقوله سبق الفرث والدم يدل على أنه لم يتعلق من الإسلام بشيء أجابه
الآخر أن معنى لا يجاوز حناجرهم لا يفهمون معانيه بقلوبهم ولا تنشرح له صدورهم
ولا تعمل به جوارحهم وعارضوهم بقوله ويتمارى في الفوق وهذا يقتضي التشكك
في حاله وإن احتجوا بقول أبي سعيد الخدري في هذا الحديث سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول يخرج في هذه الأمة ولم يقل منها وتحرير أبي سعيد الرواية وإتقانه
اللفظ أجابهم الآخرون بأن العبارة بفي لا تقتضي تصريحا بكونهم من غير الأمة بخلاف
لفظة من التي هي للتبعيض وكونهم من الأمة مع أنه قد روي عن أبي ذر وعلي وأبي أمامة
وغيرهم في هذا الحديث يخرج من أمتي وسيكون من أمتي وحروف المعاني مشتركة فلا تعول

على إخراجهم من الأمة بنص ولا على إدخالهم فيها بنص لكن أبا سعيد رضي الله عنه أجاد
ما شاء في التنبيه الذي نبه عليه وهذا مما يدل على سعة فقه الصحابة وتحقيقهم
للمعاني واستنباطها من الألفاظ وتحريرهم لها وتوقيهم في الرواية هذه المذاهب
المعروفة لأهل السنة ولغيرهم من الفرق فيها مقالات كثيرة مضطربة سخيفة أقربها
قول جهم ومحمد بن شبيب أن الكفر بالله الجهل به لا يكفر أحد بغير ذلك وقال أبو
الهذيل إن كل متأول كان تأويله تشبيها لله بخلقه وتجويرا له في فعله وتكذيبا
لخبره فهو كافر وكل من أثبت شيئا قديما لا يقال له الله فهو كافر وقال بعض المتكلمين
إن كان ممن عرف الأصل وبنى عليه وكان فيما هو من أوصاف الله فهو كافر وإن لم
يكن من هذا الباب ففاسق إلا أن يكون ممن لم يعرف أقوال المجتهدين في أصول الدين
فيما كان عرضة للتأويل وفارق في ذلك فرق الأمة إذ أجمعوا سواه على أن الحق في
أصول الدين في واحد والمخطئ فيه آثم عاص فاسق وإنما الخلاف في تكفيره وقد حكى
القاضي أبو بكر الباقلاني مثل قول عبيد الله عن داود الأصبهاني وقال وحكى قوم
عنهما أنهما قالا ذلك في كل من علم الله من حاله استفراغ الوسع في طلب الحق من أهل
ملتنا أو من غيرهم وقال نحو هذا القول الجاحظ وثمامة في أن كثيرا من العامة والنساء
والبله ومقلدة النصارى واليهود وغيرهم لا حجة لله عليهم إذ لم يكن لهم طباع
يمكن معها الاستدلال وقد نحا الغزالي قريبا من هذا المنحى في كتاب التفرقة وقائل
هذا كله كافر بالإجماع على كفر من لم يكفر أحدا من النصارى واليهود وكل من فارق
دين المسلمين أو وقف في تكفيرهم أو شك قال القاضي أبو بكر لأن التوقيف والإجماع
على كفرهم فمن وقف في ذلك فقد كذب النص والتوقيف أو شك فيه والتكذيب
والشك فيه لا يقع إلا من كافر **فصل** في بيان ما هو من المقالات كفر وما يتوقف
أو يختلف فيه وما ليس بكفر اعلم أن تحقيق هذا الفصل وكشف اللبس فيه مورده
الشرع ولا مجال للعقل فيه والفصل البين في هذا أن كل مقالة صرحت بنفي الربوبية
أو الوحدانية أو عبادة أحد غير الله أو مع الله فهي كفر كمقالة الدهرية وسائر

فرق أصحاب الاثنين من الديصانية والمانوية وأشباههم من الصابئين والنصارى
والمجوس والذين أشركوا بعبادة الأوثان والملائكة أو الشياطين أو الشمس أو النجوم أو النار
أو أحد غير الله من مشركي العرب وأهل الهند والصين والسودان وغيرهم ممن لا يرجع
إلى كتاب وكذلك القرامطة وأصحاب الحلول والتناسخ من الباطنية والطيارة من
الروافض وكذلك من اعترف بإلهية الله ووحدانيته ولكنه اعتقد أنه غير حي
أو غير قديم وأنه محدث أو مصور وادعى له ولدا أو صاحبة أو والدا أو أنه متولد
من شيء أو كائن عنه أو أن معه في الأزل شيئا قديما غيره أو أن ثم صانعا للعالم سواه أو
مدبرا غيره فذلك كله كفر بإجماع المسلمين كقول الإلهيين من الفلاسفة والمنجمين
والطبائعيين وكذلك من ادعى مجالسة الله والعروج إليه ومكالمته أو حلوله في
أحد الأشخاص كقول بعض المتصوفة والباطنية والنصارى والقرامطة وكذلك نقطع
على كفر من قال بقدم العالم أو بقائه أو شك في ذلك على مذهب بعض الفلاسفة والدهرية
أو قال بتناسخ الأرواح وانتقالها أبد الآباد في الأشخاص وتعذيبها أو تنعيمها
فيها بحسب زكائها وخبثها وكذلك من اعترف بالإلهية والوحدانية ولكنه جحد النبوة
من أصلها عموما أو نبوة نبينا خصوصا أو أحد من الأنبياء الذين نص الله عليهم بعد علمه
بذلك فهو كافر بلا ريب كالبراهمة ومعظم اليهود والأروسية من النصارى والغرابية
من الروافض الزاعمين أن عليا كان المبعوث إليه جبريل وكالمعطلة والقرامطة والإسماعيلية
والعنبرية من الرافضة وإن كان بعض هؤلاء قد أشركوا في كفر آخر مع من
قبلهم وكذلك من دان بالوحدانية وصحة النبوة ونبوة نبينا عليه السلام ولكن
جوز على الأنبياء الكذب فيما أتوا به ادعى في ذلك المصلحة بزعمه أو لم يدعها فهو
كافر بإجماع كالمتفلسفين وبعض الباطنية والروافض وغلاة المتصوفة وأصحاب
الإباحة فإن هؤلاء زعموا أن ظواهر الشرع وأكثر ما جاءت به الرسل من الأخبار عما
كان ويكون من أمور الآخرة والحشر والقيامة والجنة والنار ليس منها شيء على مقتضى
لفظها ومفهوم خطابها وإنما خاطبوا بها الخلق على جهة المصلحة لهم إذ لم يمكنهم

التصريح لمقصور فهمهم نقض منها لانهم ابطال الشرايع وتعطيل الاوامر والنواهي
وتكذيب الرسل والارتياب فيما اتوا به وكذلك من اضاف الى نبينا تعمد الكذب فيما
بلغه واخبر به او شك في صدقه او سبه او قال انه لم يبلغ او استخف به او باحد من
الانبيا او ازرى عليهم او اذاهم او قتل نبيا او حاربه فهو كافر بالاجماع وكذلك نكفر
من ذهب مذهب بعض القدما في ان في كل جنس من الحيوان نذيرا ونبيا من القردة والخنازير
والدواب والدود ويحتج بقوله تعالى وان من امة الا خلا فيها نذير اذ ذلك يؤدي الى ان توصف
انبيا هذه الاجناس بصفاتهم المذمومة وفيه من الازرا على هذا المنصب المنيف ما فيه
مع اجماع المسلمين على خلافه وتكذيب قايله وكذلك نكفر من اعترف من الاصول
الصحيحة بما تقدم ونبوة نبينا عليه السلام ولكن قال كان اسود او مات قبل ان يلتحي او ليس
الذي كان بمكة والحجاز او ليس بقرشي لان وصفه بغير صفاته المعلومة نفي له وتكذيب
به وكذلك من ادعى نبوة احد مع نبينا عليه السلام او بعده كالعيسوية من
اليهود القايلين بتخصيص رسالته الى العرب وكالخرمية القايلين بتواتر الرسل
وكاكثر الرافضة القايلين بمشاركة علي في الرسالة للنبي صلى الله عليه وسلم وبعده وكذلك
كل امام عندهم وكذا يقوم مقامه في النبوة والحجة وكالبزيعية والبيانية منهم القايلين
بنبوة بزيع وبيان واشباه هاولاء او من ادعى النبوة لنفسه او جوز اكتسابها
والبلوغ بصفا القلب الى مرتبتها كالفلاسفة وغلاة المتصوفة وكذلك من ادعى منهم
انه يوحى اليه وان لم يدع النبوة او انه يصعد الى السما ويدخل الجنة وياكل من ثمارها
ويعانق الحور العين فهاولاء كفار مكذبون للنبي صلى الله عليه وسلم لانه اخبر عليه
السلام انه خاتم النبيين ولا نبي بعده واخبر عن الله انه خاتم النبيين وانه ارسل
الى كافة الناس واجمعت الامة على حمل هذا الكلام على ظاهره وان مفهومه
المراد به دون تاويل ولا تخصيص فلا شك في كفر هاولا الطوايف كلها قطعا
واجماعا وسمعا وكذلك وقع الاجماع على تكفير كل من دافع نص الكتاب
او نص حديث مجمع على نقله مقطوع به مجمع على حمله على ظاهره كتكفير

الخوارج بابطال الرجم ولهذا نكفر من دان بغير ملة المسلمين من الملل او وقف
فيهم او شك او صحح مذهبهم وان اظهر مع ذلك الاسلام واعتقده واعتقد ابطال
كل مذهب سواه فهو كافر باظهاره ما اظهر من خلاف ذلك وكذلك نقطع بتكفير كل
قايل قال قولا يتوصل به الى تضليل الامة وتكفير جميع الصحابة كقول الكميلية من
الرافضة بتكفير جميع الامة بعد النبي صلى الله عليه وسلم اذ لم تقدم عليا وكفرت
عليا اذ لم يتقدم ويطلب حقه في التقديم فهاولاء قد كفروا من وجوه لانهم ابطلوا
الشريعة باسرها اذ قد انقطع نقلها ونقل القران اذ ناقلوه كفرة على زعمهم
والى هذا والله اعلم اشار مالك في احد قوليه بقتل من كفر الصحابة ثم كفروا من وجه
اخر بسبهم النبي صلى الله عليه وسلم على مقتضى قولهم وزعمهم انه عهد الى علي وهو
يعلم انه يكفر بعده على قولهم لعنة الله عليهم وصلى على رسوله محمد واله وكذلك نكفر
بكل فعل اجمع المسلمون انه لا يصدر الا من كافر وان كان صاحبه مصرحا بالاسلام مع
فعله ذلك الفعل كالسجود للصنم او للشمس والقمر والصليب والنار والسعي الى
الكنايس والبيع مع اهلها بزيهم من شد الزنانير وفحص الروس فقد اجمع المسلمون
ان هذا لا يوجد الا في كافر وان هذه الافعال علامة على الكفر وان صرح فاعلها
بالاسلام وكذلك اجمع المسلمون على تكفير كل من استحل القتل او شرب الخمر
والزنا مما حرم الله بعد علمه بتحريمه كاصحاب الاباحة من القرامطة وبعض غلاة
المتصوفة وكذلك نقطع بتكفير كل من كذب وانكر قاعدة من قواعد الشرع وما
عرف يقينا بالنقل المتواتر من فعل الرسول ووقع الاجماع المتصل عليه كمن انكر وجوب
الخمس الصلوات او عدد ركعاتها وسجداتها ويقول انما اوجب الله علينا في كتابه
الصلاة على الجملة وكونها خمسا وعلى هذه الصفات والشروط لا اعلمه اذ لم يرد
فيه في القران نص جلي والخبر به عن الرسول خبر واحد وعلى تكفير الباطنية في
قولهم ان الفرايض اسما رجال امروا بولايتهم والخبايث والمحارم اسما رجال امروا
بالبراة منهم وقول بعض المتصوفة ان العبادة وطول المجاهدة اذا صفت نفوسهم افضت

يميل الى اسقاطها واباحة كل شيء لهم ورفع عهدة الشرائع عنهم وكذلك ان انكر منكر
مكة او البيت او المسجد الحرام او صفة الحج وقال الحج واجب في القران واستقبال القبلة
كذلك ولكن كونه على هذه الهيئة المتعارفة وان تلك البقعة هي مكة والبيت والمسجد
الحرام لا ادري هي تلك او غيرها ولعل الناقلين ان النبي صلى الله عليه وسلم فسرها بهذه
التفاسير غلطوا او وهموا فهذا ومثله لا مرية في تكفيره ان كان ممن يظن به علم
ذلك وممن خالط المسلمين ولا تجد بينهم خلافا كافة عن كافة الى معاصري الرسول
صلى الله عليه وسلم ان هذه الامور كما قيل وان تلك البقعة هي مكة والبيت الذي فيها
هي الكعبة والقبلة التي صلى لها الرسول صلى الله عليه وسلم والمسلمون وحجوا اليها وطافوا
بها وان تلك الافعال هي صفات عبادة الحج والمراد به وهي التي فعلها النبي صلى الله
عليه وسلم والمسلمون وان صفات الصلوات المذكورة هي التي فعل النبي صلى الله عليه وسلم
وشرح مراد الله بذلك وابان حدودها فيقع لك العلم كما وقع لهم ولا ترتاب
بذلك بعد والمرتاب في ذلك والمنكر بعد البحث وصحبة المسلمين كافر باتفاق ولا يعذر
بقوله لا ادري ولا يصدق فيه بل ظاهره التستر عن التكذيب اذ لا يمكن انه لا يدري
وايضا فانه اذا جوز على جميع الامة الوهم والغلط فيما نقلوه من ذلك واجمعوا انه
قول الرسول وفعله وتفسير مراد الله به ادخل الاسترابة في جميع الشريعة اذ هم
الناقلون لها وللقران وانحلت عرى الدين كرة ومن قال هذا كافر وكذلك من انكر
القران او حرفا منه او غير شيئا منه او زاد فيه كفعل الباطنية والاسماعيلية او
زعم انه ليس بحجة للنبي صلى الله عليه وسلم او ليس فيه حجة ولا معجزة كقول هشام
الفوطي ومعمر الصيمري انه لا يدل على الله ولا حجة فيه لرسوله ولا يدل على ثواب
ولا عقاب ولا حكم ولا محالة في كفرهما بذلك القول وكذلك نكفرهما بانكارهما
ان يكون في سائر معجزات النبي صلى الله عليه وسلم حجة له او في خلق السموات والارض
دليل على الله لمخالفتهم الاجماع والنقل المتواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم باحتجاجه بهذا
كله وتصريح القران به وكذلك من انكر شيئا مما نص فيه بعد علمه انه من القران الذي

ومصاحف

ايدي الناس ومصاحف المسلمين ولم يكن جاهلا به ولا قريب عهد بالاسلام واحتج
لانكاره اما بانه لم يصح النقل عنده ولا بلغه العلم به او لتجويز الوهم على ناقليه فنكفره
بالطريقين المتقدمين لانه مكذب للقران مكذب للنبي صلى الله عليه وسلم لكنه
تستر بدعواه وكذلك من انكر الجنة او النار او البعث والحساب والقيامة فهو
كافر باجماع للنص عليه واجماع الامة على صحة نقله متواترا وكذلك من اعترف بذلك
ولكنه قال ان المراد بالجنة والنار والحشر والنشر والثواب والعقاب معنى غير ظاهره
وانها لذات روحانية ومعان باطنة كقول النصارى والفلاسفة والباطنية وبعض
المتصوفة وزعم ان معنى القيامة الموت او فناء محض وانتقاض هيئة الافلاك وتحليل
العالم كقول بعض الفلاسفة وكذلك نقطع بتكفير غلاة الرافضة في قولهم ان الائمة
افضل من الانبياء فاما من انكر ما عرف بالتواتر من الاخبار والسير والبلاد التي لا ترجع
الى ابطال شريعة ولا تفضي الى انكار قاعدة من الدين كانكار غزوة تبوك او مؤتة
او وجود ابي بكر وعمر او قتل عثمان وخلافة علي مما علم بالنقل ضرورة وليس في انكاره
جحد شريعة فلا سبيل الى تكفيره بجحد ذلك وانكار وقوع العلم له اذ ليس في ذلك
اكثر من المباهتة كانكار هشام وعباد وقعة الجمل ومحاربة علي من خالفه فاما ان
ضعف ذلك من اجل تهمة الناقلين ووهم المسلمين اجمع فنكفره بذلك لسريانه الى ابطال
الشريعة فاما من انكر الاجماع المجرد الذي ليس طريقه النقل المتواتر عن الشارع فاكثر
المتكلمين من الفقهاء والنظار في هذا الباب قالوا بتكفير كل من خالف الاجماع الصحيح الجامع
لشروط الاجماع المتفق عليه عموما وحجتهم قوله تعالى ومن يشاقق الرسول من بعد ما
تبين له الهدى الاية وقوله عليه السلام من خالف الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة
الاسلام من عنقه وحكوا الاجماع على تكفير من خالف الاجماع وذهب اخرون الى الوقوف
عن القطع بتكفير من خالف الاجماع الذي يختص بنقله العلماء وذهب اخرون الى التوقف في
تكفير من خالف الاجماع الكائن عن نظر كتكفير النظام بانكاره الاجماع لانه بقوله هذا
مخالف اجماع السلف على احتجاجهم به خارق للاجماع قال القاضي ابو بكر القول عندي

فاحتجاجه

ان الكفر بالله هو الجهل بوجوده والايمان بالله هو العلم بوجوده وانه لا يكفر
احد بقول ولا راي الا ان يكون هو الجهل بالله فان عصى بقول او فعل نص الله ورسوله
او اجمع المسلمون انه لا يوجد الا من كافر او يقوم دليل على ذلك فقد كفر ليس لاجل
قوله او فعله لكن لما يقارنه من الكفر والكفر بالله لا يكون الا باحد ثلاثة امور احدها
الجهل بالله تعالى والثاني ان ياتي فعلا او يقول قولا يخبر الله ورسوله او يجمع المسلمون
ان ذلك لا يكون الا من كافر كالسجود للصنم والمشي الى الكنائس بالتزام الزنار مع اصحابها
في اعيادهم او يكون ذلك القول او الفعل لا يمكن معه العلم بالله قال فهذان
الضربان وان لم يكونا جهلا بالله فهما علم ان فاعلهما كافر منسلخ من الايمان فاما
من نفى صفة من صفات الله تعالى الذاتية او جحدها مستبصرا في ذلك كقوله ليس
بعالم ولا قادر ولا مريد ولا متكلم وشبه ذلك من صفات الكمال الواجبة له تعالى
فقد نص ائمتنا على الاجماع على كفر من نفى عنه الوصف بها واعراه عنها وعلى هذا حمل
قول سحنون من قال ليس لله كلام فهو كافر وهو لا يكفر المتاولين كما قدمناه واما
من جهل صفة من هذه الصفات فاختلف العلماء هاهنا فكفره بعضهم وحكي
ذلك عن ابي جعفر الطبري وغيره وقال به ابو الحسن الاشعري مرة وذهبت طائفة الى
ان هذا لا يخرجه عن اسم الايمان واليه رجع الاشعري قال لانه لم يعتقد ذلك اعتقادا
يقطع بصوابه ويراه دينا وشرعا وانما نكفر من اعتقد ان مقاله حق واحتج هؤلاء
بحديث السوداء وان النبي صلى الله عليه وسلم انما طلب منها التوحيد لا غير وبحديث
القائل لئن قدر الله عليّ وفي رواية لعلي اضل الله ثم قال فغفر الله له قالوا ولو بوحث
اكثر الناس عن الصفات وكوشفوا عنها لما وجد من يعلمها الا الاقل وقد اجاب
الاخر عن هذا الحديث بوجوه منها ان قدر بمعنى قدّر ولا يكون شكه في القدرة
على احيائه بل في نفس البعث الذي لا يعلم الا بشرع ولعله لم يكن ورد عندهم به شرع
يقطع عليه فيكون الشك فيه حينئذ كفرا فاما ما لم يرد به شرع فهو من مجوزات
العقول او يكون قدر بمعنى ضيق ويكون ما فعله بنفسه ازراء عليها وغضبا لعصيانها

وقيل قال ما قاله وهو غير عاقل لكلامه ولا ضابط للفظه مما استولى عليه من الجزع
والخشية التي اذهلت لبه فلم يؤاخذ به وقيل ان هذا من مجاز كلام العرب الذي
صورته الشك ومعناه التحقيق وهو يسمى تجاهل العارف وله امثلة في كلامهم
كقوله لعله يتذكر او يخشى وقوله وانا او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين فاما
من اثبت الوصف ونفى الصفة فقال اقول عالم ولكن لا علم له ومتكلم ولكن لا كلام له وهكذا
في سائر الصفات على مذهب المعتزلة فمن قال بالمآل لما يؤديه اليه قوله ويسوقه اليه
مذهبه كفره لانه اذا نفى العلم انتفى وصف عالم اذ لا يوصف بعالم الا من له علم
فكانهم صرحوا عنده بما ادى اليه قولهم وهكذا عند هذا سائر فرق اهل التاويل
من المشبهة والقدرية وغيرهم ومن لم ير اخذهم بمآل قولهم ولا الزمهم موجب
مذهبهم لم ير اكفارهم قال لانهم اذا وقفوا على هذا قالوا لا نقول ليس بعالم ونحن
ننتفي من القول بالمآل الذي الزمتموه لنا ونعتقد نحن وانتم انه كفر بل نقول ان قولنا
لا يؤول اليه على ما اصلناه فعلى هذين المأخذين اختلف الناس في اكفار اهل التاويل
واذا فهمته اتضح لك الموجب لاختلاف الناس في ذلك والصواب ترك اكفارهم
والاعراض عن الحتم عليهم بالخسران واجراء حكم الاسلام عليهم في قصاصهم ووراثاتهم
ومناكحاتهم ودياتهم والصلاة عليهم ودفنهم في مقابر المسلمين وسائر معاملاتهم
لكنهم يغلظ عليهم بوجيع الادب وشديد الزجر والهجر حتى يرجعوا عن بدعتهم وهذه
كانت سيرة الصدر الاول فيهم فقد كان نشا على زمن الصحابة وبعدهم في التابعين من
قال هذه الاقوال من القدر وراي الخوارج والاعتزال فما ازاحوا لهم قبرا ولا قطعوا
لاحد منهم ميراثا لكنهم هجروهم وادبوهم بالضرب والنفي والقتل على قدر احوالهم
لانهم فساق ضلال عصاة اصحاب كبائر عند المحققين واهل السنة ممن لم يقل بكفرهم
منهم خلافا لمن راى غير ذلك والله الموفق للصواب قال القاضي ابو بكر واما
مسائل الوعد والوعيد والروية والمخلوق وخلق الافعال وبقاء الاعراض والتولد
وشبهها من الدقائق فالمنع في اكفار المتاولين فيها اوضح اذ ليس في الجهل بشيء منها

جهل بالله تعالى ولا اجمع المسلمون على تكفير من جهل شيئا منها وقد قدمنا في
الفصل قبله من الكلام وصورة الخلاف في هذا ما اغنى عن اعادته بحول الله

فصل هذا حكم المسلم الساب لله تعالى فاما الذمي فروي عن عبد الله بن
عمر في ذمي تناول من حرمة الله تعالى غير ما هو عليه من دينه وحاج فيه فخرج ابن
عمر عليه بالسيف فطلبه فهرب. وقال مالك في كتاب ابن حبيب والمبسوطة
وابن القسم في المبسوط وكتاب محمد وابن سحنون من شتم الله من اليهود والنصارى بغير
الوجه الذي به كفر قتل ولم يستتب قال ابن القسم الا ان يسلم قال في المبسوطة
طوعا قال اصبغ لان الوجه الذي به كفروا هو دينهم وعليه عوهدوا من دعوى
الصاحبة والشريك والولد واما غير هذا من الفرية والشتم فلم يعاهدوا عليه فهو
نقض للعهد قال ابن القسم في كتاب محمد ومن شتم من غير اهل الاديان الله تعالى بغير الوجه
الذي ذكر في كتابه قتل الا ان يسلم وقال المخزومي في المبسوطة ومحمد بن مسلمة وابن ابي
حازم لا يقتل حتى يستتاب مسلما كان او كافرا فان تاب والا قتل وقال مطرف
وعبد الملك مثل قول مالك وقال ابو محمد بن ابي زيد من سب الله بغير الوجه الذي كفر به
قتل الا ان يسلم وقد ذكرنا قول ابن الجلاب قبل وذكرنا قول عبيد الله وابن لبابة وشيوخ
الاندلسيين في النصرانية وفتياهم بقتلها لسبها بالوجه الذي كفرت به لله والنبي
واجماعهم على ذلك وهو نحو القول الاخر فيمن سب النبي صلى الله عليه وسلم منهم بالوجه
الذي كفر به ولا فرق في ذلك بين سب الله به وسب نبيه لانا عاهدناهم على ان لا
يظهروا لنا شيئا من كفرهم وان لا يسمعونا شيئا من ذلك فمتى فعلوا شيئا منه فهو
نقض لعهدهم واختلف العلما في الذمي اذا تزندق فقال مالك ومطرف وابن عبد
الحكم واصبغ لا يقتل لانه خرج من كفر الى كفر وقال عبد الملك بن الماجشون
يقتل لانه دين لا يقر عليه احد ولا يؤخذ عليه جزية قال ابن حبيب وما اعلم من
قاله غيره

فصل هذا حكم من صرح بسبه واضافة ما لا يليق بجلاله والاهيته
فاما مفتري الكذب عليه تبارك وتعالى بادعاء الالهية او الرسالة او النافي ان

خالقه

يكون الله خالقه او ربه او قال ليس لي رب والمتكلم بما لا يعقل من ذلك في
سكره او غمرة جنونه فلا خلاف في كفر قائل هذا ومدعيه مع سلامة عقله كما
قدمناه لكنه تقبل توبته على المشهور وتنفعه انابته وتنجيه من القتل فيئته لكنه
لا يسلم من عظيم النكال ولا يرفه عن شديد العقاب ليكون ذلك زجرا لمثله عن قوله
وله عن العودة لكفره او جهله الا من تكرر ذلك منه وعرف استهانته بما اتى
به فهو دليل على سوء طويته وكذب توبته وصار كالزنديق الذي لا يامن باطنه
ولا يقبل رجوعه وحكم السكران في ذلك حكم الصاحي واما المجنون والمعتوه فما علم
انه قاله من ذلك في حال غمرته وذهاب ميزه بالكلية فلا نظر فيه وما فعله من ذلك
في حال ميزه وان لم يكن معه عقله وسقط تكليفه ادب على ذلك لينزجر عنه كما
يؤدب على قبائح الافعال ويوالى ادبه على ذلك حتى ينكف عنه كما تؤدب البهيمة على
سوء الخلق حتى تراض وقد حرق علي بن ابي طالب رضي الله عنه من ادعى له الالهية
وقد قتل عبد الملك بن مروان الحرث المتنبي وصلبه وفعل ذلك غير واحد من الخلفاء
والملوك باشباههم واجمع علماء وقتهم على صواب فعلهم والمخالف في ذلك من كفرهم
كافر واجمع فقهاء بغداد ايام المقتدر من المالكية وقاضي قضاتها ابو عمر المالكي
على قتل الحلاج وصلبه لدعواه الالهية والقول بالحلول وقوله انا الحق مع تمسكه في الظاهر
بالشريعة ولم يقبلوا توبته وكذلك حكموا في ابن ابي العزاقير وكان على نحو مذهب
الحلاج بعد هذا ايام الراضي وقاضي قضاة بغداد يومئذ ابو الحسين ابن ابي عمر
المالكي وقال ابن عبد الحكم في المبسوط من تنبا قتل وقال ابو حنيفة واصحابه من
جحد ان الله خالقه او ربه او قال ليس لي رب فهو مرتد وقال ابن القسم في كتاب
ابن حبيب ومحمد في العتبية فيمن تنبا يستتاب اسر ذلك او اعلنه وهو كالمرتد
وقاله سحنون وغيره وقاله اشهب في يهودي تنبا وادعى انه رسول الينا ان كان معلنا
بذلك استتيب فان تاب والا قتل وقال ابو محمد بن ابي زيد فيمن لعن بارئه وادعى ان لسانه
زل وانما اراد لعن الشيطان يقتل بكفره ولا يقبل عذره وهذا على القول الاخر من انه

لا تقبل توبته وقال ابو الحسن القابسي في سكران قال انا الله انا الله ان تاب ادب
فان عاد الى مثل قوله طولب مطالبة الزنديق لان هذا كفر المتلاعبين **فصل** واما
من تكلم من سقط القول وسخف اللفظ ممن لم يضبط كلامه واهمل لسانه بما يقتضي
الاستخفاف بعظمة ربه وجلالة مولاه او تمثل في بعض الاشيا ببعض ما عظم الله من
ملكوته او نزع من الكلام لمخلوق بما لا يليق الا في حق خالقه غير قاصد للكفر والاستخفاف
ولا عامد للالحاد فان تكرر هذا منه وعرف به دل على تلاعبه بدينه واستخفافه
لحرمة ربه وجهله بعظيم عزته وكبريايه وهذا كفر لا مرية فيه وكذلك ان
كان ما اورده يوجب الاستخفاف والتنقص لربه وقد افتى ابن حبيب واصبغ بن والتنقيص
خليل من فقها قرطبة بقتل المعروف بابن اخي عجب وكان خرج يوما فاخذه المطر فقال
بدا الخراز يرش جلوده وكان بعض الفقها بها ابو زيد صاحب الثمانية وعبد الاعلى بن
وهب وابان بن عيسى قد توقفوا عن سفك دمه واشاروا الى انه عبث من القول
يكفي فيه الادب وافتى بمثله القاضي حينيذ موسى بن زياد فقال ابن حبيب دمه في عنقي
ايشتم رب عبدناه ثم لا ننتصر له انا اذا لعبيد سوء وما نحن له بعابدين وبكى
ورفع المجلس الى الامير بها عبد الرحمن ابن الحكم الاموي وكانت عجب عمة هذا المطلوب
من حظاياه واعلم باختلاف الفقها فخرج الاذن من عنده بالاخذ بقول ابن حبيب
وصاحبه وامر بقتله وصلبه فقتل وصلب بحضرة الفقيهين وعزل القاضي
لتهمته بالمداهنة في هذه القصة ووبخ بقية الفقها وسبهم واما من صدرت
عنه من ذلك الهنة الواحدة والفلتة الشاردة ما لم يكن تنقصا او ازرا فيعاقب عليها
ويؤدب بقدر مقتضاها وشنعة معناها وصورة حال قايلها وشرح سببها ومقارنها
وقد سيل ابن القسم رحمه الله عن رجل نادى رجلا باسمه فاجابه لبيك اللهم لبيك
فقال ان كان جاهلا او قاله على وجه سفه فلا شي عليه قال القاضي ابو الفضل وشرح قوله
انه لا قتل عليه والجاهل يزجر ويعلم والسفيه يؤدب ولو قالها على اعتقاد انزاله
منزلة ربه لكفر هذا مقتضى قوله وقد اسرف كثير من سخفا الشعرا ومتهميهم

في هذا الباب واستخفوا عظيم هذه الحرمة فاتوا من ذلك بما ننزه كتابنا ولساننا
واقلامنا عن ذكره ولولا انا قصدنا نص مسايل حكيناها لما ذكرنا شيا مما يثقل
ذكره علينا مما حكيناه في هذه الفصول واما ما ورد في هذا من اهل الجهالة واغاليط
اللسان كقول بعض الاعراب رب العباد ما لنا وما لكا قد كنت تسقينا فما بدا لكا
انزل علينا الغيث لا ابا لكا في اشباه لهذا من كلام الجهال ومن لم يقومه ثقاف
تاديب الشريعة والعلم في هذا الباب فقلما يصدر الا من جاهل يجب تعليمه وزجره
والاغلاظ له عن العودة الى مثله قال ابو سليمن الخطابي وهذا تهور من القول والله
منزه عن هذه الامور وقد روينا عن عون بن عبد الله انه قال ليعظم احدكم ربه ان
يذكر اسمه في كل شي حتى يقول اخزى الله الكلب وفعل به كذا وكان بعض من ادركنا
من مشايخنا قل ما يذكر اسم الله تعالى الا فيما يتصل بطاعته وكان يقول للانسان جزيت
خيرا وقل ما يقول جزاك الله خيرا اعظاما لاسمه تعالى ان يمتهن في غير قربة وحدثنا
الثقة ان الامام ابا بكر الشاشي كان يعيب على اهل الكلام كثرة خوضهم فيه تعالى وفي
ذكر صفاته اجلالا لاسمه تعالى ويقول هولا يتمندلون بالله جل وعز وينزل الكلام
في هذا الباب تنزيله في باب ساب النبي صلى الله عليه وسلم على الوجوه التي فصلناها
والله الموفق **فصل** وحكم من سب سائر انبيا الله تعالى وملايكته واستخف
بهم او كذبهم فيما اتوا به او انكرهم وجحدهم حكم نبينا عليه السلام على مساق
ما قدمناه قال الله تعالى ان الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون ان يفرقوا بين الله
ورسله الاية وقال تعالى قولوا امنا بالله وما انزل الينا وما انزل الى ابرهيم الاية
الى قوله لا نفرق بين احد منهم وقال كل امن بالله وملايكته وكتبه ورسله لا نفرق
بين احد من رسله قال مالك في كتاب ابن حبيب ومحمد وقاله ابن القسم وابن الماجشون وابن
عبد الحكم واصبغ وسحنون فيمن شتم الانبيا او احدا منهم او تنقصه قتل ولم يستتب
ومن سبهم من اهل الذمة قتل الا ان يسلم وروى سحنون عن ابن القسم من سب الانبيا
من اليهود والنصارى بغير الوجه الذي به كفر واضرب عنقه الا ان يسلم وقد ...

الخلاف في هذا الاصل وقال القاضي بقرطبة سعيد بن سليمان في بعض اجوبته
من سب الله او ملايكته قتل وقال سحنون من شتم ملكا من الملائكة فعليه القتل
وفي النوادر عن مالك فيمن قال ان جبريل اخطا بالوحي وانما كان النبي علي ابن ابي طالب
استتيب فان تاب والا قتل ونحوه عن سحنون وهذا قول الغرابية من الروافض
سموا بذلك لقولهم كان النبي اشبه بعلي من الغراب بالغراب وقال ابو حنيفة واصحابه
على اصلهم من كذب باحد من الانبيا او تنقص احدا منهم او بري منه فهو مرتد وقال
ابو الحسن القابسي في الذي قال لاخر كانه وجه مالك الغضبان لو عرف انه قصد
ذم الملك قتل قال القاضي ابو الفضل وهذا كله فيمن تكلم فيهم بما قلناه على جملة
الملايكة والنبيين او على معين ممن حققنا كونه من الملايكة والنبيين ممن نص الله
عليه في كتابه او حققنا علمه بالخبر المتواتر والمشتهر المتفق عليه بالاجماع القاطع
كجبريل وميكايل ومالك وخزنة الجنة وجهنم والزبانية وحملة العرش المذكورين
في القران من الملايكة ومن سمي فيه من الانبيا وكعزرايل واسرافيل ورضوان والحفظة
ومنكر ونكير من الملايكة المتفق على قبول الخبر بهما فاما من لم تثبت الاخبار
بتعيينه ولا وقع الاجماع على كونه من الملايكة او الانبيا كهاروت وماروت في
الملايكة والخضر ولقمن وذي القرنين ومريم واسية وخالد بن سنان المذكور انه نبي
اهل الرس وزرادشت الذي تدعي المجوس والمورخون نبوته فليس الحكم في سابهم
والكافر بهم كالحكم فيمن قدمناه اذ لم تثبت لهم تلك الحرمة ولكن يزجر من
تنقصهم واذاهم ويودب بقدر حال المقول فيه لا سيما من عرفت صديقيته وفضله
منهم وان لم تثبت نبوته واما انكار نبوتهم او كون الاخر من الملايكة فان كان المتكلم
في ذلك من اهل العلم فلا حرج لاختلاف العلما في ذلك فان كان من عوام الناس زجر
عن الخوض في مثل هذا فان عاد ادب اذ ليس له الكلام في مثل هذا وقد كره السلف
الكلام في مثل هذا مما ليس تحته عمل لاهل العلم فكيف للعامة

فصل واعلم ان من استخف
بالقران او المصحف او بشيء منه او سبهما او جحده او حرفا منه او اية او كذب به

او بشيء منه او كذب بشيء مما صرح به فيه من حكم او خبر او اثبت ما نفاه او نفى
ما اثبته على علم منه بذلك او شك في شيء من ذلك فهو كافر عند اهل العلم باجماع قال
الله تعالى وانه لكتاب عزيز لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد
حدثنا الفقيه ابو الوليد هشام بن احمد رحمه الله حدثنا ابو علي ثنا ابن عبد البر ثنا
ابن عبد المومن ثنا ابن داسة ثنا ابو داود ثنا احمد بن حنبل ثنا يزيد بن هارون ثنا محمد بن
عمرو عن ابي سلمة عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال المرا في القران كفر
تؤول بمعنى الشك وبمعنى الجدال وعن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم من جحد اية من
كتاب الله من المسلمين فقد حل ضرب عنقه وكذلك ان جحد التوراة والانجيل وكتب الله
المنزلة او كفر بها او لعنها او سبها او استخف بها فهو كافر وقد اجمع المسلمون ان
القران المتلو في جميع اقطار الارض المكتوب في المصحف بايدي المسلمين مما جمعه
الدفتان من اول الحمد لله رب العالمين الى اخر قل اعوذ برب الناس انه كلام الله ووحيه
المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وان جميع ما فيه حق وان من نقص منه حرفا قاصدا
لذلك او بدله بحرف اخر مكانه او زاد فيه حرفا مما لم يشتمل عليه المصحف الذي
الذي وقع الاجماع عليه واجمع على انه ليس من القران عامدا لكل هذا انه كافر ولهذا
راى مالك قتل من سب عايشة رضي الله عنها بالفرية لانه خالف القران ومن خالف
القران قتل لانه كذب بما فيه وقال ابن القسم من قال ان الله لم يكلم موسى تكليما
يقتل وقاله عبد الرحمن ابن مهدي وقال محمد بن سحنون فيمن قال المعوذتان ليستا من
كتاب الله تضرب عنقه الا ان يتوب وكذلك كل من كذب بحرف منه قال وكذلك
ان شهد شاهد على من قال ان الله لم يكلم موسى تكليما وشهد اخر عليه انه قال ان
الله لم يتخذ ابرهيم خليلا لانهما اجتمعا على انه كذب النبي صلى الله عليه وسلم وقال
ابو عثمان بن الحداد جميع من ينتحل التوحيد متفقون ان الجحد لحرف من التنزيل كفر
وكان ابو العالية اذا قرا عنده رجل لم يقل له ليس كما قرات ويقول اما انا فاقرا
كذا فبلغ ذلك ابرهيم فقال اراه سمع انه من كفر بحرف منه فقد كفر به كله وقال

وقال اصبغ بن الفرج من كذب ببعض القرآن فقد كذب به كله ومن كذب به فقد كفر به ومن كفر به فقد كفر بالله وقد سئل القابسي عمن خاصم يهوديا فحلف له بالتوراة فقال الآخر لعن الله التوراة فشهد عليه بذلك شاهد ثم شهد آخر انه سأله عن القضية فقال انما لعنت توراة اليهود فقال ابو الحسن الشاهد الواحد لا يوجب القتل والثاني علق الامر بصفة تحتمل التاويل اذ لعله لا يرى اليهود متمسكين بشيء من عند الله لتبديلهم وتحريفهم ولو اتفق الشاهدان على لعن التوراة مجردا لضاق التاويل وقد اجتمع فقهاء بغداد على استتابة ابن شنبوذ المقرئ احد الائمة المقرئين المتصدرين بها مع ابن مجاهد لقراءته واقرائه بشواذ من الحروف مما ليس في المصحف وعقدوا عليه بالرجوع عنه والتوبة منه سجلا اشهد فيه بذلك على نفسه في مجلس الوزير ابي علي ابن مقلة سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة وكان فيمن افتى عليه بذلك ابو بكر الابهري وغيره وافتى ابو محمد بن ابي زيد بالادب فيمن قال لصبي لعن الله معلمك وما علمك وقال اردت سوء الادب ولم ارد القرآن قال ابو محمد واما من لعن المصحف فانه يقتل

فصل

وسب آل بيته وازواجه واصحابه عليه السلام وتنقصهم حرام ملعون فاعله حدثنا القاضي الشهيد ابو علي رحمه الله ثنا ابو الحسين الصيرفي وابو الفضل العدل قالا حدثنا ابو يعلى السنجي ثنا ابن محبوب ثنا الترمذي ثنا محمد بن يحيى ثنا يعقوب بن ابراهيم ثنا عبيدة بن ابي رايطة عن عبد الرحمن بن زياد عن عبد الله بن مغفل قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله الله في اصحابي الله الله في اصحابي لا تتخذوهم غرضا بعدي فمن احبهم فبحبي احبهم ومن ابغضهم فببغضي ابغضهم ومن آذاهم فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله ومن آذى الله يوشك ان ياخذه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسبوا اصحابي فمن سبهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا وقال عليه السلام لا تسبوا اصحابي فانه يجيء قوم في آخر الزمان يسبون اصحابي فلا تصلوا عليهم ولا تصلوا معهم ولا تناكحوهم ولا تجالسوهم وان مرضوا فلا تعودوهم وعنه عليه السلام من سب اصحابي فاضربوه وقد اعلم النبي صلى الله عليه

وسلم ان سبهم واذاهم يؤذيه واذى النبي [illegible] يؤذوني في اصحابي ومن اذاهم فقد اذاني وقال لا تؤذوني في عائشة وقال في فاطمة بضعة مني يؤذيني ما اذاها وقد اختلف العلماء في هذا فمشهور مذهب مالك في ذلك الاجتهاد والادب الموجع قال مالك رحمه الله من شتم النبي صلى الله عليه وسلم قتل ومن شتم اصحابه ادب وقال ايضا من شتم احدا من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ابا بكر او عمر او عثمان او عليا او معاوية او عمرو بن العاصي فان قال كانوا على ضلال وكفر قتل وان شتمهم بغير هذا من مشاتمة الناس نكل نكالا شديدا وقال ابن حبيب من غلا من الشيعة الى بغض عثمان والبراءة منه ادب ادبا شديدا ومن زاد الى بغض ابي بكر وعمر فالعقوبة عليه اشد ويكرر ضربه ويطال سجنه حتى يموت ولا يبلغ به القتل الا في سب النبي صلى الله عليه وسلم وقال سحنون من كفر احدا من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم عليا او عثمان او غيرهما يوجع ضربا وحكى ابو محمد بن ابي زيد عن سحنون من قال في ابي بكر وعمر وعثمان وعلي انهم كانوا على ضلالة وكفر قتل ومن شتم غيرهم من الصحابة بمثل هذا نكل النكال الشديد وروي عن مالك من سب ابا بكر جلد ومن سب عائشة قتل قيل له لم قال من رماها فقد خالف القرآن وقال ابن شعبان عنه لان الله يقول يعظكم الله ان تعودوا لمثله ابدا ان كنتم مؤمنين فمن عاد لمثله فقد كفر وحكى ابو الحسن الصقلي ان القاضي ابا بكر بن الطيب قال ان الله تعالى اذا ذكر في القرآن ما نسبه اليه المشركون سبح نفسه لنفسه لقوله وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه في اي كثيرة وذكر تعالى ما نسبه المنافقون الى عائشة فقال ولولا اذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا ان نتكلم بهذا سبحانك سبح نفسه في تنزيهها من السوء كما سبح نفسه في تنزيهه من السوء وهذا يشهد لقول مالك في قتل من سب عائشة ومعنى هذا والله اعلم ان الله لما عظم سبها كما عظم سبه وكان سبها سبا لنبيه وقرن سب نبيه واذاه باذاه تعالى وكان حكم مؤذيه تعالى القتل كان مؤذي نبيه كذلك كما قدمناه وشتم رجل عائشة بالكوفة فقدم الى موسى بن عيسى العباسي فقال من حضر هذا فقال ابن ابي ليلى انا فجلده ثمانين

واسلمه في الحجامين وروي عن عمر بن الخطاب انه نذر قطع لسان عبيد الله بن عمر اذ
شتم المقداد بن الاسود فكلم في ذلك فقال دعوني اقطع لسانه حتى لا يشتم احد
بعد اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وروي ابو ذر الهروي ان عمر بن الخطاب اتي باعرابي
يهجو الانصار فقال لولا ان له صحبة لكفيتكموه قال مالك من انتقص احدا من
اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فليس له في هذا الفيء حق قد قسم الله الفيء في ثلاثة
اصناف فقال للفقراء المهاجرين الاية ثم قال والذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم
الاية وهؤلاء الانصار ثم قال والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا
الذين سبقونا بالايمان الاية فمن تنقصهم فلا حق له في فيء المسلمين وفي كتاب ابن شعبان
من قال في واحد منهم انه ابن زانية وامه مسلمة حد عند بعض اصحابنا حدين حدا
له وحدا لامه ولا اجعله كقاذف الجماعة في كلمة لفضل هذا على غيره ولقوله
عليه السلام من سب اصحابي فاجلدوه قال ومن قذف ام احدهم وهي كافرة حد حد
الفرية لانه سب له فان كان احد من ولد هذا الصحابي حيا قام بما يجب له والا فمن
قام به من المسلمين كان على الامام قبول قيامه قال وليس هذا كحقوق غير الصحابة لحرمة
هؤلاء بنبيهم ولو سمعه الامام واشهد عليه كان ولي القيام به قال ومن سب
غير عائشة من ازواج النبي صلى الله عليه وسلم ففيها قولان احدهما يقتل لانه سب
النبي صلى الله عليه وسلم بسب حليلته والاخر انها كسائر الصحابة يجلد حد المفتري
قال وبالاول اقول وروي ابو مصعب عن مالك من انتسب الى بيت النبي صلى الله عليه وسلم
يضرب ضربا وجيعا ويشهر ويحبس طويلا حتى تظهر توبته لانه استخفاف بحق الرسول
وافتى ابو المطرف الشعبي فقيه مالقة في رجل انكر تحليف امراة بالليل وقال لو
كانت بنت ابي بكر الصديق ما حلفت الا بالنهار وصوب قوله بعض المتسمين بالفقه فقال
ابو المطرف ذكر هذا لابنة ابي بكر في مثل هذا يوجب عليه الضرب الشديد والسجن الطويل
والفقيه الذي صوب قوله هو اخص باسم الفسق من اسم الفقه فيتقدم اليه في ذلك
ويزجر ولا تقبل فتواه ولا شهادته وهي جرحة ثابتة فيه ويبغض في الله وقال

قال سحنون في رجل قال لو شهد علي ابو بكر الصديق انه ان كان في
مثل ما لا تجوز فيه الشهادة [illegible] فلا شيء عليه وان كان اراد
غير هذا [illegible] وذكر [illegible]

القاضي ابو الفضل هنا انتهى القول بنا [illegible] وانتجز الغرض [illegible]
واستوفى الشرط الذي شرطناه مما ارجو ان [illegible] قسم منه للمريد [illegible]
الى بغيته ومنزع وقد سفرت فيه عن نكت تستغرب وتستبدع وكرعت في
مشارب من التحقيق لم يورد لها قبل في اكثر التصانيف مشرع واودعته غير
ما فصل وددت لو وجدت من بسط قبلي الكلام فيه او مقتدى يفيدنيه
عن كتابه او فيه لاكتفي بما ارويه عما اروّيه والى الله تعالى جزيل الضراعة في المنة
بقبول ما منه لوجهه والعفو عما تخلله من تزين وتصنع لغيره وان يهب لنا
بجميل كرمه وعفوه لما اودعناه من شرف مصطفاه وامين وحيه واسهرنا به
فيه جفوننا لتتبع فضائله واعملنا فيه خواطرنا من ابراز خصائصه ووسائله
ويحمي اعراضنا عن ناره الموقدة لحمايتنا كريم عرضه ويجعلنا ممن لا يذاد اذا ذيد
المبدل عن حوضه ويجعله لنا ولمن تهمم باكتتابه واكتسابه سببا يصلنا
باسبابه وذخيرة نجدها يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا نحوز بها
رضاه وجزيل ثوابه ويخصنا بخصيصى زمرة نبينا وجماعته ويحشرنا في
الرعيل الاول واهل الباب الايمن من اهل شفاعته ونحمده تعالى على ما هدى
اليه من جمعه والهم وفتح البصيرة لدرك حقائق ما اودعناه وفهم
ونستعيذه جل اسمه من دعاء لا يسمع وعلم لا ينفع وعمل لا يرفع فهو الجواد
الذي لا يخيب من امله ولا ينتصر من خذله ولا يرد دعوة القاصدين ولا يصلح
عمل المفسدين وهو حسبنا ونعم الوكيل وصلى الله على سيدنا محمد [illegible]

الحمد لله رب العالمين ونقلتها من خط المؤلف التي بالخزانة الشريفة
[illegible] العبد الفقير [illegible] وفرغ من نسخه بحمد الله وعونه في عشية [illegible]
[illegible] شهر رجب الفرد سنة ثلاثة عشر وخمسمائة
للهجرة النبوية

[illegible] وعامر الاخبار عند ذكر محمد عفيف رحمه الله [illegible]
[illegible] وثلاث ما اصل الذكر اجابة الحق من حيث اللوازم لقو
[illegible] السلام من احب الله فعد ذكر الله تعالى وان تلك صلاته وصيامه و[illegible]
[illegible] تفسير الذكر قسمين ظاهر وباطن واما الظاهر فالتهليل والتحميد
[illegible] واما الباطن فتنبيه القلوب على الشرائط التيقظ على معرفة
[illegible] وصفاته وافعاله ونشر احسانه وامضاء تدبيره ونفاذ تقديره على جميع
[illegible] الاذكار على مقدار الذاكرين فيكون ذكر الخائفين على مقد
قوارع الوعيد وذكر الراجين على ما استبان لهم من سوء عوده
وذكر المحبين على قدر النعماء وذكر المراقبين على قدر العلم باطلاع الله
[illegible] وذكر المتوكلين على ما انكشف لهم من كفاية الكافي وذلك
تطول ذكره ويجب شرحه فذكر الله تعالى منفرد وهو ذكر المنفرد
انفراد احديته عن كل مشهور وسواه لقوله صلى الله عليه وسلم
[illegible] من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي والاصل افراد النطق
لا هو تحقيقه لقوله عليه السلام افضل الذكر لا اله الا الله
قال الشبلي رحمه الله من اقرب الحاجات اليك فقال الهمم بذكر الله
[illegible] وهمهم لحق الله عز وجل وابدانهم مبادرة في مرضات الله تعالى
[illegible] ذكر الغفلة يجدد جوابه اللعن وانشد ما ان ذكرتك
[illegible] بعني ذكري وسري وفكري عند ذكراكا
[illegible] بهتف بي اياك وذكر والتذكار اياكا
وجاء [illegible] النبي [illegible] مجنون وانتم اجلا زادالله وجنوني
[illegible] وقال رحمه الله ليس من اشتاق [illegible] الذكر
[illegible] انس الانس بالملك [illegible] اللهم
اللهم [illegible] ووفقنا لما [illegible]
[illegible]

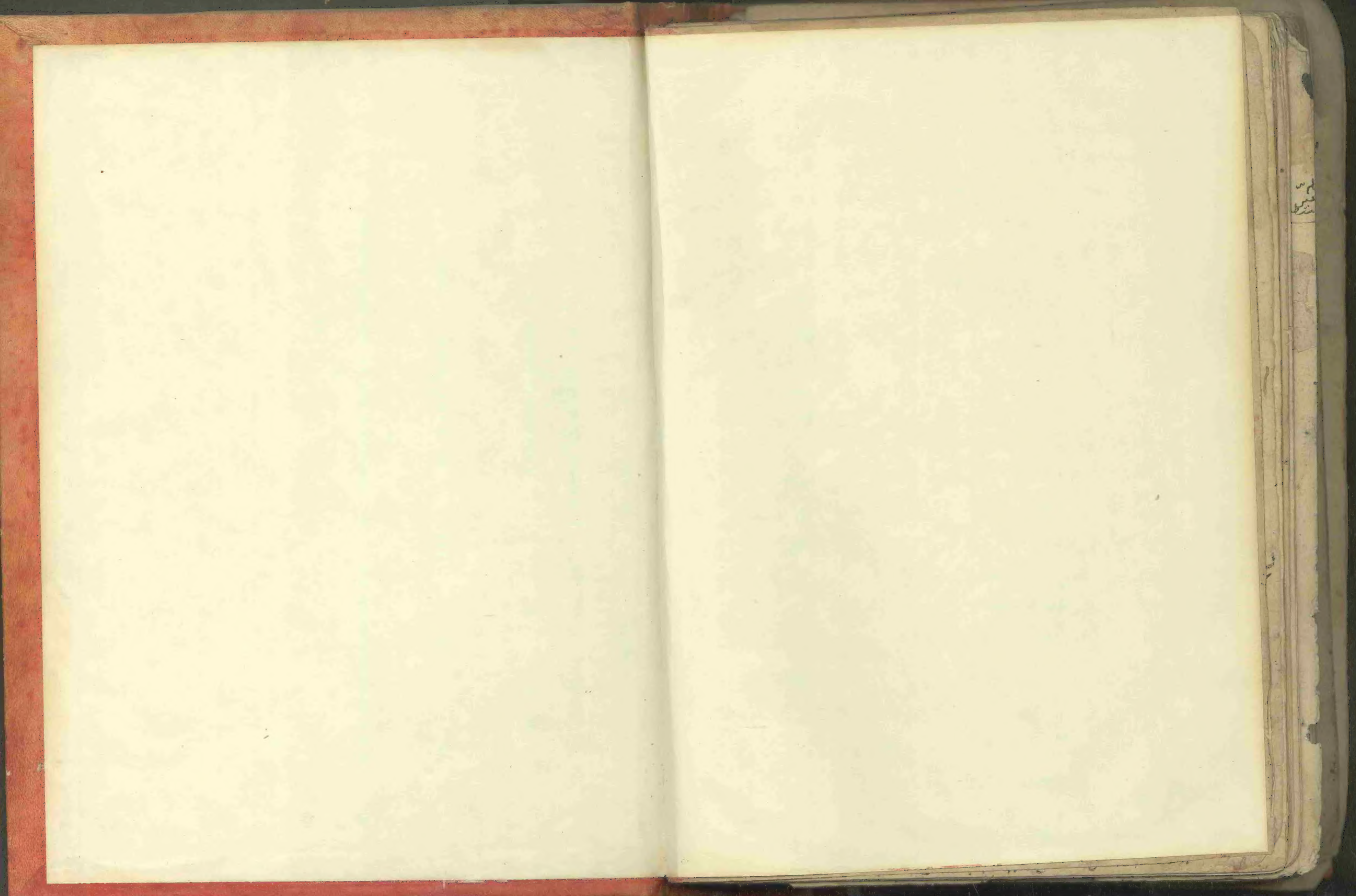

[illegible]

[illegible] [illegible]